حدائق الأولياء

١٣٤ مجلساً في شتى فروع المعرفة

من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها

تأليف

الإمام سراج الدين عمر بن علي بن أحمد
ابن الملقن الأنصاري الأندلسي

المتوفى ٨٠٤هـ

اعتنى به ووضع حواشيه

السيد يوسف أحمد

الجزء الأول



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title: **ḤADĀ'IQ AL-'AWLIYĀ'**
(Gardens of the holy men)
Classification: Jurisprudence and morals
Author : Imām Sirājuddīn Ibn al-Mulaqqin
Editor : Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages : 1216 (2 volumes)
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

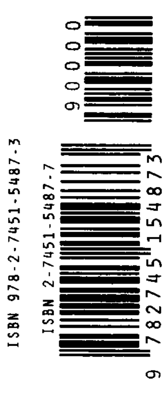
الكتاب: حدائق الأولياء
التصنيف : فقه وأخلاق
المؤلف : الإمام سراج الدين ابن الملقن
المحقق : السيد يوسف أحمد
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 1216 (جزءان)
سنة الطباعة: 2009
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى



Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا طيبا طاهرا مباركا فيه، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لك الحمد يا ربي علىٰ مل تكرمت به علينا وأوليت من نعمة الإسلام، وتمام الدين بأن بعثت لنا خير خلقك؛ سيدنا محمد ﷺ بخير رسالة وأكرم دعوة، فكان نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء، فأكملت به الرسالات، وكان دين الإسلام هو دين الله؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقد كَمُلَ الإسلام وتم علىٰ خير وجه رضي عنه الجليل بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فصلى عليك الله يا علم الهدى. سيدي وحبيبي. أفضل صلاة وأتم تسليم، فقد أبلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وكشف الله بك الغمة، وتركتنا علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك.

وقد حمل الصحابة بعد النبي ﷺ أمانة تبليغ الرسالة ، فقاموا بها خير قيام، ومن بعدهم قام السلف الصالح من علماء الأمة بأمر الدين فصنفوا العلوم المختلفة من علوم القرآن والسنة؛ فمن التفسير إلىٰ الحديث إلىٰ علوم الفقه إلىٰ كتب اللغة حتىٰ يمكن كل موحد من أمة الإسلام أن يشق طريقه إلىٰ المعرفة بأمور دينه، فعلىٰ مدار القرون لم يتوقف هؤلاء العلماء عن القيام بدورهم في إخراج المصنفات المختلفة التي كان لها الأثر الأكبر في شرح وبيان أحكام الشريعة المختلفة.

وكان لهذا الكتاب الذي بين أيدينا دور كبير في الإلمام بفروع شتى؛ فقد احتوى علىٰ مجالس عدة قال المصنف إنها أربع وثلاثون ومائة مجلس في جميع فروع المعرفة ، وقد وجدته أكثر من هذا العدد عند تحقيق هذا الكتاب . وإذا نظرت إلىٰ جملة المجالس وجدت تنوعا عظيما؛ فقد بدأ بمجلس في الحمد لله تعالىٰ، ثم الصلاة علىٰ رسول الله ، ثم مجلس الإخلاص ، ثم التوبة ثم الصدق ثم العلم ، ثم الصبر، ثم المراقبة ، واستمر إلىٰ آخر المجالس ، وهي جملة من المجالس المتنوعة في التفسير وغيره .

وفي كل مجلس بدأ بكتاب الله فيذكر الآيات الدالة علىٰ المجلس مع شرح

وتلميحات وإشارات في بيان معنى ومغزى هذه الآيات .

ثم يبدأ في سرد الأحاديث النبوية من كتب الصحاح الستة ومعها بعض الكتب الأخرى ، إلا أنه قد ركز علىٰ كتب الصحاح الستة ، وبدأ بالصحيحين ثم السنن الأربعة : أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ثم ينتقل إلىٰ ذكر حكايات عن الصالحين متخللة للنوادر والأشعار والفوائد ، وقد وصل عدد الأحاديث المذكورة نحواً من ألفي حديث ، ومن الحكايات نحو ستمائة ، مع النوادر والأشعار والآثار .

وكل ذلك في سرد جميل ورائع ومفيد ليتمكن المتناول الموضوع من الإحاطة به من شتى جوانبه .

التعريف بالمصنف : قال في معجم المؤلفين (٧/ ٢٩٧) :

الإمام عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الوادياشي الأندلسي التكروري الأصل الوادباشي الأندلسي المصري الشافعي ، ويعرف بابن الملق سراج الدين أبي حفص ، فقيه أصولي محدث حافظ مؤرخ مشارك في بعض العلوم .

ولد في القاهرة في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وتوفي في ستة عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة ، ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وجعل الجنة مثواه[1] .

مؤلفاته :

تدل مؤلفاته العديدة علىٰ سعة علمه في جميع المعارف والعلوم ، فأولى علومه الحديث ثم الفقه ، وقد أخذ عن شيوخ عصره ومهر فيها ووصفه فضلاء عصره بالحفظ ونحوه من الصفات العلمية ،ودخل دمشق سنة سبعين وسبعمائة ، فمن مصنفاته الكثيرة : الإشارات إلىٰ ما وقع في المنهاج للنووي، ومختصر مسند أحمد، وشرح ألفية ابن مالك في النحو ، وشرح الوصول إلىٰ علم الأصول، وإذا أردت المزيد فانظر مقدمة المؤلف والتي تصدرت الكتاب ، وقد تعرضت لترجمة قيمة له ، وأظنها من المخطوط الذي في القرون التالية ، وأكثر ظني في القرن الحادي عشر عند كتابة هذا المخطوط ، كما هو مذكور في آخر المخطوط .

خطة العمل بالكتاب :

١ ـ تفسير الآيات القرآنية الواردة فيه .

---

(١) ترجمته : معجم المؤلفين (٧/ ٢٩٧) ، الضوء اللامع (٦/ ١٠٠) ، إيضاح المكنون (١/ ١٥٣) ، شذرات الذهب (٧/ ٤٤) ، حسن المحاضرة (١/ ٢٤٩) ، طبقات الشافعية (٩٠، ٩١) .

٢ . تخريج الأحاديث الواردة بالنص مع شرح بعضها ، واعتمدنا بدرجة كبيرة علىٰ شرح مسلم للإمام النووي .

٣ . ترجمة بعض الرجال مع نبذة مختصرة عنهم ومصادر ترجمتهم .

٤ . توضيح معاني الكلمات الغريبة الواردة في الأشعار والحكايات والنوادر وغيرها .

٥ . التعليق علىٰ على بعض الحكايات الواردة ، وخاصة الواردة عن الأولياء ، وخاصة الصوفية منهم ؛ لأن في بعض الحكايات لهم شطحات ، قال ابن قيم الجوزية في شرح كتاب الهروي (ص ٢٠) : هذه الشطحات أوجبت فتنة علىٰ طائفتين من الناس ؛ أحدهما حجب عن محاسن هذه الطائفة ، ولطف نفوسهم وصدق معاملاتهم ، فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بها مطلقا ،وهذا عدوان وإسراف ، فلو كان من أخطأ أو غلط تُرِكَ جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها .

والثانية : حجبوا بما رأوه من محاسن القوم ، وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم علىٰ عيوب شطحاتهم ونقصانها ، فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار ، وهؤلاء معتدون مفرطون .

وقال ابن القيم أيضا : ويجب علىٰ أهل العدل والإنصاف الذين أعطاهم الله الفهم أن يعطوا كل ذي حق حقه من بيان خطأ أهل الشطحات، وأن ينزلوا لكل ذي منزلة منزلته ؛ فلا يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١١/ ١٧) :

الصوفيون قد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم ، والصديق في العصر الأول أكمل منهم ، والصديقون درجات وأنواع . ثم يقول بعد ذلك :

ولأجل ما يقع في كثير من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء ، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعة .

فالصوفية الحقة أناس مجتهدون في طاعة الله كما غيرهم من أهل الطاعة ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين ، وفي كل

من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب .

وأهل السنة يؤمنون بكرامة الأولياء وما يجري علىٰ أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، انتهى كلام ابن تيمية .

وقد ألمحنا إلىٰ رأي هذين الإمامين الجليلين : ابن تيمية وابن القيم لما ستجدونه في بعض الحكايات من خوارق العادات والأمور التي قد تعتبرها من الشطحات الخارجة عن المنطق والمعقول .

الختام

وفي الختام أسأل الله تعالىٰ أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعل ما قمنا به في ميزان حسناتنا يوم يقوم الناس لرب العالمين. وأهدي عملي هذا إلىٰ روح والديَّ. رحمهما الله. ودائما ما أذكر وأردد قول المولى عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] سائلا الله تعالىٰ أن يجعل مثواهم الجنة ، وأن يلحقنا بهم علىٰ الإيمان والإسلام ، وعلىٰ الكتاب والسنة، ويتوفنا وهو راضٍ عنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير

كما لا أنسى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من قدم لنا العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل ، وخاصة شريكة العمر ؛ الزوجة الصالحة ، لما وفرته لنا من الراحة والهدوء وتوفير كل متطلبات العمل ومراعاة البيت والأسرة ، فلها مني الدعاء إلىٰ الله تعالىٰ أن يكرمها في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلها من الذين رضي عنهم ورضوا عنه .

كما أهدي عملي هذا إلىٰ فلذات الأكباد ؛ أولادي الأعزاء ، الكبرى رنا بالمرحلة الثانوية، وأخويها : أحمد بالإعدادية ، والأخ الصغير محمد بمراحل تعليمه الأولى ، راجيا من الله تعالىٰ أن يكونوا له طائعين موحدين، وبكتابه متمسكين مهديين ، ولسنة نبيه متبعين وعاملين ، إنه علىٰ كل شيء قدير .

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

وصلىٰ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين.

المحقق السيد يوسف أحمد

القاهرة . المطرية . عزبة النخل الغربية

في ٢١من ذي القعدة سنة ١٤٢٧هجرية

الموافق ١٢من ديسمبر سنة ٢٠٠٦ميلادية

ترجمة المصنف[1]

هذه ترجمة المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أذكرها مختصرة علىٰ حسب المحل والوقت .

هو: عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الشيخ الإمام العالم العلامة عمدة المصنفين سراج الدين أبو حفص الأنصاري، الأندلسي الأصل المغربي، المعروف بابن الملقن .

كان أبوه عالماً نحوياً معروفاً بالتقدم في ذلك، ومات والده، فرباه زوج أمه الشيخ عيسى المغربي الملقن، فعُرف به .

ميلاده ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

وسمع الحديث الكثير، حتىٰ ذكر بعضهم أنه سمع ألف جزء حديثية .

ودخل دمشق سنة سبعين وسبعمائة، واشتهر بعلوم ومهر فيها .

وأولى علومه الحديث، وتخرج فيه بالشيخ زين الدين الرحبي، وبالشيخ علاء الدين (. . . . . . .)[2]، وكتب عنهما الكثير، وأكثر من تحصيل الأجزاء، وسمع الكتب الكبار، وعني بالفقه، وأخذ عن شيوخ عصره ومهر فيه .

ووصفه فضلاء عصره في طبقات السماع بالحفظ، ونحوه من الصفات العلمية .

وشرح البخاري في عشرين مجلداً، وشرح زوائد مسلم، ثم زوائد أبي داود، ثم زوائد الترمذي، ثم زوائد النسائي، ثم زوائد ابن ماجه .

ومن تصانيفه (الرافعي)[3] سماه البدر المنير في ست مجلدات، واختصره في نحو عشرة، وسماه الخلاصة، ثم اختصره في تصنيف لطيف .

وتخريج أحاديث المهذب، وتخريج أحاديث الوسيط، وشرح العمدة سماه: «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» وسيد الأنام، وتلخيص مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، والاعتراض علىٰ مستدرك الحاكم، واختصر تهذيب الكمال للمزي، واختصر الكتب الستة الزائدة علىٰ ذلك: مسند أحمد، وصحيحي ابن خزيمة وابن

---

(١) أظنها ترجمة من وضع الناسخ وليس المصنف .

(٢) بياض بالأصل قدر كلمة . (٣) كذا بالأصل .

حبان، ومستدرك الحاكم، والدارقطني . والمقنع في علوم الحديث، ومختصر دلائل النبوة، وطبقات المحدثين، وطبقات الشافعية، وطبقات الصوفية، وتاريخ دولة الترك.

وله شرح المنهاج المسمى بالعمدة في ثمان مجلدات، والعجالة شرح مختصر في ثلاث مجلدات، والاعتراضات علىٰ المنهاج في مجلد واحد، وشرح التنبيه الكبير المسمى بغنية الفقيه، وله شرح ثان متوسط (. . . .) (*) نحو الزنكلوني، وآخر صغير، والأمنية علىٰ أسلوب نكت النسائي .

ومن محاسن تصانيفه: شرح الحاوي، وتحرير (. . .)(*) و وله كتاب تحفة المحتاج في أدلة المنهاج، وكتاب الإشارات في لغات المنهاج، وله نكت المنهاج في شرح كتاب (. . .)(*) من غاية أبي سراج عبد ربه نسخه .

وله كتاب غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، وشرح التنبيه، وشرح منهاج البيضاوي، وشرح مختصر ابن الحاجب، وعمل الأشباه والنظائر .

وجمع في الفقه كتاباً سماه (الكآبة)[١] من النقول الغريبة، وله - رحمه الله تعالىٰ - الكتاب الجليل الشأن لم أر في الدقائق مثله[٢]، وله مصنفات أُخر، قال بعضهم: بلغت نحو الثلاثمائة .

وكان رحمه الله فريد الدهر في كثرة التصانيف وحسنها .

وكان منقطعاً عن الناس جداً، وكان من أعذب الناس صوتاً، وأحسنهم خلقاً، وأجملهم صورة، كثير الأدب والتواضع .

وكان موسَّعاً عليه، كثير الكتب جداً، ثم احترق غالبها، وذلك قبل موته، فحجبه ولده إلىٰ أن مات في سنة أربع وثمانمائة، ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالىٰ، وجعل الجنة مثواه، وأعاد عليَّ من بركاته، وحشرني في زمرته إلىٰ دار كرامته بمحمد وآله وصحبه، والحمد لله وحده .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(*) بياض بالأصل قدر كلمة .

(١) وجدناها بالأصل منفصلة بينهما بياض كذا (الكا . . . . بة) .

(٢) أظنه يقصد الكتاب الذي بين أيدينا .



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره، شيخ الإسلام ومفتي الأنام سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾[1] أحمد الله علىٰ ما أنعم، وأشكره علىٰ ما ألهم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الأعظم، وأن محمداً عبده ورسوله المبجل المكرم، وبعد:

فهذا كتاب الحدائق يشتمل علىٰ نحو ألفي حديث، ومن حكايات الصالحين نحو ستمائة، خلا الآثار والأشعار والنوادر .

جعله الله خالصاً لوجهه بمنه وكرمه موجباً للفوز لديه، ونفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه ومن نظر فيه، وجميع المسلمين . آمين .

محتوى الكتاب:[2]

١- الحمد لله تعالىٰ - أحاديث عديدة .

٢- في الصلاة علىٰ رسول الله ـ عدة أحاديث، وست وعشرون حكاية .

٣- الإخلاص ـ اثنا عشر حديثاً، وسبع حكايات .

٤- التوبة ـ اثنا عشر حديثاً، وست حكايات .

٥- الصدق ـ ستة أحاديث .

٦- العلم ـ فيه أحاديث.

٧- الصبر ـ تسعة وعشرون حديثاً، وحكايات .

٨- المراقبة ـ تسعة أحاديث، وعدة حكايات .

٩- التقوى ـ خمسة أحاديث، وعشر حكايات .

١٠- اليقين والتوكل ـ أحد عشر حديثاً، وثلاث وعشرون حكاية .

١١- الاستقامة ـ عدة أحاديث .

---

(١) سورة الكهف [١٠] .

(٢) هذا العنوان من وضعنا ليتوافق مع النص .

١٢- التفكر ـ عدة أحاديث .

١٣- المبادرة إلىٰ الخيرات ـ ثمانية أحاديث، وأربع وثلاثون حكاية .

١٤- المجاهدة ـ سبعة عشر حديثاً، واثنتا عشرة حكاية .

١٥- الحث علىٰ الازدياد في الخير في أواخر العمر ـ خمسة أحاديث .

١٦- الحب في الله والحث عليه ـ أحاديث عدة، وثلاث عشرة حكاية .

١٧- الوفاء بالعهد ـ ستة أحاديث، وست حكايات .

١٨- الاقتصاد في العبادة ـ أحد عشر حديثاً .

١٩- المحافظة علىٰ الأعمال ـ أربعة أحاديث .

٢٠- الأمر بالمحافظة علىٰ السنة وآدابها ـ أحد عشر حديثاً، وفصول عديدة .

٢١- الدلالة علىٰ الخير ـ وفيه أحاديث .

٢٢- التعاون علىٰ البر والتقوى ـ أربعة .

٢٣- الأمر بالمعروف ـ ثلاثة عشر .

٢٤- تغليظ عقوبة من خالفه ـ واحد .

٢٥- الأمر بأداء الأمانة ـ اثنان .

٢٦- تعظيم الحرمات ـ ثمانية عشر حديثاً

٢٧- ستر العورة ـ أربعة .

٢٨- قضاء الحوائج ـ اثنان .

٢٩- الشفاعة ـ اثنان .

٣٠- الإصلاح ـ أربعة .

٣١- الملاطفة ـ ثلاثة عشر .

٣٢- النساء .(١)

٣٣- حق الزوج علىٰ امرأته ـ ثمانية .

٣٤- النفقة علىٰ العيال ـ ثمانية .

٣٥- الإنفاق مما تحب ـ واحد .

٣٦- أمر الأهل بالطاعة ـ خمسة .

٣٧- حق الجار ـ تسعة .

---

(١) كذا بالأصل بدون ذكر أي عدد بجوارها .

٣٨- بر الوالدين ـ خمسة وعشرون حديثاً، وثلاث حكايات .

٣٩- العقوق ـ خمسة .

٤٠- بر أصدقاء الأب ـ أربعة .

٤١- إكرام بنت الرسول ﷺ اثنان .

٤٢- الزهد ـ أربعة وعشرون حديثاً، وعشر حكايات .

٤٣- الدعاء ـ تسعة وعشرون حديثاً .

٤٤- الدعاء بظهر الغيب ـ واحد .

٤٥- مسائل منه ـ أي من الدعاء ـ ثماني عشرة حكاية .

٤٦- الصمت ـ واحد وأربع حكايات .

٤٧- الغيبة ومتعلقاتها ـ خمسة وعشرون حديثا، وست عشرة حكاية .

٤٨- النميمة ـ واحد .

٤٩- ذم ذي الوجهين ـ اثنان .

٥٠- تحريم الكذب ـ خمسة .

٥١- التثبت فيما يحكيه ـ اثنان .

٥٢- شهادة الزور ـ واحد .

٥٣- المنهيات ـ مائتان وستون حديثاً .

٥٤- الصدقة ـ ست وعشر حكايات .

٥٥- الجد في العمل ـ اثنان .

٥٦- السخاء ـ حديث، وعشر حكايات .

٥٧- إكرام الضيف ـ أربعة أحاديث، وحكايات مثلها .

٥٨- فضل الجوع ـ واحد وثلاثون حديثاً .

٥٩- القناعة ـ أحد عشر .

٦٠- جواز الأخذ ـ واحد .

٦١- عمل اليد ـ أربعة .

٦٢- التنافس في الآخرة ـ اثنان .

٦٣- فضل الغنيّ الشاكر ـ ثلاثة .

٦٤- الكرم ـ ثمانية عشر حديثاً .

٦٥- البخل ـ حديث واحد .

٦٦- الورع ـ ثمانية .

٦٧- العزلة ـ خمسة .

٦٨- الكبر ـ ثمانية .

٦٩- حسن الخلق ـ عشرة .

٧٠- الحلم ـ تسعة .

٧١- العفو ـ أربعة .

٧٢- احتمال الأذى ـ واحد .

٧٣- الغضب ـ أربعة .

٧٤- الرفق ـ ستة .

٧٥- الولي العادل ـ أربعة .

٧٧-[(١)] وجوب الطاعة ـ أحد عشر .

٧٨- سؤال الإمارة ـ ثلاثة .

٧٩- الوزير الصالح ـ ثلاثة .

٨٠- التولية ـ واحد

٨١- الحياء ـ أربعة .

٨٢- حفظ السر ـ أربعة .

٨٣- المحافظة علىٰ الخير ـ واحد .

٨٤- طيب الكلام ـ ثلاثة .

٨٥- بيانه ـ أي الكلام ـ اثنان .

٨٦- إصغاء الجليس ـ واحد .

٨٧- الوعظ ـ أربعة .

٨٨- السكينة ـ ثلاثة .

٨٩- التهنئة ـ أربعة .

٩٠- الوداع ـ خمسة .

٩١- الاستخارة ـ واحد .

٩٢- اليمين ـ سبعة .

---

(١) كذا بالأصل لا يوجد رقم [٧٦] .

٩٣- آداب الطعام ـ تسعة وعشرون .

٩٤- السراب ـ اثنان وعشرون .

٩٥- اللباس ـ ثلاثة وثلاثون .

٩٦- آداب النوم والمجلس ـ اثنان وعشرون .

٩٧- الرؤيا ـ سبعة .

٩٨- السلام ـ أربعة وعشرون .

٩٩- الاستئذان ـ ستة .

١٠٠- التشميت ـ ستة .

١٠١- المصافحة ونحوها ـ ثمانية .

١٠٢- العيادة والجنائز ـ خمسة وستون حديثاً .

١٠٣- فضل يوم الجمعة ـ اثنا عشر .

١٠٤- آداب السفر ـ خمسة وثلاثون .

١٠٥- فضل قراءة القرآن ـ إحدى وثلاثون .

١٠٦- فضل الصلاة ومتعلقاتها ـ مائة وثلاثة وعشرون حديثاً، وست عشرة حكاية.

١٠٧- الحج نحو مائة حديث، وخمسين حكاية .

١٠٨- تحريم الظلم ـ ثمانية عشر .

١٠٩- النصيحة ـ ثلاثة، وإحدى عشرة حكاية .

١١٠- التواضع ـ ثمانية، وخمس عشرة حكاية .

١١١- الخوف ـ ستة عشر حديثاً، وست عشرة حكاية .

١١٢- الرجاء ـ واحد وثلاثون، وسبع حكايات .

١١٣- الجمع بينهما ـ ثلاثة أحاديث، وعشر حكايات .

١١٤- تكثرة طرق الخير ـ خمسة وعشرون .

١١٥- الاشتغال بالله ـ واحد، وثماني عشرة حكاية .

١١٦- الفرج بعد الشدة ـ سبع حكايات .

١١٧- البكاء من الخشية ـ عشرة .

١١٨- الجهاد ـ اثنان وسبعون حديثاً، وثلاث حكايات .

١١٩- الزكاة ـ تسعة .

١٢٠- الصوم ـ اثنان وخمسون، وأربع حكايات .

١٢١- السواك ـ عشرة .

١٢٢- الاعتكاف ـ ثلاثة .

١٢٣- الضَّعفة والفقراء ـ ثمانية .

١٢٤- توقير الكبار ـ تسعة .

١٢٥- صحبة أهل الخير ـ اثنا عشر .

١٢٦- ذم الدنيا وذكر الموت ـ ثمانية وعشرون حكاية .

١٢٧- زيارة القبور ـ ستة .

١٢٨- تمني الموت ـ ثلاثة .

١٢٩- الدجال ومتعلقاته ـ ستون حديثاً .

١٣٠- منثورات ومِلَح ومواعظ وزهد ورقائق وغير ذلك .

١٣١- العبادة في الهرج ـ واحد .

١٣٢- الذكر وفضله ـ سبعة وسبعون، وآثار، وسبع حكايات .

١٣٣- كرامات الأولياء ـ اثنا عشر حديثاً، فضائلهم ـ عشرون، وآثار، التحذير من إيذائهم ـ ثلاثة أحاديث .

١٣٤- الاستغفار ـ أحد عشر حديثاً .

جملة المجالس مائة وأربعة وثلاثون .

وفي آخره مجالس تعلمنا فيها علىٰ آيات .

مجموع ما ذكر فيه من الأحاديث نحو ألفي حديث، ومن حكايات الصالحين نحو ستمائة، خلا الآثار والأشعار والنوادر .

وعلىٰ الله الاعتماد، وإليه التفويض والاستناد .

مجلس في الحمد لله تعالى وشكره

أفضل ما أفاء به اللسان، واستفتح به الإنسان كلام الواحد المنان .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وهو الثناء على المحمود بجميل صفاته، والشكر بإنعامه، قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[1]

وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]

ففائدته قيد الموجود وصيد المفقود .

وقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .[3]

وقال: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .[4]

فهو شأن أهل الجنة وختام دعواهم، فختامها مسك، وإنما قدمت آية الشكر للاهتمام به، فلا تجد الناس أكثرهم شاكرين، كما حرص عليه الشيطان[5] نعوذ بالله من الخذلان .

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما: " أنه ﷺ أتى ليلة أسري به بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة؛ لو أخذت الخمر غوت أمتك "[6] .

فمن أهله الروح الأمين جبريل، ومحله التوفيق والهداية الربانية للخيرات الدينية، وصفته الحمد لله، لهو المحل الأعلى .

فالمحب من يحبه على إحنانه، والعارف يخبر به .

---

(١) سورة البقرة [١٥٢]

روى البخاري في صحيحه [٧٤٠٥] كتاب التوحيد، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: « يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم . . . » الحديث .

(٢) سورة إبراهيم [٧] . (٣) سورة الإسراء [١١١] .

(٤) سورة يونس [١٠] .

(٥) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ الأعراف [١٥-١٧] .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٢ ـ (١٦٨)] كتاب الإيمان، [٧٤] باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السماوات وفرض الصلوات .

وروينا في سنن أبي داود وغيره بإسناد حسن من حديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » .(١)

فترك الابتدائية يفوت الجمال والنفع والتمام، فيصير أقطع عديم البركة .

وروينا في جامع الترمذي محسناً من حديث أبي موسى مرفوعاً: « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي ؟ فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد »(٢) .

فمن مهمات محاله المعظمة لثوابه الحمد لله في المطايب ونزول النوائب .

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس مرفوعاً: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها » .(٣)

ومن مهمات الحمد في النعم الرضوان من الله ـ تعالىٰ ـ أكبر شيء .

نعوذ بالله من حرمانه .

فمدار هذه الأحاديث علىٰ بيان صفة الحمد وأهله، ومحاله وما يفوت بتركه وما ينجلب بفعله، كما أبدينا .(٤)

والحاصل أن محل الحمد حصول لكل ديني، وبدأة كل ذي بال، وختام كل مهم، وعقد كل محنة وبلية، وألم وثواب محبوب وكل محنة ونعمة ولذة وسرور، واندفاع ألم ومكروه، ألهمه الله لنا علىٰ الدوام، وأيقظنا من سنة النَّوام .

---

(١) أخرجه أبو داود [٤٨٤٠] كتاب الأدب [٢١] باب الهدي في الكلام، والنسائي [٤٩٤] في عمل اليوم والليلة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٥٩]، وابن ماجه [١٨٩٤] في النكاح، [١٩] باب خطبة النكاح، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩] .

(٢) أخرجه الترمذي [١٠٢١] كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسبت، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٣٦]، وابن حبان في صحيحه [٧٢٦ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٣٣٧]، وابن المبارك في الزهد [٢/ ٢٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٥٧] .

(٣) أخرجه مسلم [٨٩ ـ (٢٧٣٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٤] باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل والشرب، والترمذي [١٨١٦] كتاب الأطعمة، ما جاء في الحمد علىٰ الطعام إذا فرغ منه، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٠ - ١١٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٤٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٠٠]، وابن السني [٤٨٠] .

(٤) قال النووي في الحديث المتقدم: " وفيه استحباب حمد الله ـ تعالىٰ ـ عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، وجاء غير ذلك، ولو اقتصر علىٰ الحمد لله حصل أصل السنة " النووي في شرح مسلم [١٧/ ٤٢] طبعة دار الكتب العلمية .

مجلس في الصلاة على رسول الله ﷺ

قال الله ـ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[1] الآية، وهي مفخمة لأمره، أمر الله المؤمنين كافة بعد ندائهم بخطابه الشفاهي بما ذكر من الصلاة والتسليم مؤنساً بأن الله وملائكته تفعل ذلك، أي أن أمركم به ليس لحاجة إليه إلىٰ ذلك، بل لقصد تشريفكم لما آمنتم به بأمر توافقون فيه مالك الملك الأعظم ـ تعالىٰ ـ وخواص عباده المكرمين، مع أنه النبي الذي هداكم الله به إليه، وأرشدكم علىٰ لسانه إلىٰ كل ما يزلف لديه، فعليه منا كما أمرنا وأهلنا له أكمل صلاة وأفضلها وأدومها وأعمها وسلّم .

شعر :

صلوا علىٰ الهادي البشير محمد ... تحظوا من الرحمن بالغفران

الله قد صلى عليه مصرّحاً ... في محكم الآيات والقرآن

الله زاد محمداً تكريماً ... وحباه فضلاً من لدنه عظيماً

واختاره في المرسلين كريما ... ذا رأفة بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليماً[2]

يا أمة الهادي خصصتم بالوفاء ... بين الورى والصدق أيضاً والصفا

صلوا علىٰ هذا النبي المصطفى ... فالله قد صلى عليه قديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فمتى رأى الحادي يبشر باللقا ... ويضُمُّنا باب المحصَّب والنقا

وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا ... مولا رسولا لن يزال رحيماً

---

(1) سورة الأحزاب [٥٦]
روى أبو داود في سننه [٤٨٥٦] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا علىٰ نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم».

(2) روى أحمد في مسنده [٢/٥٢٧] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام » .

صلوا عليه وسلموا تسليماً

ثم الرضا عن آله الكرما وكذاك عن أصحابه الخلفا
فهو (أمم)[١] ديني وعقد ولاء قوم تراهم في المعاد نجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وروينا في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: « من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً »[٢].

وهذا تعظيم لجنابه، ورفع لشأنه .

ومن يقدر صلاة الرب ـ جل جلاله ـ أو يحيط به ـ تعالىٰ كماله - فيا سعادة من ملأ جوفه منها، وأذاب نفسه فيها، فإنه يفاض عليه سبب العطاء، ويجازى بأكمل الجزاء، ويدفع عنه بها أشد الشدائد وتجزل لديه العوائد .

وقد قال عليه الصلاة والسلام: « إذاً تُكفَى همك »[٣] فاملأ من هذا همك .

وما أربح هذه التجارة، وأعظم من يجازي علىٰ هذه البضاعة .

شعر :

من عامل الله لم تخسر تجارته وكل قلب خراب بالتقى عمدة
وما تصلي علىٰ المختار واحدة إلا عليك يصلي ربه عشرة
فاغنم صلاتك يا هذا عليه تفز بالربح عند إله زاد من شكره

رواه أنس مرفوعاً بزيادة: «وحطت عنه عشر خطيات، ورفعت له عشر درجات»[٤].

رواه النسائي، وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الإسناد .

(١) كذا بالأصل، وأظنها (إمام) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، وأبو داود [١٥٣٠]، والترمذي [٤٨٥]، والنسائي [٣/ ٥٠ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٨]، والحاكم [١/ ٥٥٠]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٠٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٥١٧] .

(٣) أخرجه الترمذي [٢٤٥٧] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك [٢/ ٤٢١]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/ ٥١] .

(٤) أخرجه النسائي [٣/ ٥٠ ـ المجتبى]، وفي عمل اليوم والليلة [٦١- ٦٢]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٥٠]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٩٠ - الموارد]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٢ ، ٢٦١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٥١٧]، [١١/ ٥٠٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢٢] .

ورواه النسائي أيضاً من حديث عمير الأنصاري بمعناه، وزيادة: « وكتب له بها عشر حسنات » .

وله من طريق آخر عن أنس أيضاً: « من ذكرت عنده فليصل عليّ » .

وروينا في جامع الترمذي، وقال: حسن، وصححه ابن حبان من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة »[١] .

أي أولاهم بشفاعتي وأقربهم مني مجلساً وأحقهم بالإضافة من أنواع الخيرات ودفع المكروهات .

وروينا في سنن أبي داود من حديث أوس بن أوس مرفوعاً: « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، وإن صلاتكم معروضة عليَّ » قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت، فقال: « إن الله حرم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء »[٢] .

ومعنى معروضة عليَّ ؛ موصولة إليَّ توصل الهدايا، وقد كان أشد الناس مكافأة، فماذا يكافئ هذا .

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليَّ » .[٣]

أي أنه مدعو عليه أو مخبر بلزوم ذُلّ وصغار لا يطاق .

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح عنه مرفوعاً: « لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » .[٤]

أي فالبعد كالقرب، فلا تقلل زيارته كالعيد ولا تتغالى في تعظيمه كالوثن يعبد ولا تتخذ العود إليه ديناً تتكلف به المهمات .

ولا شك أن زيارته أقرب القرب، ربنا لا تحرمناها .

---

(١) أخرجه الترمذي [٤٨٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٨٩ - الموارد]، والشجري في أماليه [١/ ١٣٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/٢١٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٣١٤] .

(٢) أخرجه أبو داود [١٠٤٧] كتاب الصلاة، باب في فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي [٣/ ٩١ - المجتبى]، وابن ماجه [١٠٨٥، ١٦٣٦]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٧٨، ٤/ ٥٦٠] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٥٤٥]كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل »، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٤٩]، والشجري في أماليه [١/ ١٢٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١١/ ١٦٨] .

(٤) أخرجه أبو داود [٢٠٤٢] كتاب المناسك، باب زيارة القبور، عن أبي هريرة .

وروينا فيه أيضاً عنه بإسناد صحيح: « ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام » .(١)

فأطلق ذلك لكل أحد ورده بركة لا يقدر قدرها، وهو ظاهر في استمرار حياته، لأنه يستحيل عادة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم عليه في ليل أو نهار، والمراد بالروح هنا النطق مجازاً، ومن لازمه وجود الروح .

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عليّ مرفوعاً: « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ » .(٢)

أي لأنه سيد الأحباب .

وذكر المحبوب يؤذن بالإقبال، فالمعرض عنه مئذن بالبخل وعدم الاتصال .

وروينا من حديث أنس مرفوعاً: « من صلى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتىٰ يرى مقعده من الجنة » .(٣) ذكره الضياء في كتابه الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وقال لا أعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية، قال أحمد: لا بأس به، وقال يحيى بن معين: ثقة، وأي مهيح ومعز مثل ذلك .

وروينا في سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعاً: « من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة » .(٤)

وفي إسناده جبارة بن المغلس، وهو ضعيف، لكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه، عن أبي يعفر محمد بن علي الباقر مرسلا، فيقوى .

ورواه الطبراني من حديث الحسن بن علي مرفوعاً: « من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليَّ أخطأ طريق الجنة » .(٥)

---

(١) أخرجه أبو داود [٢٠٤١] كتاب المناسك، باب زيارة القبور، وأحمد في مسنده [٢/ ٥٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٤٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٦٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٩٩] .

(٢) أخرجه الترمذي [٣٥٤٦] كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل »، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠١]، والطبراني في المعجم الكبير [٣/ ١٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٦٤] وابن حبان في صحيحه [٢٣٨٨ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥١٠] .

(٣) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٣/ ٣٨٩] .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه [٩٠٨] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [٢٥] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٢٧٦]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ١٨٠] .

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٣/ ١٣٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٣٧]، [١٠/ =

وفي رواية: « من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة » [١].

شعر:

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي ... صلي علىٰ الهادي البشير محمد
يا فوز من صلى عليه فإنه ... يحوي الأماني بالنعيم السرمدي
يا قومنا صلوا عليه تظفروا ... بالبشر والعيش الهنيء الأرغد
صلوا عليه وارفعوا أصواتكم ... يغفر لكم من يومكم قبل الغد
ويخصُّكم رب الأنام بفضله ... والفوز بالجنان يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله ... ما لاح في الآفاق نجم الغرقد

وروى محمد بن حمدان المروزي بإسناده من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « من لم يصل عليَّ فلا دين له » [٢].

وروى عبد الرزاق في مصنفه، وللطبراني نحوه، عن جابر مرفوعاً: « لا تجعلوني كقدح الراكب ؛ إذا أراد أن ينطلق علق معالقه، وملأ قدحاً ماء، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ توضأ، أو أن يشرب شرب وإلا أهرقه، فاجعلوني في أول الدعاء وفي وسطه وفي آخره » [٣].

وروى ابن خزيمة عن أبي رافع مرفوعاً: « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، فليصل عليَّ وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » [٤].

وعن ابن عباس مرفوعاً: « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له بدوام اسمي في ذلك الكتاب » [٥].

وفي كتاب الترمذي: الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء

= ١٦٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه[١١/ ٥٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨].

(٢) ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة [٢١٤]، وذكره ابن أبي شيبة في الإيمان [٤٧] بلفظ: « من لم يصل فلا دين له ».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه [٣١١٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٥٥]، وابن حجر في المطالب العالية [٣٣١٦].

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [١/ ٣٠١]، وفي المعجم الصغير [٢/ ١٢٠]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٣٨]، وابن السني في عمل اليوم والليلة [١٦٣]، والشجري في أماليه [١/ ١٢٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٠٥]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٧٠].

(٥) أخرجه الألباني في إرواء الغليل [٢/ ١٧٧]، وابن كثير في تفسيره [٦/ ٤٦٢].

حتىٰ تصلي علىٰ النبي ﷺ .[١]

شعر:

ولأحمد فضل لا يعد ولا يحصى — وما شابه بين الورى أبداً نقصاً
هو القرشي الهاشمي الذي سرى — به من المسجد الأسنى إلىٰ المسجد الأقصى
نبي دنا من قاب قوسين[٢] مذ دنا — فسبحان من وصَّى إليه بما وصى
عليه صلاة لا انتهاء لوصفها — من الله ربي لا تعد ولا تحصى

وروينا في سنن أبي داود، وجامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يمجد الله ولم يصل علىٰ نبيه فقال: " عجل هذا "، ثم دعاه فقال لنا أو لغيره: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جل وعز والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء ".[٣]

وفيه بيان أن الصلاة من المحال المهمة للصلاة عليه. والأمر للوجوب.

وروينا في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة قال: " خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك ؟ قال: « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .[٤]

وفي نحوه من حديث أبي مسعود البدري، وفيه ذكر إبراهيم في الأول،

---

(١) أخرجه الترمذي [٤٨٦] في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٨٠ ـ (١٧٤)] كتاب الإيمان، [٧٦] باب في ذكر سدرة المنتهى، عن ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: ٩] قال ابن مسعود: " إن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ".

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [١٤٨١] كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذي في سننه [٣٤٧٦] كتاب الدعوات، والنسائي في السهو، باب التهجد والصلاة علىٰ النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٠]، وأحمد في مسنده [١٨/٦]، وابن خزيمة في صحيحه [٧١٠]، وابن حبان [٥١٠ - الموارد]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٤٨/٢] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٧٨/٤، ١٥١/٦]، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٤٠٦)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، وأحمد في مسنده [١١٨/٤, ٢٤١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٥٠٧/٢، ٥٠٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٣١٠٥، ٣١٠٦، ٣١٠٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣٥٦/٤، ٣٧٣]، والطبراني في المعجم الصغير [٨٥/١] .

وآل إبراهيم في الثاني.[١] وفي الصحيحين من حديث أبي حميد[٢] مثل الأول إلا ذكر آل محمد، فبدلا منه: وعلىٰ أزواجه وذريته وبقيت كيفيات أخر لا نطول بذكرها.

وفي فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ من طريق أبي بردة في النسائي وأبي طلحة الأنصاري في مسند أحمد، وصحيحي ابن حبان والحاكم، وعبد الرحمن بن عوف في صحيح الحاكم، وعامر بن ربيعة عند أحمد وابن ماجه، وأبي بن كعب في جامع الترمذي مصححاً، ومسند أحمد ومستدرك الحاكم.

وأبي هريرة في الأربعة، وصحيح ابن حبان، وجابر عند النسائي، وأبي الدرداء عند الطبراني الكبير، وغير ذلك مما يطول ذكره.[٣]

شعر:

صلوا علىٰ خير الأنام محمد ... إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى قائما يغفر له ... قبل القعود وللمثاب تجدد

وكذاك إن صلى عليه قاعداً ... يغفر له قبل القيام ويرشد

فصل

عن ابن بنان الأصفهاني قال: " رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: هل نفعت ابن عمك الشافعي بشيء، أو خصصته بشيء؟

قال: نعم؛ سألت ربي أن لا يحاسبه.

فقلنا: بم؟.

قال: إنه كان يصلي عليَّ[٤] صلاة لم يصل عليّ بمثلها.

قلت: وما هي؟، قال: «كان يقول اللهم صل علىٰ محمد كما ذكره الذاكرون

---

(١) انظر البخاري [٤/١٧٨، ٦/١٥١]، وفي مسلم [٦٥ ـ (٤٠٥)] كتاب الصلاة، باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد.

(٢) انظر مسلم [٦٩ ـ (٤٠٧)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد.

(٣) انظر: أبو داود [٤٨٥٦]، والترمذي [٣٣٧٧]، والنسائي [٤٠٤] في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك [١/٤٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٢٢ ـ الموارد]، وفي الإحسان [٨٥٣]، وأحمد في مسنده [٤/٨]، وابن ماجه [١٠٨٥، ١٦٣٦].

(٤) قال النووي: " اختلف العلماء في الحكمة في قوله: «اللهم صلي علىٰ محمد كما صليت علىٰ إبراهيم»، مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ؛ قال القاضي عياض: أظهر الأقوال أن نبينا محمد ﷺ سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته، ليتم النعمة عليهم، كما أتمها علىٰ إبراهيم وعلىٰ آله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ليبقى ذلك له دائماً إلىٰ يوم القيامة، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ " النووي في شرح مسلم [٤/١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية.

وغفل عن ذكره الغافلون "، وروي هذا عن الشافعي من أوجه أُخر .

فروينا عن ابن عبد الحكم قال: " رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: نعمني وغفر لي، وزففت في الجنة كما تزف العروس، ونثر عليَّ كما ينثر علىٰ العروس. فقلت: بم بلغت هذا الحال ؟ قال: بقولي في كتاب الرسالة: وصلى الله علىٰ محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون " .

وروى البيهقي في مناقبه وعن أبي الحسن الشافعي[1] قال: " رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله بم جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة: صلى الله علىٰ محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ؟ قال: جزي عني أنه لا يوقف للحساب " .

وعن بعض الصالحين قال: رأيت الشافعي في المنام فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا ؟ قال: بخمس كلمات أصلي بهن علىٰ رسول الله ﷺ . فقيل: وما هي ؟ قال: كنت أقول: «اللهم صلي علىٰ محمد عدد من يصلي عليه، وصل علىٰ محمد بعدد من لم يصل عليه، وصل علىٰ محمد كما أمرت أن يصلى عليه، وصلى علىٰ محمد كما تحب الصلاة عليه، وصل علىٰ محمد كما ينبغي أن يصلى عليه " .

وحكي أنه كان شاب يطوف بالبيت ويشتغل بالصلاة علىٰ رسول الله ﷺ فقيل له: هل عندك في هذا شيء ؟ قال: نعم ؛ خرجت أنا وأبي حاجين، فمرض أبي في بعض المنازل ومات، فاسود وجهه، وازرقت عيناه، وانتفخ بطنه، فبكيت وقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، مات أبي في غربته هذه الموتة، فلما كان الليل غلبني النوم فرأيت رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض ورائحته طيبة عطرة، فدنا من أبي ومسح علىٰ وجهه فصار أشد بياضاً من الليل، ثم مسح علىٰ بطنه فصار كما كان، ثم أراد الانصراف، وإذا هو رسول الله، وقال: إن أباك كان يكثر المعاصي والذنوب، وكان يكثر من الصلاة عليَّ، فلما نزل به ما نزل استغاثني فأغثته، وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليَّ في دار الدنيا "

---

(١) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، الإمام العلم أبو عبد الله الشافعي المكي المطلبي الفقيه، نسيب رسول الله ﷺ قال يحيى بن أكثم: كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة، وكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعاً للحديث لاستغنى أمة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء . انظر تاريخ الإسلام للذهبي [٢٠١ - ٢١٠] .

وروى ابن عساكر، عن جعفر بن عبد الله قال: " رأيت أبا زرعة في المنام وهو في السماء يصلي بالملائكة، فقلت له: بما نلت هذا؟ فقال: كتبت بيدي ألف ألف حديث، وإذا ذكرت النبي ﷺ أصلي عليه، وقد قال: « من صلى عليَّ مرة صلى الله بها عليه عشراً » (١).

وروى ابن بشكوال: " أن أبا بكر بن مجاهد قام يوماً للشبلي فقال له أصحابه: أنت لا تقوم لعلي بن عيسى الوزير، وتقوم لهذا؟ فقال: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة، فإذا دخل عليك فأكرمه، فلما كان بعد ليلتين جاء رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلاً من أهل الجنة، فقلت: يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك؟ قال: هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكرني في كل صلاة، ويقرأ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (٢) ذلك منذ ثلاثين سنة، ألا أكرم من يفعل هذا؟ " وفي رواية الحافظ عبد الغني هذا يقرأ بعد صلاته ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] الآية، ويتبعها بالصلاة عليَّ

شعر:

هنيئاً لعين قد رأت وجه أحمد	وفازت جهاراً منه بالحسن والرؤيا
وقد أسعد الرحمن عبداً دعا له	فأضحى سعيداً في الممات والمحيا
وبدَّل بعد الشرك بالنور والهدى	وبلغ ما يهوى من الدين والدنيا
وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى	نبي حباه الله بالرتبة العليا
عليه صلاة الله ما طاف طائف	بمكة بيت الله قصداً أتى سعيا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، والترمذي [٤٨٤، ٤٨٥]، وأبو داود [١٥٣٠]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٢، ٢٦١]، والنسائي [٣/ ٥٠] المجتبى.

(٢) سورة التوبة [١٢٨].
يقول تعالىٰ ممتناً علىٰ المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم، وعلىٰ لغتهم، كما قال إبراهيم ـ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩] أي منكم بلغتكم، كما قال معمر بن أبي طالب رضي الله عنهما للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.
وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها. تفسير ابن كثير [٢/ ٤١٢].

وصلى عليه الله[1] ما سرت الصبا وما من مشتاق برؤياه واللقيا
صلاة شذاها عطر الكون جهرة فمن قاسها بالمسك يوما فما استحيا

وهذه حكايات أخر مما نحن فيه :

الأولى: رؤي مسطاح الصوفي بعد موته وكان ماجنا، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي . قيل: بأي شيء ؟ قال: استمليت على بعض المحدثين مسنداً، فصلى الشيخ على رسول الله ﷺ فصليت أنا ورفعت صوتي، فصلى أهل المجلس عليه، فغفر لنا في ذلك اليوم.

الثانية: روى ابن بشكوال أن بعضهم رأى أبا إسحاق الكاغدي بعد وفاته، وكان سيداً كبيراً، فقال: ما فعل الله بك ؟ قال: رحمني وغفر لي، وأدخلني الجنة . فقيل بماذا ؟ قال: لما وقفت بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبي وحسبوا صلاتي على المصطفى ﷺ فوجدوها أكثر، فقال لهم جلت قدرته: حسبكم يا ملائكتي، لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتي .

الثالثة: روى أبو نعيم، عن سفيان الثوري قال: بينما أنا حاج إذ دخل عليَّ شاب لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلاَّ ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. فقلت له: أتعلم قبول هذا ؟ قال: نعم، من أنت ؟ قلت: سفيان الثوري . قال: سفيان العراقي ؟ قلت: نعم . قال: هل عرفت الله ؟ قلت: نعم . قال: كيف عرفته ؟ قلت: بأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويصور الولد في الرحم . قال: يا سفيان[2] ما عرفت الله حق معرفته. قلت: كيف تعرفه أنت ؟ قال: بفسخ العزم والهمم، ونقض العزيمة ؛ هممت ففسخ همتي، وعزمت فنقض عزمي، فعرف أن لي رباً يدبرني . قال: قلت: فصلاتك على رسول الله ﷺ قال: كنت حاجاً ومعي والدتي، فسألتني أن أُدخلها البيت، فوقعت وتورَّم بطنها واسود وجهها، فجلست عندها وأنا حزين، فرفعت يدي نحو السماء فقلت: يا رب هكذا تفعل بمن دخل بيتك ؟ فإذا أنا بغمامة قد ارتفعت من قبل تهامة، وإذا رجل عليه ثياب بيض قد دخل البيت فأمرَّ يده على وجهها، فابيض، وأمرَّ يده على بطنها فسكن الورم، ثم مضى ليخرج، فتعلقت بثوبه فقلت: من أنت الذي فرَّجت عني ؟ قال: أنا نبيك

---

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس، أخرج له الستة، توفي سنة [١٦١ أو ١٦٤] .

محمد. قلت: يا رسول الله أوصني . قال: لا ترفع قدماً ولا تضع أخرى إلا وأنت تقول: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد .

الرابعة: قال أبو الحسن البغدادي: رأيت منصور بن عمار في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: أنت منصور بن عمار ؟ قلت: بلى يا رب . قال: أنت الذي كنت تُزهد الناس في الدنيا وتُرغب فيها ؟ قال: قلت: قد كان ذلك، ولكني ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك(١)، وثنيت بالصلاة علىٰ نبيك، وثلثت بالنصيحة لعبادك . قال: صدقت، ضعوا له كرسياً في سمائي يمجدني بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي . قلت: سبحان الملك المجيد الفعال لما يريد، لا إله سواه، ولا نعبد إلا إياه، وصل الله علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وسلم .

الخامسة : لما مات أبو العباس أحمد بن منصور ـ رحمه الله ـ قال رجل من أهل شيراز: رأيته في المنام البارحة وعليه حلة، وعلىٰ رأسه تاج مكلل بالجوهر، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي وأكرمني وتوجني وأدخلني الجنة . فقلت: بماذا ؟ قال: بكثرة صلاتي علىٰ رسول الله ﷺ .

السادسة: روي أن رجلا يقال له محمد بن مالك قال: مضيت إلىٰ بغداد لأقرأ علىٰ أبي بكر بن مجاهد المقري، فكنا نقرأ عليه يوماً من الأيام إذ دخل عليه شيخ وعليه عمامة رثَّة وقميص ورداء رث، فقام الشيخ أبو بكر له وأجلسه مكانه واستخبره عن حاله وحال صبيانه، فقال الرجل: وُلد لي اليوم مولود وطلبوا مني سمناً وعسلاً، ولم أملك ذرَّة، قال: فنمت وأنا حزين القلب، فرأيت النبي ﷺ في منامي، فقال لي: ما هذا الحزن ؟ اذهب إلىٰ علي بن عيسى وزير الخليفة واقرأ عليه السلام، وقل له بعلامة أنك لا تنام كل ليلة جمعة إلا بعد أن تصلي عليَّ ألف مرة، وهذه ليلة الجمعة صليت عليَّ سبعمائة مرة، فجاءك رسول الخليفة فدعاك، فمضيت معه ورجعت فما نمت حتىٰ أتممت ألفاً، فبهذه العلامة سلِّم إلىٰ هذا الرجل مائة دينار، فقام أبو بكر بن مجاهد المقري مع الشيخ ومضينا إلىٰ دار الوزير وأجلسه مكانه فقص عليه الرجل قصته، فأمر الغلام بإخراج بَدْرَة(٢) فوزن منها مائة دينار، وقال:

---

(١) روى أبو داود في سننه [١٤٨١] عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل علىٰ النبي ﷺ فقال ﷺ: « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره: « إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء » .

(٢) البَدْرَة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود، جمعها: بِدَر .

أيها الشيخ صدقت، هذا كان سراً بيني وبين الله تعالىٰ، فخذ هذه المائة لأنك رسول رسول الله ﷺ، ووزن مائة أخرى وقال: هذه بشارتك بأن رسول الله ﷺ علم بأني أصلي عليه، ووزن مائة أيضاً، وقال: هذه من أجل أنك تعنيت وجئت إليَّ مهنئاً، وجعل يزن مائة مائة حتىٰ كمل ألفاً فقال له رجل: إني لا آخذ إلا ما أمرني به رسول الله ﷺ.

السابعة: يحكى أنه كان بمدينة بلخ رجل تاجر، وكان كثير المال، وله ابنان، فتوفي والدهما فقسَّم ابناه المال بينهما نصفين، وكان في الميراث ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ[1] فأخذ كل واحد منهما واحدة، وبقيت بينهما واحدة، فقال أكبرهما لأخيه الأصغر: نجعل الشعرة الباقية نصفين، فقال الآخر: لا والله بل هو أجل من أن يقطع شعره ﷺ فقال الكبير: تأخذ هذه الشعرة بقسطك في الميراث؟ قال: نعم، فأخذ الكبير جميع المال، وأخذ الصغير الشعرات، وجعلها في جبينه، وكلما شاهدها صلى علىٰ النبي ﷺ، ثم بعد أيام فنى مال الكبير، وكثر مال الصغير، فلما توفي الصغير رآه بعض الصالحين في النوم، ورأى النبي ﷺ فقال له: قل للناس: من كانت له إلىٰ الله ﷻ حاجة فليأت قبر فلان، فكان الناس يقصدون قبره حتىٰ بلغ إلىٰ أن صار كل من مرَّ علىٰ قبره راكباً ينزل ويمشي راجلاً، وذلك من فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

الثامنة: روي أن امرأة جاءت إلىٰ الحسن البصري[2] فقالت: يا شيخ، توفيت لي ابنة، وأريد أن أراها في النوم، فقال الحسن: صلي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة، ثم اضطجعي وصلي على النبي ﷺ حتىٰ ترقدي، ففعلت فرأتها في المنام، وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران[3] ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من نار، فلما انتبهت

---

(١) روى الترمذي في سننه [٣٦٣٥] كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ عن البراء قال: «ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ؛ له شعر يضرب منكبيه . . .» الحديث.

(٢) الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، الأنصاري، فقيه، ثقة فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوه وخطبوا بالبصرة، أخرج له الستة، وتوفي سنة [١١٠] وقد قارب الـ(٩٠) سنة.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال ابن كثير: وقوله ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران، وهو الذي تهنأ به الإبل ـ أي تطلى ـ وكان ابن عباس يقول: القطران هو النحاس المذاب، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة. تفسير ابن كثير [٢/ ٥٦١].

جاءت إلىٰ الحسن البصري وأخبرته بالقصة، فقال: تصدقي عنها لعل الله أن يعفو عنها، ثم في تلك الليلة رأى الحسن البصري كأنه في روضة من رياض الجنة، ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة، وعلىٰ رأسها تاج من النور، فقالت له: يا حسن أتعرفني ؟ فقال: لا . فقالت: أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة . فقال الحسن: بغير هذا وصفت لي حالك . فقالت: هو كما قالت . قال: فبما إذاً بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت: كنا سبعين ألف نفس في العقوبة، كما وصفت لك والدتي، فعبر واحد من الصالحين علىٰ قبورنا، وصلى علىٰ النبي ﷺ مرة واحدة، وجعل ثوابها لنا، فأعتقنا الله ـ تعالىٰ ـ من العقوبة ببركته، وبلغ نصيبي ما قد شاهدته فهذا من جملة بركة الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ .

التاسعة: روى الفاكهاني في كتابه الفجر المنير، عن الشيخ موسى الضرير - رحمه الله ـ أنه ركب في مركب في البحر المالح، قال: فثارت علينا ريح تسمى الأقلانية، قلَّ من ينجو منها من الغرق، قال: فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: قل لأهل المركب يقولون ألف مرة: اللهم صل علىٰ محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفع لنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات . قال: فاستيقظت، وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا علىٰ النبي ﷺ نحو ثلاثمائة مرة ففرج الله عنا تلك الشدة .

العاشرة: رُوي عن الإمام العالم أبي حفص عمر بن الحسن السمرقندي قال: سمعت الأستاذ قدس الله روحه قال: سمعت رجلاً يقول: حججت في سنة كذا، فرأيت رجلاً في الحرم لم يزل يصلي علىٰ النبي ﷺ حيث كان في الحرم والبيت وعرفة ومنى، فقلت: أيها الرجل لكل مقام مقال، فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالصلاة إلا أنك تصلي علىٰ النبي ﷺ لا غير ؟ فقال له الرجل: خرجت من خراسان حاجاً إلىٰ بيت الله الحرام، ومعي والدي، فبلغنا الكوفة، فاعتل أبي هناك، فتوفي، فغطيت وجهه بإزار، فلما كشفت عن وجهه رأيت صورة كصورة الحمار، فحزنت لذلك حزناً شديداً، فقلت: كيف أظهر للناس هذا الحال، وقد صار والدي في هذه الصورة، فنعست ساعة، فرأيت في منامي كأنه دخل علينا رجل وكشف عن وجهه وقال لي: ما هذا الغم العظيم ؟ فقلت له: وكيف لا أغتم مع هذه المحنة العظيمة ؟! فقال: إن الله ﷻ قد أزال عنك هذا الغم، فانطلقت إلىٰ والدي فكشفت عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع يلوح، قال: فقلت لذلك الرجل: من أنت ؟ قال: أنا المصطفى، فلويت طرف ردائه وقلت له: بحق الله إلا ما أخبرتني بالقصة، فقال لي:

والدك كان يأكل الربا، وإن من حكم الله ﷻ أن من أكل الربا أن يجعل صورته صورة الحمار، إما في الدنيا وإما في الآخرة[(١)]، ولكن كان من عادة والدك أن يصلي عليَّ في كل ليلة قبل أن يضطجع مائة مرة، فلما أن عرضت له هذه الحالة جاءني الملك الذي يعرض عليّ أعمال أمتي فأخبرني بحاله، فسألت الله ـ تعالىٰ ـ فشفعني فيه .

الحادية عشرة: روي عن سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: رأيت رجلا من الحجاج يكثر الصلاة علىٰ النبي ﷺ فقلت له: هذا موضع الثناء، فقال لي: ألا أخبرك أني كنت في بيتي، وكان لي أخ قد حضرته الوفاة، فاسود وجهه، وكان البيت مظلماً، فدخل علينا رجل كأن وجهه السراج، فمسح بيده علىٰ وجهه، فصار وجه أخي كالقمر، فقلت: من أنت الذي منّ الله علينا بك ؟ فقال: أنا الملك الموكل[(٢)] بمن يصلي علىٰ النبي ﷺ أفعل به هكذا.

فائدة: روى أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني ـ رحمه الله ـ في كتابه الترغيب والترهيب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: " الصلاة علىٰ النبي أفضل من عتق الرقاب، وإن حب رسول الله ﷺ أفضل من بذل مهج الأنفس، أو قال من ضرب السيوف في سبيل الله " .[(٣)]

الثانية عشر: روى الإمام أبو القاسم القشيري: أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان رؤي في المنام بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي . فقيل: بماذا ؟ قال: صعدت ذروة الجبل يوماً، فأشرفت علىٰ جندي وعسكري، فأعجبني كثرتهم، وتمنيت أني حضرت رسول الله ﷺ فأعنته ونصرته، فجعلت أصلي عليه، فشكر الله لي ذلك فغفر لي .

---

(١) روى السيوطي في " الدر المنثور " [١/ ٣٦٤] بلفظ: " من أكل الربا بعثه الله يوم القيامة مجنونا يتخبط " .

(٢) روى النسائي [٣/ ٤٣- المجتبى] عن ابن مسعود مرفوعاً: « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام ».

(٣) رواه العجلوني في كشف الخفاء [٢/ ٣٩] وقال: رواه التيمي في ترغيبه، وعنه أبو القاسم بن عساكر، عن أبي بكر الصديق من قوله، ورواه النميري، وابن بشكوال وغيرهما بلفظ « السلام » بدل الصلاة، قال في المقاصد: وأما قول شيخنا ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ في بعض فتاويه عن هذا: إنه كذب مختلق، فمراد به إضافته إلىٰ النبي ﷺ، زاد النجم: وإلا فهو ثابت عن أبي بكر موقوفاً، وأخرجه أيضاً القاري في " الأسرار المرفوعة " [٢٣٥ . ٢٣٦]، والفتني في " تذكرة الموضوعات " [٨٩]، والسيوطي في " الدرر المنتثرة " [١٠٣] .

فائدة: روى أبو القاسم الأصفهاني في كتاب الترغيب والترهيب عن يزيد بن مسلم الجريري قال: سمعت وهب بن منبه يقول: " الصلاة علىٰ النبي ﷺ عبادة " .

الثالثة عشر: روى أبو القاسم المذكور أيضاً بسنده عن محمد بن الحسين الحرَّاني قال: قال لي رجل من حران يقال له الفضل، وكان كثير الصوم والصلاة: كنت أكتب الحديث ولا أصلي علىٰ النبي ﷺ، فرأيته في المنام فقال: إذا كتبت أو ذكرت لم لا تصلي عليَّ ؟ قال: ثم رأيته ﷺ مرة أخرى فقال: ما تبلغني صلاتك عليَّ، فإذا صليت عليَّ أو ذكرت فقل: صلى الله عليه وسلم .

فائدة: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " وكَّل الله برسول الله ﷺ ملكاً فلا يذكر عند عبد ولا يصلي عليه إلا قال ذلك الملك: لا غفر الله لك، فتقول الملائكة: آمين .

الرابعة عشر: روي أن رجلا هرب من السلطان، وخط في الأرض خطاً وسماه قبر النبي ﷺ وتطهر وصلى عنده، وصلى عليه ألف مرة، ثم قال: اللهم إني جعلت هذا القبر شفيعي إليك فآمن روعي من هذا الظالم بحق المصطفى، فهتف به هاتف وقال له: نعم الشفيع محمد ﷺ قد آمنا روعك، وأهلكنا ظالمك، وغفرنا ذنبك .

فائدتان: الأولى: روي أن آدم ﷺ نام فرأى حواء[(١)] - عليها السلام - جالسة عند رأسه، فمد يده إليها فقال جبريل - عليه السلام -: لا تمسها حتىٰ تعطي مهرها . قال: وما مهرها ؟ قال: الصلاة علىٰ محمد بن عبد الله خير خلق الله ﷺ .

الثانية: روي أن الله - تبارك وتعالى - يقول: يا محمد من صلى عليك أمرت جبريل وسبعين ألف ملك أن يصلوا عليه ولا يموت حتىٰ يرى مقعده من الجنة، فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ .

الخامسة عشر: روي أن أبا الحسن علياً الميموني قال: رأيت الشيخ أبا الحسن ابن عيينة - رحمه الله - في المنام بعد موته كأن علىٰ أصابع يديه شيئاً مكتوباً بلون الذهب، أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك، فقلت: يا أستاذ أرى علىٰ أصابع يديك شيئاً مليحاً مكتوباً ما هو ؟ قال: يا بني هذا بكتابتي لحديث رسول الله ﷺ أو قال:

---

(١) يقال: إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحيشاً ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت ؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم ؟ قال: حواء، قالوا: ولم حواء ؟ قال: إنها خلقت من شيء حي . تفسير ابن كثير [١/ ٧٩] .

لكتابتي " صلى الله عليه وسلم " في حديث رسول الله ﷺ .

فائدة: روى الأصفهاني في كتابه الترغيب والترهيب: أن أبا الحسن النهاوندي الزاهد في ديار المغرب قال: لقي رجل الخضر(١) ﷺ فقال له: أفضل الأعمال اتباع رسول الله ﷺ والصلاة عليه، وأفضل الصلاة ما كان عند نشر حديثه .

فائدة ثانية: روى الأصفهاني أيضاً بإسناده إلىٰ أبي محمد إسماعيل الزاهد قال: سمعت أبا علي الحسن يقول: علامة أهل السنة كثرة الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ .

فائدة ثالثة: روى الأصفهاني أيضاً بإسناده إلىٰ أبي الحسن الحراني قال: كان أبو عروة الحرَّاني لا يترك أحداً يقرأ عليه الأحاديث إلا أن يصلي علىٰ النبي ﷺ، وكان يقول بركة الحديث كثرة الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ .

فائدة رابعة: روي أن ثابتاً والد أبي حنيفة(٢) رأى في المنام كأن أبا حنيفة دخل قبر النبي ﷺ فجمع عظامه ثم خرج بها، فقص رؤياه علىٰ ابن سيرين، فقال: إنه يجمع علم النبي ﷺ ويحيي سنته، فكان كذلك.

السادسة عشر: روي أن أم الفضل(٣) كانت كثيرة الصلاة علىٰ النبي ﷺ فرأت في المنام أن بضعة من جسد رسول الله ﷺ وضعت في حجرها، فقالت ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « خيراً رأيت ؛ فاطمة تلد إن شاء الله غلاماً

---

(١) قال النووي: جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تستر . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذّ بعض المحدثين، قال الحبري المفسر، وأبو عمر: وهو نبي، واختلفوا في كونه مرسلا، وقال القشيري وكثيرون: هو ولي . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الإمام العلم أبو حنيفة الكوفي الفقيه مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة (٨٠)، ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة إذ قدمها أنس، قاله ابن سعد، وروى أبو حنيفة عن عطاء بن أبي رباح وقال: ما رأيت أفضل منه، وغيره الكثير، وبرع في الرأي، وساد أهل زمانه في التفقه وتفريع المسائل، وتصدر للاشغال وتخرج به الأصحاب، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥٠) . تاريخ الإسلام، وفيات [١٤١- ١٥٠] .

(٣) لبابة بنت الحارث أم الفضل الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت ميمونة زوج النبي ﷺ، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، وتوفيت في خلافة عثمان . ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٤٩]، الثقات [٣/ ٣٦١]، أسد الغابة [٧/ ٢٥٣]، أعلام النساء [٤/ ١٧٠ ، ٢٧٢]، الإصابة [٨/ ٩٧]، تجريد أسماء الصحابة [٢/ ٣٠١] .

فيوضع في حجرك » فولدت فاطمة الحسن رضي الله عنهما فوضع في حجرها .[١]

السابعة عشر: روي أن فتى من الأنصار دخل علىٰ رسول الله ﷺ وأبو بكر جالس إلىٰ جانبه، فأجلسه النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم أقبل بوجهه عليه إلىٰ أن انصرف، ثم أقبل علىٰ الصديق، وقال: « يا أبا بكر لعلك عزَّ عليك » قال أبو بكر رضي الله عنهما: إنه شق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد، فقال النبي ﷺ: « إن هذا يصلي عليَّ صلاة لا يصليها أحد من أمتي » قال الصديق: كيف يقول يا رسول الله ؟ قال: « يقول اللهم صل علىٰ محمد عدد من يصلي عليه، وصل علىٰ محمد عدد من لم يصل عليه، وصل علىٰ محمد كما تحب الصلاة عليه، اللهم صل علىٰ محمد الذي من نوره الأنوار، وأشرق بشعاع وجهه الأقطار، وصل علىٰ محمد المختار، وصل علىٰ أهل بيته الأبرار » .

الثامنة عشر: روي أن رجلاً أتى إلىٰ النبي ﷺ وادعى أن رجلا سرق[٢] بعيراً له وأحضر شاهدان، وشهدا عليه، فهم النبي ﷺ بقطع يده، فقال المدعى عليه: يا رسول الله تأمر بإحضار البعير تسأله عن من سرقه، فإني أرجو من الله ـ تعالىٰ ـ أن ينطق ببراءتي يا رسول الله، فأحضره النبي ﷺ وقال: « يا بعير من أنا ؟ » فقال البعير بلسان فصيح: أنت رسول الله حقاً حقاً، لا تقطع يده فإن مدعيه منافق والشاهدان منافقان، توافقا علىٰ قطع يده عناداً وعداوة لك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: « بأي شيء أجارك الله من قطع يدك ؟ » فقال: يا رسول الله مالي من كثير عمل غير أني لا أقوم ولا أقعد إلا أصلي عليك، فقال ﷺ: « سر علىٰ ذلك، فإن الله ـ تعالىٰ ـ يبرئك من نار جهنم كما برأك من قطع يدك في الدنيا » .

التاسعة عشر: روي عن عبد الله بن سلام[٣] قال: أتيت أخي عثمان لأسلم

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه [٣٩٢٣] كتاب: تعبير الرؤيا، [١٠] باب: تعبير الرؤيا، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٣٩]، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق [٤/ ٣١٦] .

(٢) قال القاضي عياض: صان الله ـ تعالىٰ ـ الأموال بإيجاب القطع علىٰ السارق، ولم يجعل ذلك في غير السرقة كالاختلاس والانتهاب والغصب، لأن ذلك قيل بالنسبة إلىٰ السرقة، ولأنه لا يمكن استرجاع هذا النوع بالاستدعاء إلىٰ ولاة الأمور، وتسهيل إقامة البينة عليه ، بخلاف السرقة فإنه تندر إقامة البينة عليها، فعظم أمرها، واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها، وقد أجمع المسلمون علىٰ قطع السارق في الجملة وإن اختلفوا في فروع منه . النووي في شرح مسلم [١١/ ١٥١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي النسب، حليف الأنصار، أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه عبد الله، وشهد له بالجنة، توفي سنة (٤٣)، =

عليه، فقال: مرحباً يا أخي، رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام فناولني دلواً فيه ماء فشربت حتىٰ رويت، وإني لأجد برده، فقلت: بماذا نلت هذا ؟ فقال: بكثرة الصلاة علىٰ النبي ﷺ .

العشرون: روي عن أحمد بن عطاء قال: سمعت عبد الله بن صالح يقول: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي . فقيل: بماذا ؟ فقال: بصلاتي في كتبي علىٰ النبي ﷺ .

الحادية بعد العشرين: روي أن ابن الموفق حج عن رسول الله ﷺ وكان يكثر الصلاة عليه، قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا ابن الموفق حججت عني ؟ قلت: نعم . قال: ولبيت عني ؟ قلت: نعم . قال: فإني كافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف وأدخلك الجنة، والخلائق في كرب الحساب .

الثانية بعد العشرين: روى أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ أن امرأة كانت تحب النبي ﷺ حباً شديداً، وكانت تكثر الصلاة عليه، فقصدت زيارته، فلما وصلت المدينة نزلت في بيت عائشة، فسألت عن النبي ﷺ، فقالت عائشة : مات، فصرخت وأكثرت الصراخ، وقالت: أريني قبره، فأتت به إليه، فقالت لها اكشفي لي عنه ما نشر عليه، فألصقت جسدها بالقبر، وصاحت صيحة فماتت، وأتى أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهم أجمعين، وجمع من الصحابة فرأوها وهي ملصقة جسدها بالقبر وهي ميتة فأعظموا أمرها وتحققوا محبتها فيه، وغسَّلوها وكفنوها وصلوا عليها، وكان يوماً مشهوداً لم ير لغيرها .

الثالثة بعد العشرين: روي عن أبي محمد الجزري قال: دخل علينا الرباط فقير بعد صلاة العصر، شاب مصفر اللون أشعث الشعر، حاسر الرأس، حافي القدم، فجدد الوضوء وصلى ركعتين، ثم جلس ووضع رأسه علىٰ خشبة إلىٰ المغرب، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك يصلي علىٰ النبي ﷺ، وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة، فقمت إلىٰ الشاب وقلت له: هل لك إلىٰ دار الخليفة ؟ فرفع رأسه وقال:

= وشهد فتح بيت المقدس مع عمر، وقيل إنه من ذرية يوسف ـ عليه السلام - وكان من الأحبار، وروى عنه أنس بن مالك، وزرارة بن أوفى، وأبو سعيد المقبري، وأبو سلمة، وأبو بردة، وابناه يوسف ومحمد ابنا عبد الله، وجماعة . تاريخ الإسلام، وفيات سنة [٤٣] .

قال المالكية: لا يجوز له أن ينيب من يحج عنه، سواء كان صحيحاً أو مريضاً ترجى صحته، في حجة الفريضة، وأما حج التطوع فالإجارة مكروهة لكنها تصح . وقال الحنفية: من عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه بشرط عجزه المستمر إلىٰ الموت، فإن حج عنه وانتهى عجزه فقد سقط عنه حج الفرض، والشافعية توجب الحج إذا أناب ثم برأ من مرضه . انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة [١/ ٦١٢] .

ليس لي (رغبة)[١] إلىٰ دار الخليفة، ولكني أشتهي عصيدة[٢] حارة، فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة، وقلت في نفسي: هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد فتركته، ومضيت إلىٰ دار الخليفة، فأكلنا وسمعنا وتفرقنا آخر الليل، فلما دخلت الرباط رأيته علىٰ تلك الحال، فجلست علىٰ سجادتي، فلهجت عيناي بالنوم، وإذا بجماعة وقائل يقول: هذا رسول الله ﷺ والأنبياء ـ عليهم السلام ـ فدنوت وسلّمت عليه، فولى بوجهه عني معرضاً، فكررت ذلك وهو يعرض عني، فخفت من ذلك وقلت: يا رسول الله: ما الذي أذنبت حتىٰ تعرض عني ؟ فقال: فقير من أمتي اشتهى عليك شهوة فتهاونت به، فاستيقظت مرعوباً، وقمت نحو الفقير فلم أره، فسمعت صوت الباب، فخرجت في إثره، فإذا هو خارج، فناديته: يا فتى نحضر شهوتك، فالتفت إليَّ وقال: إذا اشتهى فقير عليك شهوة لا توصلها إليه حتىٰ يشفع إليك مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، فلا حاجة إليها، ثم تركني وذهب

الرابعة بعد العشرين: روي عن عبد الواحد بن زيد[٣] قال: كان لنا خادم يخدم السلطان، وهو معروف بالفساد والغفلة عن الله ـ تعالىٰ ـ فرأيته الليلة في المنام ويده في يد رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن هذا العبد السوء من المعرضين عن الله ـ تعالىٰ ـ فكيف وضعت يدك في يده ؟ فقال ﷺ: قد عرفت ذلك، وها أنا ماض به لأشفع له عند الله ـ تعالىٰ ـ، فقلت: يا رسول الله، فبأي وسيلة بلغ ذلك منك ؟ قال: بكثرة صلاته عليَّ، فإنه في كل ليلة يأوي إلىٰ فراشه يصلي عليَّ ألف مرة، وإني لأرجو أن الله ـ تعالىٰ ـ يقبل شفاعتي فيه، قال عبد الواحد[٤]: فلما أصبحت فإذا أنا بذلك

---

(١) بالأصل (فلت) وأثبتناها هكذا لتوافق النص .

(٢) العصيدة: دقيق يُلت بالسمن ويطبخ، جمعها: عصائد .

(٣) عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري العابد القدوة شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن عطاء والحسن وعبادة بن نسي وجماعة سواهم، وعنه وكيع ومحمد بن السماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني وجماعة، وهو ضعيف الحديث، توفي بعد سنة (١٥٠) . ترجمته: تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٦٢]، الجرح والتعديل [٦/ ١٠٧]، ميزان الاعتدال [٢/ ٦٧٢]، الثقات [٧/ ١٢٤]، سير الأعلام [٧/ ١٧٨] .

(٤) قال ابن الأعرابي: قال عبد الواحد بالمحبة علىٰ مذاهب أهل الخصوص، ولو صدق نفسه لاضطره قوله بالمحبة، إلىٰ القول بالسنة والكتاب، ولكنه سامح نفسه، وتكلم في الشوق والغرق والأنس، وجميع فروع المحبة التي قال بها أهل الإثبات، وأن الله يحب من أطاعه، وأن الطاعة والاتباع أوجب المحبة من الله ـ تعالىٰ ـ ومن قول السنة: إن الله أحب قوماً فوفقهم لطاعته، فكانت محبته لهم واختياره، لما سبق من علمه لا لكسبهم، فكانت محبته لهم قبل عملهم وقبل خلقهم . تاريخ الإسلام، وفيات [١٥١ - ١٦٠] .

الخادم قد دخل المسجد باكياً، وكنت في ذكر ما رأيته له أقص علىٰ أصحابي، فلما دخل سلَّم وجلس بين يدي، وقال: يا عبد الواحد مُدَّ يدك، فقد أرسلني إليك رسول الله ﷺ لأتوب علىٰ يديك وذكر لي ما جرى بينك وبينه الليلة في شأني، فلما تاب سألته عن رؤياه، فقال: أتاني رسول الله ﷺ فأخذ بيدي وقال: لأشفعن لك إلىٰ ربي لأجل صلاتك عليَّ، فلما انطلقت معه شفع لي، وقال لي: فأت عبد الواحد وتب علىٰ يديه، واستقم .

الخامسة بعد العشرين: روي عن علي بن عيسى الوزير أنه قال: كنت أكثر الصلاة علىٰ النبي ﷺ فلما صرفت عن الوزارة رأيت في المنام كأني راكب حماراً، ورأيت رسول الله ﷺ فترجلت له فقال لي: ارجع إلىٰ مكانك، فأصبحت وقلدت الوزارة ببركة الصلاة عليه ﷺ.

السادسة بعد العشرين: روي عن ابن جعفر الحدَّاد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: جعت مرة بالمدينة ولم أجد طعاماً منذ خمسة عشر يوماً، فألصقت بطني بحائط قبر النبي ﷺ وأكثرت من الصلاة عليه، وقلت: يا رسول الله أشبع ضيفك فقد أضعفه الجوع عن خدمة الله تعالىٰ، قال: فغلبني النوم، فرأيت رسول الله ﷺ وقد دفع إليَّ رغيفاً، وأنا آكله فاستيقظت وأنا شبعان، وبيدي نصفه .

فوائد: **الأولى**: عن أبي عمران الواسطي قال: خرجت من مكة أريد زيارة القبر المشرف[1] فلما خرجت من الحرم أصابني عطش شديد حتىٰ آيست من نفسي، فجلست تحت شجرة أم غيلان آيساً، وإذا بفارس قد أقبل علىٰ فرس أخضر، وكل آلاته خضر، وفي يده قدح أخضر فيه شراب أخضر فدفعه إليَّ وقال: اشرب، فشربت ثلاثاً، والقدح بحاله، فقال لي: أين تريد ؟ قلت: المدينة لأسلم علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ صاحبيه . فقال لي: إذا وصلت وسلمت فقل رضوان يقرئكم السلام .

الثانية: عن إبراهيم الخواص قال: عطشت في بعض أسفاري إلىٰ المدينة، فإذا أنا بماء يرش علىٰ وجهي ففتحت عيني، فإذا أنا برجل حسن الوجه، راكب علىٰ دابة شهباء، فسقاني وقال: كن رديفي فما لبثت إلا يسيراً إذ رأيت المدينة، فقال: انزل

(١) زيارة قبر النبي ﷺ من أعظم القرب وأجلها شأناً، وقد بين الفقهاء آداب زيارة قبر النبي ﷺ وقالوا: إذا توجه لزيارة المصطفى ﷺ يكثر من الصلاة والسلام عليه مدة الطريق، ويصلي في المساجد التي يمر بها، وإن عاين حيطان المدينة يصلي علىٰ النبي ﷺ ويقول: اللهم هذا حرم نبيك فاجعله وقاية لي من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب، ويغتسل قبل الدخول وبعده إن أمكنه، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه . . . . إلىٰ آخر الآداب . انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة [١/ ٦١٥] .

وقل: الخضر يقرئك السلام.

الثالثة: عن أبي الخير الأقطع قال: قدمت مدينة الرسول، فأقمت خمسة أيام فأذقت فيها ذواقاً فتقدمت إلىٰ القبر الشريف، وسلَّمت علىٰ رسول الله ﷺ، وعلىٰ صاحبيه[١]، وقلت: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة، وتنحيت ونمت خلف القبر، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وعليّ بين يديه، فحركني علي وقال: قم قد جاء رسول الله ﷺ فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه، فدفع إليّ رغيفاً فأكلت نصفه، وانتبهت وفي يدى نصفه .

وقد سبق مثلها .

وحكاية العتبي مشهورة في كتب أصحابنا نذكرها إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ آخر مجلس الحج بزيادات فيها .

شعر :

أحن إلىٰ نوح الحمام[٢] إذا غنى	وأشتاق للوادي وأصبو إلىٰ المعنى
ويعجبني مر النسيم لأنه	يحدث عن نجد الصبا حديثاً له معنى
ويخبر عن زوار ليلي بأنهم	رأوا عند بانات النقا وجهها الأسنى
بعيشك إن جئت الخيام فقف بها	وقل لمليح الحي إني به مفنى
وعرض بذكري عنده فلعله	يرق لمشتاق إلىٰ ربعه حنَّا
متى بقيا يقضي لنا منه عاشق	ويدفن في سلع ويمسي له سكنى
تمكن قلبي حب من سكن الحما	فقلبي يهواه وعقلي به جُنَّا
تكامل معناه فأصبح فاتنا	أياله بدرا حوى الحسن والحسنى

(١) يقول الزائر لقبره ﷺ: السلام عليك يا رسول الله، من فلان يتشفع بك إلىٰ ربك فاشفع له ولجميع المسلمين، ثم يقف عند وجهه مستدبراً القبلة ويصلي عليه ما شاء، ويتحول قدر ذراع حتىٰ يحاذي رأس الصديق – رضي الله تعالىٰ عنه ـ ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار، السلام عليك يا رفيقه في الأسفار، السلام عليك يا أمينه في الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماما عن أمة نبيه، ويتحول إلىٰ قبر عمر ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مظهر الإسلام، السلام عليك يا مكسر الأصنام جزاك الله عنا أفضل الجزاء . . . . إلىٰ آخره . المرجع السابق [١/ ٦١٦].

(٢) ناحت الحمامة نوحاً ونواحاً: سجعت، فهي نائحة ونوَّاحة، والمرأة علىٰ الميت: بكت عليه بجزع وعويل .

عـلـيـه صـلاة الـلـه[١] مـا لاح بـارق ... ومـا نـاح طـيـر فـي الـغـصـون ومـا غـنـى

شعر:

بـجـاه الـنـبـي الـمـصـطـفـى أتـوسـل ... ومـا لـي سـواه فـي الـمـمـات مـوئـل

ومـن ذا الـذي أرجـو لإدراك بـغـيـة ... الـنـهـايـة دون الـورى أتـوصـل

إذا نـابـنـي أمـرا فـلـيـس لـي ... عـلـى غـيـره دون الأنـام مـعـول

إذا قـيـل هـذا يـرتـجـى فـضـل جـاء منه ... فـجـاه رسـول الـلـه أعـلـى وأفـضـل

ومن يرتجى في الحشر والرسل قد جُنَّت ... مـن الـخـوف يـرجـى غـيـره أو يـؤمـل

إذا زل بـالآمـال غـيـري فـإنـنـي ... لـغـيـر رسـول الـلـه لا (اتـدنـك)[٢]

---

(١) في كيفية الصلاة علىٰ النبي ﷺ روى مسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٤٠٥)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي مسعود الأنصاري، وفيه عن رسول الله ﷺ: « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم » .
قال النووي: قال العلماء: معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: هو بمعنى التطهير والتزكية، واختلف العلماء في الحكمة من قوله: « اللهم صل علىٰ محمد كما صليت علىٰ إبراهيم » مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ قال القاضي عياض: أظهر الأقوال أن نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته ليتم النعمة عليهم كما أتمها علىٰ إبراهيم وعلىٰ آله.
وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ليبقى ذلك له دائماً إلىٰ يوم القيامة، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ. النووي في شرح مسلم [٤/ ١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) كذا بالأصل .

مجلس في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية

فيه آيات: قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [1] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [2].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [3]

ومعنى الإخلاص: التصفية مما سوى الرب جل جلاله، وشغل القلب به.

وأما الأحاديث فكثيرة، نذكر منها اثني عشر حديثاً، أولها: حديث: «إنما الأعمال بالنيات» [4] وهو قاعدة الدين، وأساس السالكين، وشرعت لتمييز العبادات عن العادات، ورتب العبادات، وفرق بين النية والأمنية.

رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

وهو حديث أخرجه الشيخان، وغيرهما في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب، ولم يصح إلا من طريقه [5].

---

(1) سورة البينة [٥].
وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبيَاء: ٢٥] ولهذا قال " ﴿حُنَفَآءَ﴾ [الحَجّ: ٣١] أي متحنفين عن الشرك إلىٰ التوحيد، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٣] وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المَائدة: ٥٥] وهي الإحسان إلىٰ الفقراء والمحاويج. تفسير ابن كثير [٤/ ٥٣٧].

(2) سورة الحج [٣٧]. (3) سورة آل عمران [٢٩].

(4) أخرجه البخاري في صحيحه [١] كتاب بدء الوحي، [١] باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، عن عمر بن الخطاب، وأبو داود في سننه [٢٢٠١]، والترمذي [١٦٤٧] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي [١/ ٥٨، ٦/ ١٥٨ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٤٢٢٧]، وأحمد في مسنده [١/ ٢٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ٤١، ٢١٥، ٢/ ١٤، ٦/ ٣٣١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٦]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٤٢، ٤٥٥]، وأبو نعيم في الحلية [٦/ ٣٤٢، ٨/ ٤٢]، والحميدي في مسنده [٢٨].

(5) قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا =

ثانيها: حديث عائشة مرفوعا: « يغزوا جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم، ثم يبعثون علىٰ نياتهم »(١)

أخرجاه وهو دالٌّ علىٰ أن كل أحد يحفظ علىٰ قدر نيته، والخسف بالصالح ونحوه ليس خزياً له، بل لفراغ أجله، كما في حديث البيهقي .

وهذا الحديث والذي قبله لتميز الأعمال والأشخاص .

ثالثها: حديثها أيضاً مرفوعا: « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية »(٢) أخرجاه أيضاً، أي هجرة من مكة أو كاملة .

وهو دال علىٰ ديمومية النية، وأنها قرينة الجهاد .

رابعها: حديث جابر مرفوعا: « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ؛ حبسهم المرض » .(٣)

أخرجه مسلم، وأخرجه البخاري من حديث أنس .

خامسها: حديث أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس الصحابيون قال: " كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها، فأتيته بها فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: « لك ما

= الحديث تنبيهاً للطالب علىٰ تصحيح النية، ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقاً، وقد فعل ذلك البخاري وغيره . النووي في شرح مسلم [١٣/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الحج [٤٩] باب هدم الكعبة، ومسلم في صحيحه [٤ - (٢٨٨٢)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢] باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والنسائي [٥/ ٢٠٦ - المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٧] ، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٧٢٠] .

(٢) أخرجه البخاري [٤٣٠٩، ٤٣١٠] كتاب المغازي، [٥٤] باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، ومسلم [٨٦ - (١٨٦٤)] كتاب الإمارة، [٢٠] باب المبايعة بعد فتح مكة علىٰ الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى « لا هجرة بعد الفتح »، والترمذي [١٥٩٠] كتاب السير، باب ما جاء في الهجرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه [٢٤٨٠]، وأحمد بن حنبل في مسنده [١/ ٣١٦]، والنسائي [٧/ ١٤٦ - المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ١٩٥، ٩/ ١٦]، والدارمي [٢/ ٢٣٩], والحاكم في المستدرك [٢/ ٢٥٧, ٣/ ١٨] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٩ - (١٩١١)] كتاب الإمارة، [٤٨] باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، وابن ماجه [٢٧٦٤]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٤]، وابن حبان في صحيحه [١٦٢٣ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٥٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨١٥، ٣٨١٦] ، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٥٤٧]، والبيهقي في دلائل النبوة [٥/ ٢٦٧]، والزبيردي في الإتحاف [١٠/ ٧]، والعراقي في المغني [٤/ ٣٥٢] .

نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن » " .[١] أخرجه البخاري .

سادسها: عن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة في قصة مرضه مرفوعاً «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتىٰ ما تجعل في في امرأتك»[٢].

أخرجاه، وهو دال علىٰ قلب العادة عبادة بالنية، والمباح قربة، وناهيك بهذا الإكسير .

سابعها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم » .[٣] أخرجه مسلم .

وهو دال علىٰ أن محلها القلب الذي هو محل نظر الجليل جل جلاله، فبحسنها يصير صاحبها جميلاً .

وهو وما قبله دالان علىٰ قلب الأعمال أعياناً، وعلواً بعد تسفل، وهذا هو الإكسير .

ثامنها: حديث أبي موسى الأشعري قال: " سئل رسول الله ﷺ عن رجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله » " .[٤] أخرجاه .

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٢٢] كتاب الزكاة، [١٧] باب إذا تصدق علىٰ ابنه وهو لا يشعر، وأحمد في مسنده [٥/ ١٣٣ ، ٤٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٤١] .

(٢) أخرجه البخاري [٦٧٣٣] كتاب الفرائض، [٦] باب ميراث البنات، عن سعد بن أبي وقاص، ومسلم [٥ ـ (١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث، والترمذي في سننه [٢١١٦] كتاب الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث، وقال الترمذي: حسن صحيح، وأبو داود في سننه في الوصايا، باب [٢]، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٦٨، ٢٦٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٢] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣ ـ (٢٥٦٤)]، [٣٤] كتاب البر والصلة، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، وابن ماجه [٤١٤٣]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٨٥، ٥٣٩]، والطبراني في المعجم الكبير [٣/ ٣٣٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٣١]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٠٤]، وابن المبارك في الزهد [٥٤٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٩٨، ٧/ ١٢٤] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٤٥٨] كتاب التوحيد، [٢٧] باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، ومسلم في صحيحه [١٤٩ ـ (١٩٠٤)، ١٥٠ ، ١٥١] كتاب الإمارة، [٤٢] باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، والترمذي [١٦٤٦] =

وهو بيّن لجد الأعمال ورديئها، ونافعها عند الرب جل جلاله .

تاسعها: حديث أبي بكرة مرفوعاً: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار » قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: « إنه كان حريصاً علىٰ قتل صاحبه »[١] أخرجاه، وهو بيان لفساد النية وإفسادها .

عاشرها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « صلاة الرجل جماعة تزيد علىٰ صلاته في بيته وسوقه بضعاً وعشرين درجة[٢]، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتىٰ يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون علىٰ أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه »[٣] .

أخرجاه، وهو دال علىٰ أن نية المقاصد تحرز جزاء وسائلها وتوابعها وتفاصيلها .

ومنه حديث: « من احتبس فرسا في سبيل الله . . . . الحديث »[٤] .

= كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي [٦/ ٢٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٢٧٨٣]، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٢، ٣٩٧]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٦٧، ١٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٩٦] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٨٣] كتاب الفتن، [١٠] باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، ومسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٨٨٨)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٤] باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، والنسائي [٧/ ١٢٥ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٣٩٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٣٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٣٠٣، ٦/ ٢٦٢] .

(٢) قال النووي: المراد صلاته في بيته وسوقه منفرداً، هذا هو الصواب، وقيل فيه غير هذا، وهو قول باطل نبهت عليه لئلا يغتر به، والبضع: بكسر الباء وفتحها وهو من الثلاثة إلىٰ العشرة، هذا هو الصحيح . النووي في شرح مسلم [٥/ ١٤١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧] كتاب الأذان، [٣٠] باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم في صحيحه [٢٧٢ ـ (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٩] باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، وأبو داود في سننه [٥٥٩] كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلىٰ الصلاة، وابن ماجه [٧٨٦، ٧٨٨، ٧٩٠]، والدارمي في سننه [١/ ١٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٣١ - الموارد] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٥٣] كتاب الجهاد والسير، [٤٥] باب من احتبس فرساً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفَال: ٦٠]، والنسائي [٦/ ٢٢٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده =

الحادي عشر: حديث ابن عباس، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالىٰ: « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»(١) أخرجاه، وهو من المبشرات .

الثاني عشر: حديث ابن عمر مرفوعاً في قصة أصحاب الغار الثلاثة، وأن الصخرة انفرجت عنهم، وخرجوا يمشون " أخرجاه(٢)، وهو دال علىٰ أن من أخلص لله العبادة ولو عملا واحدا استجيب دعاؤه حتىٰ في المهمات، ويكون من عباده المخلصين .

وأما الحكايات:

فالأولى: قال السيد محمد بن واسع: أقمت أربعين ليلة، كل ليلة أشتهي كبداً مشوياً قلت: أخرج إلىٰ الجهاد، فلعل يقع في سهمي شاة فآكل منها شهوتي، فخرجت إليه فقتلنا وغنمنا، وأخذت في سهمي شاة، فسألت بعض أصحابي أن

= [٢/ ٣٧٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٦]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٥٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ١٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٦٨] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩١] كتاب الرقاق، [٣١] باب من هم بحسنة أو بسيئة، ومسلم في صحيحه [٢٠٧ ـ (١٣١)] كتاب الإيمان، [٥٩] باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، وأحمد في مسنده [١/ ٣١٠، ٣٦٠، ٣٦١] ، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٦، ٥٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٧٤]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٢٩٣، ٩/ ١٧٩] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦٥] في أحاديث الأنبياء . [٥٥] باب حديث الغار [٥٩٧٤] كتاب الأدب، [٥] باب إجابة دعاء من بر والديه، ومسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢٧٤٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٧] باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال . وقال النووي: استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم، وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما، وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله ـ تعالىٰ ـ خالصاً، وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل الحق . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية .

يشوي لي كبدها، فأخذتني هجعة فنمت، فرأيت ملائكة نزلوا من السماء فكتبوا: فلان خرج للجهاد، وفلان للغنيمة، وفلان للمفاخرة، ثم وقفوا عليَّ وقالوا شهواني مسكين ؛ اشتهى كبداً مشوياً، فقلت: بالله لا تفعلوا، فأنا تائب إلىٰ الله، ثم قلت: يا رب لا أعود، يا رب لا أعود، أنا تائب إليك من سائر الشهوات.(١)

الثانية: عن الشيخ أبي الحسن المعاوري قال: كنت عدة سنين معاوراً بالحرب، وعدة أخرى بالسياحة أدخل بلاد الكفار لأمور أُؤمر بالدخول لأجلها، وحجابي بحكمي إن أردت رأوني، وإلا فلا.

فورد عليَّ أمر من جهة الرب ـ تعالىٰ ـ بأن أدخل إلىٰ بلادهم لأجتمع فيها برجل صديق، فدخلتها وأريتهم نفسي، فأخذوني أسيراً، وخرج بي من أخذني، وكتفني وجاء بي إلىٰ السوق ليبيعني، وكان هذا هو الطريق المقصود الذي أُمرت به.

فاشتراني رجل معتبر منهم، ووقفني علىٰ الكنيسة لأكون خادما فيها، فباشرت خدمتها أياما، وإذا بهم قد أحضروا بسطاً كثيرة ومباخر وطيبا كثيرا .

فقلت لهم: ما الخبر ؟ قالوا: الملك عادته زيارة الكنيسة يوماً في السنة، فقد جاء وقت زيارته، فنحن نهيئها له ونحليها، ولا يبقى فيها أحد حتىٰ يدخل وحده يتعبد فيها، فلما أغلقوها وبقيت أنا فيها احتجبت عنهم فلم يروني، وإذ بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده، وأغلقوا عليه الباب، فدار بالكنيسة يفتشها، وأنا أنظر إليه، وهو لا يراني إلىٰ أن اطمأن، فدخل المذبح الذي فيها وتوجه إلىٰ القبلة، وكبَّر بالصلاة، فقيل لي هذا الذي أردنا لك الاجتماع به فتطهرت ووقفت وراءه حتىٰ سلم من الصلاة، ثم التفت فرآني فقال: ما تكون؟ فقلت: مسلم مثلك . قال: وما جاء بك هنا ؟ قلت: أنت، فأقبل عليَّ وسألني عن أمري، فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع، ولم يكن لي طريق إلىٰ ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع، واتخاذهم لي خادماً للكنيسة، وتمكيني لهم من نفسي، جميع ذلك ليقع الاجتماع .

ففرح بي وكاشفني وكاشفته، ووجدته من كبار الصديقين، فقلت له: كيف حالك بين هؤلاء الكفار في باطن الأمر ؟ فقال: يا أبا الحجاج لي فؤاد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت بين المسلمين، قلت له: صف لي، قال: توحيدي وإسلامي وأعمالي خالصة لله، ما لأحد اطلاع عليها، وآكل حلالاً (فيساو)(٢) ما فيه شبهة، وأنفع المسلمين

---

(١) وذلك في حديث: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وهو في البخاري [٧٤٥٨] ومسلم في الإمارة [١٤٩، ١٥٠، ١٥١] وتقدم من قبل فانظره .

(٢) كذا بالأصل .

نفعاً، لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم، وأدفع عنهم أذى الكفار، وأفعل في الكفار من القتل وشبهه ما لو كنت أعظم ملوك الإسلام ما فعلت، وسأريك بعض تصرفي فيهم، ثم ودعني وودعته، وقال لي: ارجع إلىٰ حالتك، وأخفيت نفسي واحتجبت، فخرج الملك وقعد علىٰ باب الكنيسة، وقال: ائتوني بكل من يختص بالكنيسة، فأحضروا له جماعة وعرضوهم عليه، وقالوا هذا بطريقها[١]، وهذا شمَّاسها[٢]، وهذا راهبها[٣]، وهذا مشارف أوقافها، وهذا جابي ريعها، قال: فمن يخدمها؟ قالوا فلان اشترى أسيراً، ووقفه علىٰ خدمتها، فأظهر غضباً عظيماً، وقال: تكبرتم الجميع علىٰ خدمة بيت الرب، وجعلتم رجلا من غير الملة نجساً يخدم بيت الرب، فاستدعى بالسيف، وجعل يضرب رقاب الجميع في حجة الغيرة علىٰ بيت الرب، وأمر بإحضاري فقال: هذا يستحق في مقابلة الخدمة الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب وإطلاقه إلىٰ وطنه وأهله، ففعلوا بي ذلك، وانصرفت عنه .

الثالثة: عن محمد بن يعقوب الخواساني قال: خرجت من بلدي علىٰ نية السياحة[٤] والتوكل، فلم أزل علىٰ ذلك إلىٰ أن أتيت بيت المقدس، ثم وقفت في مغارة (بنية)[٥] بني إسرائيل، فمكثت أياما لم أطعم طعاماً، ولم أشرب شراباً حتىٰ أشرفت علىٰ الموت، فبينا أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران أشعثان أغبران، فملت إليهما، وسلمت عليهما، وقلت لهما: أين تريدان ؟ فقالا: لا ندري، قلت: أتدريان أين أنتما ؟ قالا: نعم ؛ نحن في مملكته وبين يديه، قال: فأقبلت علىٰ نفسي بالملامة وحالهما مع كفرهما، ثم استأذنتهما في الصحبة وسرنا، فلما أمسينا قاما إلىٰ صلاتهما ومعبودهما، وقمت إلىٰ صلاتي ومعبودي، فصليت المغرب بالتيمم، فنظرا إليَّ متبسمين ضاحكين، وبحث أحدهما الأرض وإذا بالماء قد ظهر كأنه اللؤلؤ علىٰ الصفا، فبُهت، ثم إذا بطعام موضوع عن يمينه، فتعجبت، فقال مم تعجبك، تقدم وتناول من الطعام الحلال، واشرب من بارد هذا الزلال، واعبد ربك الكريم ذا الجلال، فأكلت وشربت وتوضأت، وأعدت الصلاة، ثم غار الماء كأنه لم يكن، ثم صلينا إلىٰ الصباح، ثم سرنا إلىٰ الليل، فتقدم الراهب الثاني، وصلى ودعا بدعوات

---

(١) البطريق: القائد من قواد الروم، ويطلق علىٰ رئيس رؤساء الأساقفة .

(٢) الشماس: من يقوم بخدمة الكنيسة، ومرتبته دون القسيس .

(٣) الراهب: المتعبد من النصارى في صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها .

(٤) السائحون: قال ابن كثير: الصائمون، وقال ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون انظر تفسير ابن كثير [٢/ ٤٠٠] .

(٥) كذا بالأصل .

خفية ثم بحث الأرض، فإذا الماء والطعام موضوع عن يمينه، فأكلنا وشربنا، فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي: يا محمدي الليلة ليلتك، والنوبة نوبتك، فاستحييت، وقلت: يكون خيراً إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ ثم عدلت عنهما إلىٰ جانب آخر وقلت بعد صلاة ركعتين: اللهم سيدي ومولاي إنك تعلم أن ذنوبي كثيرة بذي الجاه الجسيم محمد عليه أفضل صلاة وأعظم تسليم أن لا تخجلني بينهما[١] ثم التفتُّ فإذا بعين ماء جارية، وطعام عن يميني موضوع، فأكلنا وشربنا وحمدنا الله، فلم نزل علىٰ ذلك إلىٰ النوبة الثانية فدعوت بمثل ذلك فحصل مثل ذلك، فلما كان في الثالثة إذا طعام اثنين وشراب اثنين، فانكسر قلبي، فقالا: يا محمدي من أين دخل عليك ؟ أما ترى هذا التقصير ؟ فقلت لهما: الحكم حكمة عسر ويسر، وشدة ورخاء، ومنع وعطاء ليبلونا فقالا: صدقت يا محمدي، إن هذا رب عظيم، ودين سليم، فأسلما، وأقاما ببيت المقدس، وأنا معهما نرزق من حيث لا نحتسب إلىٰ أن قضيا نحبهما .

الرابعة: عن إبراهيم الخواص أنه كان إذا أراد سفراً لم يُعلم أحداً، وإنما يأخذ ركوته ويمشي، ففعل ذلك يوما، قال أبو حامد الأسود: فتبعته، فقال لي: إلىٰ أين ؟ قلت: معك، قال: أنا أريد مكة، قلت: وأنا أريد ذلك، ثم انضم إلينا شاب نصراني فسأله فقال: ادعت نفسي أنها أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتىٰ أخرجها إلىٰ هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود ؛ أُثير ساكني، وأمتحن خاطري، فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك، فأتينا بطن بئر، فخلع إبراهيم خلقانه فطهرها بالماء، ثم جلس وقال له: ما اسمك ؟ قال: عبد المسيح، فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة، ولا يدخله كافر[٢] فإياك أن تدخلها، فينكر عليك، فتركناه ودخلنا مكة، فبينا نحن بالموقف إذ به أقبل علينا وهو محرم، فقبل رأس

---

(١) فيما رواه الترمذي [٣٥٧٣] من حديث توسل فاقد البصر في دعائه الذي علمه النبي ﷺ في قوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه إلىٰ ربي بك أن يكشف لي عن بصري، شفعه فيّ . . . . الحديث، قال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ١٣٨ : وفي الحديث دليل علىٰ جواز التوسل برسول الله ﷺ إلىٰ الله ﷻ مع اعتقاد أن الفاعل هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه المعطي والمانع، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبَة: ٢٨] أمر الله ـ تعالىٰ ـ عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام، وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليّا صحبة أبي بكر عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً . تفسير ابن كثير [٢/ ٣٥٤] .

إبراهيم، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح ؟ فقال: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده، فقال: كيف حالك ؟ قال: تنكرت ودخلت، فلما رأيت الكعبة اضمحل عندي كل دين إلا الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت، فالتفت إليَّ إبراهيم وقال: يا أبا حامد انظر إلىٰ صدق نيته في النصرانية كيف هداه إلىٰ الإسلام ؟!! ثم صحبنا حتىٰ مات .

شعر :

سلام علىٰ السادات من كل صادق ... له مسرح في معزل ومراح

صفاء ثم صفى فهو صوفي مخيم ... على باب سعدي ليس عنه براح

يلاقي صغار النفس في نيل وصلها ... ومن دونها بيض حمت ورماح

على حد سيف الصدق يسعون للعلا ... لتجلي لهم بيض هناك صباح

سقتهم حميا الوصل من كرم ... إذا سمها أهل الصبابة صاحوا

وناحوا وساحوا ثم باحو بنشرها ... عبيرا ومكتوم المحبة باحوا

الخامسة: عن إبراهيم الخواص أيضا قال: دخلت البادية مرة، فرأيت نصرانياً علىٰ وسطه زنار[1] فسألني الصحبة، فمشينا سبعة أيام، ثم قال لي: يا راهب الحنفية هات ما عندك فقد جعنا، فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر، فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وماء، فأكلنا وشربنا، ومشينا سبعة أيام، ثم بادرت وقلت: يا راهب النصرانية هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك، قال: فأعلى عصاه ودعا، وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان علىٰ طبقي، فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل، فألحَّ عليَّ فلم أجب .

فقال: كل فإني أبشرك ببشارتين: أحدها: إسلامي وحل الذمة، والأخرى: قلت: اللهم إن كان لهذا العبد خاطر عندك فافتح عليَّ، فأكلنا ومشينا، وحج وأقمنا سنة ومات، فدفن بالبطحاء .

السادسة: حكي أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون في زمن داود ﷺ فقال أحدهم: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا[2]، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا :

تعاليت ربي أنت ذا قد أمرتنا ... بعفو وصفح عن مسي لنا ظلم

---

(١) الزُّنَّار: حزام يشده النصراني علىٰ وسطه، وجمعها: زنانير .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٩] باب استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » وقال النووي: قوله ﷺ: « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً » فيه أيضاً وجهان: أحدهما: أنه علىٰ ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح =

وها نحن ربي قد ظلمنا نفوسنا ... وأنت الذي بالعفو أولى وبالكرم

وقال الثاني: اللهم إنك قد أمرتنا أن نعتق عبيدنا إذا شابوا في خدمتنا، وقد شبنا في خدمتك، فتفضل علينا بعتقنا:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق أبرار

فأنت أولى بذا يا سيدي كرماً ... قد شبت في رقك اعتقني من النار

وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا أن لا نرد المساكين إذا وقفوا ببابنا وها نحن مساكين قد وقفنا ببابك، فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك.

أتيناك نرجوا الفضل فامنن ... علينا وجد يا ذا المكارم والعلا

فأنت الذي ترجى ويكثر فضله ... إذا انسدت الأبواب وانقطع الرجا

السابعة: عن محمد بن الصباح قال: خرجنا نستسقي بالبصرة، فلما أصحرنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعداً علىٰ الطريق، فلما رآني قام وقال لي: إلىٰ أين ؟ قلت: نستسقي، قال: بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية ؟ قلت: سماوية، قال: اجلسوا هاهنا، فجلسنا حتىٰ ارتفع النهار، وما تزداد السماء إلا صحواً، ولا الشمس إلا حراً، فنظر إلينا وقال: يا بطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم، ثم توضأ وصلى ركعتين، ولحظ السماء بطرفه، وتكلم بكلام لم أفهمه، فوالله ما استتم كلامه حتىٰ رعدت وبرقت ومطرت مطراً جيداً [(١)].

فسألناه عن الكلام الذي تكلم به، فقال: إليكم عني، إنما هي قلوب حنَّت، فرنت، فعاينت، فعلمت، فعملت، وعلىٰ ربها توكلت، ثم أنشأ يقول:

أعرض عن الهجران والتمادي ... وارحل لمولى منعم جوادي

ما العيش إلا في جوار قوم ... قد شربوا من صافي الوداد

= ساد وعظم في القلوب، وزاد عزة وكرامة، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة، وعزه هناك. النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١٦] طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أجمع العلماء علىٰ أن الاستسقاء سنة، واختلفوا هل تسن له صلاة أم لا ؟ فقال أبو حنيفة: لا تسن له صلاة، بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف، الصحابة والتابعون فمن بعدهم: تسن الصلاة، ولم يخالف فيه إلا أبو حنيفة، وتعلق بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة، واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ صلى للاستسقاء ركعتين، وأما الأحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة فبعضها محمول علىٰ نسيان الراوي، وبعضها كان في خطبة الجمعة، ويتعقبه الصلاة للجمعة، فاكتفي بها، ولو لم يصل أصلاً كان بياناً لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة، ولا خلاف في جوازه، وتكون الأحاديث المثبتة للصلاة مقدمة، لأنها زيادة علم ولا معارضة بينهما. النووي في شرح مسلم [٦/ ١٦٥] طبعة دار الكتب العلمية.

مجلس في التوبة وهي الرجوع إلى الرب جل جلاله

عن الاسترسال في القطيعة، وهو واجبة من كل ذنب، وشرطها الإقلاع والندم والعزم على عدم العود، ورد ظلامة الآدمي واستحلالها.

وفيها آيات: قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾(1) الآية.

وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾(2)

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(3) أي خالصة.

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾(4).

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾(5).

وقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(6).

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾(7) الآية.

وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(8).

وقال: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(9).

وقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(10).

وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾(11) الآية.

وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾(12).

---

(1) سورة النور [31].

(2) سورة هود [90].

(3) سورة التحريم [8]. التوبة النصوح: أي الصادقة الجازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات. تفسير ابن كثير [4/ 391].
يقول تعالى ممتناً على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح، ويستر ويغفر كقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿110﴾﴾. تفسير ابن كثير [4/ 114].

(4) سورة الشورى [25].

(5) سورة آل عمران [128].

(6) سورة آل عمران [128].

(7) سورة النساء [17].

(8) سورة الأنفال [38].

(9) سورة التوبة [3].

(10) سورة التوبة [5]، [11].

(11) سورة التوبة [102].

(12) سورة التوبة [104].

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

وقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾[(٢)].

وقال: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾[(٣)].

وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[(٤)] الآية.

وقال: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾[(٥)].

وقال: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[(٦)].

وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾[(٧)].

وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾[(٨)].

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾[(٩)].

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[(١٠)].

وقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾[(١١)].

وقال: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾[(١٢)].

وقال: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[(١٣)].

وقال: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[(١٤)].

وقال: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾[(١٥)].

وقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[(١٦)].

وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[(١٧)]

وقال: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[(١٨)] الآية.

وأما الأحاديث: فكثيرة نذكر منها اثني عشر حديثاً. أحدها: حديث أبي

---

(١) سورة التوبة [١٠٤].
(٢) سورة التوبة [٢٧].
(٣) سورة التوبة [١٠٦].
(٤) سورة التوبة [١١٧].
(٥) سورة التوبة [١٢٦].
(٦) سورة النحل [١١٩].
(٧) سورة الإسراء [٢٥].
(٨) سورة طه [٨٢].
(٩) سورة آل عمران [٨٩].
(١٠) سورة النور [١٠].
(١١) سورة الفُرقان [٧٠].
(١٢) سورة الأحقاف [١٥].
(١٣) سورة الأحزاب [٧٣].
(١٤) سورة غافر [٣].
(١٥) سورة غافر [٧].
(١٦) سورة التحريم [٤].
(١٧) سورة البقرة [٥٤].
(١٨) سورة البقرة [٥٤].

هريرة: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »[١] رواه البخاري.

وهو دال علىٰ أنها من سنن الأكابر، وشيم المآثر.

ثانيها: حديث الأغر بن يسار[٢]: « يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب إلىٰ الله في اليوم مائة مرة »[٣] رواه مسلم.

وهو دال علىٰ الأمر بها مع الحمل علىٰ الاقتداء والتأسي.

ثالثها: حديث أنس: « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط علىٰ بعيره وقد أضله في الأرض فلاة »[٤] أخرجاه.

وفي مسلم: « وعليها طعامه وشرابه، فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح »[٥] وهو دال علىٰ أنها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٠٧] كتاب الدعوات، [٣] باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٤١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٢٥]، والألباني في السلسلة الصحيحة [٣/ ٤٣٦].

(٢) الأغر بن اليسار، البصري المزني، ويقال الجهني الغفاري، أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم، وأبو داود، والنسائي، صحابي. ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ٣٦٥]، تقريب التهذيب [١/ ٨٢]، الكاشف [١/ ١٣٧]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٠٨]، ميزان الاعتدال [١/ ٢٧٣]، لسان الميزان [١/ ٤٦٤]، تجريد أسماء الصحابة [١/ ٢٥]، أسد الغابة [١/ ١٩٩، ١٣٢]، الإصابة [١/ ٩٧]، الوافي بالوفيات [٩/ ١٩٤]، الثقات [٣/ ١٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٢] باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وابن ماجه [٧٨، ١٠٨١], وأحمد بن حنبل في مسنده [٤/ ٢١١، ٢٦٠], وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/ ٢٢٩], والشجري في أماليه [٢/ ٢٩٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٠٩] كتاب الدعوات، [٤] باب التوبة، ومسلم في صحيحه [٨ ـ (٢٧٤٧)] كتاب التوبة، [١] باب الحض علىٰ التوبة والفرح بها، وأحمد في مسنده [٢/ ٥٠٠، ٣/ ٨٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٠٤، ١٠٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٥٨].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٧٤٧)] كتاب التوبة، [١] باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها. قال النووي: للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل. النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية.

أفرح إلىٰ الرب من جميع المفرحات، وإن تعاظم حتىٰ أدهش الألباب، وطيَّش الأحلام .

رابعها : حديث أبي موسى: « إن الله تعالىٰ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتىٰ تطلع الشمس من مغربها »[1] أخرجه مسلم أيضاً .

خامسها : حديث أبي هريرة: « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2] أخرجه مسلم أيضاً .

سادسها : حديث ابن عمر: « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[3] رواه الترمذي وحسنه.

سابعها : حديث زر بن حبيش[4]، عن صفوان: « المرء مع من أحب يوم القيامة، وإن باب التوبة مفتوح لا يغلق حتىٰ تطلع الشمس منه، والباب يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاما » رواه الترمذي[5] وقال حسن صحيح .

ثامنها : حديث أبي سعيد الخدري: « كان في من كان قبلكم رجل قتل تسعة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ ـ (٢٧٥٩)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٣٦، ١٠/ ١٨٨] ، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٢٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣ ـ (٢٧٠٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٢] باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٥، ٣٩٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٣١] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٥٣٧]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٣٢، ٣/ ٤٢٥]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٥٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٩٣]، والشجري في أماليه [١/ ١٩٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٤٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٤٩ ـ الموارد]، والقضاعي في مسند الشهاب [١٠٨٥] .

(٤) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال، أبو مريم الأسدي الكوفي الغاضري، ثقه جليل، أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة [٨١ أو ٨٢ أو ٨٣] . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٣٢١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٥٩]، الكاشف [١/ ٣٢١]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٤٤٧]، الجرح والتعديل [٣/ ٢٨١٧]، والوافي بالوفيات [١٤/ ١٩٠] . البداية والنهاية [٩/ ٦٦]، الإصابة [١/ ٥٧٧]، سير الأعلام [٤/ ١٦٦]، الثقات [٤/ ٢٦٩] .

(٥) أخرجه الترمذي [٣٥٣٥] كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله لعباده .

وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علىٰ راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة ؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علىٰ رجل، فقال إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة[١] انطلق إلىٰ أرض كذا وكذا، فإن بها ناساً يعبدون الله ـ تعالىٰ ـ فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلىٰ أرضك فإنها أرض سوء .

فانطلق حتىٰ إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلا بقلبه إلىٰ الله تعالىٰ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط .

فأتاهم ملك في صورة آدمي فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أدنى، فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلىٰ الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة »[٢] أخرجاه .

وفي رواية في الصحيحين: «فكان إلىٰ القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها».

وفي أخرى فيه: « فأوحى الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي أقرب».

وفي أخرى: « فنأى بصدره نحوها » .

وهو دال علىٰ العناية بالتائب حتىٰ تخرق العادة بالتقريب .

تاسعها: حديث كعب[٣] في الثلاثة المتخلفين، ونزلت فيهم الآية[٤] أخرجاه مطولا.

---

(١) قال النووي: مذهب أهل العلم وإجماعهم علىٰ صحة توبة القاتل عمداً، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس، وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا، فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة لا أنه يعتقد بطلان توبته، وهذا الحديث ظاهر فيه، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا، وفي الاحتجاج به خلاف، فليس موضع الخلاف، وإنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره، فإن ورد كان شرعاً لنا بلا شك . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٦٩] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٧٠] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] باب منه، ومسلم في صحيحه [٤٦ - (٢٧٦٦)] كتاب التوبة، [٨] باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.
وأحمد في مسنده [٣/ ٧٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ١٠٢] .

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله، أبو عبد الرحمن، أبو محمد الأنصاري السلمي المدني الشاعر الخزرجي، صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وتوفي في خلافة علي. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٤٤٠]، تقريب التهذيب [٢/ ١٣٥]، الكاشف [٣/ ٩]، تاريخ البخاري الكبير [٧/ ٢١٩]، الثقات [٣/ ٣٥٠]، أسد الغابة [٤/ ٤٨٧]، الإصابة [٤/ ٦١٠]، سير الأعلام [٢/ ٥٢٣] .

(٤) أخرجه البخاري [٤٦٧٧] كتاب تفسير القرآن سورة براءة، [١١٨] باب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ =

وهو دال علىٰ أن الصادق في الإيمان يحرص علىٰ التوبة، ولو يجد فيها أشد الشدائد، وأن ضيق النفس والأرض بما رحبت مفتاح التوبة والفرج.

عاشرها: حديث عمران بن حصين في قصة الزانية المرجومة: «لقد تابت توبة لو قسمت علىٰ أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جاءت بنفسها لله»[(١)] أخرجه مسلم.

حادي عشر: حديث ابن عباس: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب»[(٢)] أخرجاه.

الثاني عشر: حديث أبي هريرة: «يضحك الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله علىٰ القاتل فيسلم فيستشهد»[(٣)] أخرجاه أيضاً.

= ﴿إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨] الآية، ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة، [٩] باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (١٦٩٦)] كتاب الحدود، [٥] باب من اعترف علىٰ نفسه بالزنى، وأبو داود في الحدود باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة، والترمذي [١٤٣٥] كتاب الحدود، باب تربص الرجم بالحبلى حتىٰ تضع، والنسائي في الجنائز [٤/ ٦٣ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٤٠]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٩٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٠٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٨/ ٥٨١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٣٦ - ٦٤٣٧] كتاب الرقاق، [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، ومسلم في صحيحه [١١٨ ـ (١٠٤٩)] كتاب الزكاة، [٣٩] باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، كلاهما عن ابن عباس، والترمذي [٣٧٩٣] كتاب المناقب، عن أبي بن كعب، وابن ماجه [٤٢٣٥]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٧٠، ٣/ ٧٦، ١٩٢، ٢٣٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٢٩٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٤٤]، وابن عبد البر في التمهيد [٤/ ٢٧٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٧٨].

(٣) أخرجه البخاري [٢٨٢٦] كتاب الجهاد والسير، [٢٨] باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ومسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (١٨٩٠)] كتاب الإمارة، [٣٥] باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، والنسائي [٦/ ١٣٩ - المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٦٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٦]، وقال النووي: قال القاضي: الضحك هنا استعارة في حق الله ـ تعالىٰ ـ لأنه لا يجوز عليه ـ سبحانه ـ الضحك المعروف في حقنا ؛ لأنه إنما يصح من الأجسام وممن يجوز عليه تغير الحالات، والله ـ تعالىٰ ـ منزه عن ذلك، وإنما المراد به الرضا بفعلهما، والثواب عليه وحمد فعلهما، ومحبته وتلقي رسل الله لهما بذلك، لأن الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقته ما يرضاه، وسروره وبره لمن يلقاه، قال: ويحتمل أن يكون المراد هنا ضحك ملائكة الله ـ تعالىٰ ـ الذين يوجههم لقبض روحه =

وهو دال علىٰ أن الرب ـ تعالىٰ ـ يقبل التوبة ولو كانت السيئة الكفر، وقتل النفس الصالحة، ويضحك لها، وهو توكيد لعموم من تاب الله عليه .

لا عذر لي قد أتى الشيب فليت شعري بني أتوب
ومن رأى هول قبر ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا أتاني رسول ربي بما أجيب
هل أنا عند الجواب مني أُخطئ في القول أم أُصيب
أم أنا يوم الحساب ناج أم لي في ناره نصيب
يا رب جد لي علىٰ رجائي بمثله منك لا أجيب

وأما الحكايات فست:

الأولى: عن بعضهم أنه قال في آخر مجلس: اللهم اغفر لفتاناً قلبا، وأجمدنا عينا، وأقربنا بالمعصية عهداً، فقام رجل (مونث)[1] فقال: ها أنا ذا أعده عليَّ، فادع الله كي يتوب عليَّ، فرأيت في الليلة الثانية، كأني واقف بين يدي الرب ـ جل جلاله ـ، وهو يقول لي: سرني حين أوقعت الصلح بيني وبين عبدي، وقد غفرت لك وله ولأهل المجلس أجمعين من أخطأ ومن ندما .

يا رب قد تبت فاغفر زلتي كرماً وارحم بعفوك يا خير من رحما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمري فخذ بيدي يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
واصفح بفضلك عمن جاء معتذراً واغفر ذنوب مسيء طالما اجترما
إبليس قد غواني ومسني منهما الذنوب
إذا انقضى للشقاء ذنب تجدد من بعده ذنوب

الثانية: عن ذي النون[2] قال: بينما أنا أمشي علىٰ شاطئ النيل إذ رأيت عقرباً

= وإدخاله الجنة، كما يقال: قتل السلطان فلاناً أي أمر بقتله . النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٢] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) كذا بالأصل .

(٢) ذو النون المصري الزاهد اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال أبو الفيض بن أحمد، ويقال ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، روى عن الإمام مالك والليث بن سعد وابن لهيعة، وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وسلم الخواص وجماعة، وعنه أحمد بن صبيح وربيعة بن محمد الطائي ورضوان بن محيميد ومقدام بن داود والجنيد بن محمد وغيرهم وغيرهم. انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ ٢٥٠] .

تدب، فأخذت حجراً فأردت قتلها، فهربت مسرعة، فوقفت علىٰ شاطئ النيل، فوثبت العقرب عليها، فغدت بها إلىٰ ذلك فتبعتها، ونزلت عن ظهرها وإذا بنائم سكران أقبل عليه ثعبان ليلدغه، فلدغتها العقرب فتقطع الثعبان قطعاً، فأيقظت الرجل فقام فزعاً، فلما رأى الثعبان ولى هارباً .

فقلت له: لا تخف كفيت أمره، وقصصت عليه القصة، فأطرق برأسه ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: يا رب هكذا تفعل بمن عصاك، فكيف تفعل بمن أطاعك، وعزتك وجلالك لا أعصيك بعدها أبداً، ثم ولى باكياً وهو يقول :

يا راقداً والجليل يحرسه ... من كل سوء يدن في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيك منه فوائد النعم
سبحان من خلق الأشياء وقدرها ... ومن يجود علىٰ العاصي ويستره
يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمد العبد إحسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله ... إذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به في دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزاً وينصره
ولا يضيع مثقالاً لمجتهد ... في ماله بل يربيه ويؤخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنساً ... فبالمدافع والتقوى يطهره
وليس للعبد تصريف وأن له ... مولى يغنيه أو إن شاء يفقره
فلا الحذار ينجي العبد من قدر ... يريده الله أو أمر يدبره
ونسأل الله حقاً حسن خاتمة ... عند الممات وصفواً لا يكدره

الثالثة: حكي أن إبراهيم بن أدهم[(١)] مر بسكران مطروح علىٰ قارعة الطريق، وقد طفح سكره من فمه، فنظر إليه إبراهيم وقال: أي لسان أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله به، فدنا منه وغسل فمه فلما أفاق أخبر بفعل إبراهيم فخجل، فتاب فحسنت توبته، فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له: طهرت لأجلنا فمه، فطهرنا لأجلك قلبه .

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، يروي عن أبيه ومنصور ومحمد زياد الجمحي وأبي إسحاق وأبي جعفر الباقر ومالك بن دينار والأعمش وجماعة، وعنه الثوري وشقيق البلخي وأبو إسحاق الفزاري وبقية وضمرة بن ربيعة ومحمد بن حمير وخلف بن تميم . انظر تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠] .

الرابعة: حكي أن بشراً كان في زمن لهوه في دار، وعنده ندماء يطيبون، فاجتاز منهم رجل صالح فدق الباب، فخرجت إليه جارية، فقال لها: صاحب هذه الدار حر أم عبد ؟ قالت: بل حر قال: صدقت ؛ لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والطرب، فسمع بشر[(١)] محاورته لها، فسارع إلىٰ الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل، فقال لها: ويحك من كلمك، فأخبرته بما قال، فتبعه بشر حتىٰ لحقه، وقال له: يا سيدي أعد عليَّ كلامك، فأعاده، فمرغ بشر خده في الأرض، وقال: بل عبد، عبد، عبد، ثم هام علىٰ وجهه حافياً حاسراً حتىٰ عُرف بالحافي، فقيل له: لم لا تلبس نعلين ؟ فقال: لأني ما صالحت مولاي إلا وأنا حاف، فلا أزال عليها حتىٰ أموت، وحكي عنه أنه سئل عن بدء أمره، وشهرة اسمه بين الناس فقال: هذا من فضل الله، كنت رجلاً عياراً صاحب عصبية، فوجدت قرطاساً في الطريق فرفعته، فإذا فيه البسملة، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان لا أملك غيرهما، فشريت بهما غالية، وطيبت بها القرطاس، فرأيت في المنام تلك الليلة كأن قائلاً يقول: يا بشر لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة:[(٢)]

تتوب من الذنوب إذا مرضت ... وترجع للذنوب إذا برئتا

إذا ما الضر مسك أنت باك ... وأخبث ما تكون إذا قويتا

فكم من كربة نجاك منها ... وكم كشفت البلاء إذا بليتا

---

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، أبو نصر المروزي المعروف بالحافي الزاهد البغدادي، ثقة قدوة، أخرج له أبو داود في مسائله، والنسائي في مسند علي، توفي سنة [٢٢٧]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ٤٤٤]، تقريب التهذيب [١/ ٩٨]، تاريخ البخاري الكبير [٢/ ٨٥]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٥٦]، ميزان الاعتدال [١/ ٣٢٨]، العبر [١/ ٣٩٩]، الذيل علىٰ الكاشف [١٢٥]، طبقات الصوفية[٣٩]، مجمع الزوائد [٧/ ٥]، الحلية [٨/ ٣٣٦]، طبقات ابن سعد [١/ ٢٩٥]، سير الأعلام [١٠/ ٤٦٩]، وفيات الأعيان [١/ ٢٧٤] .

(٢) قريباً من ذلك ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام: كان بشر بن الحارث شاطراً يجرح بالحديد، وكان سبب توبته أنه وجد قرطاساً في أتون حمام فيه " بسم الله الرحمن الرحيم " فعظم ذلك عليه، ورفع طرفه إلىٰ السماء وقال: سيدي اسمك هنا ملقى، فرفعه، وقلع عنه السحاة التي هو فيها، وأعطى عطاراً درهماً فاشترى له غالية لم يكن مع سواه، ولطخ بها تلك السحاة وأدخله شق حائط وانصرف إلىٰ زجاج كان يجالسه، فقال له الزجاج: والله يا أخي لقد رأيت لك في هذه الليلة رؤيا ما أقولها حتىٰ تحدثني ما فعلت بينك وبين الله، فذكر له شأن الورقة، فقال: رأيت كأن قائلاً يقول لي في المنام: قل لبشر: ترفع لنا اسماً من الأرض إجلالاً أن يداس، لننوهن باسمك في الدنيا والآخرة .
تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ - ٢٣٠] .

وكم غطاك في ذنب وعنه مدى الأيام جهراً قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتي المنايا وأنت علىٰ الخطايا قد ذهبتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا عليك ولا ارعويت ولا خشئتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك إلى قبر إليه قد نعيتا

الخامسة: حكي عن بعضهم أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: أعطاني كتابي بيميني، فمررت بزلة فاستحييت أن أذكرها، فقلت: إلهي لا تفضحني، فقال: حين عملتها ولم تستحي مني لم أفضحك، أفأفضحك وأنت تستحي مني، قد غفرت لك زلتك، وأدخلتك الجنة برحمتي وكرمي .

فسبحان من أبدى جميل جماله على عبده لطفاً وجود جواد
وأخفى المساوئ والعيوب تكرماً وحلما تعالىٰ ساتر العباد

السادسة: مر عليّ رضي الله عنه ببعض شوارع البصرة، فإذا هو بحلقة كبيرة، والناس حولها يمدون الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق، فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم، وإذا فيهم شاب حسن الشباب نقي الثياب، عليه هيئة الوقار، وسكينة الأخيار، وهو جالس علىٰ كرسي، والناس يأتونه بقوارير من الماء، وهو ينظرها ويصف لهم ما يوافق من أنواع الدواء، فتقدم إليه وقال: السلام عليك أيها الطبيب[1] ورحمة الله وبركاته، هل عندك شيء من أدوية الذنوب، فقد أعيا الناس دواءها فأطرق برأسه ولم يتكلم، فناداه ثانية وثالثة كذلك، فرفع الطبيب رأسه بعد ما رد السلام وقال: أوتعرف أدوية الذنوب، بارك الله فيك ؟ قال: صف وبالله التوفيق، قال: تعمد إلىٰ بستان الإيمان، فتأخذ منه عروق النية، وحب الندامة، وورق التدبير، وبذر الورع، وثمر العفة، وأغصان اليقين، ولب الإخلاص، وقشور الاجتهاد، وعروق التوكل، وأكمام الاعتبار، وسيسبان الإنابة، وترياق التواضع، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر، وفهم واقد، بأنامل التصريف، وكف التوفيق، ثم تضعها في طبق التحقيق، ثم تغسلها بماء الدموع، ثم تصفيها في قدر الرجاء، ثم توقد عليها

---

(١) في مرض ابن مسعود الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب ؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء ؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى علىٰ بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي بقرآن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » . تفسير ابن كثير [٤/ ٢٨١] .

بنار الشوق حتىٰ ترعى زبد الحكمة، ثم تفرغها في صحاف الرضا، ثم تروح عليها بمرواح الاستغفار[١]، ينعقد لك من ذلك شربة جدة، ثم تشربها في مكان لا يراك فيه أحد إلا مولاك، فإن ذلك يزيل عنك الذنوب، فلا يبقى عليك ذنب، ثم أنشأ يقول:

يا طالب الحوراء في حسنها ... شمر فتقوى الله من مهرها
وكن مجداً وانيا ... وجاهد النفس علىٰ صبرها

ثم شهق شهقة فارق الدنيا، فقال عليّ: والله إنك لطبيب الدنيا والآخرة. قال ذو النون: إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندما وحزنا، فجنوا من غير جنون، وإنهم لهم العارفون[٢] بالله ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفا، فوزنوا الصبر علىٰ طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت، وجالت فكرتهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم، فقرأوا صحيفة الخطايا، فأورثوا أنفسهم الجزع حتىٰ وصلوا إلىٰ علو الزهد بسلم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلانوا خشونة المضجع حتىٰ ظفروا بجبل النجاة، وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتىٰ أناخوا في رياض النعيم، وخاضوا في بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتىٰ نزلوا بفناء العلم، واستقوا من غدير الحكمة، وركبوا في سفينة العصمة، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتىٰ وصلوا إلىٰ رياض الرَّاحة، ومعدن العز والكرامة.

ركب المحب إلىٰ الحبيب سفينة ... تجري من الخطرات في أمواج
في (سرسر)[٣] الشر سرا أقلعت ... في لج بحر زاخر عجَّاج
يا حسنها تجري به متفردا ... بعلومه في جنح ليل داج
فالقلب مشكاة وفيه زجاجة ... قد علقت بسلاسل المنهاج

---

(١) روى أبو داود في سننه [١٥١٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

(٢) لما سأل المتوكل ذا النون فقال: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله. قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع علىٰ مفارقهم تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم علىٰ كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى... إلىٰ آخر كلامه. تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠].

(٣) كذا بالأصل.

متوقد بالنور من زيتونة تسقي سراجاً فاق كل سراج

غيرهُ:

واخجلة العبد من إحسان سيده يا حيرة القلب من ألطاف(١) معناه
واحسرة الطرف(٢) لم ينظر لجانبه من المعاصي ولا يرضى بها الله
وكم أسأت وبالإحسان عاملني وأخجلني وأحناي حين ألقاه
وكم له من أياد غير واحدة وافت إليّ لعلمي أنه الله
بلطفه وبفضل منه عرفتني في حبه كيف أرجوه وأخشاه
يا نفس كم بخفي اللطف عاملني وقد رآني علىٰ ما ليس يرضاه
يا نفس توبي من العصيان وانزجري(٣) فقد كفى ما جرى لي حسبي الله

غيره:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترى للمنايا(٤) كيف تلقطنا لقطا وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه نفسي مصرعة آثار موتانا
يا نفس ما لي والأموال أتركها خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
كم قد رأينا أناسا صالحين مضوا موتى وقد سلبوا دينا وإيمانا
فاستبدلوا الكفر بالإيمان(٥) وانقلبوا بسوء خاتمة في الموت إعلانا

---

(١) اللطف: الهدية، جمعها ألطاف.

(٢) طرف البصر طرفاً، تحرك جفناه وعينيه وبهما: حرك جفنيه.

(٣) زجر: الكلب وغيره وزجر به زجراً، كفه، وفلاناً عَن كذا: منعه ونهاه وانتهره.

(٤) المنية: الموت، جمعها منايا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١١ ـ (٢٦٥١)] كتاب القدر، [١] باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة»، وقال النووي: إن هذا قد يقع في نادر الناس لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله ـ تعالىٰ ـ وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلىٰ الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلىٰ الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالىٰ: (إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي). النووي في شرح مسلم [١٦/١٥٨] طبعة دار الكتب العلمية.

أبعد خمسين قد قضيتها لعباً قد آن تقصيرها قد آن قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
اخلوا منازل كان العز مفرشها واستفرشوا حفراً غرّاً وقيعانا
يا راكضا في ميادين الهوى مرحاً ورافلا[1] في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

(١) رفل رفلاً ورفولاً: جرَّ ذيله وتبختر في سيره فهو رافل وهي رافلة.

مجلس في الصدق وهو حصول الحقيقة على التمام والكمال

والفرق بينه وبين الإخلاص لائح للرجال، فكم من (مصفى)[1] لا قوة فيه، وهو عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة، في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾[2] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[5].

وقال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾[6].

وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[7].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[8].

وقال: ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[9].

وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[10].

وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[11].

وقال: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[12].

وقال: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾[13].

وقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[14].

وقال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[15].

---

(١) كذا بالأصل.
(٢) سورة النساء [٦٩].
(٣) سورة التوبة [١١٩].
(٤) سورة الأحزاب [٣٥].
(٥) سورة محمد [٢١].
(٦) سورة المائدة [١١٩].
(٧) سورة الشعراء [٨٤].
(٨) سورة مريم [٥٤].
(٩) سورة الأحزاب [٨].
(١٠) سورة الزمر [٣٣].
(١١) سورة الأحزاب [٢٣].
(١٢) سورة الأحزاب [٢٤].
(١٣) سورة آل عمران [١٧].
(١٤) سورة الحجرات [١٥].
(١٥) سورة العنكبوت [٣].

وأما الأحاديث الواردة في الباب فنذكر منها ستة:

أولها: حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً»(١) متفق عليه .

ثانيها: حديث الحسن بن علي مرفوعاً: « دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة »(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

ومعناه اترك ما تشك في حله إلىٰ ما لا تشك .

ثالثها: حديث أبي سفيان صخر(٣) في حديثه الطويل في قصة هرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم ؟ ـ ويعني رسول الله ﷺ - قال: يقول اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.(٤) متفق عليه، فجعله ربع الدين وبه قوام الباقي .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٩٤] كتاب الأدب، [٦٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب، ومسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة والأداب، [٢٩] باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٤، ٤٣٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٩٦، ٢٤٣] والدارمي في سننه [٢/ ٢٩٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٢٧]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٩٠]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٥١٩، ١٠/ ٦٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٣٧٨].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٥١٨]، والنسائي في الأشربة باب [٤٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٣٥]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٣، ٤/ ٩٩]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٢٣٨]، وابن حبان في صحيحه [٥١٢ ـ الموارد]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٠٢]، والطبراني في الكبير [٣/ ٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٥٨، ٣/ ١٨٨, ٥٨٩]، والزيلعي في نصب الراية [٢/ ٤٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٣٥٢، ٨/ ٢٦٤]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١٥٧، ١٥٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٤٨٩] .

(٣) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان أبو حنظلة الأموي الصحابي الشهير القرشي، صحابي شهير، أسلم عام الفتح، وتوفي سنة [٣١ أو ٣٢ أو ٣٤]، وأخرج له: الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي . ترجمته: التهذيب [٤/ ٤١٠]، التقريب [١/ ٣٦٥]، الكاشف [٢/ ٢٦]، التاريخ الكبير للبخاري [٤/ ٣١٢]، الجرح والتعديل [٤/ ١٨٨٠]، ميزان الاعتدال [٢/ ٣٠٨]، سير الأعلام [٧/ ٤١٠], والوافي بالوفيات [١٦/ ٢٨٨], الثقات [٦/ ٤٧٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧] كتاب بدء الوحي، ومسلم في صحيحه [٧٤ ـ (١٧٧٣)] كتاب الجهاد والسير [٢٦] باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام .

رابعها: حديث سهل بن حنيف مرفوعاً: « من سأل الله ـ تعالىٰ ـ الشهادة بصدق بلغه الله ـ تعالىٰ ـ منازل الشهداء، وإن مات علىٰ فراشه »[(١)] رواه مسلم.

خامسها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولمَّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها لنا، فحبست حتىٰ فتح الله عليه[(٢)] فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس البقرة من ذهب، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها[(٣)] فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم ؛ رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا »[(٤)] متفق عليه، وهو ظاهر في أن الغازي بصدق يفتح الله علىٰ يديه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (١٩٠٩)] كتاب الإمارة، [٤٦] باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالىٰ، والترمذي [١٦٥٣] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، والنسائي [٦/ ٣٧ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٢٧٩٧] ، وأبو داود في الدعاء ، باب [٤] ، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٧٥] .

(٢) قال القاضي: اختلف في حبس الشمس المذكور هنا، فقيل: ردت علىٰ أدراجها، وقيل: وقفت ولم تدر، وقيل أبطئ بحركتها، وكل ذلك من معجزات النبوة، قال: ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون، قال القاضي: وقد روي أن نبينا ﷺ حبست له الشمس مرتين: إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر ثم غربت فردها الله عليه حتىٰ صلى العصر، ذكر ذلك الطحاوي وقال: رواته ثقة. والثانية: صبيحة الإسراء حين انتظر العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس، ذكره يونس بن بكير في زيادته علىٰ سيرة ابن إسحاق . النووي في شرح مسلم [١٢/ ٤٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) هذه كانت عادة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في الغنائم أن يجمعوها فتجئ نار من السماء فتأكلها، فيكون ذلك علامة لقبولها وعدم الغلول، فلما جاءت هذه المرة فأبت أن تأكلها علم أن فيهم غلولاً، فلما ردوه جاءت فأكلتها، وكذلك كان أمر قربانهم إذا تقبل جاءت نار من السماء فأكلته . شرح مسلم للنووي [١٢/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣١٢٤] كتاب فرض الخمس، [٨] باب قول النبي ﷺ: « أحلت لكم الغنائم » وقال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ [الفَتْح: ٢٠] ، ومسلم [٣٢ ـ (١٧٤٧)] كتاب الجهاد والسير، [١١] باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٩٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٤٩٢] .

ولذلك لم يستفد من له (لفتة يشعث)[1] صدقه كذبه، وأن الداعي بصدق يحبس الله له الشمس، فالعمل الصادق هو النافع، وما سواه باطل غير نافع .

سادسها : حديث حكيم بن حزام مرفوعاً: « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما »[2] متفق عليه أيضاً .

(١) كذا بالأصل .

(٢) أخرجه البخاري [٢١١٠] كتاب البيوع، [٤٤] باب البيعان بالخيار ما لم يفترقا، وهو بألفاظ أخرى في أرقام [٢١٠٧، ٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٦]، ومسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٥٣٢)] كتاب البيوع، [١١] باب الصدقة في البيع والبيان، والترمذي في سننه [١٢٤٦] كتاب البيوع، باب ما جاء في البيعين بالخيار ما لم يتفرقا، وأبو داود في سننه [٣٤٥٧، ٣٤٥٩] ، وابن ماجه [٢١٨٢ - ٢١٨٣]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ٩، ٧٣ ، ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣] ، والدارمي في سننه [٢/ ٢٥٠]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٦٩، ٢٧٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٧/ ١٢٤، ١٢٥] .

مجلس في العلم

قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

وكفى به شرفاً أن يكرم الجليل تعالىٰ أكرم خلقه وأحبهم إليه وأقربهم لديه، أن يطلب الاستزادة منه، قال الأئمة: لم يأمر الله نبيه أن يطلب المزيد في شيء إلا فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4] والآيات فيه كثيرة.

وروينا في الصحيحين من حديث معاوية مرفوعاً: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[5] والفقه فهم ما يدق ويغمض ويخفيه الإنسان حتىٰ يفقه عنه، وتفتح به الأذهان، وقد قال تعالىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وقال: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

فالفقه في الدين[6] فهم وحكم كل شيء منه مع لطائفه وأسراره وحكمته وغايته وشروطه وأركانه وسننه وآدابه ومكملاته وسوابقه ولواحقه، وكل مفسد له، ومحبط

---

(١) سورة طه [١١٤].

(٢) سورة الزمر [٩].
أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ـ ويقصد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٨].

(٣) سورة المجادلة [١١]. (٤) سورة فاطر [٢٨].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١] كتاب العلم، [١٤] باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ومسلم [١٧٥٠] كتاب الإمارة، [٥٣] باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم »، والترمذي [٢٦٤٥] كتاب العلم، [١] باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين.

(٦) قال أبو المظفر الوزير: معنى فقه الرجل غاص علىٰ استخراج معنى القول؛ من قولهم: فقأت عينه إذا أنخستها فجعلت باطنها ظاهرها، فمعنى الفقه علىٰ هذا التأويل هو استخراج الغوامض والاطلاع علىٰ أسرار الكلام. انظر اختلاف الأئمة العلماء [١/١٩] من تحقيقنا، طبعة دار الكتب العلمية.

لأجله من موانع قبوله وغير ذلك من أسبابه وأهله ومحله كما يعرفه أهله، وافهم قوله: « من يرد الله به خيراً يفقهه » ضد عكسه، وأنه لا يراد به خير، وكفى به حسرة وشقاء.

وروينا من حديث ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها »[1] أخرجاه.

والمراد بالحسد الغبطة[2]، وهو أن يتمنى مثله، والمراد بالحكمة هنا الفقه في الدين كما فسرها به، والقضاء والتعليم هو فائدة الحكمة واليقين والفقه في الدين.

وروينا فيها من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء[3] وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس ؛ فشربوا منا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فلعم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به»[4].

قلت: فالأول: العالم علم الدراية.

والثاني: رواية كالأجداب.

والثالث: من لا علم له.

---

(١) أخرجه البخاري [٧٣] كتاب العلم، [١٦] باب الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم في صحيحه [٢٦٨ ـ (٨١٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، والترمذي [١٩٣٦]، وابن ماجه [٤٢٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٨٠]، وابن عبد البر في التمهيد [٦/ ١٢٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٦٣]، والحميدي في مسنده [٧/ ٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١/ ١١٦، ٩/ ٦٦٥].

(٢) قوله ﷺ «لا حسد إلا في اثنتين . . . » قال العلماء: الحسد قسمان ؛ حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي علىٰ غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما. النووي في شرح مسلم [٦/ ٨٤، ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) في البخاري: فكان منها نقية قبلت الماء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٩] كتاب العلم، [٢١] باب فضل من علم وعلّم، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٥٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٠]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ١٢].

وروينا من حديث سهل بن ساعد الساعدي، أن النبي ﷺ قال لعلي: « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »(١) أخرجاه .

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٢) أخرجه البخاري .

وهو إذن كريم لمن علم شيئاً، وإن قلّ أن يبلغه، ففيه بشرى كونه وارث النبي ﷺ وقائماً مقامه في بعض التبليغات .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلىٰ الجنة »(٣) أخرجه مسلم .

ويحتمل أن يكون المراد الطريق الحسية والمعنوية، وهو الطرق الموصلة من تكرير وحفظ، ومطالعة ومراجعة، ومذاكرة ومدارسة، ونحو ذلك .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعاً: « من دعا إلىٰ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »(٤) أخرجه مسلم . وفيه بشرى بالنجاة

---

(١) أخرجه البخاري [٣٧٠١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٩] باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم [٣٤ ـ (٢٤٠٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال النووي: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرّة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلىٰ الهدى وسن السنن الحسنة . انظر النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦١] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٢] باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي في سننه [٢٦٦٩] كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، والدارمي في سننه [١/ ١٣٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٥٩]، والقضاعي في مسند الشهاب [٦٦٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [١٣/ ١٥٧]، والشجري في أماليه [١/ ١٠، ٦٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٠١٥٧] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٦٩٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، والترمذي [٢٦٤٦، ٢٦٨٢، ٢٩٤٥]، وأبو داود [٣٦٤١]، وابن ماجه [٢٢٣، ٢٢٥] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٧٤)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأبو داود في السنة، باب [٦]، والترمذي في سننه [٢٦٧٤]، وابن ماجه في سننه [٢٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٧]، والدارمي في سننه [١/ ١٣١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٢٠] .

لمن هذا حاله .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعاً : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[١] أخرجه مسلم ، والعلم المنتفع به يشمل المؤلفات وغيرها .

وروينا من حديثه أيضا مرفوعا : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً ومتعلما »[٢] رواه الترمذي وحسنه .

وقوله : وما والاه : أي طاعة الله ؛ إذ السلامة من اللعن ، أي الإبعاد من الرحمة خير كثير ، وهو أحد الفضلين : الغنيمة والسلامة .

وروينا من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتىٰ يرجع »[٣] رواه الترمذي وحسنه .

يعني أن رجوعه طاعة مكتوبة ، ومن كان هذا حاله فهو مرضي عنه .

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « لن يشبع مؤمن من خير حتىٰ يكون منتهاه الجنة »[٤] رواه الترمذي وحسنه .

فمن شبع فليس بمؤمن ، وناهيك به منقذاً من القناعة في العلم ، وسره . ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] .

وروينا من حديث أبي أمامة[٥] مرفوعاً : « فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٦٣١)] كتاب الوصية ، [٣] باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، والترمذي في سننه [١٣٧٦] ، والزيلعي في نصب الراية [٣/١٥٩] ، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١١٤ ، ٥/ ٢٢ ، ٩/ ٨٧] ، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩ ، ١١٠] ، ابن حجر في التلخيص [٣/ ٦٨] .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٢] كتاب الزهد ، باب [١٤] منه ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ـ عز وجل ، وابن ماجه [٤١١٢] في الزهد ، باب مثل الدنيا ، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٨] ، والشجري في أماليه [٢/ ١٦١] ، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٨٠] ، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٢٥٦] .

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٤٧] كتاب العلم ، باب فضل طلب العلم ، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٠٥] ، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٣٦] ، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٠] .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٨٦] كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة ، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٠] ، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٩٥ ، ٣٩٨] .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٨٥] كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة ، والشجري في أماليه [١/ ٥٤] ، والسيوطي في الدر المنثور [٥/ ٢٥١] ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ١١] ، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٢٧٨] .

أدناكم » ثم قال الرسول ﷺ: « إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتىٰ النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون علىٰ معلمي الناس الخير » رواه الترمذي وحسنه .

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعاً[(١)]: « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العام ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان .

والجليل وملائكته يعظم طالب العلم، فكيف العالم، ونور العلم يزيد علىٰ نور العبادة، كما مثله بالقمر بالنسبة إلىٰ باقي الكواكب .

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعاً[(٢)]: « نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فرب مبلِّغ أوعى من سامع » . رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

فنضرة النعيم فضل عميم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار »[(٣)] رواه الترمذي وحسنه . فليحذر العالم من ذلك، والمراد ما يجب بذله .

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣٦٤١] كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، والترمذي [٢٦٨٢] كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، وابن ماجه في سننه [٢٢٣، ٢٢٥] في المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، وابن حبان في صحيحه [٨٠ ـ الموارد] .

(٢) أخرجه الترمذي [٢٦٥٧] كتاب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، وابن ماجه [٢٣٢، ٢٤٢] في المقدمة، باب من بلغ علماً، وأحمد في مسنده [١/ ٤٣٧، ٥/ ٨٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٥/ ١٥٨]، وبلفظ آخر أخرجه أبو داود [٣٦٦٠] في العلم، باب فضل نشر العلم .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٤٩] كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، وابن ماجه [٢٦٤] في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٣، ٣٠٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٤٠١، ١٠/ ١٢٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٦٣]، وهو في أبي داود في العلم، باب كراهية منع العلم .

(٤) سورة الضحى [١٠] .

قال بعضهم: من نهر السائل رده بلا جواب .

وروينا عنه مرفوعاً: « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة - يعني ريحها »[١] رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وهو أبلغ زجر وردع عن نية غير صالحة .

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعاً: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[٢] أخرجاه .

وهو محذر من الرياسة والإفتاء بغير علم، وفيه غير ذلك من الأحاديث، وقد أفردت بالتأليف، وهذا القدر كاف منها .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم، باب [١٢]، وابن ماجه في سننه [٢٥٢]، وأحمد في مسنده [٢/٣٣٨]، والحاكم في المستدرك [١/ ٨٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١١٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٥٤٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٧]، وابن حبان في مصنفه [٨٩ - الموارد]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١٨١] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٠٠] كتاب العلم [٣٥] باب كيف يقبض العلم، ومسلم في صحيحه [١٣ - (٢٦٧٣)] كتاب العلم، [٥] باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، والترمذي في سننه [٢٦٥٢]، وابن ماجه [٩]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٢، ١٩٠]. والدارمي في سننه [١/ ٧٧]، والحميدي في مسنده [٥٨١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٢٠١]، وابن حجر في التلخيص [٤/ ١٨٥]، وأبو نعيم في الحلية [٢/ ١٨١] .

مجلس في الصبر

وهو مسك النفس وحبسها عما يكره الرب ـ تعالىٰ ـ وتنشأ من تعظيم أمره، وإيثار رضوانه، والحذر من مقته . ويترتب عليه الثبات - إن شاء الله ـ إلىٰ الممات.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[١] والصبر شامل، والمصابرة فرد من أفراده .

والعطف للعناية، لينال بها في الجهاد إلىٰ أشرف غاية .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .[٢]

وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[٣] أي المهمات منها .

وقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ .[٤]

فالالتجاء بهما عند حلول البليات يجزل الصلات .

وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥] فيعز المرء إذ ذاك أو يهان، فبالاختبار تظهر الرجال .

والآيات في الأمر بالصبر كثيرة مشهورة غزيرة، ولنذكر جملة من الأحاديث الثابتة في فوائده، ومستهلات منازله، وبيان وقته وأهله وما ينافيه، وتنوع حكمته، والزجر عن تمني موجبه، فإنما هو للضرورة في شكر العافية أغنى عنه، وصبر السَّراء أفضل من صبر الضَّراء[٦]، ويحضرنا منها تسعة وعشرون حديثاً .

---

(١) سورة آل عمران [٢٠٠] .
قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا علىٰ دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتىٰ يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم، وكذلك قال غير واحد من علماء السلف . تفسير ابن كثير [١/ ٤٤٤] .

(٢) سورة الزمر [١٠] .
قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفاً، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون علىٰ ذلك، وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠] يعني في الجنة . تفسير ابن كثير [٤/ ٤٨] .

(٣) سورة الشورى [٤٣] .

(٤) سورة البقرة [٤٥] .

(٥) سورة محمد [٣١] .

(٦) قال النووي: الصبر المحبوب في الشرع هو الصبر علىٰ طاعة الله ـ تعالىٰ ـ والصبر علىٰ معصيته =

أولها: حديث أبي مالك الحارثي الأشعري الطويل، وفيه: « والصبر ضياء »(١) أخرجه مسلم.

إذا وجد حصل الفرج والوضأة، وإثابة سبل السلامة، واندار مهاوي الردى .

ثانيها: حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »(٢) متفق عليه .

وإذا حصل الوسع، فأي ضيق أو ضيم يوجد معه ؟ !!

ثالثها: حديث أبي يحيى صهيب بن سنان مرفوعا: « عجباً لأمر المؤمن ؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له »(٣) رواه مسلم .

فكأنه يقلب ضُرَّها ونفعها، وأعظم بذلك وصفاً ووضعاً .

رابعها: حديث أنس: " لما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكرب أباه، فقال: « ليس علىٰ أبيك كرب بعد اليوم »(٤) رواه البخاري .

= والصبر أيضاً علىٰ النائبات وأنواع المكاره في الدنيا، والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً علىٰ الصواب، قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات علىٰ الكتاب والسنة، وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال الأستاذ أبو علي الدقاق - رحمه الله تعالىٰ: حقيقة الصبر أن لا يعترض علىٰ المقدور . النووي في شرح مسلم [٣/ ٨٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١ - (٢٢٣)] كتاب الطهارة، [١] باب فضل الوضوء، والترمذي [٣٥١٧] كتاب الدعوات، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب نوع آخر ذكر حديث كعب بن عجرة في المعجمات [ص٧١]، وابن ماجه [٢٨٠]، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٤٢، ٣٤٣] ، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ٤٢]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٢٢٣]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٢٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٣٦ - الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٢]، والزبيدي في الإتحاف [٢/ ٣٠٤، ٥/ ١٥] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٦٩] كتاب الزكاة، [٥٢] باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في صحيحه [١٢٤ - (١٠٥٣)] كتاب الزكاة، [٤٢] باب فضل التعفف والصبر، وأبو داود في الزكاة، باب [٢٩]، والترمذي في سننه [٢٠٢٤] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصبر، وأحمد في مسنده [٣/ ١٢، ٩٣] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ - (٢٩٩٩)] كتاب الزهد والرقائق، [١٣] باب المؤمن أمره كله خير، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٧٨]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ١٤٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٧٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤]، والدارمي في السنن [٢/ ٣١٨] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٦٢] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾، والتبريزي =

وهو دال علىٰ بدء الشدائد، وإفضال العوائد .

خامسها: حديث أسامة: " أرسلت بنت رسول الله ﷺ إن ابني قد احتضر، فأرسل إليها فلتصبر ولتحتسب[(١)] متفق عليه .

فليس للعبد سوى الصبر، لينال الرحمة والثواب في المحيا والممات .

سادسها: حديث صهيب في قصة الغلام مع الساحر والراهب .[(٢)] أخرجه مسلم بطوله.

وهو دال علىٰ أن من كان علىٰ الحق لا يضره نبال ولا منشار ولا نار بقدرة الجبار .

سابعها: حديث أنس: " مر ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، وفي لفظ علىٰ صبي لها، فقال: « اتقي الله واصبري » فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمثل مصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه رسول الله، فأتت بابه فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».[(٣)] متفق عليه .

وهو دال علىٰ بيان أهم أوقات الاعتناء به، والشارع أقرَّها علىٰ قولها: إليك عني، وما أقواه من تجني .

ثامنها: حديث أبي هريرة مرفوعا: « يقول الله ـ تعالىٰ ـ ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة »[(٤)] رواه البخاري.

= في مشكاة المصابيح [٥٩٦١] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨٤] كتاب الجنائز، [٣٢] باب قول النبي ﷺ: « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته »، ومسلم في صحيحه [١١ ـ (٩٢٣)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت، والنسائي في الجنائز باب [٢١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٠٤] ، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٦٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٦٧٠]، والبخاري في الأدب المفرد [٥١٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٢٣] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٣٠٠٥)] كتاب الزهد والرقائق، [١٧] باب قصة الأخدود والساحر والراهب والغلام، عن صهيب .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨٣] كتاب الجنائز، [٣١] باب زيارة القبور، ومسلم في صحيحه [١٥ ـ (٦٢٦)] كتاب الجنائز، [٨] باب في الصبر علىٰ المصيبة عند الصدمة الأولى، قال النووي: معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه، وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٢٤] كتاب الرقاق، [٦] باب العمل الذي يبتغي به وجه الله ـ تعالىٰ - وأحمد في مسنده [٢/ ٤١٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٣١] .

والصفي: هو الابن أو الحميم، أو الحبيب .

تاسعها: حديث عائشة مرفوعاً في الطاعون: « إنه كان عذاباً يبعثه الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في بلدة الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه ما يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد »(١) رواه البخاري .

عاشرها: حديث أنس مرفوعاً: « إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما في الجنة »(٢) يريد عينيه . رواه البخاري .

الحادي عشر: حديث ابن عباس في المرأة التي تُصرع وتنكشف، وأنها سألت الدعاء من رسول الله ﷺ فقال: « إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك » فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أنكشف، فدعا لها .(٣)

الثاني عشر: حديث ابن مسعود: «كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٤) .

الثالث عشر: حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعا: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٣٤] كتاب الطب، [٣١] باب أجر الصابر في الطاعون، وأحمد في مسنده [٦/ ٦٤] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٥٣] كتاب المرضى والطب، [٧] باب فضل من ذهب بصره، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٥]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٦١، ٩/ ٢٨] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٥٢] كتاب المرضى والطب، [٦] باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم في صحيحه[٥٤ ـ (٢٥٧٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، وأحمد في مسنده [١/ ٣٤٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ٧١، ٦/ ١٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٧٧]، والبيهقي في دلائل النبوة [٦/ ١٥٦] .

(٤) أخرجه البخاري [٤/ ٢١٤]، ومسلم [١٠٥ ـ (١٧٩٢)] في الجهاد، وأحمد في مسنده [١/ ٤٤١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ١١٧]، والمنذري في الترغيب [٣/ ٤١٩]، والقاضي عياض في الشفا [١/ ٢٢٢]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٤٦] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤١، ٥٦٤٢] كتاب المرضى والطب، [١] باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٢٥٧٣)] كتاب البر والصلة والآداب .

الرابع عشر: حديث ابن مسعود: " دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديدا، قال: « أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » قلت: ذلك أن لك أجرين ؟ قال: « أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » "[١] متفق عليهن - أعني الأربعة .

شعر:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

الخامس عشر: حديث أنس مرفوعاً: « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »[٢] متفق عليه أيضاً .

ووجه النهي أنه مناف للصبر الذي تركه محبط للأجر .

السادس عشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من يرد الله به خيراً يصب منه »[٣] رواه البخاري .

وهو من تسهيل التخلق بالصبر .

السابع عشر: حديث خباب بن الأرت[٤] مرفوعاً: « قد كان من قبلكم يؤخذ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤٨] كتاب المرضى والطب، [٣] باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول، ومسلم في صحيحه [٤٥ - (٢٥٧١)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك .

(٢) أخرجه البخاري [٦٣٥١]كتاب الدعوات، [٣٠] باب الدعاء بالموت والحياة، ومسلم في صحيحه [١٠ - (٢٦٨٠)] كتاب الذكر والدعاء، [٤] باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، وأبو داود في الجنائز باب [١٣]، والترمذي في سننه [٩٧١] كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن التمني للموت، والنسائي[٤/ ٣ - المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٤٢٦٥]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٤٤٣] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤٥] كتاب المرضى والطب، [١] باب ما جاء في كفارة المرض، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ٢٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٣٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٦/ ٢٩٦، ٩/ ١٤٢]، ومالك في الموطأ [٩٤١] .

(٤) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو عبد الله أبو يحيى التميمي الزهري الخزاعي، صحابي جليل مشهور، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٣٧] . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ١٣٣]، تقريب التهذيب [١/ ٢٢٢]، الكاشف [١/ ٢٧٧]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٢١٥]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ٧٨]، الجرح والتعديل [٣/ ١٨١٧]، أسد الغابة [٢/ ١١٤]، سير الأعلام [٢/ ٣٢٣]، الثقات [٣/ ١٠٦]، أسماء الصحابة الرواة [٨٩] .

الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه »[١] الحديث، رواه البخاري .

فالتبرم مناف للصبر، مخوف لعدم كشف الضر .

الثامن عشر: حديث ابن مسعود مرفوعا: لما قيل له، وقد قسم: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فتغير وجهه - عليه الصلاة والسلام - حين بلغه، حتىٰ كان كالصِّرف[٢]، ثم قال: « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، يرحم الله موسى ؛ لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »[٣] متفق عليه .

وهو دال علىٰ أن هذه الأمور غير منافية للصبر ولا مفوتة للأجر، والأسى يذهب الأسى، عملاً بقوله: " لقد أوذي . . . إلىٰ آخره " .

التاسع عشر: حديث أنس مرفوعاً: « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتىٰ يوافيه به يوم القيامة » .

وقال ﷺ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله - تعالىٰ - إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط »[٤] رواه الترمذي وحسنه .

فالبلاء دليل إرادة الخير، إذ عقوبة الذنب، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فمن عظم بلاؤه عظم أجره، وهو دال علىٰ محبة الله لعبده إذا عجل عقوبته في الدنيا وآجره في العقبى .

العشرون: حديثه أيضا في قصة أم سليم مع أبي طلحة في موت الولد وإخفائه حتىٰ واقعها، فبارك لهما في ليلتهما، فحصل ولد ومنه تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن .[٥] متفق عليه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٩/ ٢٦]، وأبو داود [٢٦٤٩]، والطبراني في المعجم الكبير [٤/ ٧٢].

(٢) الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٠٥] كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه [١٤٠ - (١٠٦٢)] كتاب الزكاة، [٤٦] باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام، وتصبر من قوى إيمانه، وأحمد في مسنده [١/ ٤١١]، والبيهقي في دلائل النبوة [٥/ ١٨٤] .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٩٦] كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، وابن ماجه في سننه [٤٠٣١] كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، والحاكم في المستدرك [٤/ ٦٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦٥]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨٧] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠١] كتاب الجنائز، [٤١] باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، =

فكل ما عند الشخص عارية، والحق لا يشق إلا علىٰ أحمق، والخلف عند الرب ـ تعالىٰ ـ عاجلا أعظم وأكثر مما فات، يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم .

الحادي بعد العشرين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .[(١)]

الثاني بعد العشرين: حديث سليمان بن صرد: أنه ﷺ قال للذي احمر وجهه عند السب: « إني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فتعوذ[(٢)]. متفق عليهما .

الثالث بعد العشرين: حديث معاذ بن أنس مرفوعاً: « من كظم غيظاً وهو قادر علىٰ أن ينفذه، دعاه الله ﷻ علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يخيره من الحور ما شاء»[(٣)] رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

فيا سعادة من وقع له ذلك بين الأمم، فيه يغبط ويسر، ويصرف كل ألم .

الرابع بعد العشرين: حديث أبي هريرة: " أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: « لا تغضب »، فردد عليه مراراً، قال: « لا تغضب » " .[(٤)] رواه البخاري .

= ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢١٤٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٢٠] باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري، وأحمد في مسنده [٣/ ١٩٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٦٦]، وابن حبان في صحيحه [٧٣٥ – المواد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/٥٨]، والشجري في أماليه [١/ ٣٠١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٤] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٦٠٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠] باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٦، ٢٦٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٥] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٥] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٩ ـ (٢٦١٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠] باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، كلاهما عن سليمان بن صرد، ولم يذكر البخاري ومسلم هذه الكلمة الأخيرة "فتعوذ" ولكن قال في آخره: " فقام إلىٰ الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً ؟ قال: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه ؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقال الرجل: أمجنوناً تراني ؟ " .

(٣) أخرجه أبو داود [٤٧٧٧] كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، والترمذي [٢٠٢١] كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، وابن ماجه في سننه [٤١٨٦] في الزهد، باب الحلم، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٤٩] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٦] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، والترمذي =

أي لا تعمل بمقتضاه، فيخفف مؤنة الصبر وتأباه .

الخامس بعد العشرين: حديثه أيضا مرفوعاً: « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقى الله ـ تعالىٰ ـ وما عليه خطيئة »(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .

فهو صارف لمشقته، ومنه حديث: « مثل المؤمن كخامة الزرع »(٢) وتسهيل لتناوله .

السادس بعد العشرين: حديث ابن عباس: أن عيينة بن حصن قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتىٰ هم أن يقع به، فقال له: الحرُّ يا أمير المؤمنين، إن الله ـ تعالىٰ ـ قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعـــرَاف: ١٩٩] ، وإن هـــذا مـــن الجاهلين، والله ما جاوزها عمر، "وكان وقَّافاً عند كتاب الله " . رواه البخاري(٣)

وهو من صوارف المشقات، وتسهيل المعضلات .

السابع بعد العشرين: حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إنه ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » قالوا: يا رسول الله، فماذا تأمرنا ؟ قال: « تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».(٤)

فالأثرة من مجاري الصبر، والسؤال ليحمل الصبر وتصرف المشقة .

الثامن بعد العشرين: حديث أسيد بن حضير: " أن رجلاً من الأنصار قال: يا

= في سننه [٢٠٢٠] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب .

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٩٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٩١]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٧٥، ٤٢٢] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨/ ١٦٨]، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٥٤، ٥/ ١٤٢] .

(٣) أخرجه البخاري [٤٦٤٢] كتاب تفسير القرآن، سورة الأعراف، [٦] باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] .

(٤) أخرجه البخاري [٣٦٠٣] كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه [٤٥ ـ (١٨٤٣)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخفاء الأول فالأول.
وقال النووي: هذا من معجزات النبوة وقد وقع هذا الإخبار متكرراً، ووجد مخبره متكرراً، وفيه الحث علىٰ السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه . النووي في شرح مسلم [١٢/ ١٩٥] طبعة دار الكتب العلمية .

رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟ قال: « إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض » "[١].

وهو مسهل للصبر علىٰ الأثرة، وصارف للمشقة، كما قيل :

كلما فات في الليالي المواضي فهو في ذمة الليل البواقي

التاسع بعد العشرين: حديث ابن أبي أوفى مرفوعاً: « يا أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية »[٢] الحديث، متفق عليهن ـ أعني الثلاثة .

فتمني ذلك قد يحمل علىٰ تمني البلايا والنوازل، فالصبر أجمل طريق ؛ إذ به يحصل الجزاء علىٰ التحقيق .

ونذكر من الحكايات الائقة بذلك ما حضر :

فالحكاية الأولى: ما حكي عن بعضهم أنه رأى مبتلى يقول: الحمد لله الذي أنعمت عليَّ وفضلتني علىٰ كثير من خلقك تفضيلاً[٣]، فقيل: علىٰ أي نعمة تحمده ؟ أم علىٰ أي فضل تشكره ؟ فوالله ما أرى شيئاً من البلاء إلا هو بك !! فقال: ألا ترى ما قد صنع الله بي، فوالله لو أرسل السماء علىٰ نار فأحرقتني، وأمر الجبال فدكتني، والبحار فأغرقتني، ما ازددت له إلا حمداً وشكراً؛ فإن لي إليك حاجة، كانت لي بنت تخدمني وتتعاهدني عند إفطاري، فانظر هل هي موجودة فتطلبها بين تلك الرمال، فإذا السبع قد أكلها، فأخبرته بذلك، فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا وفي قلبي منها شيء، ثم شهق شهقة ومات، فجهزته ودفنته، فرأيته في المنام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٩٢] كتاب مناقب الأنصار، [٨] باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض »، وعن ابن مسعود أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٠٦١)] كتاب الزكاة، [٤٦] باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، والنسائي [٨/ ٢٢٥] المجتبى، وأحمد في مسنده [٣/ ١١١، ١٦٧] ، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٣٣٩]، وابن حبان في صحيحه [٢٢٩٨ - الموارد]، وابن أبي شيبة [١١/ ٤٤٢، ١٤/ ٥٣٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٠٢٥] كتاب الجهاد والسير، [١٥٦] باب لا تمنوا لقاء العدو، ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (١٧٤٢)] كتاب الجهاد والسير، [٦] باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، وأبو داود [٢٦٣١]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٧٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩٣٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٥١٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٦٠] .

(٣) روى الترمذي في سننه [٣٤٣١] كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني علىٰ كثير ممن خلق تفضيلاً إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش ».

في روضة خضراء عليه حلتان خضراوتان، وهو قائم يتلو القرآن، فقلت: ألست صاحبي بالأمس ؟ قال: بلى، قلت: فما صيرك إلىٰ ما أرى ؟ !! قال: وردت مع الصابرين علىٰ درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء .

الثانية: عن معروف الكرخي[1] أنه توفي له ولد فلم يحزن عليه، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت جوار الله وثوابه خيراً له مني .

الثالثة: عن أبي علي الرازي قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، فما رأيته ضاحكاً إلا يوم أن مات ولده، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمراً فأحببته .

الرابعة: عن المعافي بن عمران قال: دخلت علىٰ فتح الموصلي فرأيته قاعداً في الشمس، وصبية له عريانة، وابن له مريض، فقلت: ائذن لي حتىٰ أكسو هذه الصبية، قال: لا ، قلت: ولم ؟ قال: دعها حتىٰ يرى الله صبرها وصبري عليها فيرحمني، قال: فجاوزت إلىٰ الصبي، وقعدت عند رأسه فقلت: أتشتهي شيئاً ؟ قال: ومن أنت ؟ قلت: المعافي، فرفع رأسه إلىٰ السماء، فقال مني الصبر، ومنك البلاء .

الخامسة: عن ذي النون المصري قال: رأيت بعض أصحابي في المنام، فقلت: ما فعل بك ؟ قال: غفر لي ببركتك، ومحبتي فيك، فأدخلني الجنة، وعرض عليَّ منازلي فيها، قال ذلك ووجهه حزين، قلت: مالي أراك حزيناً ؟ فتنفس الصعداء، ثم قال: لا أزال حزيناً إلىٰ يوم القيامة، قلت: ولم ؟ قال: لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين، فلما رأيتها فرحت وهممت بدخولها، فناداني مناد من فوقها: اصرفوه عنها، فليس هذه له، إنما هي لمن أمضى في سبيل الله ـ يعني كلما أصابه شيء من أمور الدنيا، قال: في سبيل الله، ثم لا يرجع فيه، فلو كنت أمضيت

---

(١) معروف الكرخي، هو زاهد العراق، وشيخ الوقت أبو محفوظ معروف بن الفيرزان، وقيل: ابن فيروز من أهل كرخ بغداد، وقيل: كنيته أبو الحسن، وكان أبوه من أعمال واسط من الصابئة، وقد ذكر معروف عند أحمد بن حنبل فقالوا: قصير العلم، فقال للقائل: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف ؟ ومن قول معروف: إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل، توفي سنة [٢٠٠] . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٩١ - ٢٠٠] .
فتح المولى، هو فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي الزاهد أحد العارفين، ذكر المعافي ابن عمران شيخ الموصل أنه لقي ثمانمائة شيخ ما فيهم أعقل من فتح، وكان مشهوراً بالعبادة والفضل، وهو فتح الموصلي الكبير لا فتح الصغير، وكان كثير البكاء من خشية الله، ملازماً لقيام الليل، أرسل إليه المعافي بألف درهم فردها وأخذ منها درهماً واحداً مع شدة فاقة أهله، توفي سنة [١٦٥] . تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠] .

السبيل لأمضينا لك الدخول فيها .

السادسة: عن عبد الواحد بن زيد قال: خرجت إلىٰ ناحية (الخريبة)[(١)] فإذا أن بشاب أسود مجذوم قد تقطعت أوصاله، وعمي، وأقعد، وإذا صبيان يرجمونه حتىٰ أدموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه، فدنوت منه فإذا به يقول: يا سيدي إنك تعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ازددت لك إلا حبا، واصنع بي ما شئت.

السابعة: روي أن يونس[(٢)] ﷺ قال لجبريل " دلني علىٰ أعبد أهل الأرض، فأتى به إلىٰ رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وهو يقول: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا غفور، فقال يونس: يا جبريل سألتك أن تريني صواما قواما، فقال قد كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه بصره، فأشار إلىٰ عينيه فسالتا، فقال: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا غفور، فقال جبريل: هل تدعو وندعوا معك، ويرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك، وتعود إلىٰ العبادة التي كنت عليها ؟ فقال: ما أحب ذلك، قال: ولم ؟!! قال: إذا كانت محبته في هذا، فمحبته أحب إليَّ، فقال يونس: ما رأيت أحداً أعبد من هذا، فقال جبريل: هذا طريق لا يوصل إلىٰ الله بأفضل منه، وأنشدوا :

قالت لطيف الخيال زارها ومضى ... بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خلقته لو مات من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت علىٰ كبدي

الثامنة: عن أبي الحسن السراج قال: حججت فبينا أنا أطوف فإذا أنا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فما رأيت مثل ذلك، وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن، فسمعت ذلك القول مني فقالت: أعده فوالله إني لوثيقة بالأحزان، مكلومة الفؤاد بالهموم

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) فيما روى مسلم [١٦٧ ـ (٢٣٧٧)] في الفضائل، [٤٣] باب في ذكر يونس ﷺ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى » قال النووي: هذه الأحاديث تحتمل وجهين: أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك قال: « أنا سيد ولد آدم »، والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، قال العلماء: وما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٠٩] طبعة دار الكتب العلمية .

والأشجان، ما يشركني فيها أحد، قلت: وكيف ذاك ؟ قالت: ذبح زوجي شاة وضحى بها، ولي ولدان صغيران يلعبان، وعلىٰ ثديي طفل يرضع، فقمت لأصنع لهم طعاما، إذ قال ابني الكبير للصغير: ألا أريك كيف صنع أبي الشاة ؟ قال: بلى، فأضجعه وذبحه، وخرج هارباً نحو الجبل، فأكله ذئب، فانطلق أبوه في طلبه، فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلىٰ الباب أنظر ما فعل أبوهم، فدب الطفل إلىٰ البرمة، وهي علىٰ النار، فألقى يده فيها وصبها علىٰ نفسه، وهي تغلي، فانتثر لحمه عن عظمه، فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها، فرمت بنفسها إلىٰ الأرض، فوافت أجلها، فأفردني الدهر من بينهم، فقلت لها: كيف صبرك علىٰ هذه المصائب العظيمة ؟ فقالت: ما من أحد (يبر)[1] الصبر والجزع إلا وجد منهاجاً متفاوتاً، فأما الصبر فحسن العلانية، محمود العاقبة، وأما الجزع فصاحبه غير مفوض، ثم أعرضت وهي تقول:

صبرت فكان الصبر خير معول ... وهل جزع يجدي إليَّ فأجزع

صبرت علىٰ ما لو تحمل بعضه ... جبال غروراً أصبحت تتصدع

ملكت دموع العين حتىٰ رددتها ... إلى ناظري فالعين في القلب تدفع

---

(١) كذا بالأصل .

مجلس في المراقبة

وهي مراقبة العبد الرب ـ جل جلاله ـ والحذر من السخط منه، وشهود دوام جلاله واطلاعه، وذوق قربه . ويترتب عليه التحفظ والاعتبار وانتظار ما تقتضيه الأوقات والأحوال، لينتهز فرصة البدار، وينجو من دار البوار، وما أحسن من فسرها بمراعاة السرّ، وملاحظة الحق مع كل خطرة .

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [1].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [2].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [3] أي يترقب كل قول وفعل .

وقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [4].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [5].

والآيات فيه كثيرة معلومة .

ولنذكر من الأحاديث تسعة :

أحدها: حديث عمر الثابت في الصحيح في حديث جبريل، وفيه: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[6].

---

(١) سورة الحديد [٤] .
أي رقيب عليكم شهيد علىٰ أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه علىٰ السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم . تفسير ابن كثير [٤/ ٣٠٤].

(٢) سورة آل عمران [٥] . (٣) سورة الفجر [١٤] .

(٤) سورة غافر [١٩] .
يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ؛ جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله ـ تعالىٰ ـ حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه ﷻ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . تفسير ابن كثير [٤/ ٧٥] .

(٥) سورة المجادلة [٧] .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠] كتاب الإيمان، [٣٨] باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان =

ثانيها: حديث أبي ذر ومعاذ مرفوعاً: « اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » . رواه الترمذي(١) وحسنه .

ثالثها: حديث ابن عباس مرفوعاً: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي، بعد «احفظ الله تجده أمامك»: « تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً ».

ومعنى تجده تجاهك: أي يرفع لك أعلام التوحيد، فتستقبله كما تستقبل الأعلام، والنفع الضر بيده، والسؤال إليه، والاستعانة به .

الحديث الرابع: عن أنس قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدها علىٰ عهد النبي ﷺ من الموبقات».(٣) وهي من باب تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

الخامس: عن أبي هريرة مرفوعاً: « إن الله ـ تعالىٰ ـ يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه »(٤) متفق عليه .

= والإسلام والإحسان، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٨)] كتاب الإيمان، [١] باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، والترمذي في سننه [٢٦١٠] كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام، والنسائي [٨/ ٩٩، ١٠٢ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٦٣]، وأحمد في مسنده [١/ ٥١، ٥٣٠، ٢/ ٤٢٦] .

(١) أخرجه الترمذي [١٩٨٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، وأحمد في مسنده [٥/ ١٥٣]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٣٧٨]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٥١٢، ٨/ ٥١٨] ، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٧٦]، والدارمي في سننه [٢/ ٣٢٣] .

(٢) أخرجه الترمذي [٢٥١٦] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والحاكم في المستدرك [٣/ ٥٤١]، وأحمد في مسنده [١/ ٢٩٣، ٣٠٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٢٣٨]، والشجري في أماليه [٢/ ١٩٤ ، ١٩٨]، والآجري في الشريعة [١٩٨ - ١٩٩] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٢] كتاب الرقاق، [٣٢] باب ما يتقى من محقرات الذنوب، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٥٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٣١] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٢٣] كتاب النكاح، [١٠٨] باب الغيرة، ومسلم في صحيحه =

السادس: عن أبي هريرة مرفوعاً: في قصة الأبرص والأقرع والأعمى: الطويل في الصحيحين .(١) فمراقبته في كل حال متعينة .

السابع: عن شداد بن أوس مرفوعاً: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني »(٢) رواه الترمذي وقال: حسن .

ومعنى دان: حاسب، وفعل غير ذلك صارف عن المراقبة .

الثامن: عن أبي هريرة مرفوعاً: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »(٣) رواه الترمذي، وهو حسن ؛ ففيه تنفير عن الشواغل بما لا يفيد، فالفضول من أكبر الصوارف عن المراقبة: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾(٤) .

التاسع: عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: « لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته »(٥) رواه أبو داود وسره دوام حسن الظن والمراقبة بالإعراض عن الاعتراض .

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك فنقول:

سُئل حاتم الأصم، فيما أفنيت عمرك ؟ فقال: في أربعة أشياء: علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه، وعلمت أن لي رزقاً لا يجاوزني

= [٣٦] كتاب التوبة، والترمذي في سننه [١١٦٨] كتاب الرضاع، باب ما جاء في الغيرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٨٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٤٢] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦٤] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٣] باب حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل، ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٩٦٤)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٥٩] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له ، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٣٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٤، ٨/ ٤٢٨] ، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٦٧، ٨/ ١٧٤]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٩٦]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٣٦]، وابن المبارك في الزهد [٥٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٢] .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣١٨] كتاب الزهد، باب منه [١١] فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ١٧١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٦١٧] .

(٤) سورة المؤمنون [٦٣] .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٧] كتاب النكاح، باب ضرب النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٨٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٦٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٦]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٥٢١]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٩٨] .

وقد ضمنه الله لي فوثقت به وقعدت عن طلبه، وعلمت أن لي فرضاً لا يؤديه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته .

وقال ابن عباس: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبتك، وضحكك أعظم من ذنبك، وكذا فرحك به وحزنك عليه إذا فات، وكذا خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت مقبل عليه .

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعسّ[1] المدينة، فمشى حتىٰ أعيي، فاتكأ إلىٰ جدار، فإذا امرأة تقول لابنة لها صغيرة: قومي إلىٰ ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت: يا أماه أوما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت: وما كان من عزمته ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن، فقالت: امذقيه، فإنك بمكان لا يراك فيه عمر، ولا مناديه، فقالت: فإن الله ـ تعالىٰ ـ يراني، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، فزوجها عمر أحد أولاده[2]، ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز[3].

وعن ذي النون قال: حججت سنة فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد، فأشرفت علىٰ الهلكة، فلاحت لي أشجار كثيرة ومحراب، فطرحت نفسي في فيء شجرة، فلما غربت الشمس إذا شاب متغير اللون، نحيل الجسم يؤم ذلك المحراب، فوكز برجله ربوة من الأرض، فظهرت عين تنض ماء عذباً، فشرب وتوضأ وقام إلىٰ محرابه، فقمت إلىٰ العين فشربت ماء عذبا، وتوضأت وقمت أصلي بصلاته حتىٰ برق عمود الفجر، فلما رأى الصبح وثب قائماً علىٰ قدميه، ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه، وأقبل النهار بدواميه، ولم أقض من خدمتك وطراً، خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلىٰ سواك همه، فلما أراد أن ينصرف ناديته بالذي منجك لذيذ الرغب، وأذهب عنك ملال التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة، فإني غريب أريد بيت الله الحرام، وقد ضللت عن الطريق، فقال: يا بطال تحت أرجلنا، حتىٰ رأيت المحجة، وسمعت ضجة، فقال: هؤلاء رفقتك، ثم أنشأ يقول:

من عامل الله بتقواه ... وكان في الخلوة يرعاه

---

(١) عسَّ فلان عساً: طاف بالليل يكشف عن أهل الريبة، فهو عاس، جمعها: عسس وعساس .

(٢) زوجها عمر رضي الله عنه بابنه عاصم بن عمر بن الخطاب، فأنجب بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنجبت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أشج بني أمية .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين أبو حفص القرشي الأموي رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ستين، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وتوفي سنة إحدى ومائة .

سقاه كأسا من صفاء حبه سلبه عن لذة مرآه
وأبعد الخلق وأقصا منهم وانفرد العبد بمولاه

وعن العباس بن أحمد قال: قال لي أبو سعيد: كان لي معلم يختلف إليّ يعلمني الخوف، ثم ينصرف، فقال لي يوماً: إني معلمك خوفاً يجمع لك كل شيء، قلت: ما هو ؟ قال: مراقبة الله .[١]

وعن عبد الله بن الأحنف قال: خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الروزباري، فرآني عيسى بن يونس المصري، فقال لي: هل أدلك ؟ قلت: نعم، قال: عليك بصور فإن بها شيخاً وشاباً قد اجتمعا علىٰ حال المراقبة لله، فلو نظرت إليهما نظرة لأغنتك باقي عمرك، قال: فدخلت عليهما، وأنا جائع عطشان، وليس عليّ ما يسترني من الشمس، فوجدتهما مستقبلي القبلة، فسلمت عليهما، وكلمتهما، فلم يكلماني، فقلت: أقسمت عليكما بالله إلا كلمتماني، فرفع الشيخ رأسه وقال: يا ابن الأحنف، ما أقل شغلك، حتىٰ تفرغ لنا، فأقمت بين يديهما حتىٰ صليا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والعطش، فقلت للشاب: عظني بشيء أنتفع به، فقال: نحن المصائب ليس لنا لسان العظة، فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم نأكل فيها ولم نشرب، فلما كان في الثالثة قلت: لا بد من سؤالهما في وصية أنتفع باقي عمري بها، فرفع الشاب رأسه وقال: عليك بصحبة من يذكر الله، تنظره يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله، ثم التفت فلم أرهما .

وعن الجنيد قال: رأيت إبليس في المنام وهو عريان، فقلت له: أما تستحي من الناس ؟!! فقال: أهؤلاء عندك من الناس ؟ قلت: نعم، قال: لو كانوا منهم ما تلاعبت بهم تلاعب الأكرة، ولكن الناس قوم في مسجد (الشونيرية)[٢] قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي، كلما هممت بهم أشاروا إليَّ، فأكاد أحترق، فلما استيقظت، أتيت ذلك المسجد، فإذا أنا بثلاثة رجال رؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي أخرج أحدهم رأسه وقال: يا أبا القاسم لا يغرنك حديث الخبيث، وأنشدوا :

---

(١) قوله ﷺ: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال النووي: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه علىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال ﷺ: « اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان » . النووي في شرح مسلم [١/١٤١]، طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) كذا بالأصل .

عبيد لمولاهم تعالىٰ وغرهم عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثرايا في ارتفاع مقامهم بهم يرفع الله البلايا عن الورى

وعن بعضهم قال: كنت في جبل (لكام)[١] أطلب الزهاد والعباد، فرأيت رجلا عليه مرقعة جالساً علىٰ حجر مطرقاً إلىٰ الأرض، فقلت له: يا شيخ، ما تصنع هاهنا؟ قال: أنظر وأرعى، فقلت له: ما أرى بين يديك إلا الحجارة، فتغير لونه، ثم نظر إليّ مغضباً وقال: أنظر خواطر قلبي، وأرعى أوامر ربي، فبحق الذي أظهرك عليّ إلا رحت عني، فقلت له: كلمني بشيء أنتفع به حتىٰ أمضي، فقال: من لزم الباب أثبت من الخدم، ومن أكثر الذنوب أعقبه الندم، ومن استعنى بالله أمن من العدم، ثم تركني ومضى.

وعن بعضهم قال: خرجت في بعض حوائجي، فبينما أنا في فلاة من الأرض، إذا برجل يدور بشجرة شوك، ويأكل من رطبها، فسلمت عليه، فقال: وعليكم السلام، تقدم وكل، فنزلت عن ناقتي، وتقدمت إلىٰ الشجرة، فكلما أخذت منها رطباً عاد شوكا، فتبسم الرجل وقال: هيهات، لو أطعت الله في الخلوات، أطعمك الرطب في الفلوات.

وعن إبراهيم بن أدهم[٢] قال: أتيت بعض البلاد فنزلت في مسجد، فلما كان العشاء الآخرة وصلينا، أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس وقال: قم فاخرج حتىٰ أغلق الباب، فقلت: أنا رجل غريب ههنا، وذكر حكاية الزبال بطولها - وقد ذكرت في طبقات الصوفية فراجعها.

وحكي أن رجلا تعلق بامرأة ببغداد، فأبت تمكينه وكل من جاء ليخلصها منه طعنه بسكين، وكان شديداً، فمر عليه بشر[٣] ودنا منه، وحك كتفه بكتفه، فوقع علىٰ الأرض وهدأت المرأة، ومضى بشر، فدنا الناس من الرجل، فإذا هو يرشح عرقاً كثيراً، فسألوه عن حاله، فقال: حكَّ كتفي شيخ، وقال: إن الله ناظر إليك، وإلى عملك وما تعمل، فأصغيت لقوله وهبته، ولا أدري من هو، فقيل: إنه بشر

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال ابن منده بسنده عن يونس بن سليمان البلخي: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه شريفا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة، بينما إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد وهو علىٰ فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته، ورفض الدنيا. تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠].

(٣) بشر هو الحافي، يأتي الكلام عنه.

الحافي[١]، فحمَّ وقال: واسوأتاه، كيف ينظر إليَّ بعد اليوم، فحمّ من يومه ومات يوم سابعه .

وعن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الله ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة، فقيل له: رفيقتك فيها ميمونة السوداء، قلت: وأين هي ؟ فقيل لي: في بني فلان بالكوفة، فخرجت إليها وسألت عنها، فقالوا: هي مجنونة ترعى غنيمات، فقلت: أريد أن أراها، قالوا: اخرج إلىٰ الجبال، فخرجت، فإذا هي قائمة تصلي، فإذا بين يديها عكاز، وعليها جبة صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشترى، وإذا الغنم مع الذئاب، فلا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف الذئاب، فلما رأتني أوجزت في صلاتها، ثم قالت: ارجع يا ابن زيد، ليس الموعد هاهنا، إنما الموعد ثَمَّ، فقلت لها: من أعلمك بي ؟!!فقالت: أما علمت أن « الأرواح جنود مجندة »[٢] الحديث .

فقلت لها: عظيني، فقالت: واعجباً لواعظ يوعَظ، إنه بلغني أنه ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حُب الخلوة معه، وأبدله بعد القرب بعداً، وبعد الأنس وحشة، ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب ... يرجو توباً من الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقاً ... هذا من المنكر العجيب

لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أوتبت من قريب

كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب

تنهى عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالمريب

فقلت لها: إني أرى هذه الذئاب مع الغنم متفقة، فأي شيء هذا ؟ قالت: إني أصلحت ما بيني وبينه فأصلحهم .

---

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي البغدادي الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، كان عديم النظير، زهداً وورعاً وصلاحاً، كثير الحديث، إلا أنه كان يكره الرواية ويخاف من شهوة النفس في ذلك، حتىٰ إنه دفن كتبه، وقال أبو بكر المروزي: سمعت بشراً يقول: الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ - ٢٣٠] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ١٦٢]، ومسلم في صحيحه [١٥٩، ١٦٠] في البر والصلة، وأبو داود في سننه [٤٨٣٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٩٥، ٥٢٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٣٢٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ١٩٨، ٤/ ٦٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [٢/ ٣٢٩، ٤/ ٣٥١]، والبخاري في الأدب المفرد [٩٠٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٠٣، ٥٠٠٤]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٧٤، ٦/ ١٨١] .

مجلس في التقوى

وهي مجانبة ما يبعد عن الله بالحذر منه، ومن حققها هون علىٰ قلبه الإعراض عن الدنيا، وزال الاعتراض .

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (1) .

أي واجب تقواه، فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولا تأخذه فيه لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو علىٰ أبيه وابنه .

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (2) .

وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى، أي بالغوا في التقوى، فلا تتركوا من المستطاع منها شيئاً .

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ (3) .

أي قاصداً إلىٰ الحق .

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (4) .

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (5) .

وقال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ (6) .

وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (7) .

وقال: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ (8) .

---

(1) سورة آل عمران [١٠٢] .
قال ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن مسعود ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلىٰ أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغَابُن: ١٦] وقال ابن عباس: لم تنسخ ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو علىٰ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . انظر تفسير ابن كثير [١/ ٣٨٧، ٣٨٨] .

(2) سورة التغابن [١٦] .

(3) سورة الأحزاب [٧٠]

(4) سورة البقرة [٢٤] .

(5) سورة آل عمران [١٣٣] .

(6) سورة آل عمران [١٧٩] .

(7) سورة آل عمران [١٨٦] .

(8) سورة النساء [١] .

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(١).

وقال: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٣).

وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٤).

وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٥).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٦).

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(٧).

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾(٨) الآية.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٩) الآية.

أي نصراً وظهوراً وانتشار صيت، أو مخرجا من الشبهات، وتوفيقا، أو مرتقاً علىٰ أهل الأديان وفضلا في الدنيا والآخرة.

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١٠).

وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١١).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١٢).

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١٣).

وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾(١٤).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾(١٥).

وقال: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾(١٦).

وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾(١٧).

---

(١) سورة البقرة [١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٣].
(٢) سورة النساء [١٢٨].
(٣) سورة النساء [١٣١].
(٤) سورة المائدة [٢].
(٥) سورة المائدة [٢٧].
(٦) سورة المائدة [٣٥].
(٧) سورة الأنفال [١].
(٨) سورة الأنفال [٢٥].
(٩) سورة الأنفال [٢٩].
(١٠) سورة التوبة [٤، ٧].
(١١) سورة التوبة [١٢٣].
(١٢) سورة التوبة [١١٩].
(١٣) سورة يوسف [٩٠].
(١٤) سورة النحل [٢].
(١٥) سورة النحل [١٢٨].
(١٦) سورة مريم [٦٣].
(١٧) سورة مريم [٧٢].

وقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾(١).

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٢).

وقال: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٤).

وقال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٥).

وقال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾(٦).

وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٧).

وقال: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾(٨).

وقال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾(٩).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾(١٠).

وقال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾(١١).

وقال: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(١٢).

وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾(١٣).

وقال: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١٤).

وقال: ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ﴾(١٥).

وقال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾(١٦).

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٧).

وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١٨).

---

(١) سورة مريم [٨٥].
(٢) سورة البقرة [١٨٧].
(٣) سورة الحج [٣٢].
(٤) سورة الحج [٣٧].
(٥) سورة يونس [٣١].
(٦) سورة الشعراء [١٨٤].
(٧) سورة التوبة [١٢٣].
(٨) سورة فصلت [١٨].
(٩) سورة لقمان [٣٣].
(١٠) سورة الأحزاب [١].
(١١) سورة الزمر [١٠].
(١٢) سورة الزمر [١٦].
(١٣) سورة الزمر [٦١].
(١٤) سورة الزخرف [٣٥].
(١٥) سورة الزخرف [٦٧]، [٦٨].
(١٦) سورة محمد [٣٦].
(١٧) سورة الحجرات [١].
(١٨) سورة الحجرات [١٣].

وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾(١).

وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾(٢).

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(٤) الآية.

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(٥).

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾(٦).

أي من غموم الدنيا والآخرة، ومن شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن أهوال القيامة، وهي آية لو أخذ الناس بها لكفتهم، كما ورد في الحديث .

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾(٧).

وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٨).

وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٩).

وقال: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾(١٠).

وقال: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾(١١).

وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾(١٢).

وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧﴾(١٣).

وقال: ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢﴾(١٤).

وأما الأحاديث فنذكر منها خمسة :

أولها: عن أبي هريرة قال: " قيل: يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال: « أتقاهم » قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله » قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فعن معادن العرب

(١) سورة النجم [٣٢] .
(٢) سورة الحديد [٢٨] .
(٣) سورة المائدة [٩٦] .
(٤) سورة الحشر [١٨] .
(٥) سورة المائدة [٨٨] .
(٦) سورة الطلاق [٢] .
(٧) سورة الطلاق [٥] .
(٨) سورة المائدة [١٠٠] .
(٩) سورة البقرة [٢٧٨] .
(١٠) سورة نوح [٣] .
(١١) سورة المزمل [١٧] .
(١٢) سورة المدثر [٥٦] .
(١٣) سورة الليل [١٧] .
(١٤) سورة العلق [١٢] .

تسألوني ؟ خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » "(١) متفق عليه .

وأتقى: أفعل تفضيل، وهو صريح في التفاوت في درجاته، فتقوى العامة من الشرك والعدل من المعاصي، والصالحين من الشبهات، والمريدين من الشهوات، والخواص من التوسل بالأعمال، والأولياء مما سوى الحق، والأنبياء منه إليه.

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٢).

وصح أنه ﷺ قال: « الحسب المال والكرم التقوى »(٣).

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: « إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »(٤) رواه مسلم .

الحديث الثالث: عن ابن مسعود مرفوعاً: كان يقول: « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »(٥) رواه مسلم أيضاً .

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٨٣] كتاب أحاديث الأنبياء، [١٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يُوسُف: ٧] ، ومسلم [١٦٨ ـ (٢٣٧٨)] كتاب الفضائل، [٤٤] باب من فضائل يوسف ـ عليه السلام - قال النووي: قال العلماء: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف ﷺ مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب، وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين، ثم قال: قال العلماء: لما سئل ﷺ أي الناس أكرم ؟ أخبر بأكمل الكرم وأعمه فقال: « أتقاهم لله » وقد ذكرنا أن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقياً كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العليا في الآخرة، فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « يوسف » الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما، فلما قالوا: ليس عن هذا نسأل، فهم عنهم أن مرادهم قبائل العرب، قال: « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».
النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١٠] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الحجرات [١٣] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٢٧١] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحجرات، وابن ماجه في الزهد، باب الورع والتقوى رقم [٤٢١٨، ٤٢١٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ١٣٦]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٦٣، ٤/ ٣٢٥]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣٥٢] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٢٧٤٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، والترمذي في سننه [٢١٩١]، وابن ماجه [٤٠٠٠]، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٦٤]، والبيهقي في سننه [٧/ ٣٦٩] .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٢ ـ (٢٧٢١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والترمذي في سننه [٣٤٨٩] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده [١/ ٤١٦، ٤٣٤، =

الرابع: عن عدي بن حاتم مرفوعا: « من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى »[١] رواه مسلم أيضا . وليتحلل يمينه مرجحاً ما هو أتقى لله، كما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[٢] الآية .

الخامس: عن أبي أمامة مرفوعاً: « اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم »[٣] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

فالجنة من ثمرات التقوى وفوائدها، وناهيك بذلك عظماً وفخراً .

وصح أنه ﷺ قال: « لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي »[٤] .

وقال: « المسجد بيت كل تقي »[٥] .

فصل فيما أعده الله للمتقين

وكان من حقنا أن نختم به الكتاب، لكنا ذكرناه هنا مسارعة للثواب .

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨] الآية، وما أبدعها من آية، وأجمعها للإيمان والإسلام، وهذا الجزاء العظيم من أنواع الخدم والمستلذات الشهية، والمناظر البهية مع الدوام، فالكم والكيف لا يوصف .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا﴾ إلى قوله:

= ٤٣٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/٢٠٨] .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥ ـ (١٦٥١)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢١١، ٢١٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٥١، ٥٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ١٨٣] .

(٢) سورة البقرة [٢٢٤] .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [٥/ ٢٥١، ٢٦٢]، والحاكم في مستدركه [١/ ٩، ٣٨٩، ٤٧٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٨١، ٢٠٥]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦/ ١٩١]، وابن حبان في صحيحه [٧٩٥ - الموارد]، والبخاري في التاريخ الكبير [٤/ ٣٢٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٧٦]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٨٦٧] .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده [٣/ ٣٨]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٢٨]، والدارمي في سننه [٢/ ١٠٣]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٢٨].

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٣١٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢/ ٢٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٢٠]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٨٧، ٤١١]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢١٦] ، والألباني في السلسلة الصحيحة [٧١٦] .

﴿بِمُخْرَجِينَ﴾[(١)] .

وما أحسن هذه الدار ؛ معقل السلامة من كل آفة وعرض .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[(٢)] إلىٰ آخر السورة .

فيا لها من ملابس وأزواج، ومزوج جليل .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[(٣)] الآية .

وروينا من حديث جابر ﷺ مرفوعاً: « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد، كما تلهمون النفس »[(٤)] أخرجه مسلم .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً قال: « قال الله ـ تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] »[(٥)] وأخرجاه، ولا أبلغ منه .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعا: « أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم علىٰ أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة (الأنجوج)[(٦)] عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، علىٰ خلق رجل واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم ؛ ستون ذراعاً في السماء»[(٧)] أخرجاه .

---

(١) سورة الحجر [٤٥ - ٤٨] . والآيات ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ .

(٢) سورة الدخان [٥١] . (٣) سورة المطففين [٢٢] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩ ـ (٢٨٣٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٧] باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، والترمذي في سننه [٢٥٦٣]، وأبو داود في السنة، باب [٢٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٦٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٠] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٤] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [٢ - (٢٨٢٤)] كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، في مقدمته، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٣٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٢١، ٥٥٧]، والحميدي في مسنده [١١٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٥٦٨، ١٠/ ٥٣٥] .

(٦) كذا بالأصل، والألوة: في النهاية: الألوة هو العود الذي يتبخر به العود الهندي .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٥، ٣٢٤٦] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [١٥، ١٦] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٦] باب أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والترمذي في سننه [٢٥٢٢] ، وابن =

وفي رواية لهما « آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً »(١).

وروينا من حديث المغيرة مرفوعاً: « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلكِ ملْك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله(٢) فقال في الخامسة: رضيت يا رب، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول: رضيت يا رب، قال: رب فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر علىٰ قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ـ عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية » أخرجه مسلم(٣).

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ؛ رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله ـ تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا

= ماجه في سننه [٤٣٣٣]، والحاكم في المستدرك [٣/٢٢٨]، وابن المبارك في الزهد [٥٤٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٥] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٨٣٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٧] باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، وقال النووي: مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعماً دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبداً. النووي في شرح مسلم [١٧/١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال النووي: في رواية: « فيقول الله ـ تعالىٰ: أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها » وفي الرواية الأخرى « أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا، فيقول رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله »، قال النووي: المراد بالأولى أن يقال له أولاً: لك الدنيا ومثلها ثم يزاد علىٰ تمام عشرة أمثالها كما بينه في الرواية الأخيرة، وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلىٰ جميع الأرض، بل يملك بعضاً منها، ثم منهم من يكثر البعض الذي يملكه، ومنهم من يقل بعضه فيعطي هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات، وذلك كله قدر الدنيا كلها، ثم يقال: لك عشرة أمثال هذا فيعود معنى هذه الرواية إلىٰ موافقة الروايات المتقدمة، ولله الحمد وهو أعلم. النووي في شرح مسلم [٣/٣٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١٢ ـ (١٨٩)] كتاب الإيمان، [٨٤] باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

رب وجدتها ملأى، فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي ـ أو أتضحك بي ـ وأنت الملك؟!! ـ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه[1] - قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[2] أخرجاه، وما ألذه وأطربه !!

وروينا من حديث أبي موسى مرفوعاً: « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»[3] أخرجاه، وما ألذه وأطربه .

وروينا من حديث أبى سعيد الخدري مرفوعاً: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة لا يقطعها »[4].

وعنه مرفوعا:[5] « أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم » قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » أخرجاه .

---

(١) قال أبو العباس ثعلب وجماهير العلماء من أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: المراد بالنواجذ هنا الأنياب، وقيل المراد هنا الضواحك، وقيل المراد بها الأضراس، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة، ولكن الصواب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٧١] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٣٠٨ ـ (١٨٦)] كتاب الإيمان، [٨٣] باب آخر أهل النار خروجاً .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٣] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٨٣٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٩] باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/١١٦، ٥١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦١٦] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٥٣] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم [٨ ـ (٢٨٢٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١] باب أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وابن ماجه [٤٣٣٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/٥١٩، ٥٢٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٣٠]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٨٧٦، ٢٠٨٧٧] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٥٦] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم [١١ ـ (٢٨٣١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٣] باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب الدري في السماء .

وروينا من حديث أبي هريرة أيضاً: « لقاب قوس من الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب »[١] أخرجاه.

وروينا من حديث أنس مرفوعاً: « إن في الجنة لسوقاً يأتوها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً »[٢] أخرجه مسلم.

وما أحسن هذه البضاعة المربحة.

وروينا من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء »[٣] أخرجاه، وما أعلاها من منزل وأطيبها للنازل !!

وروينا عنه قال: " شهدت مع النبي ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتىٰ انتهى، ثم قال في آخر حديثه: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ "

رواه البخاري[٤]، وما أعظم ذلك وأنفسه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٥٣] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وابن ماجه في سننه، في كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، والترمذي في سننه [١٦٥١] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وأحمد في مسنده [٢/ ١٥٧، ٣/ ١٥٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٦٨، ٤/ ٥٣٢]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٥٤٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣ ـ (٢٨٣٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٥] باب في سوق الجنة، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٤٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦١٨]، والشجري في أماليه [٢/ ١١٣]، والخطيب في تاريخ بغداد [١/ ٢٢٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٥٥] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٨٣٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٣] باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، والترمذي في سننه [٢٥٥٦] كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٤٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٩٦، ٢٠٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٤] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وبلفظه في مسلم [٥ ـ (٢٨٢٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في مقدمته، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٣٤]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٤١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٩٠، ٢٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٥٨].

وروينا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ،وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » أخرجه مسلم(١).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تمن، فيتمنى ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت ؟ فيقول: نعم، فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه » أخرجه مسلم(٢).

ومن حديث أبي سعيد مرفوعاً: « إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟!! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك ؟!! فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » أخرجاه(٣).

وما ألذ هذا الخطاب الشفاهي، وأعظم هذا الإفضال .

روينا من حديث جرير قال: " كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر وقال: « إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر، لا تضاهون في رؤيته » "(٤) أخرجاه، وما ألذه !!

وروينا من حديث صهيب مرفوعاً: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢ ـ (٢٨٣٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٨] باب في دوام نعيم أهل الجنة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠١ ـ (١٨٢)] كتاب الإيمان، [٨١] باب معرفة طريق الرؤية، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٧]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ١٧٠] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٤٩] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٨٢٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها، [٢] باب إحلال الرضوان علىٰ أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، والترمذي [٢٥٥٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٨، ٣٤٢]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٦٤٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١/ ١٤٥]، [٦/ ١٧٣]، ومسلم في صحيحه [٢١١ ـ (٦٣٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٣٧] باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، والحاكم في المستدرك [١/ ٨٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٣٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٦٤٧ – الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧].

- تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم »(١) أخرجه مسلم .

ولنختم ذلك بحكايات لائقة به

الأولى: عن بعض الصالحين أنه عبد الله أربعين سنة، فلما كان في بعض الليالي أخذته دالة علىٰ الله - تعالىٰ - فقال: إلهي، أرني ما أعددت لي في الجنة، وما أعددت لي من الحور الحسان، فما استتم الكلام حتىٰ انشق المحراب، وخرجت منه حورية لو خرجت إلىٰ الدنيا لفتنتها، فقال لها: إنسية أنت ؟!! فأنشأت تقول :

شكوت إلىٰ المولى وقد علم الشكوى ... وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وأرسلني إنساً إليك وإنني ... أناجيك طول الليل لو تسمع الشكوى

فقال: يا جارية لمن أنت ؟ فقالت: أنا لك، فقال: كم لي مثلك حوراء ؟ قالت: مائة حوراء، ولكل حوراء مائة خادمة، ولكل خادمة مائة وصيف، ولكل وصيف مائة قهرمانة، ففرح وقال: يا حوراء، هل أعطي أحد أكثر مني ؟ قالت: يا مسكين عطاؤك عطاء البطالين الذين يقولون: أستغفر الله، فيغفر لهم، ثم يستغفرون فيغفر لهم(٢) .

ثم أنشأت تقول :

وله خصائص مصطفون لحبه ... اختارهم في سالف الأزمان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩٧ - (١٨١)] كتاب الإيمان، [٨٠] باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم - سبحانه وتعالى- والحاكم في المستدرك [١/ ٨٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٦٤٧ - الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٣٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٥٦].

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله - تعالىٰ - ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضاً علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله - تعالىٰ - دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله - تعالىٰ - لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً . وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح . النووي في شرح مسلم [٣/ ١٤] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٩ - (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷿ قال: « أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال - تبارك وتعالى -: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي . . . » الحديث .

اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائع حكمة وبيان

وأنشدت أيضاً :

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم ... فتتابعوا وتناهموا الأعلاما

فيا حسنهم في ظل عرش مليكهم ... كل يقود من النجيب زماناً

حتى إذا صاروا بحضرة قدسه ... كشف المليك حجابه إكراماً

فهم الملوك العارفون بربهم ... والدائبون ببابه خدَّاماً

من ذاك ياقوت وزاهي جوهر ... يلقون نوراً يسكنون خياماً

ومع الحسان الحور عين لو بدت ... ليلاً[(١)] أنارت بالجمال ظلاماً

لعطرت كل الوجود وزخرفت ... ولمات كلٌّ بالجمال غراما

يا حسنها بين الحواري عندما ... تمشي لتلقى قادمين كراما

يُجزون غرفات بها فوق المنا ... وتحية يلقونها وسلاماً

حكاية ثانية: عن بعض عباد عبادان قال: ملح الماء عندنا نيفاً وستين سنة، وكان عندنا رجل من أهل الساحل له قصر، ولم يكن بقي في الصهاريج شيء، وحضرت المغرب، فهبطت لأتوضأ من ذلك البئر، وذلك في شهر رمضان في حر شديد، فإذا به يقول: يا سيدي أرضيت عني حتىٰ أُثني عليك ؟ أرضيت عني حتىٰ أسألك سيدي غسالة الحمام لمن عصاك كثيرا ؟ سيدي لولا أني أخاف غضبك لم أذق الماء، ثم أخذ بكفه وشرب شرابا صالحاً، فتعجبت من صبره علىٰ ملوحته، ثم أخذت من الموضع الذي أخذ منه، فإذا هو مثل السكر، فشربت حتىٰ رويت، قال: وأخبرني أنه رأى في المنام كأن قائلاً يقول: قد فرغنا من بناء دارك، فلو رأيتها قرت عيناك، وقد أمرنا بتجديدها والفراغ منها إلىٰ سبعة أيام، واسمها دار السرور، فأبشر بخير، فلما كان السابع، وهو يوم الجمعة بكر للوضوء، فنزل في النهر فزلق فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة ودفناه، فرأيته في المنام بعد ثلاثة أيام وعليه حلل خضر، فسألته عن حاله، فقال: أنزلني الكريم في دار السرور، فماذا أعد لي فيها !! فقلت له: صفه لي، فقال: هيهات، يعجز الواصفون عن وصف ما فيها، فليت عيالي يعلمن أنه قد هيئ لهم منازل معي، فيها ما اشتهت أنفسهم، نعم وإخواني وأنت منهم .

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٥٦٨] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، عن أنس، وفي آخره « ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلىٰ الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها ـ يعني الخمار ـ خير من الدنيا وما فيها » .

ولريحانة شعر:

بوجهك لا تعذبني فإني ... أؤمل أن أفوز بخير دار

وأنت مجاور الأبرار فيها ... فيا طوبى في ذا الجوار

ثالثة: عن بعض السلف قال: بينما عيسى ﷺ يسيح في بعض البلاد بالشام، واشتد به المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب كُنّاً، فرفعت له خيمة من بعيد، فأتاها فإذا هو بامرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل، فأتاه، فإذا في الكهف سبع، فوضع يده عليه ثم قال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى، ولم تجعل لي مأوى، فأجابه الجليل: مأواك عندي في مستقر رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام؛ يوم فيها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في الدنيا، احضروا عرس عيسى ابن مريم.

رابعة: قال أحمد الخلاسي: كانت لي أم صالحة، فقالت لي يوماً وقد عضنا الفقر والحال: يا بني إلىٰ متى نكون في هذه الشدة، فلما كان وقت السحر[١] قلت: اللهم إن كان لي عندك في الآخرة شيء، فعجل لي منه إلىٰ الدنيا، فرأيت نوراً في زاوية البيت (المعمور)[٢]، فقمت إلىٰ البيت فرأيت رجل سرير من ذهب مرصَّع بالجوهر، فقلت لها: خذي، وخرجت إلىٰ الجانع أُحدث نفسي، إلىٰ من أدفعه من أصحاب الجوهر، وكيف العمل به؟ فلما رجعت قالت لي: يا بني، اجعلني في حل، فإنك لما خرجت نمت، فرأيت كأني دخلت الجنة، فرأيت قصراً علىٰ بابه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا لأبي أحمد الخلاسي، قلت: هذا لابني؟ قال لي قائل: نعم، فدخلت ودرت في بيوته، فرأيت في بيت منها أسرَّة، بينهم سرير مكبوب، فقلت: ما أسمح هذا السرير من بين الأسرّة، فقال لي قائل: أنت أخذت رجله، فقلت: ردوها إلىٰ موضعها، فانتبهت وقد غابت عني، ولله الحمد.

خامسها: عن سفيان: أن أصحابه كلموه لما رأوا ما هو عليه من شدة الخوف، وكثرة المجاهدة والجهد، فقالوا له: يا شيخ، لو نقصت عن هذه المجاهدة التي نراها بك؛ نلت مقصودك ومرادك إن شاء الله، فقلت لهم: كيف لا أجتهد كل الاجتهاد، وقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم، فيتجلى لهم نور عظيم تضيء له الجنان الثمان من شدة ضيائه وحسن بهائه، فيظنون أن ذلك نور من قبل الرحمن، فيخرون ساجدين، فينادي مناد: ارفعوا رؤوسكم، ليس الذي تظنون، إنما هو نور

---

(١) السَّحر: آخر الليل قبيل الفجر، جمعها: أسحار.

(٢) كذا بالأصل.

حورية تبسمت في وجه زوجها، فظهر من تبسمها هذا النور، فليس يا إخوتي يلام من اجتهد في طلب الحور الحسان، فكيف لمن طلب المولى الرحمن ؟!! ثم أنشأ يقول :

ما ضر من كانت الفردوس[(١)] منزله ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار

تراه يمشي نحيلاً خائفاً وجلا ... إلى المساجد يسعى بين أطماري

سادسة: قال بعض الصالحين: رأيت سفيان الثوري بعد موته في المنام، فقلت له: كيف حالك يا سفيان ؟ فأنشأ يقول :

نظرت إلىٰ ربي عيانا فقال لي ... هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قوَّماً إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أي قصر تريده ... وزدني فإني عنك غير بعيد

سابعة: عن بعض أصحاب الإمام أحمد قال: لما مات أحمد رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيته، فقلت له: يا أخي، أي مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام، قلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب، وقال لي: هذا جزاؤ قولك القرآن كلام الله مُنزَّل غير مخلوق[(٢)]، وقال: يا أحمد قم حيث شئت، فدخلت الجنة، فإذا بسفيان الثوري له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلىٰ نخلة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[(٣)] الآية، فقلت: له: إيش خبر عبد الرزاق[(٤)] ؟ قال: تركته في بحر من النور، يراد به الملك

---

(١) قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية، وقال كعب والسدي والضحاك: هو البستان الذي فيه شجر الأعناب، وقال أبو أمامة: الفردوس سرة الجنة، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وفي الصحيحين: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة» . تفسير ابن كثير [٣/ ١١١] .

(٢) ما زال المسلمون على قانون السلف من أن القرآن كلام الله ـ تعالىٰ ـ ووحيه وتنزيله غير مخلوق حتىٰ نبتت المعتزلة والجهمية فقالوا بخلق القرآن، متسترين بذلك في دولة الرشيد، ثم إن المأمون نظر في الكلام وباعث المعتزلة، وبقى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلىٰ القول بخلق القرآن إلىٰ أن قوي عزمه علىٰ ذلك في السنة التي مات فيها، ثم كان ما كان من أمر الإمام أحمد ابن حنبل من صموده ضد من قال ذلك إلىٰ أن رفع الله هذه المحنة في عهد المتوكل .

(٣) سورة الزمر [٧٤] .

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميدي مولاهم الصنعاني الإمام اليماني، ثقة، حافظ، مصنف شهير، عمي في آخره فتغير، وكان يتشيع، توفي سنة [٢١١] وله [٨٥] سنة . ترجمته: تهذيب التهذيب [٦/ ٣١٠]، تقريب التهذيب [١/ ٥٠٥]، الكاشف [٢/ ١٩٤]، تاريخ البخاري =

الغفور، فقلت: ما فعل بشر بن الحارث ؟ فقال: بخ بخ، ومن مثل بشر !![(١)] تركته بين يدي الجليل ـ سبحانه ـ وهو مقبل عليه، وهو يقول: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم .

الثامنة: قال بعضهم: رأيت معروفاً الكرخي في النوم، كأنه تحت العرش، والجليل يقول لملائكته: من هذا ؟ قالوا: أنت أعلم يا رب، قال: هذا معروف الكرخي ؛ سكر من حبي، فلم يفق إلا بلقائي .

التاسعة: قال الربيع بن سليمان[(٢)]: رأيت الشافعي في النوم بعد وفاته فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: أجلسني علىٰ كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب .

شاردة: قال ذو النون المصري: بينا أنا في بعض البراري إذا بشاب (كما خط)[(٣)] عارضاه، فلما رآني ارتعد واصفرّ لونه، وولى هاربا، فقلت له: إنسي أم جني ؟ قال: إنسي مثلك، فقلت: لم تهرب ؟!! فقال: وهل الهرب إلا من مثلك ؟ قال: فلحقته، وأقسمت عليه أن يقف لي، فوقف، فقلت له: أراك في هذه البرية وحدك، ما معك أنيس، أما تفزع ؟ فقال: بلى ؛ إن معي أنيساً، فقلت: أين هو ؟ فقال: عن يميني وشمالي وأمامي وخلفي، فقلت له: ما معك زاد ؟ قال: بلى، فقلت: لا بد لك من شيء تستعين به علىٰ قيام الليل وصيام النهار، وخدمة العليم العلام، وأكثرت عليه، فولى وهو يقول:

ولـي الـلـه لا تـؤويـه دار ... ويـكـره أن يـكـون لـه عـقـار
يـفـر مـن الـقـفـار إلىٰ جـبـال ... فـتـبـكـي حـيـن تـفـقـده الـقـفـار

= الكبير [٢/ ٣٢٠]، الجرح والتعديل [٦/ ٢٠٤]، ميزان الاعتدال [٢/ ٦٠٩]، سير الأعلام [٩/ ٥٦٣]، الثقات [٨/ ٤١٢]، البداية والنهاية [١٠/ ٢٦٥، ٣٢٦] .

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء أبو نصر المروزي ثم البغدادي الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، وهو ابن عم علي بن خشرم المحدث، سمع إبراهيم بن سعد وحماد بن زيد وأبا الأحوص وشريكاً ومالكاً والفضيل بن عياش، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وخالد بن عبد الله الطحان والمعافي بن عمران وعبد الله بن المبارك وغيرهم، وعنه: أحمد الدورقي ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن المثنى السمسار وسري السقطي وعمر بن موسى الجلاد وإبراهيم ابن هانئ وخلق غيرهم . تاريخ الإسلام، وفيات [١٢١ ـ ٢٣٠] .

(٢) الربيع بن سليمان الجيزي أبو محمد الأزدي مولاهم الأعرج، سمع ابن وهب والشافعي وإسحاق بن بكر وعبد الله بن يوسف، وعنه: أبو داود والنسائي وأبو بكر بن أبي داود وأبو جعفر الطحاوي وجماعة، وكان حسن الحديث صدوقاً، توفي سنة [٢٥٦] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠] .

(٣) كذا بالأصل .

صبورا في قيام الليل جدا وصوَّاما إذا طلع النهار
يقول لنفسه جدّي وكدّي فما في خدمة الرحمن عار
يناجي ربه والدمع جار إلهي إن قلبي مستطار
إلهي ما مناي منك داراً من الياقوت تسكنها الحوار
ولا جنات عدن يا إلهي ولا شجر تزينه الثمار
ولكن وجهك الباقي مناي به فامنن ففي ذاك الفخار

مجلس في اليقين والتوكل

وحقيقته الاعتماد علىٰ الله لشهوده تفرده بالتدبير والتأثير، وأن لا حول ولا قوة إلا به، ويترتب عليه التفويض دون الإضاعة، وخلع الأسباب دون إسقاطها، والثقة بالله دون الغرة به عجزاً وحمقاً، والسكون إلىٰ الله دون مساكنة السبب، ومناولة الرضا بالقدر(1)، والاتصاف بذلك كله حالاً وذوقاً، ودعاء الاستخارة(2) جامع لوظائف المتوكل الثلاث، وهي: العلم، والحال، والعمل، فليحتفل به.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾(3).

فلما رأوا الوقائع قوي إيمانهم، وأناطت الدوافع.

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾(4) الآية.

فلما سمعوا التهويل زادهم، وألهجهم بالحسبلة والتسليم، فعقب ذلك الجميل.

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾(5).

---

(1) مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قدر الأشياء في القدر وعلم ـ سبحانه ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ سبحانه وتعالى ـ وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها ـ سبحانه وتعالى ـ وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقدرها ولم يتقدم علمه ـ سبحانه وتعالى ـ بها، وأنها مستأنفة العلم، أي إنما يعلمها ـ سبحانه وتعالى ـ بعد وقوعها، وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. النووي في شرح مسلم [١/١٣٨]. طبعة دار الكتب العلمية.

(2) دعاء الاستخارة رواه البخاري [١١٦٢، ٦٣٨٢] وفيه عن جابر قال: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به» قال: ويسمي حاجته".

(3) سورة الأحزاب [٢٢].

(4) سورة آل عمران [١٧٣].

(5) سورة الفرقان [٥٨].

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١) أي لا يتوكلون على غيره.

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٣) فأُمر به.

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤).

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٥) أي كافيه.

وقال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٦) فالتوكل شأنهم.

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٧).

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾(٨).

وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٩).

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧﴾(١٠).

وقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾(١١).

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(١٢).

وقال: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(١٣).

وقال: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾(١٤) الآية.

وقال: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾(١٥).

وأما الأحاديث فكثيرة، نذكر منها أحد عشر حديثاً:

أولها: حديث ابن عباس: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب» قيل: ومن هم؟ قال: «الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلىٰ ربهم

(١) سورة آل عمران [١٦٠]، المائدة [١١]، التوبة [٥١].
(٢) سورة المائدة [٢٣].
(٣) سورة آل عمران [١٥٩].
(٤) سورة آل عمران [١٥٩].
(٥) سورة الطلاق [٣].
(٦) سورة الأنفال [٢]، النحل [٤٢]، العنكبوت [٥٩].
(٧) سورة الأنفال [٤٩].
(٨) سورة يونس [٨٤، ٨٥].
(٩) سورة يوسف [٦٧].
(١٠) سورة الشعراء [٢١٧].
(١١) سورة النمل [٧٩]،
(١٢) سورة الأحزاب [٣].
(١٣) سورة الزمر [٣٨].
(١٤) سورة الممتحنة [٤].
(١٥) سورة المزمل [٩].

يتوكلون »[١] أخرجاه.

ثانيها: حديثه أيضاً: أنه ـ عليه السلام ـ كان يقول: « اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون »[٢] أخرجاه أيضاً.

ثالثها: حديث جابر في الأعرابي الذي اخترط[٣] السيف، وقال: من يمنعك مني ؟ قال: « الله »، زاد الإسماعيلي في صحيحه: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: « ومن يمنعك مني ؟ » فقال: كن خير آخذ، قال: « تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » فقال: لا، ولكني أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس.[٤]

رابعها: حديث ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل .رواه البخاري[٥].

وفي رواية له: إنها آخر كلمة قالها إبراهيم حين ألقي في النار.[٦].

خامسها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « يدخل الجنة من أمتي أقوام أفئدتهم مثل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٤١] كتاب الرقاق، [٥٠] باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم في صحيحه [٣٧١ ـ (٢١٨)] كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٨٥] كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] ، ومسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٧١٧)] كتاب الذكر والدعاء، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٢، ٣٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢]، والطبراني في المعجم الكبير [١١/ ٤٣، ٤٥، ٥١].

(٣) اخترط السيف: استله من غمده.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده [٣/ ٣٦٥]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٠٥]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [٧/٤٢٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٦٣] كتاب تفسير القرآن، [١٣] باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] الآية، وأحمد في مسنده [١/ ٣٢٦]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ١٢٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٠١، ٥/ ٣٣٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ٨٦]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [١٠٧٩].

(٦) أخرجه البخاري [٤٥٦٤] كتاب تفسير القرآن، [١٣] باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] الآية.

أفئدة الطير»[١] رواه مسلم .

قيل معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رقيقة، فشبّه فؤاد المتوكل بأفئدة الطير، لخلوها من الاهتمام بالرزق، ومحله القلب .

سادسها : حديث عمر مرفوعاً: « لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ؛ تغدوا خماصاً[٢] وتروح بطانا » . رواه الترمذي[٣] وحسنه .

ومعناه تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وتروح بطاناً أي ترجع مليئة البطون.

سابعها : حديث البراء مرفوعاً: « إذا أويت إلىٰ فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت ليلتك مت علىٰ الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً »[٤] أخرجاه، وفي رواية لهما: « واجعلهما آخر ما تقول».

ثامنها : حديث الصديق ﷺ: " نظرت إلىٰ أقدام المشركين، ونحن في الغار، وهم علىٰ رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » أخرجاه[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٨٤٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١١] باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٣١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٥]، والقرطبي في تفسيره [١٣/ ١١٥] .

(٢) خمص الجوع فلاناً خمصاً وخموصاً: أدخل بطنه في جوفه، وخمُصَ بطنُهُ خمصاً: خلا وضمر.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٤٤] كتاب الزهد، باب التوكل علىٰ الله، وأحمد في مسنده [١/ ٣٠]، وابن المبارك في الزهد [١٩٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٩٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٢٣٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٣٨٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٣١٠] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣١٣] كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا نام، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٧١٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه [١٤٤٨]، وابن ماجه في سننه [١٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرىٰ [٢/ ١٩٧، ١٩٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٩، ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٨٦] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٥٣] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢] باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٢٣٨١)] كتاب فضائل الصحابة، [١] باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، وأحمد في مسنده [١/ ٤]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٣٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٦٨] .

تاسعها: حديث أم سلمة: أنه ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله توكلت علىٰ الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضَلَّ، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليَّ»[1] رواه أبو داود والترمذي وصححه .

عاشرها: حديث أنس مرفوعاً: « من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان » رواه أبو داود والترمذي وصححه .[2].

وفي أبي داود: « فيقول ـ يعني الشيطان ـ لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟».

الحادي عشر: حديثه أيضاً قال: " كان أخوان علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي رسول الله ﷺ، والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلىٰ الرسول ﷺ فقال: «لعلك ترزق به »[3] رواه الترمذي بإسناد علىٰ شرط مسلم .

ولنذكر من الحكايات ما يليق بهذا الموطن :

الأولىٰ: عن عبد الواحد بن زيد قال: كنا في مركب، فطرحتنا الريح إلىٰ جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً، فقلنا له: من تعبد ؟ فأومأ إليه، فقلنا: إن إلهك هذا مصنوع، عندنا من يصنع مثله، ما هذا بإله يُعبد، فقال: أنتم من تعبدون ؟ قلنا: نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأرض بطشه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه، تقدست أسماؤه، وجلت عظمته وكبرياؤه، قال: وما علمكم بهذا ؟ قلنا: وَجَّه إلينا الملك رسولا كريماً فأخبرنا بذلك، قال: فما فعل الرسول ؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الملك إليه، واختار له ما لديه، قال: فهل ترك عندكم من علامة؟ قلنا: نعم ؛ ترك عندنا كتاب الملك، قال: فأروني كتابه، فإنه ينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً، فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة، فلم يزل يبكي حتىٰ ختمناها، فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم وحسن إسلامه، وعلمناه شرائع الدين وسوراً من القرآن، فلما كان الليل صلينا العشاء،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٤، ٥٠٩٥] ، والترمذي [٣٤٢٧]، وابن ماجه [٣٨٨٥]، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٠٦، ٣١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٥١]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٨١، ٥١٩] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٥]، والترمذي [٣٤٢٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٥١]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ٣٢٦].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٤٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ٩٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٠٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٩٧] .

وأخذنا مضاجعنا، فقال: يا قوم هذا الملك الذي دللتموني عليه ينام إذا جنَّهُ الليل ؟ قلنا: لا، هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، قال: فبئس العبيد أنتم ؛ تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان، قلت لأصحابي: هذا قريب العهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذا، لا إله إلا الله، دللتموني علىٰ طريق لم تسلكوها، إذا كنت في جزيرة من جزائر البحر أعبد صنما من دونه، فلم يضيعني، وأنا لا أعرفه، أفيضيعني الآن وأنا أعرفه ؟!! فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي: إنه في الموت فأتيته، فقلت له: هل لك من حاجة ؟ قال: قد قضى حوائجي من جاء بكم إلىٰ الجزيرة، فغلبتني عيني، فرأيت روضة خضراء بها قبة، وفي القبة سرير وعليه جارية حسناء لم يُر أحسن منها، وهي تقول: بالله إلا ما عجلتم به إليّ، فقد اشتد شوقي إليه، فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا، فغسلته وكفنته وواريته في التراب، فلما كان الليل رأيته في منامي في تلك القبة، وهو إلىٰ جانب الجارية، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرّعد: ٢٣] الآية .

الثانية: قال عبد الله بن أبي نوح: لقيت رجلا من العبَّاد في بعض الجزائر منفرداً، فقلت: يا أخي ما تصنع هنا وحدك، أما تستوحش ؟ فقال: الوحشة في غير هذا الموضع أعم، قلت: كم أنت هاهنا ؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قلت: من أين المطعم ؟ قال: من عند المنعم، قلت: فما هنا بالقرب منك شيء تعول عليه إذا احتجت إلىٰ المطعم، ورجعت إليه ؟ قال: ما همك بما قد كفيته، وضُمن لك ؟ قلت: أخبرني بأمرك ؟ قال: ما لي أمر غير ما ترى ؛ أظل في هذا الليل، وهذا النهار متوكلا علىٰ من لا تأخذه سنة ولا نوم، ثم صاح صيحة أفزعتني فوثبت، وسقط مغشياً عليه، فتركته علىٰ تلك الحالة ومضيت، رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به .

وأنشدوا في هذا المعنى :

حقيقة العبد عندي في توكله سكوت أحشائه عن كل مطلوب
وإن تراه لكل الخلق مُطَّرحاً يصون أسراره عن كل محبوب

الثالثة: حكى الأصمعي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي علىٰ قعود متقلداً سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: من الرجل ؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي ؟ قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت ؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم، قال: اتل عليَّ شيئاً منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، فابتدأت سورة والذاريات، حتىٰ انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾[(١)] قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن ـ عز وجل ؟ قلت: إي والذي بعث محمداً ﷺ للخلق، إنه لكلام الرحمن، أنزله علىٰ نبيه محمد ﷺ فقال: حسبك، ثم قام إلىٰ راحلته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعني علىٰ تفريقها، ففرقناها علىٰ من أقبل وأدبر، ثم عمد إلىٰ سيفه وقوسه فكسرها، وجعلهما تحت الرمل، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[(٢)] فأقبلت علىٰ نفسي باللوم وقلت: لم لا تنتبهي لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا طائف بالكعبة، إذا هتف بي هاتف بصوت رقيق، فالتفت فإذا بالأعرابي نحيل مصفار، فسلم عليّ، وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة والذاريات، فلما انتهيت إلىٰ قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريَات: ٢٢] صاح الأعرابي، وقال: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وغير هذا، قلت: نعم ؛ يقول الله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[(٣)] فصاح الأعرابي: من أغضب الجليل حتىٰ حلف، ألم يصدقوه حتىٰ ألجأوه إلىٰ اليمين ؟!! قالها ثلاثا، فخرجت نفسه ـ رحمه الله تعالىٰ .

الرابعة: عن بشر الحافي ـ رحمه الله ـ أنه جاء نفر فسلموا عليه، فقال: من أنتم ؟ قالوا: نحن من الشام، جئنا نسلم عليك، ونريد الحج، فقال: شكر الله لكم، فقالوا: نخرج معك لنحج في صحبتك، فأبى، فألحوا عليه، فقال: إذا عزمتم علىٰ ذلك فيكون بثلاثة شروط، قالوا: وما تلك الشروط ؟ قال: لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحداً شيئاً، وإن أعطينا لا نقبل، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال: كأنكم خرجتم من بيوتكم متوكلين علىٰ مزاود الحجاج، لا متوكلين علىٰ الله، دعوني وحالي، وروحوا إلىٰ أشغالكم، ثم قال: أحسن الفقر ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أعطي لا يأخذ، فذاك من الروحانيين، أو قال: مع الروحانيين، وفقير يسأل وإن أعطي لا يأخذ، قيل قدر الكفاية، فكفايته صدقة، وفقير لا يسأل، وإن أعطي قبل فذاك من الذين يوضع لهم موائد في حضرة القدس .

فائدة: قيل: دخل جماعة علىٰ أبي القاسم الجنيد[(٤)] – رحمه الله تعالىٰ ـ فقالوا

(١) سورة الذاريات [٢٢] . (٢) سورة الذاريات [٢٢] .
(٣) سورة الذاريات [٢٣] .
(٤) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل كان أبوه قواريرياً يعني زجاجاً، وكان هو خزازاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه ـ رحمة الله عليه ـ ولد ببغداد بعد [٢٢٠] فيما أحسب أو قبلها، وتفقه علىٰ أبي ثور، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، وتوفي سنة [٢٩٨] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٩١ – ٣٠٠] .

له: نطلب أرزاقنا ؟ فقال: إن علمتم أين هي فاطلبوها، فقالوا: نسأل الله ذلك، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فاذكروه، فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل، فقال: التجربة مع الله شك، قالوا: فما الحيلة ؟ قال: ترك الحيلة .

الخامسة: عن بعضهم قال: رأيت فتى في طريق مكة يتبختر في مشيته، كأنه في صحن داره، فقلت له: ما هذه المشية ؟ فقال: مشية الفتيان ؛ خُدَّام الرحمن.

وأنشدوا :

أتيه بك افتخاراً غير أني ... أتيه من المهابة عند ذكرك

ولو أني قدر لمُت شوقاً ... وإجلالا لأجل عظيم قدرك

فقلت: أين زادك وراحلتك ؟ فنظر إليّ منكراً لقولي، ثم قال: يا هذا رأيت عبداً ضعيفاً قصد مولى كريماً، ثم حمل إلىٰ بيته طعاما، أيجمل به ذلك لو فعل ذلك لأمر الخدَّام بطرده عن بابه ؛ إن المولى ـ جلّت قدرته ـ لما دعاني إلىٰ المقصد إليه، رزقني حُسن التوكل عليه، ثم غاب عني، فما رأيته بعد ذلك رحمة الله عليه .

السادسة: حكي أن عابداً اعتكف في مسجد، ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان خيراً لك وأفضل، فلم يجبه حتىٰ أعاد عليه القول ثلاثاً، فقال له في الرابعة: بجوار المسجد رجل يهودي قد ضمن لي في كل يوم رغيفين، فقال: إن كان صادقاً في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك، فقال: ياهذا، لو لم تكن إماما بين الله ـ تعالىٰ ـ وبين عباده مع هذا النقص في التوحيد لكان خيراً لك ؛ تفضل ضمان اليهودي علىٰ ضمان الله ﷻ وأنشدوا في هذا المعنى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لتطلب رزق الله من عند غيره ... وتصبح من خوف العواقب آمناً

وترضى بصراف وإن كان مشركا ... ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

السابعة: عن علي بن عبدان ـ رحمه الله ـ قال: كان عندنا مجنون يُجنُّ بالنهار، ويفيق بالليل، ويصلي وينادي ربه إلىٰ الصباح، فقلت له يوماً: منذ كم جننت ؟ قال: مذ عرفته، ثم أنشد يقول :

أنا الذي ألبسني سيدي ... لما تعريت لباس الوداد

فصرت لا آوي إلىٰ مؤنس ... إلا إلىٰ مالك رزق العباد

قال: فخرجت فإذا به ذاهب العقل، فدخل وقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[1]، فقلت: إنه جائع، فقدمت له طعاما، فأكل ثم شرب، فأنشأ يقول:

---

(١) سورة الكهف [٦٢] .

عليك اتكالي لا على الناس كلهم ... وأنت بحالي عالم ليس تعلم
وأقسمت أني كلما جعت سيدي ... ستفتح لي باباً فأُسقى وأطعم

فقلت له: أوصني بوصية، فأنشأ يقول:

الزم الخوف مع الحزن ... وتقوى الله تربح
واترك الدنيا جميعاً ... إن تقوى الله أرجح
واجتهد في ظلمة الليل[1] ... إذا ما الليل أجنح
واقرع الباب إليه ... فلعل الباب يفتح

الثامنة: قال بنان الحمال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: كنت في طريق مكة ومعي زاد، فجاءتني امرأة وقالت: يا بنان أنت حمال تحمل علىٰ ظهرك، وتظن أنه لا يرزقك؟ قال: فرميت بزادي، ثم أتى عليّ ثلاثة أيام لم آكل، فوجدت خلخالا في الطريق، فقلت في نفسي: أحمله حتىٰ تأتي صاحبته، فربما تعطيني شيئاً، فإذا بتلك المرأة فقالت: أنت تاجر تقول: حتىٰ تجيء صاحبته، وآخذ منها شيئاً، ثم رمت إليّ بشيء من الدراهم وقالت: انفقها، فاكتفيت بها إلىٰ قريب مصر.

وأنشدوا:

كم من قوي قوى في تقلبه ... مميز الرأي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ... كأنه من ملح البحر يغترف
هذا دليل علىٰ أن الإله له ... في الخلق سرٌّ خفي ليس ينكشف

التاسعة: حكي عن الشيخ أبي يعقوب البصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: جُعت مرة في الحرم عشرة أيام، فوجدت ضعفاً، فحدثتني نفسي أن أخرج إلىٰ الوادي، لعلي أجد شيئاً يسكن به ضعفي، فخرجت فإذا سلجمة مطروحة فأخذتها، فوجدت منها في قلبي وحشة، وكأن قائلا يقول لي: جعت عشرة أيام فآخره يكون حظك سلجمة[2] مطروحة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد، فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدي، فوضع قمطرة وقال: هذا لك، فقلت: كيف خصصتني بها؟ قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام، فأشرفت السفينة علىٰ الغرق، فنذر كل

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٦٦ ـ (٧٥٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٣] باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه، إياه وذلك كل ليلة».

(٢) السَّلجم: اللّفت، واحدته سلجمة.

واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن نتصدق بها أول من يقع بصري عليه من المجاورين، وأنت أول من لقيته، قلت: افتحها، فإذا فيها كعك من سميد[١] مصر، وقلب لوز وسكر، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا، وقلت: رد الباقي إلىٰ صبيانك هدية مني إليهم، وقد قبلتها، ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام، وأنت تطلبه من الوادي ؟!!

وأنشدوا :

لقد علمت وما الإشراف من خلقي ... إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

العاشرة: حكي أن عابدا من عباد الحرم كان يأتيه رجل كل ليلة بقرصين يفطر عليهما ولا يشتغل بغير الله ﷻ فقالت له نفسه: سكنت في القوت إلىٰ هذا المخلوق، ونسيت رازق المخلوقين، ما هذه الغفلة !! فلما أتاه الرجل بالقرصين ردهما عليه، وانصرف عنه، وبقي الفقير ثلاثة أيام لم يفتح عليه بشيء من القوت، فشكى ذلك إلىٰ ربه ﷻ فرأى تلك الليلة في النوم أنه واقف بين يدي الله تعالىٰ، فقال: يا عبدي، لم رددت ما أرسلت به إليك مع عبدي ؟ فقال: يا رب، لما قام في نفسي من السكون إلىٰ غيرك، فقال: يا عبدي، فمن أرسله إليك؟ قال: أنت يا رب، قال: وكنت تأخذ من مَنْ ؟ قال: منك، قال: خذ ولا تعد، ثم رأى الرجل المتصدق كأنه واقف بين يدي الله - سبحانه وتعالى - فقال له: يا عبدي، لم منعت عبدي قوته ؟ قال: يا رب قد علمت ذلك، قال: يا عبدي، أنت لمن تعطي ؟ قال: لك يا رب، قال: فأجري الفقير علىٰ عادته وأبقه علىٰ عادتك، وثوابك الجنة .

وأنشدوا :

وكل جميل أو جمال فجوده ... وصنعته عن حكمة ذات إتقان

فلا نعمة إلا ومن عنده أتت ... إليك وإن جاءتك من عند إنسان

الحادية عشر: عن إبراهيم بن بشار[٢] - رحمه الله تعالىٰ - قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - في سفره وليس معنا شيء نفطر عليه، ولا لنا حيلة،

---

(١) السّميد: السميذ، وهو لباب الدقيق .

(٢) إبراهيم بن بشار الخراساني الصوفي، صاحب إبراهيم بن أدهم طال عمره، وبقي إلىٰ بعد الثلاثين ومائتين، روي عن إبراهيم بن أدهم وحماد بن زيد والفضيل بن عياض، روى عنه: أحمد بن عون البزوري، وإبراهيم بن نصر المنصوري، وأبو العباس السراج، وذكره ابن حبان في الثقات، قال الدارقطني: تأخرت وفاته . انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠] .

قال: فرآني الشيخ مغتماً حزيناً فقال: يا ابن بشار، ماذا أنعم الله علىٰ الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة ؛ لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج، ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، إنما يُسأل ويُحاسب عن هذا هؤلاء المساكين ـ يعني الأغنياء ـ قال: إن الأغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة[1]، أعزة في الدنيا أذلة في الآخرة، لا تغتم ولا تحزن ؛ فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك والأغنياء ؛ تعجلنا الراحة في الدنيا والآخرة، ولا نبالي علىٰ أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله تعالىٰ، ثم قام إلىٰ صلاته، وقمت إلىٰ صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة، وإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله . فسلم إبراهيم من صلاته وقال: كل يا مغموم يا حزين، فمر بنا سائل فقال: أطعموني شيئاً لوجه الله ـ تعالىٰ ـ فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفة وتمراً، وأعطاني ثلاثة أرغفة وتمراً، وأكل هو رغيفين وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين ـ رحمهم الله .

الثانية عشرة: عن الشيخ أبي الحسن الديلمي ـ رحمه الله ـ قال: وصف لي إنسان أسود بأنطاكية يتكلم علىٰ القلوب فقصدته، فلما رأيته أبصرت معه شيئا من المباحات يريد بيعه، فساومته وقلت: بكم هذا ؟ فنظر إليّ ثم قال: اقعد حتىٰ أبيعه وأعطيك شيئاً من ثمنه ؛ فإنك جائع منذ يومين، قال: وكنت جائعا منذ يومين . فتغافلت كأني لم أسمع ما قال، وذهبت عنه وساومت غيره، ثم عدت إليه وقلت: بكم هذا ؟ فنظر إليّ وقال: اقعد فإنك جائع منذ يومين، حتىٰ إذا بعنا أعطيناك شيئاً، قال: فوقع في قلبي منه هيبة، فلما باع أعطاني شيئاً، ومضى فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئاً بقوله، فالتفت إليّ وقال: إذا عرضت لك حاجة فاتركها لله إلا أن يكون لنفسك فيها حظ، فتحجب عن الله، ومن علم أن الله كافيه[2] لا يستوحش

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٥٤٦] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، عن عمران بن الحصين، عن النبي ﷺ قال: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »، وروى أحمد في مسنده [٢/ ٢٩٦، ٤٥١]: « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » .

(٢) روى الترمذي [٢٥١٦] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن ابن عباس قال: " كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » " .

من إعراض الخلق عنه، ولا بإقبال الخلق عليه، ثقة بأن الذي قُسم له لا يفوته، وإن أعرضوا عنه، والذي لم يقسم له لا يصل إليه، وإن أقبلوا عليه .

الثالثة عشر: عن بعض الشيوخ قال: دخلت أنا وعشرة نفر في جبل ركام، فسرنا فيه، فإذا نحن بواد علىٰ حافتيه أشجار مثمرة فيها من كل لون من الثمر، فرأينا من بعيد علىٰ شاطئ النهر كُركيًّا[1] قائما، فقربنا منه، فإذا هو مطموس العينين، فبقينا نتعجب من أمره، فبينما نحن قيام إذ أقبلت نحلة سوداء خلفها نحل كثير، فلما وصلت إلىٰ الكركي دنت منه ففتح منقاره، فوضعت النحلة فيه عسلا، فلم يزل النحل يدخل واحدة بعد واحدة، ويصبنّ العسل في فيه حتىٰ لم يبقى منه شيء، فامتلأ فمه عسلاً فأطبق عليه منقاره فسقط منه شيء من العسل وأخذته وأكلته وانصرفنا .

الرابعة عشر: قيل: خرج إنسان من أهل الخير يطلب الرزق في وقت حصاد الزرع، فأصابه المطر فآوى إلىٰ كهف فوجد فيه عقاباً أعمى، فبقي متفكراً، من أين يأكل ذلك العقاب ؟!! وإذا بحمامة دخلت الكهف تستكنّ من المطر، فوقعت فوق العقاب، فأمسكها العقاب وأكلها، فرجع ذلك الإنسان إلىٰ مكانه، وتوكل علىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ- .

الخامسة عشرة: عن بعض الشيوخ قال: خرجت أنا وأبو علي البليدي نريد زيارة أخ من إخواننا، فدخلنا البرية، فأصابنا جوع، فإذا بثعلب يحفر الأرض، ويخرج كمامة منها ويرمي بها إلينا، فأخذنا منها حاجتنا، ثم سرنا، وإذا نحن بسبع عظيم قائم، فلما قربنا منه إذا به أعمى، فوقفنا عليه نتعجب منه، وإذا بغراب معه قطعة لحم كبير، فضرب بجناحه علىٰ أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه قطعة اللحم، فقال لي أبو علي: هذه الآية لنا ليست للسبع، فسرنا في تلك البرية أياما، فإذا بكوخ فيها فقصدناه، فإذا فيه عجوز كبيرة ليس عندها شيء، وعلىٰ باب الكوخ حجر منقوب، فسلمنا وجلسنا عندها، فإذا هي مشغولة بعبادة ربها، فلما غابت الشمس خرجت من الكوخ بعد أن صلت المغرب، ومعها رغيفان عليهما قطعة تمر، فقالت: ادخلا الكوخ فخذا ما لكما فيه، فدخلنا، فإذا نحن بأربعة أرغفة وقطعتين تمراً، وما في ذلك الموضع نخل ولا تمر فأكلنا، فلما كان بعد ساعة جاءت سحابة فأمطرت علىٰ الحجر حتىٰ امتلأ، ولم يسقط خارج منه قطرة واحدة، فقلنا لها: كم لك هاهنا ؟

---

(١) الكركي: طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب قليل اللحم، يأوي إلىٰ الماء أحياناً، جمعها: كراكيّ .

قالت: سبعون سنة ؛ حالي مع مولاي في أكلي وشربي كما ترون، فقلنا: هذا الماء علىٰ هذه الحالة كل ليلة ؟ قالت: نعم كل ليلة تجيء هذه السحابة في الصيف والشتاء، وهذان الرغيفان والتمر، ثم قالت: أين تريدان ؟ قالا: أبا نصر السمرقندي نزوره، فقالت: رجل صالح أبا نصر نقّال إلىٰ القوم، فإذا أبو نصر قائم عندنا، فسلم علينا وسلمنا عليه، ثم قالت: إذا أطاع العبد مولاه أطاعه مولاه .

السادسة عشر: عن أبي جعفر الفرغاني ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالديثور، فجاء قوم من الأكراد ليشتري لهم متاعاً، ثم قالوا له: لو علمت لمن نشتري هذا المتاع لسارعت إلىٰ شرائه، فقال لهم: حدثوني، فقالوا: نعم، ثم أومأوا إلىٰ رئيس لهم كانوا معه فقالوا: هذا سيد الحي، وكانت له زوجة فولدت له عدة من البنات، فقال لها وهي حامل: إن ولدت بنتاً فأنت طالق، وقُضي أنا رحلنا رحلة للشتاء نريد نحو المراغة ونواحيها، فبينما نحن نسير ذات يوم، إذ ضرب المرأة الطلق فأخذت ماء كأنها تتوضأ، فولدت جارية، فأخذتها ولفتها في خرقة وتركتها عند كهف جبل، وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد أنفش، ثم غبنا عن ذلك الموضع ستة أشهر، ثم رجعنا فنزلنا بذلك المكان، فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذي تركت الصبية فيه، فلما قربت منه، إذا غزالة قائمة عند الصبية وهي ترضع، فلما نظرتها الغزالة استوحشت وذهبت، وجاءت الأم إلىٰ الصبية، فأخذتها فبكت وشهقت، فوضعتها وتنحت عنها، فرجعت الغزالة، فلم تزل ترضعها وهي ساكنة، فجاءت المرأة إلىٰ الحيّ فأخبرتهم بذلك، فجاءوا بأجمعهم إلىٰ الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية، فلما أحست بهم تنحت، فبكت الصبية، فأخذها النساء، ولم يزلن يرفقن بها حتىٰ سكنت وأنست بهم، وجاءوا بها إلىٰ الحي، وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتىٰ رحلنا، وهذا المتاع الذي نريد نشتريه جهازها، وقد زوجها أبوها .

السابعة عشر: قال بعض الصالحين: رأيت في سياحتي[1] أعرابية صغيرة السن، فقلت لها: أين تنزلون ؟ قالت: بالبادية، قلت لها: أما تستوحشون ؟ قالت: يا بطال، وهل يستوحش مع الله من أنس به ؟!! فقلت لها: من أين تأكلون ؟ قالت: الله يعلم من أين يرزق عباده ؛ هو سبحانه يرزق من جحده، فكيف لا يرزق من وحّده، ثم قلت: قلوب عاشت بمعرفته، فطاشت بوحدانيته، وتلاشت في محبته، غذاؤهم

---

(١) ساح فلان في الأرض سياحة: ذهب وسار فهو سائح، وسيّاح، والسائح: المتنقل في البلاد للتنزه أو للاستطلاع والبحث والكشف ونحو ذلك، جمعها: سُيَّاح .

الأنس بالله، والمشاهدة لله، ربانيون روحانيون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون[(١)] - رحمهم الله جميعا .

الثامنة عشر: حكي عن ملك كرمان أنه خطب ابنة الشيخ شاة الكرماني - رحمه الله - فاستمهله ثلاثة أيام، ثم أقبل شاة يطوف المساجد، فرأى غلاماً يحسن صلاته، فلما فرغ قال: يا غلام ألك زوجة ؟ قال: لا، قال: فهل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصلي وتصوم، وهي جميلة نظيفة ؟ قال: ومن يزوجني ؟ قال شاة: أنا أزوجك، فخذ بدرهم خبزاً، وبدرهم أدماً، وبدرهم طيباً، والأمر مفروغ منه، فعقد عليها، فلما دخلت إلىٰ بيت الغلام رأت رغيفاً يابساً علىٰ رأس جرة، فلما رأت ذلك قالت: ما هذا ؟ قال: رغيف بقي معي من أمس، فتركته لأفطر عليه، فلما سمعت ذلك ولَّت راجعة، فقال الشاب: قد علمت أنك بنت شاة لا تقنعي بفقري، ولا ترضى بي لها بعلاً[(٢)] فقالت: إن بنت شاة ليس خروجها من منزلك لفقرك، بل لضعف يقينك، ولست أعجب منك؛ إنما أعجب من أبي كيف قال: زوجتك من شاب عفيف ؛ كيف وصف بالعفة من لا يعتمد علىٰ الله - تعالىٰ - إلا مع ادخار رغيف، فقال الشاب: أنا عن هذا معتذر، فقالت: أما العذر فأنت أعرف بشأنك، وأما أنا فلا أقيم في بيت فيه رغيف ولا معلوم، فإما أن أخرج أنا وإما أن يخرج الرغيف من البيت، فتصدق الشاب بالرغيف .

وأنشدوا :

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء علىٰ الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

التاسعة عشر: روي أن عطاء الأزرق دفعت إليه امرأته درهمين وقالت له: اشتر لنا دقيقاً، فخرج إلىٰ السوق فرأى مملوكاً يبكي فقال: لم تبكي؟ فقال: إن مولاي دفع لي

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

(٢) روى الترمذي في سننه [١٠٨٤] كتاب النكاح، باب ما جاء «إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه»، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »، وفي رواية عن أبي حاتم المزني رقم [١٠٨٥] " قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه ؟ قال: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات " وفي اختيار الزوجة الصالحة روى الترمذي عن جابر [١٠٨٦] أن النبي ﷺ قال: « إن المرأة تنكح علىٰ دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك »، وقال أبو عيسى: حسن صحيح .

درهمين أشتري بهما شيئاً فسقطا مني، وأخاف أن يضربني، فدفع إليه عطاء الدرهمين ومضى يصلي إلىٰ وقت المساء، وانتظر شيئاً يفتح عليه، فلم يفتح له بشيء، فقعد علىٰ دكان صديق له نجار، فقال له: خذ من هذه النشارة لعلكم تحتاجون إليها تحمون بها التنور(١) فليس لي شيء أواسيك به، وأخذ ذلك في جرابه ورجع إلىٰ بيته، وفتح الباب وطرح الجراب في البيت ومضى إلىٰ المسجد فصلى فيه العشاء، وقعد حتىٰ مضى شيء من الليل رجاء أن ينام أهله لئلا يخاصموه، ثم جاء إلىٰ البيت فوجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم الدقيق، قالت: من الذي حملته من الجراب، ولا تعد تشتري لنا إلا من عند الذي اشتريت منه هذا الدقيق، فقال: أفعل إن شاء الله ـ تعالىٰ .

العشرون: حكي أن حبيباً العجمي كان له زوجة سيئة الخلق، فقالت له يوماً: إذا لم يفتح عليك بشيء فأجّر نفسك، فخرج إلىٰ الجبّانة وصلى العشاء، ثم أتى بيته خجلا من توبيخها، مشغول القلب من شرها، فقالت: أين أُجرتك ؟ فقال لها: الذي استأجرني كريم ؛ استحييت من استعجاله، فمكث كذلك أياما يصلي في الجبانة إلىٰ الليل، وتقول له: أين أجرتك، فيقول لها: استأجرني كريم فخفت من استعجاله، فلما طال عليها الحال قالت له: اطلب أجرتك من هذا، أو أجّر نفسك من غيره، فوعدها أن يطلب الأجرة، وخرج إلىٰ عادته، فلما أمسى الليل عاد إلىٰ منزله خائفاً منها، فرأى في بيته دخاناً، ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة، فقالت: لقد بعث لنا الذي استأجرك ما يبعث الكرام، وقال رسوله لي: قل لحبيب يجد في العمل ويعلم أنّا لم نؤخر أجرته بخلا بها، ولا عدما فيقر عيناً ويطيب قلباً، ثم أرته أكياساً مملوءة دنانير، فبكى حبيب وقال لزوجته: هذه الأجرة من كريم، هذه خزائن السماوات والأرض.(٢)

فلما رأت ذلك تابت إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وأقسمت أنا لا تعود إلىٰ ما تابت عنه .

الحادية بعد العشرين: حكي أن إبراهيم الخواص ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كان لي وقت، وحرت مرة، فكنت أخرج كل يوم إلىٰ نهر كبير كان حوله خوص، فكنت أقطع شيئا من الخوص وأعمله قفافاً وأطرحه في ذلك النهر وأتسلى بذلك، وكأني كنت مطالباً به، فجرى وقتي علىٰ ذلك أياماً كثيرة، ففكرت يوماً وقلت: أمضي خلف ما أطرحه من القفاف في الماء لأنظر أين يذهب، فمشيت علىٰ شاطئ النهر ساعة ولم

---

(١) التَّنور: الفرن يخبز فيه، جمعها تنانير .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنَافِقون: ٧] .

أعمل ذلك اليوم شيئاً، فإذا عجوز قاعدة علىٰ شاطئ النهر تبكي، فقلت لها: ما لك تبكين ؟ فقالت: لي خمسة من الأيتام، مات أبوهم، وأصابتني فاقة وشدة بعده، فأتيت هذا الماء يوماً، فجاء علىٰ رأس الماء قفاف من الخوص، فأخذتها وبعتها وأنفقتها عليهم، وأتيت اليوم الثاني والثالث والقفاف تجئ علىٰ رأس الماء، فكنت آخذها وأبيعها، واليوم ما جاءت، قال إبراهيم: فرفعت يدي إلىٰ السماء وقلت: اللهم لو علمت أن لك خمسة من العيال لزدت في العمل، ثم قلت للعجوز: لا تغتمي، فأنا الذي كنت أعمل ذلك، ثم مضيت معها ورأيت موضعها، وكانت فقيرة، فقمت بأمرها وأمر عيالها سنين، أو كما قال .

الثانية بعد العشرين: حكي عن بعض الفقراء قال: كنت يوماً متفكراً في نفقة العيال، فاشتغل قلبي ساعة، فنمت لأستريح، فرأيت في منامي كأني في جزيرة في وسط بحر، فقلت: من أين يصل إليّ ما آكل وما أشرب في هذا المكان ؟ فهتف بي هاتف وقال لي: يا هذا لو كان رزقك خلف سبعة أبحر لأتاك، فانتبهت مسروراً، وزال عني ما كنت أجد، وبعد ذلك جاءتني رسالة علىٰ يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر لي ببال، فقلت: صدق الله عز وجل في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

وحكى سيدي الشيخ الإمام عبد الله اليافعي قال: كنا جماعة في بعض الأسفار، جمعت بيننا في الطريق الأقدار، فمررنا في بعض الأيام بقرية فنزلنا فيها، وأرسل للجماعة حتىٰ دخلوها إلا واحداً منهم، فاستعار بُرمة فعصدوا فيها عصيدة وأكلوها إلا واحداً ؛ فإنه غاب عنها ولم ينادوه يأكل معهم منها ومعه قليل من الدقيق لم يجد من يصنعه له من معروف أو صديق، فخرج يدور بدقيقه بين البيوت ليجد من يصنع له ذلك القوت، فبينما هو كذلك يدور، وإذا هو بشخص ضعيف مضرور جمعت القدرة بينهما بواسطة اللطف الخفي من غير وعد، ونادى لسان حال الحكمة الإلهية، هذا رزق هذا الضعيف، ورزقك يأتي بعد، فدفع إليه رزقه ورجع إلىٰ رفقته بلا غذاء، فبينما هو غائب عن علم الغيب، وإذا باللطف الخفي قد بدا .

قيض الله إنساناً دعاه من بين الجماعة فأطعمه ثريداً ولحماً وسمناً في تلك الساعة حتىٰ شبع وقوي علىٰ المشي الكثير، فسبحان الكريم اللطيف الخبير، أيتها النفس الهلوعة الضعيفة اليقين، أما تصدقين، ويحك بوعد الحق المبين ؟ أما تتيقن، ويلك بضمان خير ضمين ؟ أما توقني بقول أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو

(١) سورة الطلاق [٢، ٣] .

ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[١].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٢].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٣].

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

ثم أتبع ذلك بقسم عظيم، أقسم به رب العالمين، مع أن قوله حق، ووعده صدق، لا يحتاج إلىٰ يمين، فقال عز من قائل: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٥].

أما تعلمين أن وعده الوفي، ولطفه الخفي قد ضُمن للعباد في جميع البلاد، بسط أيادي الجود في جميع الموجود، وساق مطايا الأرزاق من خزائن رحمة الرزاق، القدر السابق في القدم بسوط القدرة، وقادها بزمام اللطف والكرم، حتىٰ دخلت في باب الأسماء من بعد ما خرجت من باب العدم، وسارت في الوجود إلىٰ أن وصلت إلىٰ سرادقات عالم التقريب والتمكين، فبركت في مبارك البركات بالمواهب الجليلة من المقامات العلية، فحط عنها تحف الفوائد، وطرف العوائد الجميلة، ثم حمل تلك الطرف والتحف خُدَّام القدرة، ودخل بها إلىٰ حضرة أهل الحضرة، فناولوا بتلك المواهب أعز المواهب من المقامات العالية، والمعارف الغالية، خصّهم بها المولى الكريم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[٦].

وأنشدوا في المعنى :

---

(١) سورة الذاريات [٥٨] .
معنى الآية أنه ـ تبارك وتعالى ـ خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم؛ فهو خالقهم ورازقهم . ورروي أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يعني « قال الله تعالىٰ: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك » تفسير ابن كثير [٤/٢٣٨].

(٢) سورة هود [٦] . (٣) سورة سبأ [٣٩] .

(٤) سورة الذاريات [٢٢] .

(٥) سورة الذاريات [٢٣] . يقسم ـ تعالىٰ ـ بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ ﷺ إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا . تفسير ابن كثير [٤/ ٢٣٥] .

(٦) سورة الحديد [٢١] .

=

تبارك من عم الوجود بجوده ... ومن منه يفيض الفضل للخلق يغمر
ومن خص أهل القرب صفوة خلقه ... بفضل عظيم وصفه ليس يحضر
فللقوم أعلام الولايات أُعلمت ... بمحمد وخلعات الكرامات تزهر

وحكي أنه خرج بعض المريدين في طلب الرزق، فسعى حتىٰ تعب، فوجد خربة فجلس يستريح فيها، فبينما هو يتصفح الجدران، فنظر في بعضها لوحاً من رخام أخضر مكتوب فيه بخط أبيض هذه الأبيات:

لما رأيتك جالساً مستقبلا ... أيقنت أنك للهموم قرين
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ... ولعل ما ترجوه سوف يكون
يسعى الحريص فلا ينال بحرصه ... حظاً ويحظى عاجز ومهين
فارفض لها وتعرَّ من أثوابها ... إن كان عندك للقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقاً ... فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

قال: فقرأها ورجع إلىٰ منزله، ولم يهتم في الرزق بعدها ـ رحمه الله تعالىٰ.

= أي هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنّه عليهم وإحسانه إليهم، وروي في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، قال: «أفلا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

مجلس في الاستقامة

وهي لزوم الطاعة، وهي من جوامع الكلم ونظام الأمور .

قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾(١)

أي من إخلاص وصدق قولا وعملا واعتقاداً .

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾(٢) الآية .

وبشارة الملائكة لهم، إما عند الموت أو في القبر أو المحشر، أو كل موطن بما لا يحيط به الوصف .

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾(٣)

وثبت في صحيح مسلم من حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: « قل آمنت بالله ثم استقم »(٤).

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله » قالوا: يا رسول الله ولا أنت ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »(٥).

---

(١) سورة هود [١١٢]
يأمر تعالىٰ رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام علىٰ الاستقامة، وذلك من أكبر العون علىٰ النصر علىٰ الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهي عن الطغيان وهو البغي، فإنه مصرعه حتىٰ ولو كان علىٰ مشرك، وأعلم ـ تعالىٰ ـ أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء .
تفسير ابن كثير [٢/ ٤٧٢، ٤٧٣] .

(٢) سورة فصلت [٣٠] . (٣) سورة الأحقاف [١٣] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٣٨)] كتاب الإيمان، [١٣] باب جامع أوصاف الإسلام، وأحمد في مسنده [٣/ ٤١٣، ٤/ ٣٨٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٥٠، ١٠/ ٢٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٧٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٢٢٠، ٥/ ٣٦٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥]، والبخاري في التاريخ الكبير [٥/ ١٠٠]، والخطيب في تاريخ بغداد [٢/ ٣٧٠، ٩/ ٤٥٤] .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٦ ـ (٢٨١٦)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٧] باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله ـ تعالىٰ ـ. وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٤، ٣١٩، ٣٤٤]، =

والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والسداد: الاستقامة والإصابة، ويتغمدني: يلبسني ويسترني .

شعر :

يا ويح من ضل سبيل الهدى ... وفاته منك بلوغ المرام

ومن أتى حصنك آوتيه ... فركنه في عزة لا يضام

كم صالح قد صف أقدامه ... نفى الليل يبكي بالدموع السجام

وما له حظ سوى أنه ... أشقاه مولاه بطول القيام

وكم قريب خاب سعياً وما ... نال سوى التعذيب والانتقام

وكم بعيد نال ما يرتجى ... ونال في عقباه أعلى مقام

يا أيها اللوام كفوا فمن ... دليله حيرة لا يلام

من لم يكن الوصف أهلا فما ... يفيده القرب ولا الاعتصام

فسطوة الإقدام لا تقتدى ... فانتبهوا من نومكم يا نيام

يا أيها المذنب قم واعتذر ... وتب من الذنب وكسب الآثام

إلى متى أنت ترى غاديا ... ورائحا في اللهو طوع الغرام

أنب إلىٰ الله وتب واستقم ... من قبل أن تشرب كأس الحمام

وإن تجف قبح ذنوب مضت ... فلذ بخير الخلق مولى الأنام

= والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٦٩]، والترمذي [٣١٦٨]، وابن ماجه [٤٢٠١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٢٣٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٣٤٣]، وذكره الحافظ في الفتح [١١/ ٣٩١].

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله ـ تعالىٰ ـ لا يجب عليه شيء ـ تعالىٰ الله ـ بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ؛ فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر - وخبره صدق - أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه، أما المعتزلة، فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم ـ تعالىٰ الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع ـ وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٣١، ١٣٢] طبعة دار الكتب العلمية .

محمد المختار من هاشم أفضل من حج ولبى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت طلائع الصبح وولى الظلام

غيره

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فإن رجائي شافعي ويقيني

مجلس في التفكير

في عظيم المخلوقات وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها، وتقصير النفس وتهذيبها وحملها علىٰ الاستقامة .

وحاصله تلمس البصيرة لاستدراك البغية، وتمرنه العلم والعمل .

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[1] .

أي فتزول عنكم رقدة الغفلة، وورطة الفترة .

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] .

وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[3] الآية.

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4] الآية.

والآيات كثيرة .

ومن الأحاديث:

الحديث السالف: « الكيس من دان نفسه »[5] أي ناظراً في صلاحها وفسادها،

---

(١) سورة سبأ [٤٦] .
يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين أنك مجنون ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي إنما آمركم بواحدة وهي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي تقوموا قياماً خالصاً لله ﷿ من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضاً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك . تفسير ابن كثير [٣/ ٥٦٠] .

(٢) سورة آل عمران [١٩٠ - ١٩١] .

(٣) سورة الغاشية [١٧] .

(٤) سورة يوسف [١٠٩]، الحج [٤٦]، غافر [٨٢] .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٥٩] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٣٨، ٣٤١]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٤]، ٨/ ٤٢٨، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٣٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٨٩]، والمنذري في =

وطالباً تزكيتها .

وفي صحيح البخاري في قصة العنبر : وإن ضلعها كذا ، وأكل منها كذا وكذا .

وفي جامع الترمذي من حديث العباس وقال : حسن غريب ، في السحابة وأنها المزن والعنان أيضاً . ثم قال ﷺ : « أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض ؟ » قالوا : لا ، قال : « فإن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث سبعون سنة ، والسماء التي فوقها كذلك » حتىٰ عدهن سبع سماوات كذلك . ثم قال : « فوق السابعة بحر ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلىٰ سماء ، وفوق ذلك ثمانية أعوال ما بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلىٰ سماء ، والله ـ تعالىٰ ـ فوق ذلك »[1] .

وقد حكى ابن عباس في حملة العرش ما يهيم ، وقد ساقه البغوي وغيره في تفسيره في قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾[2] وإن ما بين كعب أحدهم إلىٰ أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام .

ويحكى أن أقدامهم في تخوم الأرض ، والأرضون والسماوات إلىٰ حجزتهم وهم يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان الحي الذي لا يموت .

وقال ابن أبي عروبة : أرجلهم في الأرض السفلى ، ورؤوسهم تحت العرش .

ويروى أن ملكا من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه بمسيرة سبعمائة عام .

= الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٢] ، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٦٧] ، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٩٦] .

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٣٢٠] كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة الحاقة ، وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الجهمية ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠٦ ، ٢/ ٣٧٠] ، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٢١٧] .

(٢) سورة غافر [٧] .
يخبر تعالىٰ عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ، ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم ، أي يتقربون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح . تفسير ابن كثير [٤/ ٧١] .

مجلس في المبادرة إلى الخيرات

وحثَّ من توجه إلىٰ الخير إلىٰ الإقبال عليه بالجد من غير تردد .

قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] أي لتنالوا الدرجات والمنازل العاليات .

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[2] الآية

أما الأحاديث فثمانية :

أحدها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا »[3] رواه مسلم .

ثانيها: حديث عقبة بن الحارث: أنه ﷺ صلى العصر ثم قام مسرعاً فرأى أنهم عجبوا من سرعته، قال: « ذكرت شيئاً من تبر كان عندنا من الصدقة، فكرهت أن أُبيته، فأمرت بقسمته »[4] رواه البخاري.

ثالثها: حديث جابر قال: " قال رجل لرسول الله ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قُتلت فأين أنا؟ قال: « في الجنة » فألقى تمرات كُنَّ في يده ثم قاتل حتىٰ قتل " أخرجاه[5].

---

(١) سورة البقرة [١٤٨] .

(٢) سورة آل عمران [١٣٣] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨٦ ـ (١١٨)] كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، والترمذي في سننه [٢١٩٥] كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٤، ٥٢٣]، وابن حبان في صحيحه [١٨٦٨ - الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٨٨٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٨]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٥٠] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٠] كتاب الزكاة، [٢١] باب المنان بما أعطى، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٣٤٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٩٨]، وذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٣٥٤] .

(٥) أخرجه البخاري [٤٠٤٦] كتاب المغازي، [١٧] باب غزوة أحد، ومسلم في صحيحه [١٤٣ ـ (١٨٩٩)] كتاب الإمارة، [٤١] باب ثبوت الجنة للشهيد، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣، ٩٩]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٩٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩٣٧]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٥٦٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٦١]، =

وهذا من باب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] .

رابعها: حديث أبي هريرة: " جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال: « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل، حتىٰ إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان » " أخرجاه[(١)].

خامسها: حديث أنس: " أنه ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: « من يأخذ مني هذا ؟ » فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: « فمن يأخذه بحقه ؟ » قال: فألجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة[(٢)]: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين "[(٣)] رواه مسلم .

سادسها: حديث الزبير بن عدي قال: " أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: « اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتىٰ تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ " رواه البخاري[(٤)].

سابعها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنظرون إلا

= والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٩٩، ٤/ ١٦٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٠٩]، وابن أبي عاصم في السنة [١/ ٩٤] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤١٩] كتاب الزكاة، [١٢] باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (١٠٣٢)] كتاب الزكاة، [٣١] باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، والنسائي [٥/ ٦٨ - المجتبى]، وأبو داود [٢٨٦٥]، وابن ماجه [٢٧٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣١، ٤١٥]، والبيهقي في السنن [٤/ ١٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٣٢٩]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٤٥٤] .

(٢) أبو دجانة سماك بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد الساعدي، كانت عليه يوم بدر عصابة حمراء، قيل آخى النبي ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، وقال الواقدي: وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه علىٰ الموت، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة وقتل يومئذ . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [١٢] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (٢٤٧٠)] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دجانة، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٣٩٨]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٢٣]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٢٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ١٠٩، ٩/ ١٢٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٩/ ١]، والبيهقي في دلائل النبوة [٣/ ٢٣٢] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٦٨] كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، والترمذي في سننه [٢٢٠٦] في الفتن، باب منه ما جاء في أشراط الساعة، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ١٤٤]، وأحمد في مسنده [٣/ ١١١]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ١٧٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٢٩٧ - الموارد]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٥٠٥] .

فقراً منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا أو موتًا مجهدًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» رواه الترمذي[(١)] وحسنه .

ثامنها: حديثه ـ أيضا -: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه » قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها وقال: « امش ولا تلتفت حتىٰ يفتح الله عليك » قال: فسار علي شيئا، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، علىٰ ماذا أقاتل الناس ؟ قال: « قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله »[(٢)] رواه مسلم .

ولنذكر جملة من الحكايات اللائقة بما نحن فيه .

والذي حضرنا منها أربع وثلاثون حكاية:

ونقدم عليها قصة سلمان الفارسي[(٣)]، وتردده من شخص إلىٰ شخص إلىٰ أن جاء إلىٰ نبينا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام، وظهر له براهين نبوته، وشهد معه الخندق فما بعدها، وهو مشهور مطول .

وكذا رواه ابن سعد من قصة ذي البجادين، وأنه كان يتيما لا مال له، فكفله عمه، فلما قدم النبي ﷺ المدينة تاقت نفسه إلىٰ الإسلام، فنهاه عمه لأجل ما بيده من المال، فتركه، فجاء إلىٰ أمه، فقطعت بجاداً لها باثنين، فاتزر بواحد وارتدى بالآخر، ثم حضر تبوكاً وسأل الشهادة، فقال ﷺ: « اللهم إني أحرم دمه علىٰ الكفار » فقال: ليس هذا أردت.

فقال: «إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد.

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٢٠٦] كتاب باب الفتن، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ١٣٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣- (٢٤٠٥)] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والترمذي في سننه [٣٧٢٤] كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، وابن ماجه [١٢١]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٣١]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤/ ٩٨].

(٣) انظر قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه في تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [٣٦]، وقد روى البخاري في صحيحه [٣٩٤٦] كتاب مناقب الأنصار، [٥٣] باب إسلام سلمان الفارسي، عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من رب إلىٰ رب .

وإن وقصتك دابتك فأنت شهيد »[١] فأقاموا بتبوك أياما، فتوفي، فلما هيء اللحد قال: « اللهم إني أمسيت راضيا عنه فارض عنه » قال ابن مسعود: فليتني كنت أنا هو .

وكذا ما رواه أيضا: أن أم زيد بن حارثة زارت قومها، وزيد معها، فأغارت خيل بني القين في الجاهلية، فمروا علىٰ أبيات بني معد، فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفع، فوافوا به السوق فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، وكان أبوه حارثة حين فقده قال :

بكيت علىٰ زيد[٢] ولم أدر ما فعل ... فهل حيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك إلىٰ جبل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... ويعرض ذاكره إذا قارب الظلل
وإن هبت الأرياح هيَّجْنَ ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس[٣] في الأرض جامعة ... فلا أسأم التطواف أو تنام الإبل
حياتي أو تأتي عليّ منيتي ... فكل امرئ فان وإن عزه الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كلاهما ... فأوصي يزيداً ثم من بعده جبل

(١) روى البخاري في صحيحه [١/ ١٦٧، ١٨٤، ٤/ ٢٩]، ومسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٩١٤)] في الإمارة، [٥١] باب بيان الشهداء، عن أبي هريرة، عنه ﷺ: « الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل »، قال النووي: قال العلماء: وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضل الله ـ تعالىٰ ـ بسبب شدتها وكثرة آلمها، وقد جاء في حديث آخر في الصحيح: « من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »، وفي حديث آخر صحيح: « من قتل دون سيفه فهو شهيد » قال العلماء: المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم، وقد سبق أن الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم هؤلاء المذكورون هنا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبراً . النووي في شرح مسلم [١٣/ ٥٤، ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو أسامة الكلبي مولى رسول الله ﷺ القضاعي الكعبي اليماني الهاشمي، صحابي مشهور، من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ أخرج له: النسائي وابن ماجه . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٤٠١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٧٣]، الكاشف [١/ ٣٣٧]، الجرح والتعديل [٣/ ٥٥٩]، أسد الغابة [٢/ ٢٨١]، الإصابة [٢/ ٩٨]، الاستيعاب [٢/ ٥٤٢] .

(٣) العيس: كرام الإبل .

يعني جبل بن حارثة، أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه .

فحج ناس من كعب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، وانطلقوا إذ أعلموا أباه، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن رسول الله ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا زيد، فمُنَّ علينا به، وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سندفع لك من الفداء، قال ﷺ: « فهلا غير ذلك » قالوا: وما هو ؟ قال: «ادعوه فخيروه، فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أختار علىٰ من اختارني أحداً »[(١)] قالوا: قد زدتنا علىٰ النصف وأحسنت، فدعاء رسول الله ﷺ فقال: « هل تعرف هذين ؟ » قال: نعم ؛ هذا أبي، وهذا عمي، قال: « قد علمت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما » فقال زيد: ما أنا بالذي يختار عليك أحداً يا رسول الله، أنت مني بمكانهما، فقالا: ويحك يا زيد ؛ أتختار العبودية علىٰ الحرية وعلىٰ أبيك وعمك وأهل بيتك ؟!! فقال: نعم ؛ إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلىٰ الحجر وقال: « يا معشر من حضر اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني »[(٢)] فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، فدُعي زيد بن محمد، حتىٰ جاء الله بالإسلام فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ فقيل: تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[(٣)] ونزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾[(٤)] فقالوا: زيد بن حارثة.

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٤٧٨٢] كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، [١] باب ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] عن ابن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتىٰ نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] .

(٢) قال النووي: قال العلماء: كان النبي ﷺ قد تبنى زيداً ودعاه ابنه، وكانت العرب تفعل ذلك ؛ يتبنى الرجل مولاه أو غيره فيكون ابناً له يوارثه وينتسب إليه حتىٰ نزلت الآية، فرجع كل إنسان إلىٰ نسبه إلا من لم يكن له نسب معروف فيضاف إلىٰ مواليه كما قال الله ـ تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٥٨] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) سورة الأحزاب [٤٠] .

(٤) سورة الأحزاب [٥] .

قال ابن كثير في تفسيره: هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلىٰ آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح ـ تبارك وتعالى ـ زوجة الدعي، وتزوج =

وكذا ما روى عبد الواحد بن أبي عون قال:

كان الطفيل الدوسي رجلا شريفاً شاعراً، قدم مكة فلقيه رجال من قريش، فقالوا: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإن قوله كالسحر؛ يفرق بين الرجل وزوجته وبين الرجل وابنه، وإنا نخشى عليك وعلىٰ قومك منه، فوالله ما زالوا بي حتىٰ أجمعت علىٰ أن لا أسمع منه شيئاً، فلا أكلمه، فغدوت إلىٰ المسجد وقد حشوت أذني قطنا - فكان يقال له ذو القطنتين(١) - فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، فقمت قريباً منه، فسمعت بعض قوله، فقلت في نفسي: إني رجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا شيئاً، فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتىٰ انصرف إلىٰ بيته فدخل، فدخلت معه فقلت: إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فاعرض عليَّ أمرك، فعرض عليَّ الإسلام، وتلى عليَّ القرآن، فقلت: والله ما سمعت قولا قط أحسن من هذا، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وقلت: يا نبي الله، إني امرئ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلىٰ الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم، فقال: « اللهم اجعل له آية » فخرجت إلىٰ قومي حتىٰ إذا كنت قريباً منهم وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي؛ فإني أخشى أن يظنوها مُثْلَة وقعت في وجهي لفراق دينهم، فتحول النور في رأس سوطي، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، فأتاني أبي فقلت: إليك عني، فإنك لست مني ولست منك، فقال: ولم يا بني ؟!! قلت: إني أسلمت واتبعت دين محمد، قال: بنيّ، ديني دينك، قلت: اذهب فاغتسل، وطهر ثيابك، ففعل ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام، ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليك عني لست منك ولست مني، قالت: لم ؟!! قلت: فرَّق بيني وبينك الإسلام، إني أسلمت وتابعت محمداً، قالت: ديني دينك، وأسلمت، ثم دعوت دوساً إلىٰ الإسلام، فأبطأوا عليَّ، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: قد غلبتني دوس، فادع الله عليهم، فقال: « اللهم اهد

= رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنهما . تفسير ابن كثير [٣/ ٤٨٢] .

(١) الطفيل بن عمرو الدوسي الأزدي، كان يسمى ذا القطنتين، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وغزا اليمامة فاستشهد هو وابنه، وكان شريفاً شاعراً لبيباً، وقد طول ابن عبد البر ترجمة الطفيل، وساق قصة إسلامه بمكة في آخر الخبر قال: فلما بعث الصديق بعثه إلىٰ مسيلمة قال: خرجت ومعي ابني عمرو فرأيت كأن رأسي حلق وخرج من فمي طائر، وكأن امرأة أدخلتني فرجها، فأولتها؛ حلق رأسي قطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة فالأرض أدفن فيها، فاستشهد يوم اليمامة . انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [١٢] .

دوساً»[١] وقال: « اخرج إلىٰ قومك فادعهم وارفق بهم » فخرجت أدعوهم حتىٰ هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، ومضت بدر والخندق، ثم قدمت بمن أسلم منهم ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين، وقلنا: يا رسول الله، اجعلنا في ميمنتك، واجعل شعارنا "مبرور"، ففعل، فلم أزل مع رسول الله ﷺ حتىٰ فتح مكة، فقلت: ابعثني يا رسول الله إلىٰ ذي الكفين أحرقه، فبعثه إليه فأحرقه، فلما أحرقه بان لمن كان يتمسك به أنه ليس علىٰ شيء، فأسلموا جميعاً، ورجع الطفيل إلىٰ رسول الله ﷺ فكان معه حتىٰ مات .

وأما الحكايات، فنذكر منها :

الحكاية الأولى: حكي عن الشبلي أنه خرج ذات يوم علىٰ أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً فقال لهم: يا قوم إن الله قد تكفل بأرزاق العباد، فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[٢] الآية، فتوكلوا علىٰ الله، وتوجهوا إليه، ولا تتوجهوا إلىٰ سواه، ثم تركهم ومضى، فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء، فلما كان اليوم الرابع دخل عليهم فقال: يا قوم، إن الله ـ تعالىٰ ـ قد أباح التسبب للعباد، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾[٣] .

فانظروا إلىٰ أصدقكم نية فليخرج، عسى أن يأتيكم بشيء من القوت، فاختاروا منهم فقيراً، فخرج ومشى في جانبي بغداد، فلم يفتح له بشيء، فأخذه الجوع وأعياه المشي، فجلس عند دكان طبيب نصراني عليه خلق كثير، وهو يصف لهم الأدوية، فنظر إليه فقال: ما بك ؟ وما علتك ؟ فكره أن يشكو الجوع إلىٰ نصراني، فمد يده إليه فجسها وقال: علتك هذه أنا أعرفها وأعرف دواءها، ثم التفت إلىٰ غلامه وقال: امض إلىٰ السوق فأتني برطل خبز ورطل شواء ورطل حلوى، فمضى إلىٰ السوق وأتاه بذلك، فأخذه النصراني وناوله الفقير وقال: هذا دواء مرضك عندي، فقال له الفقير: إن كنت صادقاً في حكمتك، فهذه العلة بأربعين رجلا ، فقال النصراني لغلامه: ارجع إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ٥٤، ٥/ ٢٥٠]، ومسلم [١٩٧ ـ (٢٥٢٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٧] باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ، عن أبي هريرة .
وأحمد في مسنده [٢/ ٢٤٣، ٤٤٨]، والتبريزي في المشكاة [٥٩٩٦] .

(٢) سورة الطلاق [٢].
أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله .

(٣) سورة الملك [١٥] .

السوق مسرعاً، وأتني بأربعين مثل ما أتيت به، فأسرع الغلام وأتاه بذلك جميعه، فأعطاه الفقير، وأمر حمّالاً أن يحمل معه إلىٰ موضعه، وقال للفقير اذهب به إلىٰ الأربعين الذين ذكرت، فذهب الفقير والحمّال معه إلىٰ أن وصل إلىٰ أصحابه، والنصراني يتبعه من بعيد ليختبر صدقه، فلما دخل الدويرة التي فيها أصحابه وقف النصراني خارج الباب خلف طاق، فوضع الغلام الطعام، ونادى الشبلي وقدم الطعام بين يديه، فشال الشيخ يده منه وقال: يا فقراء سر عجيب في هذا الطعام، ثم أقبل علىٰ الفقير الذي أتى بالطعام وقال: أخبرني عن قصة هذا الطعام، فحكى له القصة بكاملها، فقال لهم عند ذلك: أترضون أن تأكلوا طعام نصراني وصلكم به ولم تكافئوه ؟ قالوا: وما مكافأته ؟ قال: تدعون له قبل أن تأكلوا طعامه، فدعوا له وهو يسمع، فلما رأى النصراني إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه، وسمع ما قال لهم الشيخ، قرع الباب ففتحوا له، فدخل وقطع زناره وقال: يا شيخ، مدّ يدك ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأسلم النصراني وحسن إسلامه، وصار من جملة أصحاب الشبلي .

الحكاية الثانية: قيل لحذيفة المرعشي(١): ما أعجب ما رأيت من إبراهيم بن أدهم ؟ قال: بقينا في طريق أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة، فأوينا إلىٰ مسجد خراب، فنظر إليّ إبراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة، أرى بك جوعاً، قلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: إليّ بدواة وقرطاس، فجئت به، فكتب بعد البسملة: أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى.

أنــا حــامــد أنــا شــاكــر أنــا ذاكــر	أنـا جـائـع أنـا خـاضـع أنـا عـاري
هـي سـتـة وأنـا الـضـمـيـن لـنـصـفـهـا	فـكـن الـضـمـيـن لـنـصـفـهـا يا بـاري
مـدحـي لـغـيـرك لـهـب نـار خـضـعـتـهـا	فـأجـر عُـبـيْـدك مـن دخـول الـنـار

ثم دفع إليَّ الرقعة وقال: أخرج ولا تعلق قلبك إلا بالله تعالىٰ، فادفع الرقعة إلىٰ أول من تلقاه، قال: فخرجت فأول من لقيني رجل علىٰ بغلة فناولته الرقعة فأخذها، فلما وقف عليها بكى وقال: وأين صاحب هذه الرقعة ؟ قلت: في المسجد الفلاني، فدفع إليّ صُرّة فيها ستمائة دينار، وأُخبرت أنه نصراني، فجئت إلىٰ

(١) حذيفة بن قتادة المرعشي الزاهد القدوة صاحب سفيان الثوري، له قدم في العبادة وكلام نافع، وهو القائل: إن لم تخش أن يعذبك الله علىٰ أفضل عملك فأنت هالك . قلت يعني: لما يعتوره من الآفات، وقال: لو وجدت من يبغضني في الله لأوجبت علىٰ نفسي حبه . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٠١ - ٢١٠] .

إبراهيم[١] فأخبرته بذلك فقال: لا تمسَّها فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة جاء، وأكب علىٰ إبراهيم وأسلم، ولله در القائل:

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم يلقى طيبكم فيطيب

الحكاية الثالثة: عن الجنيد: قال السري[٢] لي: تكلم علىٰ الناس، وكان في قلبي (حتمة)[٣] من الكلام، وكنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام ليلة الجمعة فقال لي: تكلم علىٰ الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن يصبح فدققت عليه الباب، فقيل لي: لم تصدقنا حتىٰ قيل لك، فقعد للناس في الجامع بالغداة، فانتشر في الناس أن الجنيد قد تكلم، فوقف عليه غلام نصراني متنكر وقال: أيها الشيخ، ما معنى حديث: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »[٤] فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم وحسن إسلامه.

الحكاية الرابعة: عن إبراهيم الخواص قال: كنت ببغداد وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الوجه، فقلت لأصحابي: يقع لي أنه يهودي، فكره الأصحاب قولي، فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم وقال: إيش قال الشيخ؟ فاحتشموا، فألح عليهم، فأخبروه بما قال الشيخ، فأسلم علىٰ يديه، فقيل له في ذلك، فقال: نجد في كتبنا أن الصدِّيق لا تخطئ فراسته[٥]، فقلت في

---

(١) من أقواله: أخاف ألا يكون لي أجر في تركي أطيب الطعام؛ لأني لا أشتهيه. وكان إذا جلس علىٰ طعام طيب رمى إلىٰ أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون، وعن إبراهيم أيضاً قال: كل ملك لا يكون عادلاً فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب سواء، وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة. تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١- ١٧٠].

(٢) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون، وعنه: أبو العباس بن مسروق، والجنيد، وأبو الحسن النوري، وإبراهيم بن عبد الله المخزومي، وقال عنه الفرجاني: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبد لله من السري؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علة الموت. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣١٢٧] كتاب تفسير القرآن، من سورة الحجر، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٢١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٩٤، ٦/ ١١٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٥٤٤]، والذهبي في الميزان [٨٠٩٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٤٢].

(٥) من كرامة الصديق ﷺ أنه كان يأكل هو وأضيافه من القصعة، فلا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وهي أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا، وكان من فراسته قوله لعائشة في مرضه =

نفسي: أمتحن المسلمين فإن كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة يوجد، لأنهم يقولون: إنه من يترك ما سوى الله فعرفت صديقيّة هذا الشيخ بذلك، وصار هذا الشاب من كبار الصوفية .

الحكاية الخامسة: عن بعض الصالحين أنه كان يتكلم في الناس ويعظهم، فمر عليه في بعض الأيام يهودي وهو يخوفهم، ويقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[١] فقال اليهودي: إن كان هذا الكلام حقاً، فنحن وأنتم سواء، فقال له الشيخ: لا، ما نحن سواء ؛ نحن نرد ونصدر، وأنتم تردون ولا تصدرون، ننجوا نحن منها بالتقوى، وتبقون أنتم بها جثياً بالظلم، وقرأ الآية الثانية: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[٢] فقال اليهودي: نحن المتقون، فقال الشيخ: كلا نحن، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[٣].

= الذي مات فيه في وصيته لها، وذكر لها أختها ولم يكن لها أخت إلا أسماء وزوجته حامل، فإذا بها تلد بنتاً كما قال الصديق رضي الله عنه.

(١) سورة مريم [٧١] .
روى أحمد في مسنده عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً . تفسير ابن كثير [٣/ ١٣٦] .

(٢) سورة مريم [٧٢] .
﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريَم: ٧٢] أي إذا مر الخلائق كلهم علىٰ النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله ـ تعالىٰ ـ المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم علىٰ الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم، وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه حتىٰ يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله. المرجع السابق [٣/ ١٣٨] .

(٣) سورة الأعراف [١٥٦، ١٥٧] .
قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعرَاف: ١٥٦] آية عظيمة الشمول والعموم، روى أحمد في مسنده [٤/ ٣١٢]، وروى أبو داود في سننه [٤٨٨٥] عن جندب أن أعرابياً جاء فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم صلى خلف رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم ركبها، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: « أتقولون هذا أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوا ما قال ؟» قالوا: بلى، قال: « لقد حظرت رحمة واسعة، إن الله عز وجل خلق مائة رحمة، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق، جنها وإنسها وبهائمها، =

فقال اليهودي: هات برهاناً علىٰ صدق هذا، فقال الشيخ: البرهان حاضر، يراه كل ناظر، وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار، فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها، ومن احترقت ثيابه فهو الباقي فيها، فنزعا ثيابهما، ورمى بالجميع في النار، ثم دخل النار وأخذ الثياب وخرج من الجانب الآخر، ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ سالمة بيضاء نظيفة، وثياب اليهودي محترقة، وكانت مستورة بثياب الشيخ، فلما رأى ذلك أسلم .

الحكاية السادسة: حكي أنه كان في الأمم الماضية ملك متمرد علىٰ ربه، فغزاه المسلمون، وأخذوه أسيراً فقالوا: بأي قتلة نقتله ؟ فأجمع رأيهم علىٰ أن يجعلوا له قُمقُماً عظيماً ويجعلوه فيه، ويوقدوا تحته النار حتىٰ يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك، فجعل يدعو آلهته واحداً بعد واحد: يا فلان بما كنت أعبدك أنقذني مما أنا فيه، فلما رأى الآلهة لا تغني عنه شيئاً رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: لا إله إلا الله، ودعا مخلصاً فصبّ الله عليه مبعث ماء من السماء فأطفأ تلك النار، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم، وجعلت تدور به بين السماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله، فقذفته إلىٰ قوم يعبدون الله ﷻ وهو يقول: لا إله إلا الله، فاستخرجوه وقالوا: ويحك، مالك ؟ قال: أنا ملك بني فلان، كان من أمري وجندي كيت وكيت، وقص عليهم القصة، فآمنوا كلهم ـ رحمة الله عليه .

الحكاية السابعة: حكي أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتغالى في حسنها وزينتها، ثم صنع طعاما ودعا الناس .

وأجلس أناساً علىٰ أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيباً ؟ فيقولون: لا، حتىٰ جاء أناس في آخر الناس عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيباً ؟ قالوا: عيبين اثنين، فحبسوهم ودخلوا علىٰ الملك فأخبروه بما قالوا، فقال: ما كنت راضياً بعيب واحد، فأتوني بهم، فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ما هما ؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبها، قال: أفتعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها ؟! قالوا: نعم، فذكروا له الجنة ونعيمها[1] وشوقوه إليها، وذكروا له النار وعذابها وخوفوه منها،

= وأخّر عنده تسعاً وتسعين رحمة، أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ » واللفظ لأحمد.

(١) في ذكر نعيم الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ـ عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٧] »، انظر البخاري [٣٢٤٤] في بدء الخلق، ومسلم [١ ـ (٢٨٢٢)] في كتاب الجنة وصفة نعيمها .

ودعوه إلىٰ عبادة الله ﷻ فأجابهم إلىٰ ذلك، وخرج من ملكه هارباً تائباً إلىٰ الله - سبحانه وتعالى رحمة الله عليه .

الحكاية الثامنة: روي أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن في قديم الزمان، فغلب أحدهما صاحبه وقتله، وشرد أصحابه، وهيأت له السرر، وزينت له دار الملك، وتلقاه الناس ليدخل، فبينما هو في بعض السكك يقصد دار الملك، فوقف له رجل يُنسب إلىٰ الجنون[1]، فأنشده:

تسمع من الأيام إن كنت حازما ... فإنك فيها بين ناه وآمر
وكم ملك قد ركم التراب فوقه ... وعهدي به بالأمس فوق المنابر
إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنما ... بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا علىٰ المرئ دينه ... فما فاته منها فليس لضائر

فقال له: صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقى الجبل، وأقسم علىٰ أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به .

الحكاية التاسعة: عن شاة الكرماني: أنه خرج إلىٰ العبيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتىٰ وقع في برية مقفرة وحده، وإذا هو بشاب راكب علىٰ سبع وحوله سباع، فلما رأته ابتدرت نحوه، فزجرها الشاب، فلما دنا منه سلّم عليه وقال: يا شاة، ما هذه الغفلة عن الله تعالىٰ ؟ اشتغلت بدنياك عن آخرتك، وبلذاتك وهواك عن خدمة مولاك، إنما أعطاك الدنيا لتستعين بها علىٰ خدمته فجعلتها ذريعة إلىٰ الاشتغال عنه .

فبينما هو يحدثه، إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء، فناولتها الشاب، فشرب، ودفع باقيه إلىٰ شاة[2] فشربه وقال: ما شربت شيئاً ألذّ منه، ولا أبرد، ثم غابت، فقال الشاب: هذه الدنيا، وكّلها الله بخدمتي، فما احتجت لشيء إلا أحضرته لي

---

(١) هناك في عقلاء المجانين الكثير منهم كما ذكر الذهبي البهلول بن عمرو أبو وهب الصيرفي الكوفي، كان حياً في دولة الرشيد، وسوس في عقله، وما أظنه اختلط أو قد كان يصحو في وقت، فهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن وحكايات، وتأتي ترجمته بأوسع من ذلك قريباً .

(٢) شاة بن شجاع أبو الفوارس الكرماني الزاهد، قال السلمي: كان من أولاد الملوك فتزهد وصحب أبا تراب النخشبي وغيره، ومات قبل الثلاثمائة، وقال أبو نعيم: كان من أبناء الملوك فتشمر للسلوك، فعنه قال: من عرف ربه طمع في عفوه، ورجا فضله، وقال إسماعيل بن مخلد: كان شاة بن شجاع حاد الفراسة قل ما أخطأت فراسته . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٩١ - ٣٠٠].

حين يخطر ببالي، أما بلغك أن الله ـ تعالىٰ ـ لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه، فلما رأى ذلك تاب، وكان منه ما كان، وأنشدوا:

خُدِمت لما أن صرت في خدمك ... ودار عني السرور من نعمك

وكانت الحادثات تطرقني ... فاحتشمتني إذ صرت من حشمك

الحكاية العاشرة: عن مالك بن دينار(١) أنه سُئل عن سبب توبته، قال: كنت شرطياً، وكنت منهمكاً علىٰ شرب الخمر، ثم إني شريت جارية نفيسة وقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً فشغفت بها، فلما دبت ازداد حبها في قلبي، فكنت إذا وضعت المسكر، جاءت إليّ وجاذبتني إياه وهرقته علىٰ ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت، فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة جمعة، بت ثملا من الخمر ولم أُصل العشاء، فرأيت كأن أهل القبور خرجوا وحُشر الخلائق وأنا معهم. فسمعت حساً من ورائي، فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون، أسود أزرق، قد فتح فاه مُسرعاً نحوي، فمررت بين يديه فزعا مرعوبا هارباً منه، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة، فسلمت عليه، فردّ علي السلام، فقلت له: أجرني وأغثني، فقال: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني ولا أقدر عليه، ولكن مرَّ وأسرع، فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه، فوليت هارباً(٢)، فصعدت علىٰ شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طباق النيران، فنظرت إلىٰ هولها، فكدت أهوي فيها من فزع التنين، وهو في طلبي، فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلىٰ قوله، فأتيت الشيخ فسألته، فلم يفعل وبكى وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلىٰ هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، وإن كان لك فيه وديعة فتنصرك، فنظرت إلىٰ جبل مستدير، فيه كوى مخرقة وستور معلقة، علىٰ كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة بالياقوت، مكللات بالدرّ، وعلىٰ كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلىٰ الجبل هربت إليه، وهو ورائي، فلما قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا

---

(١) مالك بن دينار أبو يحيى أبو هاشم السلمي الناجي البصري الزاهد القرشي، صدوق عابد، أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة [١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ١٤]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٢٤]، التاريخ الكبير [٧/ ٣٠٩]، الجرح والتعديل [٨/ ٩١٦]، ميزان الاعتدال [٣/ ٤٢٦].

(٢) قال سلم الخواص: قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قيل: وما هو ؟ قال: معرفة الله ـ تعالىٰ ـ وقال مالك: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره مذمتهم لأن حامدهم مفرط وذامهم مفرط. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٢١ - ١٣٠].

الستور وافتحوا المصاريع[١] وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه .

فإذا الستور[٢] قد رفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرفت علىٰ أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب عدوه منه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا بابنتي التي ماتت أشرفت معهم[٣] فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتىٰ مثلت بين يدي، فمدت يدها الشمال إلىٰ يدي اليمين فتعلقت بها، ومدت اليمين إلىٰ التنين فولى هارباً .

ثم أجلستني وقعدت في حجري، وضربت بيدها اليمنى إلىٰ لحيتي وقالت: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤] فبكيت وقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد هلاكي ؟ قالت: ذاك عملك السوء، قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي ؟ قالت: ذاك عملك الصالح، أضعفته حتىٰ لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: وما تصنعون بهذا الجبل ؟ قالت: نحن أطفال المسلمين، قد أُسكنَّا فيه إلىٰ أن تقوم الساعة ننتظركم، تقدمون علينا فنشفع لكم، فانتبهت فزعاً، فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه، وتبت إلىٰ الله وهذا سبيل توبتي .

---

(١) المصارع: مصراع الباب أحد جزأيه، وهما مصراعان: أحدهما: إلىٰ اليمين. والآخر: إلىٰ اليسار، ومن بيت الشعر نصفه، وجمعها: مصاريع .

(٢) الستار: ما يستر به وما أسدل علىٰ نوافذ البيت وأبوابه حجباً للنظر، جمعها: سُتر، والستار جمعها: أستار، وستور.

(٣) روى الأصمعي عن أبيه قال: مر المهلب بن أبي صفرة علىٰ مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته، فقال مالك: أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين ؟ فقال له المهلب: أما تعرفني ؟ قال: أعرفك ؛ أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة، فقال المهلب: الآن عرفتني حق المعرفة . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٢١ - ١٣٠] .

(٤) سورة الحديد [١٦] .

يقول تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، قال ابن المبارك بسنده، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] وروى مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٣٠٢٧)] كتاب التفسير، [١] باب قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين .

الحكاية الحادية عشرة: عن أحمد بن عبد الله المقدسي قال: صحبت إبراهيم بن أدهم فسألته عن بداية أمره، وما كان سبب بدأة أمره من المُلك الفاني إلىٰ الباقي ؟ قال: يا أخي، كنت جالساً يوماً في أعلى قصر في ملكي، والخواص قيام علىٰ رأسي، فأشرفت من الطاق فوجدت رجلا من الفقراء جالساً بفناء القصر، بيده رغيف يابس قد بله بالماء، وأكله بملح جريش، وأنا أنظر إليه إلىٰ أن فرغ من أكله، ثم شرب من الماء وحمد الله وأثنى عليه، ونام في فناء القصر، فألهمني الله الفكر فيه، فقلت لبعض مماليكي: إذا قام ذلك الفقير فأتني به، فلما استيقظ من نومه دُعي فقال: بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله[1] وجاء، فلما نظر إليَّ سلم، فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس، فلما اطمأن قلت له: يا فقير، أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت ؟ فقال: نعم، قلت: وشربت الماء سجاوة فرويت ؟ قال: نعم، قلت: ثم نمت طيباً بلا هم ولا غم فاسترحت ؟ قال: نعم، قلت في نفسي وأنا أعتبها: يا نفس ما أصنع بالدنيا، والنفس تقنع بما سمعت ورأت، فعقدت التوبة في تلك الساعة مع الله ـ تعالىٰ ـ فلما انصرف النهار وأقبل الليل، لبست مسحاً من شعر وقلنسوة من صوف، وخرجت سائحاً حافياً إليه، فلحقني رجل حسن الوجه والثياب طيب الرائحة، فتقدمت إليه وصافحته وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام وقال: يا إبراهيم أين تريد ؟ فقلت: هربت منه إليه، فقال لي: أنت جائع ؟ قلت: نعم، فقام الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين وقال لي: قم وصل كما صليت، ففعلت ذلك، فالتفت فإذا عن يمينه طعام موضوع وماء بارد، فقال لي: تقدم وكل من فضل الله واشكر ربك علىٰ ذلك، فأكلت منه كفايتي، وهو باق علىٰ حاله، وشربت وحمدت الله، فقال: يا إبراهيم اعقل وافهم ولا تستعجل في أمورك؛ فإن العجلة من الشيطان، واعلم أن الله إذا أراد بعبده خيراً اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجاً من نور

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٨٤] عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » قال النووي: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم، قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة، أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله ـ تعالىٰ - وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة علىٰ طاعته إلا بمعونة، وحكي هذا عن ابن مسعود ﷺ وكله متقارب . قال أهل اللغة: ويعبر عن هذه الكلمة بالحوقلة، وبالأول جزم الأزهري والجمهور، وبالثاني جزم الجوهري، ويقال أيضاً: لا حيل ولا قوة في لغة غريبة حكاها الجوهري وغيره . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٢٢] طبعة دار الكتب العلمية .

قدسه، يفرق به بين الحق والباطل، ويبصر به عيوب نفسه، وإني أريد أن أعلمك اسم الله الأعظم[١] فإذا أنت جعت أو عطشت فادع الله به، فإنه سيشبعك ويرويك، يا ابن أدهم إذا جالست الأخيار والفقراء فكن لهم أرضاً يطئونك، ولا تغضبهم ؛ فإن الله ﷻ يغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم، قال: ثم علمني الاسم الأعظم[٢] ثم قال: أستودعك الحي الذي لا يموت، ثم حجب عني، فأخذت الطريق، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة، مليح (الترة)[٣]، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: ما حاجتك يا ابن أدهم؟ ومن لقيت في سفرك هذا ؟ فقلت: لقيت شيخاً من صفته كذا وكذا، وعلمني كذا وكذا، فبكى الفتى وأبكاني، فقلت له: يا سيدي أقسمت عليك بالله ـ تعالىٰ ـ من ذلك الشيخ، ومن أنت ؟ فقال: أما الشيخ فأخي إلياس، وأنا أبو العباس الخضر[٤]، قال: ففرحت فرحاً شديداً، وألزمته إلىٰ صدري وقبلته بين عينيه وصافحته وسألته الدعاء فدعا لي بالثبات والعصمة، ثم غاب عليّ فلم أدر أين ذهب. وهذه القصة حالي في ابتداء أمري .

وهذه رواية، والمشهور أن بدأته أنه طرح يوماً يصطاد، فأثار ثعلباً أو أرنباً، فبينما هو في طلبه، إذ هتف به هاتف: ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت، ثم هتف به من قربوس[٥] سرجه كذلك، فنزل عن مركوبه، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبته ـ وهي

---

(١) روى أبو داود في سننه [١٤٩٣]، والترمذي في سننه [٣٤٧٥] عن بريدة أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

(٢) روى أبو داود في سننه [١٤٩٦] عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾» وكذا رواه الترمذي [٣٤٧٢] وقال: حسن صحيح .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، قال الحبري المفسر وأبو عمر: وهو نبي، واختلفوا في كونه مرسلا، وقال القشيري وكثيرون: هو ولي، وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال ؛ أحدها: نبي، والثاني: ولي، والثالث: أنه من الملائكة، وهذا غريب باطل . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٥) القربوس: الجزء المرتفع المقوس من السرج، جمعها قرابيس .

صوف ـ فلبسها، وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية وكان من أمره ما كان .

الحكاية الثانية عشر: عن محمد بن المبارك قال: كان موسى بن محمد الهاشمي من أنعم بني أمية عيشاً، وأرخاهم بالاً ؛ يعطي نفسه شهوتها من صنوف اللذات في المأكل(١) والمشرب والملبس والطيب والجواري والغلمان، ليست له همة ولا فكرة إلا في الذي هو فيه من عيشه ولذّته، وكان شاباً جميلاً وجهه كاستدارة القمر، وكان ذا مال يدخل كل حول نحواً من ثلاثمائة ألف وثلاثة آلاف درهم، يصرفه كله في النعيم، وكان له مستشرف عال يقعد فيه العشاء ويشرف علىٰ الناس، له أبواب علىٰ الجادة وأخرى علىٰ بستانه، وقد ضرب فيه قبة عاج مضيئة بالفضة مطلية بالذهب، وهو علىٰ سرير عليه غلالة قصب، وعلىٰ رأسه عمامة مكللة باللآلىء، ومعه في القبة ندماؤه وإخوانه، وقد وقف علىٰ رأسه الخدم، والقينات في مجلس آخر خارج القبة، يُمسكن تارة ويندفعن أخرى بإشارته .

هذا دأبه ليلا ونهاراً في اللعب والتيه، حتىٰ مضى له سبع وعشرون سنة، فبينما هو ذات ليلة في قبته، إذ سمع نغمة من صوت شجي خلاف ما سمعه من مطربته، فأخذ بقلبه فأحضره، وإذا هو شاب نحيل ذبل شعث ضمر، وعليه طمران، حافي، قائم في المسجد يناجي ربه، فقال: أيها الشاب أسمعني ما كنت تقول، فتعوذ وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٢)، ثم وعظه (وذكر)(٣) صحن

---

(١) روى ابن حبان في صحيحه [١٣٤٩ - الموارد] حديث « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٢٨/١٠] بلفظ « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه »، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس [٢١٤] بلفظ « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

(٢) سورة المطففين [٢٢ - ٢٨] .
أي في نعيم يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ قيل: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ أي من خمر الجنة، والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي خلطة مسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلىٰ مثله المستبقون ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي من شراب تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة يشربها المقربون .
مختصراً عن تفسير ابن كثير [٤/ ٤٨٧] .

(٣) كذا بالأصل .

داره، وجلس مع الشاب علىٰ الحصير ينوح علىٰ شبابه، ويندب علىٰ نفسه، والشاب يعظه إلىٰ أن أصبح، وقد عاهد الله أن لا يعود إلىٰ معصيته أبداً، فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة، وأمر بالجواهر والملابس فبيعت، وتصدق بها، ورد الضياع المقتلعة، وباع ضياعه وخدمه، وأعتق من اختار العتق، وتصدق به أجمع، ولبس الصوف الخشن، وأكل الشعير، وكان يحيي الليل ويصوم النهار، حتىٰ كان يزوره الصالحون والأخيار ويقولون له: ارفق بنفسك، فإن المولى كريم يشكر اليسير، ويثيب علىٰ الكثير، فيقول: يا قوم أنا أعرف بنفسي منكم ؛ إن جرمي عظيم، عصيت[١] ربي ليلا ونهاراً، ويكثر البكاء، ثم خرج حاجاً حافياً راجلا عليه خيشته وركوة وجراب، فقدم مكة فأقام بها إلىٰ أن مات، وكان يدخل الحجر[٢] ليلا وينوح علىٰ نفسه ويقول: سيدي كم أراقبك في خلوتي، سيدي ذهبت شهوتي وبقيت تبعاتي، فالويل لي يوم ألقاك والويل لي، ثم الويل من صحيفتي إذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطاياي، بل كل الويل من سبِّك إياي، وتوبيخك لي، وإحسانك إليّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصي، وأنت مطلع علىٰ فعالي .

سيدي إلىٰ من أهرب إلا إليك ؟ إلىٰ من ألتجئ، وعلىٰ من أعتمد إلا عليك ؟ إني لا (استاهل)[٣] أن أسألك الجنة، بل أسألك بجودك وكرمك وبفضلك أن تغفر لي، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة[٤].

شعر:

عصيتك جاهلا يا ذا المعالي ... ففرج ما ترى من سوء حالي

---

(١) مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات علىٰ الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل . النووي في شرح مسلم [١/ ١٩٢، ١٩٣] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الحجر: هو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب، قاله قتادة . وروى أحمد في مسنده [٣/ ١٤٢] عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] وقال: «قال ربكم أنا أهل أن أتقي فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلا أن أغفر له» .

إلى من يرجع المملوك إلا إلى مولاه يا مولى الموالي
فإنك أهل مغفرة وعفو[1] وتواب ومفضال النوالي

الثالثة عشر : حكي أن شاباً كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ، وكان الشاب إذا سمع الوعاظ يقول: يا ستار، يهتز كما تهتز السعفة، فقيل له في ذلك، فقال: اعلموا أني كنت أخرج في زي النساء، وأحضر كل موضع فيه عرس أو عزاء تجتمع فيه النساء، فحضرت يوماً عرساً لبنت بعض الملوك، فسرق عقد لبنت الملك، فصاحوا: أن أغلقوا الأبواب، وفتشوا النساء، ففتشوهن واحدة واحدة حتىٰ لم يبقىٰ إلا امرأة واحدة وأنا، فدعوت الله ـ تعالىٰ ـ وأخلصت التوبة وقلت: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود لمثل هذا أبداً، فوجدوا العقد مع المرأة التي بقيت، فقالوا: أطلقوا المرأة الأخرى ـ يعنونني ـ فأطلقوني وحالي مستور، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره عليّ ويأخذني ما رأيتم من الاهتزاز .

الحكاية الرابعة عشر: حكي عن الشيخ أبي إسحاق الفزاري[2] - رحمه الله ـ قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا، ونصف وجهه مغطى، فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعني علىٰ هذا، قال: وتعطيني الأمان ؟ قلت: نعم، قال: كنت شاباً فدُفنت امرأة، فأتيت قبرها حتىٰ وصلت إلىٰ (اللبن)[3] فنزعته، ثم ضربت بيدي إلىٰ الرداء، ثم إلىٰ اللفافة، فمددتها، وجعلت تمدها هي، فقلت: أتراها تغلبني، فجثيت علىٰ ركبتي وجرَّدت اللفافة، فرفعت يدها ولطمتني، وكشف عن وجهه فإذا أثر خمسة أصابع في وجهه، قلت له: ثمّ مه، قال: ثم رددت عليها لفافتها وإزارها، ثم رددت التراب، وجعلت علىٰ نفسي أن لا أنبش ما عشت، وهذه سبب توبتي .

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٠٦] عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن قالها في النهار مؤمناً بها فمات في يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

(٢) الإمام إبراهيم بن محمد الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، أبو إسحاق الشامي الفزاري الكوفي الإمام المصيصي، ثقة حافظ له تصانيف، توفي سنة [١٨٥ ، ١٨٦] . ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ١٥١]، تقريب التهذيب[١/ ٤١]، الكاشف [١/ ٨٩]، الثقات [٦/ ٢٣]، تاريخ البخاري الكبير [١/ ٣٢١]، الأعلام [١/ ٥٩]، الجرح والتعديل [٢/ ٤٠٢]، الوافي بالوفيات [٦/ ١٠٤]، سير الأعلام [٨/ ٥٣٩]، طبقات الحفاظ [١١٧] .

(٣) أظنه يقصد الطين اللبن الذي يوضع لسد اللحد .

الخامسة عشر: عن بعض الأكراد ممن كان يقطع الطريق، وينهب الأموال قال: بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق[١] فانتهينا إلىٰ مكان فيه ثلاث نخلات، واحدة منهن ليس فيها تمر، وإذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة إلىٰ رأس تلك النخلة التي ليس فيها تمر حتىٰ تكرر منه ذلك عشر مرات وأنا أنظر، فخطر في نفسي أن أقوم وأنظر، فصعدت النخلة فإذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاها، والعصفور يضع الرطب فيه، فبكيت وقلت: سيدي هذه حية أمر نبيك ﷺ بقتلها، لمَّا أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية، وأنا عبدك أقرُّ بأنك واحد أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل، فوقع بقلبي: يا فلان بابي مفتوح، فكسرت سيفي ووضعت التراب علىٰ رأسي وصحت: الإقالة الإقالة، وإذا بهاتف يقول: قد أقلناك، قد أقلناك، فأتيت رفاقي فقالوا: مالك ؟ قد أزعجتنا، فقلت: كنت مهجوراً وقد صولحت، وحكيت لهم القصة فقالوا: ونحن أيضاً نصالح .

فرمينا ثيابنا وسلاحنا وأحرمنا وقصدنا مكة، وأقمنا نمشي ثلاثة أيام في البرية، ثم دخلنا قرية، فإذا نحن بعجوز عمياء مررنا عليها، فسألتنا أفيكم فلان الكردي ؟ قلنا: نعم، فأخرجت ثياباً إلينا وقالت: مات ولدي وخلف هذه الثياب، فرأيت النبي ﷺ في النوم ثلاث ليال يقول: أعطي هذه الثياب فلاناً الكردي، قال: فأخذتها فاكتسيت بها أنا وأصحابي، ثم مضينا إلىٰ أن أتينا مكة .

السادسة عشر: عن ذي النون[٢] المصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال وقد سئل عن أصل توبته قال: خرجت من مصر إلىٰ بعض القرى، فنمت في الطريق وانتبهت وفتحت عيني، فإذا أنا بقبَّرة[٣] عمياء سقطت من شجرة، فانشقت الأرض، فخرج منها (سكرجتان)[٤] إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، في أحديهما سمسم،

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: ٣٣] الآية، المحاربة هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة علىٰ الكفر وعلىٰ قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق علىٰ أنواع من الشر حتىٰ قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب: إن قبض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض . تفسير ابن كثير [٢/ ٤٩] .

(٢) ذو النون المصري الزاهد ـ رحمة الله عليه ـ اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفيض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال: أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظاً، وقال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠] .

(٣) القُبَّرة: جنس من الطيور، من فصيلة القبريات .

(٤) كذا بالأصل، ومعنى والسكرجة: الإناء الصغير .

والأخرى ماء ورد ـ أو قال: ماء ـ فأكلت من هذه وشربت من هذه، فقلت: حسبي، ولزمت الباب إلىٰ أن قُبلت.[١]

السابعة عشر: عن بعضهم قال: ركبت في مركب في البحر ومعي رفيق، فلما سار المركب سكنت، فطلبوا مرساً وقربوا المركب من الساحل، وكان إلىٰ جنبي شاب حسن الوجه، فنزل إلىٰ الساحل، ودخل بين أشجار علىٰ شط البحر ثم رجع إلىٰ المركب، فلما غابت الشمس قال لي ولصاحبي: إني ميت الساعة، ولي إليكما حاجة، قلنا: ما هي ؟ قال: إذا أنا مت فكفناني مما في هذه الرزمة، وخذا هذه الثياب التي عليّ، فإذا دخلتما مدينة صور، فأول من يلقاكما ويقول لكما: هاتا الأمانة، فادفعوها إليه.

فلما صلينا المغرب حركنا الرجل، فإذا هو قد مات، فحملناه إلىٰ الشط، وأخذنا في غسله، وفتحنا الرزمة، فإذا فيها ثوبان أخضران مكتوبان بالذهب، وثوب أبيض فيه صرة فيها شيء كأنه الكافور، ورائحته كرائحة المسك، فغسلناه وكفناه في ذلك الكفن، وحنطناه بما كان في الصُرَّة من الطيب، وصلينا عليه ودفناه، فلما دخلنا مدينة صور استقبلنا غلام أمرد حسن الوجه، عليه ثوب (شرب)[٢] وعلىٰ رأسه منديل ديبقي، فسلم علينا وقال: هاتا الأمانة، فقلنا له: نعم وكرامة، ولكن ادخل معنا هذا المسجد نسألك عن مسألة، قال: نعم، فدخل معنا المسجد فقلنا له: أخبرنا من الميت ومن أنت ؟ ومن أين له ذلك الكفن ؟ فقال: أما الميت فكان من البدلاء[٣] من الأربعين، فأنا بدله، وأما الكفن فإنه جاء به الخضر ﷺ[٤] وعرَّفه أنه ميت، ثم لبس الثياب التي كانت معنا، ودفع لنا الثياب التي كانت عليه، وقال: بيعاها وتصدقا

---

(١) ذكره الذهبي في ترجمة ذي النون المصري.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) الأبدال إحدى طبقات الصوفية، ويزعمون أنه إذا ذهب بدل من الأبدال حل محله آخر.

(٤) قال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو لا، واحتج من قال بنبوته بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] فدل علىٰ أنه نبي أوحي إليه، وبأنه أعلم من موسىٰ ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي، وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون قد أوحى الله إلىٰ نبي في ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك، وقال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر علىٰ جميع الأقوال محجوب عن الأبصار ـ يعني عن أبصار أكثر الناس ـ قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن، وذكر الثعلبي ثلاثة أقوال في أن الخضر كان من زمن إبراهيم الخليل ﷺ أم بعده بقليل أم بكثير، وكنية الخضر أبو العباس، واسمه بليا ـ بموحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت ـ بن ملكان ـ بفتح الميم وإسكان اللام ـ وقيل: كليان. النووي في شرح مسلم [١٥/١١١] طبعة دار الكتب العلمية.

بثمنها إن لم تحتاجا إلىٰ لبسها، فأخذناها ودفعنا السراويل إلىٰ مناد يبيعه، فلم نشعر إلا والمنادي قد جاء ومعه جماعة، وأخذونا إلىٰ دار كبيرة، وإذا فيها جماعة، وإذا بشيخ يبكي وصراخ النساء في الدار، فلما وصلنا إلىٰ الشيخ سألنا عن السراويل والتكة، فحدثناه الحديث، فخرَّ ساجداً لله رب تعالىٰ، ثم رفع وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي مثله، ثم صاح لأمه وقال لنا: حدثاها الحديث، فحدثناها، فقال لها الشيخ: احمدي الله الذي رزقك بمثله، فلما كان بعد سنين بينما أنا واقف بعرفات إذ أنا بشاب حسن الوجه، عليه مطرف خز[1] فسلم عليّ وقال: أتعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا صاحب الأمانة الصوري، ثم ودعني وقال: لولا أن أصحابي ينتظرونني لأقمت معك، فمضى وتركني، فإذا أنا بشيخ خلفي من أهل المغرب كنت أعرفه يحج كل سنة، فقال لي: من أين تعرف هذا الشاب؟ فقلت: هذا يقال له أنه من الأربعين، فقال: هو اليوم من العشرة وبه يغاث الناس والعباد.

الثامنة عشر: عن الجنيد[2] - رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: كنت في المسجد مرة، فإذا رجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين، ثم امتد ناحية من ناحية المسجد وأشار إليّ، فلما جئته قال لي: يا أبا القاسم، إنه قد حان لقاء الله ـ تعالىٰ ـ ولقاء الأحباب، فإذا فرغت من أمري فسيدخل عليك شاب مُغنِّي، فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي، فقلت: إلىٰ مغني؟!![3] وكيف يكون ذلك؟!! قال: إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله في مقامي، قال الجنيد: فلما قضى الرجل نحبه، وفرغنا من مواراته، إذا نحن بشاب مصري قد دخل علينا وسلّم وقال: أين الوديعة يا أبا القاسم؟ فقلت: وكيف ذلك؟ أخبرنا بحالك، قال: كنت في مشربة[4] بني فلان، فهتف بي هاتف: أن قم إلىٰ الجنيد وتسلم ما عنده، وهو كيت وكيت، فإنك قد جعلت مكان فلان الفلاني من الأبدال، قال الجنيد: فدفعت إليه ذلك، فنزع ثيابه واغتسل، ولبس المرقعة وخرج علىٰ وجهه نحو الشام[5].

---

(١) الخزُّ من الثياب: ما ينسج من صوف وحرير خالص، جمعها: خزوز.

(٢) قال الجنيد: كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟ فقال: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي علىٰ هذه الكلمة التي قالها لي.

(٣) مُغنِّي: محترف الغناء.

(٤) المشرب: الموضع الذي يشرب منه، ومشرب الرجل: ميله وهواه، يقال: هم قوم اختلفت مشاربهم.

(٥) قال المتوكل لذي النون: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله، قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع علىٰ مفارقهم =

التاسعة عشر: عن الحسن الفارسي ـ رحمه الله ـ أنه قال: بلغنا أن رجلا من أصحاب ذي النون أُصيب بعقله، وكان يطوف ويقول: أين قلبي ؟ أين قلبي ؟ومن وجد قلبي ؟ والصبيان قد ولعوا به يرمونه من كل جانب، فقضى أن دخل يوما في بعض سكك مصر، وقد هرب من الصبيان، فجلس يستريح ساعة، إذ سمع بكاء صبي تضربه والدته، ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً، لا يدري أين يذهب ؟ ولا أين يقصد ؟ فلما سكن ما به، عاد ناكصاً علىٰ عقبيه حتى رجع إلىٰ باب دار والدته[1] فوضع رأسه علىٰ عتبة الباب، فذهب به النوم ثم انتبه، فجعل يبكي ويقول: يا أماه من يفتح لي الباب إذا أغلقت بابك عني ؟ ومن يُدنيني من نفسه إذا طردتيني من نفسك ؟ ومن الذي يدنيني بعد إذ غضبت عليّ[2]، قال: فرحمته أمه وقامت فنظرت من داخل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع علىٰ خديه، متمعكاً في التراب، ففتحت الباب ووضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول: يا ولدي يا قرة عيني يا عزيز نفسي أنت الذي حملتني علىٰ نفسك، وأنت الذي تعرضت لما حل بك لو كنت أطعتني ما تلق مني مكروها، قال: فتواجد الفتى وصاح حتىٰ اجتمعت عليه الخلق، فقالوا: ما الذي أصابك ؟ فقال: وجدت

= تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب فهي معلمة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم علىٰ كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى، وضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وقال: يا أوليائي لو أتاكم عليل من فرقي فداووه، أو مريض من إرادتي فعالجوه، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أو فارّ مني فرغبوه، أو خائف مني فأمّنوه، أو مستوصف نحوي فأرشدوه، أو مسيء فعاتبوه، أو استغاث بكم ملهوف فأغيثوه . . . . إلىٰ آخره .
انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠] .

(١) روى مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٦٧٥)] كتاب التوبة، [١] باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت إليه أهرول » .

(٢) قال النووي: للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية .

قلبي، وجدت قلبي، فلما أبصر ذا النون قال: يا أبا الفضل، وجدت قلبي في مكان كذا وكذا عند فلانة وسماها، ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك.

العشرون: عن بهلول[(١)] - رحمة الله عليه ـ قال: بينما أنا ذات يوم في شوارع البصرة، وإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكي، فقلت: هذا صبي يتحسّر علىٰ ما في أيدي الصبيان، ولا شيء معه يلعب به، فقلت له: أي بني، ما يبكيك ؟ أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان ؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ؛ ما للعب خلقنا، فقلت: أي بني، فلماذا خلقنا ؟ قال: للعلم والعبادة، قلت: من أين لك هذا ؟ بارك الله فيك، قال: من قول الله ـ عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[(٢)] فقلت: أي بني، أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاقي ... مشمرة علىٰ قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ... ولا حي علىٰ الدنيا بباق
فيا مغرور بالدنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق السماء بعينه، وأشار إليها بكفه ودموعه تنحدر علىٰ خديه، وأنشأ يقول:

يا من إليه المبتهل ... يا من عليه المتكل
يا من إذا ما آمل ... يرجوه لم يخطئ الأمل

قال: فلما تم كلامه خرّ مغشياً عليه[(٣)] فرفعت رأسه إلىٰ حجري ونفضت التراب

---

(١) بهلول بن عمرو، أبو وهب الصيرفي الكوفي، وسوس في عقله وما أظنه اختلط، أو قد كان يصحو في وقت، فهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن وحكايات، وقد حدث عن عمرو بن دينار، وعاصم بن بهدلة، وأيمن بن نابل، وما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، ولا كتب عنه الطلبة، كان حيا في دولة الرشيد، ويروي أن البهلول مر به الرشيد فقام وناداه ووعظه، فأمر له بمال فقال: ما كنت لأسود وجه الموعظة . تاريخ الإسلام، وفيات [١٨١ - ١٩٠] .

(٢) سورة المؤمنون [١١٥] .
أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل للعبث، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] . تفسير ابن كثير [٣/ ٢٦٧] .

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال «أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب =

عن وجهه بكمي، فلما أفاق قلت له: أي بني ما نزل بك، وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟ قال: إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا يوقد إلا بالصغار، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم، قلت: أي بني، أراك حكيما فعظني، فأنشأ يقول:

أنعم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من لباس البلاء يد
كأني به قد مُدّ في برزخ البلاء ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت من المحاسن وانمحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
أرى العمر قد ولى ولم أدرك المنى ... وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن[1] عاصياً ... وأحدثت أحداثاً وليس بها رد
وأرخيت خوف الناس ستراً من الحيا ... وما من سر فيَّ غدا عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه ... وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
فلو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلا ... ولو لم يكن منه وعيد ولا وعد
لكان لنا في الموت شغل وفي البلا ... عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا عبد سوء خنت مولاي عهده ... تذلل عن السوء ليس له عهد
فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي ... ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد[2]
أنا الفرد عند الموت والفرد في البلا ... وأُبعث فردا فارحم الفرد يا فرد[3]

= ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك» قال النووي: وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر، وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته.

(١) المهيمن: هو القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه، فكل مطلع علىٰ كنه الأمر مستول عليه، حافظ له، فهو مهيمن عليه. سلاح المؤمن لابن الإمام [ص ٢٥٩].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤].

(٣) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٦٧٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢] باب في أسماء الله ـ تعالىٰ ـ عن أبي هريرة، وفيه: «إن الله وتر يحب الوتر» قال النووي: الوتر الفرد، ومعناه في حق الله ـ تعالىٰ ـ الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، ومعنى يحب الوتر: تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمساً والطهارة ثلاثاً والطواف سبعاً والسعي سبعاً =

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي، فلما أفقت نظرت إلىٰ الصبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام ؟ قالوا: وما عرفته ؟ قلت: لا، قالوا: ذلك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، قلت: قد عجبت من أين تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة !!

الحادية بعد العشرين: عن بعض الصالحات[2] وهي شعوانة ـ رحمها الله ـ قالت: رزقت ولداً فربيته أحسن تربية، فلما كبر قال لي: يا أماه سألتك بالله إلا ما وهبتيني لله ـ سبحانه ـ فقلت له: يا بني، لا يصلح أن يهدي للملوك الرؤساء إلا أهل الأدب والتقى، وأنت يا ولدي عزَّ ما تعرف ما يراد بك، ولم يأن لك ذلك، فأمسك عني ولم يقل شيئاً. فلما كان ذات يوم خرج إلىٰ الجبل ليحتطب، ومعه دابة، فلما توسط الجبل نزل عن الدابة وأقبل يحتطب، ويحمل في حبله، حتىٰ جمع حرمة وربطها، وجاء ليطلب الدابة ليحمل عليها، فوجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع وقال: يا كلب الله، وحق سيدي لأُحملنَّك الحطب كما تعديت علىٰ دابتي، فحمل علىٰ ظهره الحطب، وجعل يقوده وهو طائع لأمره، حتىٰ وصل إلىٰ داره، فقرع الباب، فقلت: من بالباب ؟ فقال: ولدك الفقير إلىٰ رب الأرباب، ففتحت له الباب، فلما رأيت الحطب علىٰ ظهر الأسد قلت: يا بني، ما هذا ؟!! فحكى لي القصة فسررت لذلك، وعلمت أن الله ـ جل جلاله ـ قد عني به واصطفاه لخدمته

= ورمي الجمار سبعاً وأيام التشريق ثلاثاً والاستنجاء ثلاثاً وكذا الأكفان، وفي الزكاة خمسة أوسق . . . إلىٰ آخر كلامه، ثم قال: وقيل: إن معناه منصرف إلىٰ صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصاً له، والله أعلم . النووي في شرح مسلم [١٧/٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الهاشمي ﷺ ريحانة رسول الله ﷺ وابن بنته فاطمة، السعيد الشهيد، استشهد بكربلاء وله ست وخمسون سنة، وقد حفظ عن جده ﷺ، وروى عنه وعن أبويه وخاله هند بن أبي هالة، روى عنه أخوه الحسن وابنه علي وابن ابنه محمد بن علي الباقر وبنته فاطمة بنت الحسين وعكرمة والشعبي والفرزدق همام وطلحة بن عبيد الله العقيلي، قال ابن سعد والزبير بن بكار: مولده في خامس شعبان سنة أربع . تاريخ الإسلام، وفيات [٦١ - ٧٠] .

(٢) للصلاح والولاية شروط صنفها الشوكاني فقال في كتاب قطر الولي علىٰ حديث الولي [ص٣٧]: ليس لمنكر أن ينكر علىٰ أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع، فهذا باب قد فتحه رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين [البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣)] عنه ﷺ قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم »، ثم قال الشوكاني: حق علىٰ الولي إن بلغ في الولاية إلىٰ أعلى مقام وأرفع مكان أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفا علىٰ الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره .

وقلت له: أما الآن يا بني، فقد صلحت لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله ﷻ وأنت وديعتي إياه، فودعته وودعها، وشيعته بالدعاء، ثم أنشأت تقول:

جعل الرضا لسباقه ميداناً ... فجرى وأطلق من يديه عنانا[1]
فتقدم السباق في غسق الدجى ... يطوي القفار[2] ويطلب الأوطانا
هجر الخلائق والعلائق في الرضا ... محبوبه وتجنب الإخوانا
شرب الظمأ حتىٰ تعطش قلبه ... فغدا وراح من الظمأ ريّانا

الثانية بعد العشرين: عن ذي النون[3] المصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كنت في البادية قاصداً مكة، فغلبني العطش، فملت إلىٰ حي من بني مخزوم، فرأيت جارية صغيرة حسناء، وهي تترنم بالأشعار، فعجبت منها لصدور ذلك عنها، وهي من جملة الصغار، فقلت لها: يا هذه الجارية، أما فيك حياء ؟ فقالت: صه يا ذا النون إني شربت البارحة بكأس الحب مسرورة، فأصبحت اليوم من حب المولى مخمورة، فقلت لها: يا جارية، أراك حكيمة فأوصيني بوصية، فقالت: يا ذا النون عليك بالسكوت والرضا في الدنيا بالقوت حتىٰ تزور في الجنة الحيَّ الذي لا يموت . فقلت لها: هل عندك ماء ؟ فقالت: أنا أدلك علىٰ الماء، فظننت أنها تدلني علىٰ بئر أو عين، فقالت: إن الناس يسقون يوم القيامة علىٰ أربع مراتب: فرقة تسقيهم الملائكة، قال الله عز وجل: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾[4].

وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة، قال الله عز وجل: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾[5].

وفرقة يسقيهم المولى ﷻ وهم الخواص من عباده، قال تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[6] فلا تعطى بترك الدنيا غير مولاك، حتىٰ يسقيك مولاك في عقباك،

---

(١) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، جمعها: أعنة .
(٢) القفر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ، ويقال: دار قفر، وجمعها: قِفار .
(٣) من أقوال ذي النون: الاستغفار اسم جامع لمعان كثيرة، أولهن: الندم علىٰ ما مضى، والثاني: العزم علىٰ ترك الرجوع، والثالث: أداء كل فرض ضيعته فيما بينك وبين الله، والرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، والخامس: إذابة كل لحم ودم نبت علىٰ الحرام، والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية .
(٤) سورة الصافات [٤٦] . (٥) سورة المطففين [٢٧] .
(٦) سورة الإنسان [٢١] .
أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: " إذا انتهى أهل الجنة إلىٰ باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك، فشربوا من إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم " . تفسير ابن كثير [٤/٤٥٦] .

ولعل ـ والله أعلم ـ بالفرقة الرابعة يسقيهم الولدان، قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾[١]

الحكاية الثالثة بعد العشرين: روي أنه اجتاز بعض الأمراء علىٰ باب الشيخ حاتم الأصم[٢] - رحمة الله عليه ـ فاستقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال، ووافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنت صغيرة لحاتم فإنها بكت، فقيل لها: ما يبكيك ؟ فقالت: نظر إلينا مخلوق فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق ؟[٣]

الحكاية الرابعة بعد العشرين: عن أبي كثير، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا رآني إلا أحبني . قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلىٰ الإسلام، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فذكرت ذلك له وقلت: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: « اللهم اهد أم أبي هريرة »[٤] فخرجت أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، فسمعت خضخضة الماء، فسمعت أمي خشخشة رجلي فقالت: يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[٥]، فخرجت

---

(١) سورة الواقعة [١٧ ، ١٨] .

(٢) حاتم الأصم أبو عبد الرحمن البلخي الزاهد الناطق بالحكمة، له كلام عجيب في الزهد والوعظ، وكان يقال له: لقمان هذه الأمة، وكان قد صحب شقيقاً البلخي وتأدب بآدابه، قال السلمي: هو حاتم بن عنوان، ويقال ابن يوسف، ويقال حاتم بن عنوان بن يوسف، روى عن شقيق البلخي وسعيد بن عبد الله الماهاني، روى عنه: عبد الله بن سهل الرازي وأحمد بن خضرويه البلخي الزاهد، ومحمد بن فارس البلخي، توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين. تاريخ الإسلام، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠].

(٣) قال أبو تراب: سمعت حاتما الأصم يقول: لي أربع نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يوسوس لي في شيء من أرزاقهم، وقال: المؤمن لا يغيب عن خمسة أشياء: عن الله، والقضاء، والرزق، والموت، والشيطان . انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠] .

(٤) قال أبو هريرة: " نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، وكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا، فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً .

(٥) قال النووي: إذا أراد الكافر الإسلام بادر به ولا يؤخره للاغتسال، ولا يحل لأحد أن يأذن له في تأخيره بل يبادر به، ثم يغتسل، ومذهبنا أن اغتساله واجب إن كان عليه جنابة في الشرك، سواء كان اغتسل منها أم لا ، وقال بعض أصحابنا: إن كان اغتسل أجزأه وإلا وجب، وقال بعض أصحابنا وبعض المالكية: لا غسل عليه ويسقط حكم الجنابة بالإسلام كما تسقط الذنوب، وضعفوا هذا بالوضوء، فإنه يلزمه بالإجماع ولا يقال يسقط أثر الحدث بالإسلام، هذا كله إذا =

إلىٰ رسول الله ﷺ فبكيت من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله أبشرك، فقد استجاب الله دعاءك، وقد هدى أم أبي هريرة فادع الله أن يحببني إلىٰ عباده المؤمنين، فقال: « اللهم حبب عبدك هذا إلىٰ عبادك المؤمنين » فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا يحبني[١]

الحكاية الخامس بعد العشرين: عن ربيعة بن عثمان، وقدامة ـ رحمهما الله ـ قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم[٢] ؛ قالت: كنت أخرج إلىٰ بادية لنا فيها أهلي، فأقيم بها الثلاث والأربع، ثم أرجع إلىٰ أهلي فلا ينكرون ذهابي في البادية حتىٰ جمعت في السير، فخرجت يوماً من مكة، كأنني أريد البادية، فلقيت رجلا من خزاعة، فلما ذكر خزاعة[٣] اطمأننت ؛ لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، فقلت: إني امرأة من قريش، فإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق، فقال: أنا صاحبك حتىٰ أدلك علىٰ المدينة، ثم جاءني ببعير فركبته، وكان يقود لي البعير فوالله ما كلمني بكلمة، فإذا أناخ البعير تنحى عني، فإذا نزلت جاء إلىٰ البعير قيده بالشجرة، ثم تنحى إلىٰ شجرة، حتىٰ إذا

= كان أجنب في الكفر، أما إذا لم يجنب أصلاً، ثم أسلم فالغسل مستحب له وليس بواجب، هذا مذهبنا ومذهب مالك وآخرين . وقال أحمد وآخرون: يلزمه الغسل . النووي في شرح مسلم [١٢/ ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٨ ـ (٢٤٩١)]: كتاب فضائل الصحابة [٣٥] باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢١)، وأحمد في مسنده (٢٠/ ٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٠٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٠٥).

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديماً، وهي أخت عثمان لأمه، صحابية لها أحاديث، ماتت في خلافة علي رضي الله عنه، وأخرج لها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٧٧]، تقريب التهذيب [٢/ ٦٢٤]، تاريخ الإسلام، وفيات [٣١/ ٤٠] .

(٣) لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ مؤمنها وكافرها، فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل أحد بني بكر، وأرادوا أن يصيبوا ثأراً من خزاعة، وأمدتهم قريش بالسلاح، وخرج نوفل بن معاوية الديلي في قومه إلىٰ خزاعة فاقتتلوا وحازوا خزاعة إلىٰ الحرم، فقال قوم نوفل بن معاوية الديلي: اتق إلهك ولا تستحل الحرم، فقال: لا إله لي اليوم، والله يا بني كنانة إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ فقتلوا رجلا من خزاعة، ولجأت خزاعة إلىٰ دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار رافع مولى خزاعة، فلما تظاهر بنو بكر وقريش علىٰ خزاعة كان ذلك نقضاً للهدنة، وكان ما كان من فتح مكة .

كان الرواح خرج بالبعير فقرَّبه إليّ وولى عني، فإذا ركبت أخذ برأسه، ولم يلتفت وراءه حتىٰ أنزل، فلم يزل كذلك حتىٰ قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً، فدخلت علىٰ أم سلمة وأنا متنقبة، فما عرفتني حتىٰ انتسبت، فلما كشفت النقاب التزمتني، وقالت: هاجرت إلىٰ رسول الله ﷺ، قلت: نعم، وإني أخاف أن يردني كما رد أبا جندل[١] وحال الرجال ليس كحال النساء، وقد طالت غيبتي عن قومي، ولي خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا، فدخل رسول الله ﷺ علىٰ أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم، فرحب بها، فقالت: إني فررت إليك بديني، فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي علىٰ العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلىٰ ما تعرف، فقال: «إن الله ﷻ قد نقض العهد في النساء، وحكم بحكم رضوه كلهم»[٢] وكان النبي ﷺ لا يرد النساء، فقدم أخوها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: «قد نقض الله ذلك» فانصرفا، وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذ، فتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل عنها تزوجها الزبير، فولدت له زينب، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف[٣] فولدت له إبراهيم وحميدًا، ثم تزوجها عمرو بن العاص، فماتت عنده .

الحكاية السادسة بعد العشرين: عن الحسن البصري ـ رحم الله تعالىٰ ـ قال: كانت امرأة بغيّ في زمن بني إسرائيل لها ثلث الحُسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب يعمل بيده، وعالج حتىٰ جمع مائة دينار،

---

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو، اسمه العاص من خيار الصحابة، وهو الذي جاء يوم صلح الحديبية يرسف في قيوده، وكان أبوه قيده لما أسلم، فقال أبوه للنبي ﷺ: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده، فرده . له صحبة وجهاد، توفي بطاعون عمواس، وقتل أخوه عبد الله يوم اليمامة، وكان بدرياً . تاريخ الإسلام، وفيات سنة [١٨] .

(٢) كان ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المُمتَحنَة: ١٠] قال ابن عباس: لما سئل علىٰ امتحان رسول الله ﷺ النساء، قال: "كان يمتحنهن: بالله ما خرجت من بغض زوج ؟ وبالله ما خرجت رغبة من أرض إلىٰ أرض ؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا ؟ وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ؟" .

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلىٰ الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وكان مولده بعد الفيل بعشر سنين، وتوفي سنة [٣٢] .

ثم جاء إليها وقال: إنك أعجبتيني، فانطلقت فعملت بيدي وعالجت[(١)] حتىٰ جمعت مائة دينار، فقالت له: ادخل، وكان لها سريراً من ذهب فجلست علىٰ سريرها ثم قالت: هلم، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة، ذكر مقامه بين يدي الله ـ تعالىٰ ـ فأخذته رعدة فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار، فقالت: ما بدا لك، وقد زعمت أني أعجبتك، فلم قدمت علىٰ فعلك الذي فعلت ؟ فقال: فرقا من الله، ومن مقامي بين يديه، وقد بغضك الله إليّ، فأنت أبغض الناس إليَّ[(٢)] قالت: إن كنت صادقاً فمالي زوج غيرك، فقال: دعيني أخرج، قالت: لا إلا أن تجعل لي أنك تتزوج بي، قال: فلعل تقنع بتوبة، وخرج إلىٰ بلده فارتحلت نادمة علىٰ ما كان منها، حتىٰ قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلَّت عليه، وكانت تُعرف بالملكة، فقيل له: إن الملكة قد جاءتك، فلما رآها شهق شهقة فمات ـ رحمه الله ـ قال: فسقط في يدها وقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب ؟ قالوا: أخوه رجل فقير، قالت: وأنا أتزوج به حباً لأخيه، فتزوجته، فنسل الله منهما سبعة أبناء .

الحكاية السابعة بعد العشرين: عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان في الكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلىٰ جارية جميلة فهويها، فهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمها، فاشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك[(٣)] فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك إلىٰ أن تأتيني إلىٰ منزلي، فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[(٤)].

---

(١) عالج الشيء معالجة: زاوله ومارسه .

(٢) قال تعالىٰ في قصة يوسف. عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤] كذا يفعل الله بعباده الطائعين المجتنبين للمعاصي والمطهرين المختارين المصطفين الأخيار من صفوة خلقه، وعلىٰ رأسهم الأنبياء ثم الأولياء والصالحون .

(٣) في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما ورد في صحيح مسلم [٩١-(١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، عن أبي هريرة، وفيه عنه ﷺ: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله » .

(٤) سورة الأنعام [١٥، يونس [١٥]، الزمر [١٣]،
وقال النووي في حديث السبعة المتقدم قبل هذا: قال القاضي: يحتمل قوله أخاف الله باللسان، ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه، وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال لا سيما، وهي داعية إلىٰ نفسها طالبة لذلك، قد =

أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهبها، فلما انصرف الرسول إليها وأخبرها بما قال قالت: وأراه مع ذلك زاهداً يخاف الله، فقالت: والله ما أحد أحق بهذا الأمر مني، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المسوح وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل وتزداد حباً للفتى وأسفاً عليه حتىٰ ماتت، فكان الفتى يأتي إلىٰ قبرها، فرآها في منامه، وكأنها في أحسن منظر، فقال: كيف أنت وما لقيتي ؟ قالت: المحبة يا أخي محبتك حباً يقود إلىٰ خير وإحسان، فقال لها: علىٰ إثر ذلك إلام صرت ؟ قالت: إلىٰ نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد مُلك ليس بالفاني، فقال لها: أذكرتيني هناك، فإني لست أنساك ؟ فقالت: ولا أنا والله أنساك، ولقد سألت ربي مولاي ومولاك فأعني علىٰ ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة، فقال لها: متى أراك ؟ قالت: ستأتينا عن قريب، ولم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال .

الحكاية الثامنة بعد العشرين: عن بعض السلف ـ رحمة الله عليه ـ قال: كان لقمان عبداً حبشياً لرجل جاء به إلىٰ السوق يبيعه، فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له: ما تصنع بي ؟ فإذا قال: أصنع بك كذا وكذا وكذا، قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني حتىٰ جاء رجل فقال لقمان:[1] ما تصنع بي ؟ قال: أصيرك بواباً علىٰ بابي، قال: فاشترني، فاشتراه وجاء به إلىٰ داره، وكان له ثلاث بنات يبغين في القرية، فأراد أن يخرج إلىٰ ضيعة له، فقال له: إني أدخلت إليهن طعاما وما يحتجن إليه، فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتىٰ أجيء، فلما خرج فعل ما أمره به مولاه، فقال له البنات: افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه، فغسل الدم وجلس، فلما قدم سيده لم يخبره بشيء، ثم أراد سيده الخروج أيضاً فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتح الباب، فلما خرج سيده خرجن إليه، وقلن له: افتح الباب فأبى، فشججنه، فغسل الدم وجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره

= أغنت عن مشاق التوصل إلىٰ مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله ـ تعالىٰ ـ وقد دعت إلىٰ نفسها مع جمعها المنصب والجمال ـ من أكمل المراتب وأعظم الطاعات . النووي في شرح مسلم [١٠٩/٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(١) اختلف السلف في لقمان ؛ هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة علىٰ قولين: الأكثرون علىٰ الثاني، وقال سفيان الثوري عن الأشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: " كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً "، وقال قتادة: عن عبد الله بن الزبير، قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال: كان قصيراً أفطس الأنف من النوبة، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . تفسير ابن كثير [٤٥٨/٣، ٤٥٩] .

بشيء، فقالت الكبيرة منهن: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله مني، والله لأتوبن، فتابت، فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي، وهذه الكبرى أولى بطاعة الله مني، والله لأتوبن[1] فتابت، فقالت الوسطى: ما بال هذا العبد الحبشي وهاتين أولى بطاعة الله مني، فتابت، فقالت غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا، والله لنتوبن، فتاب الجميع وصاروا عبَّاد القرية.

الحكاية التاسعة بعد العشرين: عن بعضهم قال: كنا نمشي علىٰ شاطئ الإيلة في الليل والقمر طالع، فمررنا بقصر لجندي، وفيه جارية تضرب بالعود، وإلى جانب القصر فقير عليه خرقتان، فسمع الجارية وهي تقول:

في سبيل الله ود كان مني إليك يبذل
كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير وقال: اعبديه يا جارية، فهذا حالي مع الله ـ تعالىٰ ـ فنظر صاحب الجارية إليه وقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي، فأخذت تقول والفقير يقول: هذا حالي مع الله ـ تعالىٰ ـ والجارية تردد إلىٰ أن صاح الفقير صيحة وخرّ مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو ميت، فنزل صاحب القصر، فأدخله القصر فاغتممنا وقلنا: هذا يكفنه بكفن غير طيب، فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا الأخير، ومضينا إلىٰ الإيلة، وأعلمنا الناس.

فلما أصبحنا رجعنا إلىٰ القصر، فإذا الناس يقبلون من كل وجه إلىٰ الجنازة، كأنما نودي للبصرة حتىٰ خرج القضاة والعدول وغيرهم، والجندي يمشي خلف الجنازة حافيا حاسراً حتىٰ دفن، فلما هم الناس بالانصراف، قال الجندي للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله ـ تعالىٰ ـ وكل ضياعي وعقاراتي في سبيل الله، ولي في صندوق كذا وكذا أربعة الآف دينار، وهي في سبيل الله[2] ثم

---

(١) للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو: التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة. النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) الهبة: كل ما من شأنه أن يقرب من قلوب الناس ويغرس فيها المحبة ويؤكد فيها روابط الود، مطلوب في نظر الشريعة الإسلامية، ويتفاوت طلبه بتفاوت حاجة الناس إليه، فما كان لازماً ضرورياً لحياتهم كان القيام به فرضاً لازماً علىٰ كل فرد من الأفراد كزكاة الأموال التي فرضها الله ـ تعالىٰ ـ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] لأن مما لا بد =

نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به، وبقي في سراويله، فأعطي ثوبين اتزر بواحد واتشح بالآخر، وهام علىٰ وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم علىٰ الميت .

الحكاية الثلاثون: عن أبي هاشم ـ رحمة الله عليه ـ قال: أردت البصرة، فجئت إلىٰ سفينة أكتريها[(١)] وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس هاهنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني ففعل، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال: ادع ذلك المسكين ليتغذى معنا، فجئت علىٰ أني مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية، هاتي شرابك، فشرب وأمرها أن تسقيني فقلت: يرحمك الله، إن للضيف حقاً، فتركني، فلما دب فيه النبيذ قال: يا جارية، هاتي عودك، وهاتي ما عندك، فأخذت العود وغنت وهي تقول:

وكنا كغصني بانة[(٢)] ليس واحد ... تزول علىٰ الحالات عن رأي واحد

تبدل بي خلاً فخاللت غيره ... وخليته لما رأيت تباعدي

فلو أن كفي لم تردني أبنتها ... فلم تصحبنها بعد ذلك ساعدي

ألا قبح الرحمن كل ممازق ... بكون أخا في الخفض لا في الشدائد

فالتفت الرجل إليّ وقال: أتحسن مثل هذا ؟ فقلت: أحسن خيراً منه، فقرأت ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾[(٣)] فجعل الشيخ يبكي، فلما انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾[(٤)] قال: يا جارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وألقى ما معه من الشراب في الماء، ثم عاد إليّ فاعتنقني وقال: يا أخي، أترى أن الله يقبل توبتي ؟[(٥)] فقلت له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ

= منه في هذه الحياة الدنيا، أن يوجد أفراد بين الناس عاجزون عن سلوك سبيل الحياة وتحصيل الضروري من القوت، فمن المفروض إنقاذ هؤلاء وإعطاؤهم ما يدفع عنهم غائلة الجوع والعري . الفقه علىٰ المذاهب الأربعة [٣/ ٢٦٧] .

(١) اكترى الدار: استأجرها، وأكرى الدار أو الدابة آجرها، والكراء: أجر المستأجر .

(٢) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف، واحدته: بانة، وتشبه به الحسان في الطول واللين .

(٣) سورة التكوير [١ - ٣] .

(٤) سورة التكوير [١٠] .

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] ، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ الأنعام [٥٤] .

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] ثم آخيته، فاصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتىٰ مات، فرأيته في المنام فقلت: إلام صرت ؟ قال: إلىٰ الجنة، قلت: بماذا ؟ قال: بقرائتك عليّ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾.

وأنشدوا :

بادر إلىٰ التوبة الخلصاء مجتهداً فالموت ويحك لم يمدد إليك يداً

فإنما المرء في الدنيا علىٰ خطر إن لم يكن ميتا اليوم مات غداً

الحادية بعد الثلاثين: عن إسماعيل بن عبد الله الخزاعي ـ رحمه الله ـ قال: قدم رجل من المهابة من البصرة أيام البرامكة[2] في حوائج له، فلما فرغ منها انحدر إلىٰ البصرة ومعه غلام له وجارية، فلما صار في دجلة إذا بفتى علىٰ ساحل دجلة عليه جبة صوف، وبيده عكاز ومزود، فسأل الملاح أن يحمله إلىٰ البصرة، ويأخذ من الكرى، فأشرف المهلبي، فلما رآه رق له فقال للملاح: قَرِّب واحمله معك علىٰ الظلال[3]، فحمله فلما كان وقت الغداء، دعا بالسفرة وقال للملاح: قل للفتى يتغدى معنا، فأبى عليه، فلم يزل يطلبه حتىٰ أتى، فأكلوا حتىٰ إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم فمنعه الرجل، ثم دعا بشراب فشرب قدحاً، ثم سقى الجارية، ثم عرض علىٰ الفتى فأبى، فسقى الجارية وقال: هاتي ما عندك، فأخرجت عوداً لها في غشاء فهيأته وأصلحته، ثم غنت، فقال: يا فتى، أتحسن مثل هذا ؟ قال: أُحسن ما هو أحسن من هذا، فافتتح الفتى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا[4] أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[5] وكان الفتى

---

(١) سورة البقرة [٢٢٢] .

(٢) كان سبب هلاك البرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي، قال: وكان يحضرها مجلس الشراب فقال: أزوجكها علىٰ أن لا تمسها، فكانا يثملان من الشراب وهما شابان ويقوم الرشيد، فوثب جعفر عليها فولدت منه غلاماً، فخافت الرشيد، فوجهت بالطفل مع حواضن إلىٰ مكة واختفى الأمر، ثم ضربت جارية لها، فوشت بها إلىٰ الرشيد، ثم كان ما كان من قتل جعفر وسائر البرامكة. انظر تاريخ الإسلام، وفيات [١٨١ - ١٩٠] .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) الفتيل: الخيط الذي في شق النواة، يقال: ما أغنى عنه فتيلاً أي شيئاً .

(٥) سورة النساء [٧٧، ٧٨] . أي آخرة المتقي خير من دنياه ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: ٧٧] أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم علىٰ الجهاد، وقوله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: ٧٨] أي أنتم صائرون إلىٰ الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم كما قال تعالىٰ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] ، =

حسن الصوت، فرمى الرجل بالقدح في الماء، وقال: أشهد أن هذا أحسن مما سمعت، فهل غير هذا ؟ قال: نعم ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[1] .

فوقعت من قلبه موقعاً، فرمى ظرف الشراب بما فيه، وكسر العود، ثم قال: يا فتى ههنا فرج ؟ قال: نعم ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2] فصاح صيحة وخر مغشيا عليه، فنظروا إليه فإذا هو فارق الدنيا، وكان رجلا معروفاً، فحمل إلىٰ منزله واجتمع الناس، فما رأيت جنازة أكثر جمعاً منه .

قال: وبلغني أن الجارية المغنية تدرعت الشعر فوق الصوف، وجعلت تصوم النهار وتقوم الليل، فمكثت أربعين ليلة، ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي[3] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[4] فلما كان الصبح وجدوها ميتة .

الثانية بعد الثلاثين: عن مالك بن دينار ـ رحمة الله عليه ـ أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رأى

= وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والمقصود أن كل أحد صائر إلىٰ الموت لا محالة ولا ينجيه من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهد فإن له أجلاً محتوماً ومقاماً مقسوماً . تفسير ابن كثير [١/ ٥٢٦] .

(١) سورة الكهف [٢٩] .

(٢) سورة الزمر [٥٣] .

هذه الآيات دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلىٰ التوبة والإنابة وإخبار بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه علىٰ غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . تفسير ابن كثير [٤/ ٥٨] .

(٣) يقول تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: وقل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي أرصدنا ﴿لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي سورها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ قال ابن عباس :المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت . تفسير ابن كثير [٣/ ٨٣، ٨٤] .

(٤) سورة الكهف [٢٩] .

مالك نادى: أيتها الجارية، أيبيعك مولاك ؟ قالت: ولو باعني، كان مثلك يشتريني ؟ قال: نعم وخيراً منك، فضحكت، وأمرت به أن يحمل به إلىٰ دارها، فحُمل، فدخلت إلىٰ مولاها فأخبرته، فضحك وأمر أن يدخل به إليه، فأُدخل فأُلقيت له الهيبة في قلب السيد قال: ما حاجتك ؟ قال: بعني جاريتك، قال: أو تطيق ثمنها ؟ قال: فثمنها عندي نواتان مسوستان، فضحكوا، قال: كيف ثمنها عندك هذا ؟ قال: لكثرة عيوبها، قال: وما عيوبها ؟ قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن تستك (نجرت)[1]، وإن لم تمتشط وتدهن قملت وتشعَّثت، وإن تعمد عن قليل هرمت، ذات حيض وبول وأقذار، وحزن وغم وأكدار، ولعلها لا تودك إلا نفسها، ولا تحبك إلا لنعيمها، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ودك، ولا تخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك، وأنا آخذ بدون ما سألتك في جاريتك منَ الثمن جارية خلقت من الكافور، ومن المسك والجوهر والنور، لو مزج بريقها أجاج لطاب، ولو دعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت[2] ولو بدا في الظلماء لأنارت به وأشرقت، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت بها وتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقضبان الياقوت والمرجان، وقصرت في خيام النعيم[3] وغُذيت بماء التسنيم، لا يخلف وعدها، ولا يبدل وُدُّها، فأيهما أحق بدفع الثمن ؟ قال: التي وصفتَ، قال: فإنها الموجودة الثمن، القريبة الخطب في كل زمن، قال: فما ثمنها ـ رحمك الله ؟

قال: اليسير المبذول، الخطير المأمول، أن تتفرغ ساعة في ليلك، تصلي ركعتين تُخلصهما لربك، وأن يوضع طعامك، فتذكر جائعك فتؤثر الله ﷻ علىٰ شهوتك، وأن ترفع حجراً أو قذراً عن الطريق[4]، وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة،

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) روى البخاري في صحيحه [٢٧٩٦] كتاب الجهاد والسير، [٦] باب الحور العين وصفتهن، عن أنس بن مالك مرفوعاً وفيه: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلىٰ أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها ـ يعني خمارها ـ علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢] ، وقال هناك: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرَّحمٰن: ٥٦] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت وإن كان الجميع مخدرات، وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢] ، فروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة طولها عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون» تفسير ابن كثير [٤/ ٢٨٠] .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٥٨ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان =

وترفع همك عن دار الغرور والغفلة، فتعيش في الدنيا بعز القناعة، وتأتي إلىٰ موقف الكرامة آمناً غداً، وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلداً[(١)] فقال الرجل: يا جارية، أسمعت ما قال شيخنا هذا ؟ قالت: نعم، قال: أفصدق أم كذب ؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح، قال: فأنت إذن حرة لله ـ تعالىٰ ـ وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدام أحرار، وضيعة كذا وكذا وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله، ثم مدَّ يده إلىٰ ستر خيش كان علىٰ بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه، واستتر بالستر، فقالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي، فرمت بكسوتها، ولبست ثوباً خشناً، وخرجت معه، فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما، وأخذا طريقاً غيره، فتعبدا جميعاً حتىٰ جاء الموت، فنقلهما علىٰ حال العبادة ـ رحمة الله عليهما .

الثالثة بعد الثلاثين: عن بعض أهل العلم قال: كانت تختلف إليّ في بعض الأحيان جارية لها وضاءة، وعليها خفارة[(٢)] فتسألني عن شرائع الإسلام وأمور الدين، وأجيبها وألطف بها، وكان حالها يميل إلىٰ السر والكتمان[(٣)]، وكان يعجبني

= وأفضلها وأدناها، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» قال النووي: قوله ﷺ: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو مدر أو شوك أو غيره . انظر شرح مسلم [٢/٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) في حديث مسلم [٤٠ ـ (٢٨٤٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد مرفوعاً: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح .... الحديث» إلىٰ أن قال: «فيؤمر به فيذبح» قال: «ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت .... الحديث»، قال النووي: قال المازري: الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة، وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ لقوله تعالىٰ: «خلق الموت والحياة» فأثبت الموت مخلوقاً، وعلىٰ المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره، فيتأول الحديث علىٰ أن الله يخلق هذا الجسم، ثم يذبح مثالاً لأن الموت لا يطرأ علىٰ أهل الآخرة . النووي في شرح مسلم [١٥٣/١٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) خفرت المرأة خفراً: اشتد حياؤها، فهي خفرة .

(٣) فيما روى من حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وفيه «ورجل ذكر الله ـ تعالىٰ ـ خالياً ففاضت عيناه» وفيه فضيلة البكاء من خشية الله ـ تعالىٰ ـ وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها، انظر الحديث في مسلم [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، عن أبي هريرة .

سمتها وحالها، فبينما أنا بعد مدة ماراً بالسوق، إذ رأيت الجارية وقد قبض علىٰ يدها إنسان وهو ينادي عليها: من يشتري هذه الجارية بعيبها، فقلت لها: ألست التي كنت تسأليني عن أمور وشرائع الإسلام ؟ فأطرقت، فبينما أنا أتكلم معها إذا بسيدها قد أقبل، فتقدمت إليه وقلت له: صف صفة جاريتك، واذكر لي ما الذي تكره منها، فقال: أخبر الشيخ أن البعيد مجوسي[١] يعبد النار والنور، وكنت قد استحسنت هذه الجارية لما رأيت من جمالها وعقلها، فاشتريتها بثمن جزيل، وكنت أراها كثيرة العبادة والتعظيم لمعبودنا، محبة طائعة لآلهتنا، وقد كانت ليلة من الليالي، فمر بنا رجل من أهل ملتكم، وقرأ شيئاً من كتابكم، فما هو إلا أن سمعت ما قرأه، صاحت صيحة فدهشنا، وأنشدت :

طرق السمع يا أهيل المحلى ... خير منكم فزاد اشتياقي
حكم النقل قد روته ثقات ... مسند بالدواة والاتفاق
عندما شمت بارقاً من حماكم ... حن قلبي إلىٰ لذيذ التلاقي
وكتمت الوشاة ما بي من الوجد ... ومن لوعتي واحتراقي
أنا أفنى بكم وتبلى عظامي ... ورسل الغرام في القلب باقي

قال: فدهشنا وهي باهتة نسألها، فلا ترد جواباً، إلا أنها تركت عبادة آلهتنا، وأبت أن تأكل طعامنا، وإذا جن عليها الليل صلّت إلىٰ قبلتكم، وكم نهيناها فلم تنته، وقد ذهبت نضارتها وغيرت حالتها، ولم يحصل لنا بها انتفاع، ولم نستطع أن نردها عن ما هي عليه، وقد عزمت علىٰ بيعها، قال: فقلت لها: الأمر كذلك ؟ فأشارت برأسها: نعم، فقلت في نفسي: إنما عابها من جهلها، فأنشدت :

يعيبون ما لو أنهم فطنوا به ... لكانوا أشذ الناس جيئاً لما عابوا

فقلت لها: أي آية قرئت عليك ؟ قالت: قول ربك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾[٢] الآية، فمنذ سمعتها عزمت (صبري)[٣] وظهر لي ما ترى من أمري، وأنشدت:

ما بين منعرج اللوى والوادي ... يا صاحبي ضحى عدمت فؤادي
ورجعت ذو وله وكم من عاشق ... مقتول عشق ما له من فادي
يا أهل نجد ارحموا ذا لوعة ... ما بين أطناب الخيام ينادي

---

(١) المجوس: عقيدتهم في تقديس الكواكب والنار .
(٢) سورة الذاريات [٥٠] . (٣) كذا بالأصل .

ولهان لا يصغي لعذل عوازل ظمآن من ماء التواصل صادي
ما هبت لي منكم نسيم مخبر بالوصل فيه منايح الإسعادي
ألا سعيت مبادراً للقاكم ومنعت عيني من لذيذ رقادي
وإذا نطقت بذكر غزلان النقا[1] أو زينب أو (علوة)[2] وسعادي
فلأنتم قصدي وغاية مطلبي ولأنتم دون الجميع مرادي
لا شيء يشبهكم تعالىٰ ذكركم عن قول ذي زيغ وذي إلحاد[3]

قال: فقلت لها: لو أسمعتك تمام الآيات ؟ فقالت: إن كنت تحسنها فاقرأ عليّ، فقرأت عليها حتىٰ انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[4].

فقالت: أحسنت، حسبك ما ضمنه الإله المعبود، ثم قلت لسيدها: هل لك أن تقبض ثمنها مني ؟ قال: إن ثمنها جزيل، ولي ابن عم قد تعلق بها وقصدني فيها يريد أن يرجعها عن ما هي عليه من الخاطر الذي قد اعتراها، وهو مجوسي من الملة، قال: فبينما هو يخاطبني، إذ أقبل ابن عمه، فقال: أنا أردّها عما هي عليه، فدفعها إليه، فلمّا علمت بذلك قالت لي: يا شيخ، ألا تسمع كلامه ليكونن لي وله شأن عظيم يطلعك الملك عليه، فلمّا كان بعد مدة، رأيت سيدها المجوسي ذهب بها يصلي معنا في المسجد، فقلت له: ألست سيد الجارية ؟ قال: بلى، قلت: كيف كان الخبر ؟ قال: خبر خيرٍ، مضيت بها إلىٰ منزلي، وخرجت لحاجتي، فلما رجعت وجدتها قد نصبت كرسياً وجلست عليه، وجعلت تذكر الله وتوحده، وتُحذّر أهلي

---

(١) النّقا: الكثيب من الرمال، ونقي الشيء نقاوة ونقاء: نظف، فهو نقي وهي نقية.
(٢) كذا بالأصل.
(٣) ألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، وفي الدين: طعن، وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فُصّلَت: ٤٠].
(٤) سورة الذاريات [٥٦ - ٥٨].
أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إلا ليعبدون أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] أي إلا للعبادة، وأنه - تبارك وتعالى - خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. تفسير ابن كثير [٤/٢٣٨].

وتنهاهم عن عبادة النار، وتصف لهم الجنة، فخشيت أن تفسد علينا ديننا، فقلت: أخذت هذه الجارية طمعا أن نفسد عليها دينها فإذا هي تفسد علينا ديننا، فقصصت قصتها علىٰ صاحب لي وقلت له: ما تشير عليّ أن أفعل ؟ قال: أودعها مالاً وخذه من ورائها، واطلبه منها لتثبت عليها الحجة، ثم اضربها، قال: فأودعتها كيسا فيه خمسمائة دينار، فاشتغلت علىٰ عادتها في عبادتها، فأخذت الكيس وهي لا تشعر، فطلبته منها، فوثبت إلىٰ الموضع الذي وضعته فيه، فإذا بالكيس في موضعه، فناولتني إياه، فعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: أنا أخذت الكيس، وهذا آخر ولا شك بعد العيان، هذا يدل علىٰ قدرة إلهها الذي تعبده، فآمنت بإلهها وأسلمت أنا وصاحبي وأهلي كلهم، وأطلقت سبيلها كما اختارت ـ رحمها الله تعالىٰ ـ ما زالت تكتم الغرام حتىٰ أظهر الله حالها للأنام كما أنشد لسان حالها:

كتمت الوشاة[(١)] غرامي بكم وحبكم في حشا أضلعي
وموهت[(٢)] عنكم بوادي التقى وسكان رامة والأجرع
ولولاكم ما ذكرت اللوى ولا حن قلبي إلىٰ لعلعي[(٣)]

الرابعة بعد الثلاثين: عن سري السقطي[(٤)] - رحمه الله تعالىٰ ـ قال: سهرت ليلة من الليالي، وقلقت قلقاً شديداً، فلم أطق الغمض، مع ما حرمته من التهجد، فلما صليت الصبح خرجت، لا يقَرّ بي قرار، فوقعت في الجامع أسمع بعض القصص لعلي أجد لقلبي راحة، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فمضيت، ووقفت ببعض الوعاظ، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فقلت: أمضي إلىٰ بعض أطباء القلوب، ومن يدل المحب علىٰ المحبوب ؟ فمضيت، فوجدت قلبي لا يزداد إلا

---

(١) وشى به إلىٰ السلطان: نمَّ به وسعى، فهو واش، وجمعها: وُشَاة.
(٢) موه الشيء: أي طلاه بفضة أو ذهب إذا لم يكن جوهره منهما، وموه الحق: لبسه بالباطل، ويقال موه الحديث زخرفه ومزجه من الحق والباطل، وموه عليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.
(٣) اللعلعة: بصيص، والسراب: تلألأ، وتلعلع من الجوع والعطش: تضور.
(٤) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون. وعنه: أبو العباس بن مسروق والجنيد وغيرهم، قال السلمي: السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، وقال الجنيد له في مرض موته: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار ولا تشغلن عن الله بمجالسة الأخيار، وقال عنه أيضاً: ما رأيت أعبد لله من السري ؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علة الموت، توفي سنة [٢٥٧]، وقيل [٥٣]، وقيل [٢٥١] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠] .

قساوة، فمضيت إلىٰ الشرطة، لعلي أعتبر بمن يعاقب في الدنيا، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فقلت: أمضي إلىٰ المارستان لعلي أرتعد وأنزجر بمن ابتلي، فلما ولجت المارستان[١] وجدت قلبي قد انفسح، وصدري قد انشرح.

وإذا أنا بجارية من أنضر الناس وجهاً، عليها أطمار[٢] حسنة رفيعة، وشممت منها رائحة عطرة، عفيفة المنظر، وسيمة الخطر[٣]، وهي مقيدة الرجلين، مغلولة اليدين، فلما رأتني تغرغرت عيناها بالدموع، وأنشأت تقول:

أعندك أن تغل يدي ... بغير جريرة سبقت

تغل يدي إلىٰ عنقي ... وما خانت وما سرقت

وبين جوانحي كبداً ... حسٌّ بها قد احترقت

وحقك يا منى قلبي ... يميناً برة صدقت

فلو قطعتهما قطعاً ... وحقك عنك ما رجعت

قال السري: فلما سمعت كلامها قلت لصاحب المارستان: ما هذه الجارية؟ قال: مملوكة اختل[٤] عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح، فلما سمعت كلام القيم تشرَّفت[٥] بدموعها وجعلت تقول:

معشر الناس ما جننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبي صاحي

أغللتم يدي ولم آت ذنبا ... غير جهدي في حبه وافتضاحي

أنا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغي من بابه من براحي

فصلاحي الذي زعمتم فسادي ... وفسادي الذي زعمتم صلاحي

ما علىٰ من أحب مولى الموالي ... وارتضاه لنفسه من جناحي

قال: سمعت كلاماً أقلقني وأشجاني[٦] وأحرقني وأبكاني، فلما رأت دموعي قالت: يا سري هذا بكاؤك علىٰ صفته، فكيف لو عرفته حق معرفته؟! ثم أغمي عليها ساعة، فلما أفاقت جعلت تقول:

---

(١) المارستان: المصحة أو المستشفى.
(٢) الطمر: الثوب الخلق البالي، جمعها: أطمار.
(٣) الخَطْر: اهتز وتبختر فهو خاطر.
(٤) اختل العقل: تغير واضطرب.
(٥) تشرَّفت: رفعت بصرها تنظر إليه.
(٦) أشجن الأمر فلاناً: أحزنه، والشجن: الهم والحزن، وجمعها: شجون وأشجان.

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه فأنت مولى الورى حقاً ومولاي
كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مُذْ رأتك العين مولاي
من غصَّ [١] داوى بشرب الماء غُصَّتَهُ فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبي حزين علىٰ ما فات من زللي والنفس في جسدي من أعظم الداء
والشوق في خاطري مني وفي كبدي والحب مني مصون في سويدائي
إليك مني قصدت الباب معتذراً فأنت تعلم ما ضمته أحشائي

فقلت لها: يا جارية، قالت: لبيك يا سري، قلت: من أين عرفتيني؟ قالت: ما جهلتك مذ عرفت، ولا فترت مذ خدمت ولا انقطعت مذ وصلت، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً، قلت: أسمعك تذكرين المحبة، فمن تحبين؟ قالت: لمن تعرَّف إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلىٰ القلوب، محب لطلب المحبوب، سميع عليم بديع حكيم، جواد كريم، غفور رحيم، فقلت لها: من حبسك ههنا؟ قالت: يا سيدي حاسدون تعاونوا وتعاقدوا وتراسلوا، ثم شهقت حتىٰ ظننت أنها فارقت الحياة، ثم أفاقت وأنشأت تقول:

قلبي أراه أني إلىٰ الأحباب مرتاحا سكران في حب من هو بالهوى باحا
ياعين جودي بدمع خوف هجرهم فربَّ دمع أتى للخير مفتاحاً
ورب عين رآها الله باكية بالخوف منه تنال الروح والراحا
لله عبد جنى ذنباً فأحزنه فبات يبكي بدر الدمع سفاحا
مستوحش [٢] خائف مستيقن فطن كأن في قلبه للنور مصباحاً

قال السري: فقلت لقيِّم [٣] المارستان: أطلقها، ففعل، فقلت: اذهبي حيث شئت، قالت: يا سيدي إلىٰ أين أذهب؟ ومالي عنه مذهب، إن حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي ذهبت، وإلا صبرت واحتسبت، فقلت: والله هذه أعقل مني، فبينما هي تخاطبني إذ دخل مولاها فقال للقيم: أين تُحفة؟ فقال: هي داخل المارستان [٤]، وعندها السري السقطي، قال: ففرح ودخل وسلَّم عليَّ،

---

(١) غصَّ: بالماء غصّاً وغصصاً: وقف الماء في حلقه فلم يكد يبتلعه، فهو غاصٌّ وغصَّان، والغُصَّة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب، جمعها غُصَص.
(٢) استوحش: فلان وجد الوحشة، ومنه لم يأنس به.
(٣) القيِّم: من يقوم بالأمر ويسوسه ومن يتولى أمر المحجور عليه، وكتاب قيِّم: ذو قيمة.
(٤) المارستان: المصحة أو المستشفى.

ورحب بي وعظمني، فقلت له: هي أولى بالتعظيم مني؛ فما الذي تكره منها؟ فقال: أمور كثيرة: لا تأكل ولا تشرب، ذاهلة [١] العقل مدهوشة اللب، لا تنام ولا تدعنا ننام، كثيرة الفكرة، سريعة الدمعة، ذات زفرة وحنين وبكاء وأنين، وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي؛ بعشرين ألف درهم، وقلت: أنا أربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها، قلت: وما صنعتها؟ قال: مطربة، قلت: ومنذ كم كان بها هذا الداء؟ قال: منذ سنة، قلت: وما كان بدؤه؟ قال: بينما العود في حجرها وهي تغني وتقول:

وحقك لا نقضت الدهر عهدا ولا كدَّرت بعد الصفو ودّاً
ملأت جوانحي [٢] والقلب وجدا فكيف أَلَذُّ وأسلو وأهدى
فيا من ليس لي مولى سواه تُرَاكَ رضيتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت، فاتهمتها بمحبة إنسان، فَكَشَفْتُ عن ذلك فلم أجد له أثراً، فقلت لها: هكذا كان الحديث، فأجابتني بلسان طلق وقلب محزون وهي تقول:

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي علىٰ لساني
قربني منه بعد بُعد وخصني الله واصطفاني
أجيب لما دعيت طوعاً ملبيا للذي دعاني
وحققت مما جنيت قدما فوقع الحب بالأماني

قال السري: فقلت له: علىٰ الثمن وأزيدك، فصاح وقال: وافقداه من أين لك ثمن هذه وأنت رجل فقير؟!! فقلت له: لا تعجل عليَّ تكون في المارستان حتىٰ آتي بثمنها، ثم ذهبت باكي العين حزين القلب، ووالله ما عندي من ثمنها درهم، وبقيت طول الليل أتضرع، فلم أغمض، وأقول: يا رب إنك تعلم سري وجهري، وقد عودتني علىٰ فضلك فلا تفضحني، فبينما أنا في المحراب إذا بقارع يقرع الباب، فقلت: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب؛ جاء في سبب من الأسباب، بأمر الملك والوهاب، ففتحت الباب، وإذا برجل معه أربعة غلمان وشمعة، فقال: يا أستاذ تأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل، فدخل، فقلت له: من أنت؟ قال: أحمد بن المثنىٰ قد أعطاني من إذا أعطى لا يبخل بالعطاء، كنت الليلة نائماً، فهتف بي هاتف

(١) ذهل الأمر وعنه ذهلاً وذهولاً: نسيه وغفل عنه، وذهل ذهولاً: تدلَّه وغاب عن رشده، وأذهله الأمر: جعله يذهل.
(٢) الجانحة: الضلع القصيرة مما يلي الصدر، وجمعها جوانح.

وقال لي: خذ خمس بدرات [١] إلىٰ السري يطيب بها نفسه، ويشتري بها تحفة، فإن لنا بها عناية، فسجدت شكراً لله علىٰ ما أولاني من نعمة، وجعلت أتوقع الفجر، فلما صليت الصبح خرجت وأخذت بيد أحمد ومضيت إلىٰ المارستان، فإذا بالموكل بها يتلفت يميناً وشمالاً، فلما رآني قال: مرحباً أُدخل فإن لها عند الله عناية؛ هتف بي البارحة هاتف وهو يقول:

إنــهــا مــنــا تــنــال لــيــس تــخــلــو مــن نــوال
ثــم تــرقَّــت وعــلــت فــي كــل حــال

قال السري: فلما رأتني تحفة تغرغرت عيناها بالدموع وقالت: شهرتني بين المخلوقين، ثم أنشأت تقول:

قــد تــصــبــرت حــتــى عــيــل [٢] فــي حــبــك صــبــري
ضــاق مــن عــلــيَّ وقــيــدي وامــتــهــانــي فــيــك صــدري
لــيــس يــخــفــى عــنــك أمــري يــا مُــنَــى سُــؤْلــي وذُخْــري

قال: فبينما نحن جلوس إذ دخل مولاها باكي العين حزين القلب متغير اللون، فقلت له: لا تَبْكِ فقد جئناك بما وزنت، وربح خمسة آلاف، قال: لا والله، قلت: وربح عشرة آلاف، قال: لا والله، قلت: وربح المثل، قال لو أعطيتني الدنيا ما قبلت، هي حرة لوجه الله تعالىٰ، فقلت له: ما القصة؟ فقال: وُبِّختُ [٣] البارحة، أُشهدك أني قد خرجت من جميع مالي، اللهم كن لي بالسعة كفيلاً، وبالرزق جميلا، فالتفت إلىٰ ابن المثنى، فرأيته يبكي، قلت: ما يبكيك؟ قال: كأن الحق ما رضيني لمَّا ندبني إليه، أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالي لوجه الله - تعالىٰ.

فقامت تحفة ونزعت ما كان عليها ولبست مِدْرَعة [٤] من شعر وهي تبكي، فقلنا لها: قد أطلقك الله فما يبكيك؟ فأنشأت تقول:

هــربــت مــنــه إلــيــه بــكــيــت فــيــه عــلــيــه
وحــقــه فــهــو سُــؤلــي لا زلــت بــيــن يــديــه
ومــتــى أنــال وأحــظــى بــمــا رجــوت لــديــه؟

قال: ثم خرجنا من الباب، فلما صرنا في بعض الطريق فطلبناها فلم نجدها،

---

(١) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود، وجمعها: بِدَر.

(٢) عِيلَ صبره: نفد: فهو معول.

(٣) وبَّخه: لامه وعذله.

(٤) الدُّرَّاعة: ثوب من صوف.

ومات ابن المثنى في الطريق، ودخلت أنا ومولاها مكة، فبينما نحن في الطواف إذ سمعت كلام مجروح من كبد مقروح وهو يقول:

محب الله في الدنيا سقيم ... تطاول سقمه فدواه رآه
سقاه من محبته بكأس ... فأرواه المهيمن [1] إذ سقاه
فهام بحبه وسما إليه ... فليس يريد محبوباً سواه
كذاك من ادعى شوقاً إليه ... يهيم بحبه حتىٰ يراه

فتقدمت إليها، فلما رأتني قالت: يا سري، قلت: لبيك، من أنت يرحمك الله؟ قالت: لا إله إلا الله، وقع التناكر بعد المعرفة! أنا تحفة، فإذا هي كالخيال، فقلت: يا تحفة ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: آنسني بقربه، وأوحشني من غيره، قلت لها: مات ابن المثنى، قالت: رحمه الله، لقد أعطاه مولاه من الكرامة ما لا عين رأت [2] وهو بجواري في الجنة، قلت: جاء مولاك الذي أعتقك معي، فلم يكن بأسرع ما عاينتها تلقاء الكعبة ميتة، فلما رآها سيدها لم يتمالك أن سقط علىٰ وجهه، فحركته، فإذا هو قد قضى نحبه، فأخذت في جهازهما ودفنتهما.

---

(١) المهيمن: هو القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه، فكل مطلع علىٰ كنه الأمر مسئول عليه حافظ له فهو مهيمن له. "سلاح المؤمن لابن الإمام" [ص ٢٥٩].

(٢) حديث: قال الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» وكذلك حديث: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» قال النووي: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلىٰ المحجوب. النووي في شرح مسلم [١٧/١٣٦] طبعة دار الكتب العلمية.

مجلس في المجاهدة

ومعناها نهي النفس عن الهوى، وحملها على الهدى بتمرينها على قبول الصدق في أمورها في كل ناصح، رهبة ورغبة فيما لديه من مطلوبها، وثمرتها تقوية الأعمال وتصفية الأحوال، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [1]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [2] أي فإنها غاية للمتقين.

ومن أنكر الأعمال فقد خالف حق اليقين، فربقة الربوبية موجبة لذلك إلى حين.

وقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ [3] أي انقطع إليه انقطاعاً كلياً لنريك من آياتنا الكبرى.

وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [4] أي فلا يحقر المجاهد القليل، فإنه استدراج لكثير.

وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ [5]

(لقيت) [6] الأينية والكيفية والكمية، وهذا غاية الأمنية.

---

(١) سورة العنكبوت [٦٩]
أي الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة.

(٢) سورة الحجر [٩٩].
روى البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، [٥] باب قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] قال سالم: اليقين الموت، وقال ابن كثير: وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغيره. انظر تفسير ابن كثير [٢/ ٥٧٧].

(٣) سورة المزمل [٨]. أي أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧﴾ [الشرح: ٧]، وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨] أي أخلص له العبادة، وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك، وقال ابن جرير: يقال للعابد متبتل. "تفسير ابن كثير [٤/ ٤٣٧]".

(٤) سورة الزلزلة [٧].

(٥) سورة المزمل [٢٠]. أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا. "تفسير ابن كثير [٤/ ٤٣٩]".

(٦) كذا بالأصل.

والآيات في الباب كثيرة معلومة ومنها:

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

ومنها: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (٢)

ومنها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (٣)

وقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٤) أي فيحصي ولا يهمل وينسى.

وأما الأحاديث فنذكر منها سبعة عشر حديثاً مشتملة علىٰ بيان خواص المجاهدة من أنواع الجزاء وتأهل كل عبد لها، وتنوع حكمها وعموم إفادتها واحتياج كل أحد إليها، وأنها محملة للأشخاص والأوقات، فلا رونق إلا بها، ولها من الأوقات ما هو أهم، وما يسهل ملابسها تشجيعاً وتشويقاً وإلذاذاً وموافقة وقرب أمد.

وأنواعها أنها زبدة العمر، وفائدة لتحسين عمل أو صدق عهد أو غير ذلك، وما يربح عذر كل أحد ويدفع الضواري عن إقامتها.

الحديث الأول: عن أبي هريرة مرفوعا: «أن الله ـ تعالىٰ(٥) ـ قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»(٦) رواه البخاري.

---

(١) سورة المجادلة [٢٢]. (٢) سورة المائدة [٥٦].

(٣) سورة النازعات [٤٠، ٤١].

(٤) سورة البقرة [٢١٥]. أي مهما صار منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم علىٰ ذلك أوفر الجزاء، فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة. "تفسير ابن كثير [١/ ٢٥١]".

(٥) الأحاديث القدسية هي من الله ـ سبحانه وتعالى ـ تلقاها النبي ﷺ بالإلهام أو المنام دون واسطة جبريل واللفظ من عند النبي ﷺ والمعنى من عند الله، وهو خلاف القرآن الكريم، فالقرآن بلفظه تلقاه النبي ﷺ من أمين الوحي جبريل من قبل الله ـ تعالىٰ ـ بترتيبه الذي عليه مما راجعه عليه جبريل قبل موته ﷺ، والحديث القدسي ما أضافه النبي ﷺ إلىٰ رب العزة ـ جل وعلا ـ ورواه عنه، والحديث النبوي: ما رواه النبي ﷺ ولم يضفه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ولم يروه عنه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٠٢] كتاب الرقاق، [٣٨] باب التواضع، وابن ماجه في سننه [٣٩٨٩] كتاب الفتن [١٦] باب من ترجى له السلامة من الفتن، والبيهقي في دلائل النبوة [١/ ١٣] وفي السنن الكبرى [٣/ ٣٤٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٤٧٧]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ١١٧]،/ والزبيدي في الإتحاف [٨/ ١٠٢]، وذكره الألباني في سلسلة =

وهو دال علىٰ أن خاصة التقرب بالعبادات تنويعاً وتكثيراً وإدامة وإحرازاً، المحبة الكاملة المستيقنة لأحكامها الشريفة، نحو كنت كنت، وإن وإن، وكفى بذلك شرفاً.

كفى شرفاً أني مضاف إليكم وأني بكم أجي وأرعى وأعرف.

الثاني: عن أنس مرفوعاً يرويه من ربه ـ تعالىٰ ـ قال: «إذا تقرب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (١) رواه البخاري أيضا. وهو أيضا من خواص التقريب.

الثالث: فيه أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٢) وهو أيضاً من الخواص، دفع الغير واحتراز هاتين النعمتين.

الرابع: عن عائشة " أنه كان ﷺ يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه، قلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً» " متفق عليه (٣) واللفظ للبخاري، ونحوه في الصحيحين من حديث المغيرة (٤).

= الأحاديث الصحيحة [١٦٤٠]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٢٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٤٠٥] كتاب التوحيد، [١٥] باب قول الله تعالىٰ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: ١١٦]، ومسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١] باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ، وأحمد في مسنده [٣/ ٢١٠، ٢٧٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٥، ٦، ٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٤٩، ١٩٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٦٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٢] كتاب الرقاق، [١] باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، والترمذي [٢٣٠٤] كتاب الزهد، [١] باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقاق، وابن ماجه في سننه [٤١٧٠] كتاب الزهد، باب الحكمة، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٠]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٠٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٤٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨٣٧] كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفَتْح: ٢]، ومسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢٨٢٠)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي في سننه [٤١٢]، والنسائي [٣/ ٢١٩ ـ المجتبى]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤]، وابن ماجه في سننه [١٤١٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٥١، ٢٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٩٧].

(٤) حديث المغيرة أخرجه البخاري في صحيحه [١١٣٠] كتاب التهجد، [٦] باب قيام النبي ﷺ =

وفيه أن حكمة المجاهدة متنوعة، فهي بسبب ذلك مفيدة لكل أحد ويحتاج إليها ولو كان كاملا، فقيام المغفور له تحقق العبودية وبالشكر يحصل المقام المحمود، وغيره من الشيم المرضية، فقيام الليل مظنة النيل، ولهذا حافظ عليها أكابر المقربين، وتفطَّرت فيها قدما سيد الأولين والآخرين.

الخامس: منها أيضاً: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر" [١] متفق عليه.

والمراد العشر الأواخر من رمضان [٢].

والمئزر الإزار، وهو كناية عن اعتزال النساء، والتشمير للعبادة، وإنما فعل ذلك لأنه محل التعرض لنفحات الرحمة، فالمجاهدة اسم من غيره فيها إحسانه وجماله وتعظيمه.

السادس: عن أبي هريرة مرفوعاً: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل [٣]

= بالليل حتىٰ ترم قدماه، وفي رقم [٤٨٣٦] كتاب تفسير القرآن، [٢٥] باب قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢] وفي رقم [٦٤٧١] كتاب الرقاق، [٢٠] باب الصبر عن محارم الله. ومسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢٨١٩)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٠٢٤] كتاب فضل ليلة القدر، [٥] باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١١٧٤)] كتاب الاعتكاف، [٣] باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

(٢) قال النووي: في هذا الحديث أنه يستحب أن يزاد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان، واستحباب إحياء لياليه بالعبادات، وأما قول أصحابنا: يكره قيام الليل كله فمعناه الدوام عليه، ولم يقولوا بكراهة ليلة وليلتين والعشر. "النووي في شرح مسلم [٥٨/٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قال النووي: قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً، فأما من رد ذلك إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الغار: "لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا". قال القاضي: وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه رد قدر بعد وقوعه، قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب ما يجوز من اللو كحديث «لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت علىٰ قواعد إبراهيم، ولو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه... الخ» قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي علىٰ ظاهره وعمومه، لكنه نهي تنزيه. "النووي في شرح مسلم [١٧٦/١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١]. أخرجه مسلم.

وفيه الإشارة إلىٰ تحصيل كل مصلحة مجاهدة أو غيرها بأيسر طريق وأسهله، وهي الحرص والاستعانة وترك العجز؛ فقوة الهمم الإيمانية ترفع أربابها إلىٰ المعالي الأخروية.

السابع: عنه مرفوعاً: «حُجِبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

وفي رواية مسلم[٢] «حُفَّت» بدل «حُجِبت» وهو بمعناه، أي بينه وبينها هذا الحجاب، فإذا فعله دخلها، وهو دال علىٰ أن احتمال المكاره والمشاق بأمر وراءه الجنة سهل يسير.

ما ضرَّ من كانت الفردوس جنته   ماذا تحمل من بؤس وأقتار

وفي حديث علي رفعه: «من اشتاق إلىٰ الجنة سارع إلىٰ الخيرات، ومن أشفق من النار نهى عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد الدنيا هانت عليه المصيبات»[٣].

الثامن: عن حذيفة بن اليمان قال: "صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة، فقلت: يركع بعد المائة، ثم مضى[٤] مُترسِّلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، وكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٢٦٦٤)] كتاب القدر، [٨] باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله ، وابن ماجه في سننه [٧٩، ٤١٦٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٨٩]، والتبريزي في المشكاة [٥٢٩٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٢٩٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٨٢٢)]، [٥١] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في المقدمة، والترمذي في سننه [٢٥٥٩]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٠، ٣٠٨]، وابن المبارك في الزهد [٣٢٥]، والخطيب في تاريخ بغداد [٨/ ١٨٤]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٦٢٦]، والآجري في الشريعة [٣٩٠].

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٩/ ٣٣٤]، وابن عراق في تنزيه الشريعة [٢/ ٣٤١]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦/ ٣٠١]، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات [٣/ ١٨٠].

(٤) كذا بالأصل، ولكن هنا نقص نقلناه من مسلم وهو: "ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً.... " الحديث كما ذكره المصنف.

سجوده قريباً من قيامه »[(١)] رواه مسلم.

وفيه تسهيل احتمال المجاهدة وصرف مضضها بتخليل المناجاة والمسامرة والدعاء والثناء، ونحو ذلك في أثنائها مع الترفق والتذلل وإطالة نحو السجود والركوع، وشهود نحو العظمة والكبرياء، فمانع ذوق الحلامة من جلاله.

التاسع: عن أبي مسعود قال: « صليت مع رسول الله ﷺ ليلة فأطال حتىٰ هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه »[(٢)] أخرجاه

وفيه تسهيل المجاهدة بمخالطة أهل الجد والاجتهاد، والاقتداء بهم وبموافقتهم؛ فبتركه ذلك جعل ما همَّ به من أمر سوء عنده، ولم يتجاوز عن الهم إلىٰ الفعل.

العاشر: عن أنس مرفوعاً: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»[(٣)] أخرجاه، وفيه تسهيل المجاهدة والترغيب البليغ فيها؛ فإنها الرفيق الدائم الذي لا يرجع إذا رجع غيره، وبها تمام النفع والأنس والراحة عند الشدائد.

الحادي عشر: عن ابن مسعود مرفوعاً: «الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٣ ـ (٧٧٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٧] باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، وقال القاضي: فيه دليل لمن يقول: إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكله إلىٰ أمته بعده، قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما. . . . إلىٰ آخر كلامه.
"النووي في شرح مسلم [٦/ ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٣٥] كتاب التهجد، [٩] باب طول القيام في صلاة الليل، ومسلم في صحيحه [٢٠٤ ـ (٧٧٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٧] باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، قال النووي: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراماً، واتفق العلماء علىٰ أنه إذا شق علىٰ المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ، وفيه جواز الاقتداء في غير المكتوبات، وفيه استحباب تطويل صلاة الليل. "شرح مسلم للنووي [٦/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥١٤] كتاب الرقاق، [٤٢] باب سكرات الموت، ومسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٩٦٠)] كتاب الزهد والرقائق في المقدمة، والترمذي في سننه [٢٣٧٩]، وأحمد في مسنده [٣/ ١١٠]، والنسائي [٤/ ٥٣ ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٦٧]، وابن المبارك في الزهد [٢٢٤].

نعله، والنار مثل ذلك»[(١)] أخرجه البخاري.

وفيه التسهيل بقصر الأمل وذكر العاقبة.

الثاني عشر: عن ربيعة بن كعب الصفي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني علىٰ نفسك بكثرة السجود»[(٢)] رواه مسلم.

الثالث عشر: عن ثوبان مرفوعاً: «عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»[(٣)] أخرجه مسلم.

الرابع عشر: عن عبد الله بن بسر الأسلمي ـ بالسين المهملة ـ مرفوعاً: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[(٤)] رواه الترمذي وحسنه.

الخامس عشر: عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني الصحابة ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبل سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٨٨]، كتاب الرقاق، [٢٩] باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٧، ٤١٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ١٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٦٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٦ ـ (٤٨٩)] كتاب الصلاة، [٤٣] باب فضل السجود والحث عليه، وأبو داود في سننه في التطوع، والنسائي [٢/ ٢٢٨ ـ في المجتبى]، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٨٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٥ ـ (٤٨٨)] كتاب الصلاة، [٤٣] باب فضل السجود والحث عليه، وابن ماجه في سننه [١٤٢٢]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٤٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ١٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٨٩٧].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، وأحمد في مسنده [٤/ ١٨٨، ٥/ ٤٠، ٤٣، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧١]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٣٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٥٤، ٢٥٦]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٥١]، والشجري في أماليه [١/ ٢٥٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٨٥].

(٥) قال النووي: قوله: أجده دون أحد، محمول علىٰ ظاهره، وأن الله ـ تعالىٰ ـ أوجده ريحها من =

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: فكنا نرى ونظن أن هذه الآية نزلت فيه وأشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١) أخرجاه (٢)، وفيه الاستدراك عما فات من الخيرات والبذل بالمهج، فيا حسرة من أضاع عمره وأساء عمله.

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

وفيه الثناء عليهم بصدق المعاهدة إبهاج لا يتمالك في الطرب به أهله.

السادس عشر: عن عقبة بن عمرو (٣) وقال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل علىٰ ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مُرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية، أخرجاه (٤).

ومعنى نحامل: يحمل أحدنا علىٰ ظهره بالأجرة، ونتصدق بها، وفيه أن ذا الفاقة يوسع الهمة والجبلة، ويتسبب ويدخل كل مدخل، ويأخذ بالحظ الوافر من أنواع

= موضع المعركة، وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٤٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) سورة الأحزاب [٢٣].

(٢) أخرجه البخاري [٤٠٤٨] كتاب المغازي، [١٧] باب غزوة أحد، وأيضاً البخاري [٤٧٨٣] كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، [٢] باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ومسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (١٩٠٣)] كتاب الإمارة، [٤١] باب ثبوت الجنة للشهيد.

والترمذي في سننه [٣٢٠٠] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، والنسائي في الكبرى، كتاب المناقب.

(٣) عقبة بن عمرو بن عبس بن عمر بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعه بن عدي بن غنم بن ربيعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، أبو حامد أبو عامر الجهني، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي قرب الستين، صحابي مشهور اختلف في كنيته علىٰ سبعة أقوال أشهرها أبو حماد، وكان فقيهاً فاضلاً. ترجمته: تهذيب التهذيب [٧/ ٢٤٢]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٧]، الكاشف [٢/ ٢٧٢]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٤٣٠]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٢٣]، الجرح والتعديل [٦/ ٣١٣]، الثقات [٣/ ٢٨٠]، أسد الغابة [٤/ ٥٣]، الإصابة [٤/ ٥٢٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٦٦٨] كتاب تفسير القرآن، [١١] باب قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، ومسلم في صحيحه [٧٢ ـ (١٠١٨)] كتاب الزكاة، [٢١] باب الحمل بأجرة يتصدق بها، والنهي الشديد من تنقيص المتصدق بقليل.

المجاهدة، ويتأسى بالإخوان ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ .

السابع عشر: عن أبي إدريس [(١)]، عن جندب [(٢)]، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم [(٣)]، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» [(٤)] أخرجه

---

(١) أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله بن عمرو، أبو إدريس الخولاني العوذي الدمشقي الشامي، ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين، وسمع من كبار الصحابة، قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٨٠].
ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٨٥]، تقريب التهذيب [١/ ٣٩٠]، الجرح والتعديل [٧/ ٢٠٠]، التاريخ الكبير [٧/ ٨٣]، الثقات [٥/ ٢٧٧]، سير الأعلام [٤/ ٢٧٢]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٥٩٥].

(٢) كذا بالأصل وما وجدناه في مسلم " عن أبي ذر ".

(٣) قال النووي: قال المازري: ظاهر هذا أنهم خلقوا علىٰ الضلال إلا من هداه الله ـ تعالىٰ ـ، وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة» قال: فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ، وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة، وإهمال النظر لضلوا، وهذا الثاني أظهر، وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله، وبهدي الله اهتدى، وبإرادة الله ـ تعالىٰ ـ ذلك، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يرد هداية الآخرين، ولو أرادها لاهتدوا خلافاً للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أراد هداية الجميع، جل الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد. "
النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٠٨] طبعة دار الكتب العلمية" .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٣]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٤١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٢٥]، والبخاري في الأدب المفرد [٤٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب =

مسلم من حديث سعيد بن عبد العزيز عن أبي إدريس الخولاني، عن جندب، قال سعيد، وكان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا علىٰ ركبته، وقال أحمد: ليس لأهل الشام حديث أشرف منه، وفيه (ما يريح) [(١)] عمله عن الأعذار الصارفة لكثير ممن حُرِم عن المجاهدة.

منها ترك الظلم لما ثارت عليه حميَّة نفسه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ [(٢)].

ومنها الاستهداء: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧﴾ [(٣)].

ومنها الاستطعام والاستكساء لمن يتعلل بمعاشه.

ومنها الاستغفار لمن يتوهم عدم قبول عمله من كثرة ذنوبه وإساءته.

ومنها نفي أن توهم عمله كمال الموجود كرعايا الملوك، وأن عطاياه لا تنفذ، وقد عمل العاملون ما لا يكثر وصفه.

ومنها: إنما هي أعمالكم لمن يتعلل بالأماني البارعة: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ [(٤)].

وأما الحكايات: **فالأولىٰ**: بعد إيراد حديث زيد بن أرقم [(٥)] رضي الله عنهما قال: كان

= [٢/ ٤٧٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٦٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٢٦].

(١) كذا بالأصل.

(٢) سورة الزمر [٥٦].

أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويَوَدُّ لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل. "تفسير ابن كثير [٤/ ٦٠]".

(٣) سورة الزمر [٥٧].

(٤) سورة الزمر [٥٨].

أي تَوَدُّ لو أعيدت إلىٰ الدنيا لتحسن العمل، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه، ولما تمنى أهل الجرائم العود إلىٰ الدنيا وتحسروا علىٰ تصديق آيات الله واتباع رسله، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ [الزُّمَر: ٥٩]. "تفسير ابن كثير [٤/ ٦٠]".

(٥) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة، أبو عمرو، أبو عمارة، ويقال: أبو حمزة أبو سعد الأنصاري الخزرجي المدني، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٦٦، ٦٨]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٣٩٤]، تقريب التهذيب [١/ ٢٧٢]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٣٨٥]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٢٠، ١٦١]، الجرح والتعديل [٣/ ٥٥٤]، أسد الغابة [٢/ =

لأبي بكر الصديق مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني علىٰ ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم [١] فوعدوني، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عُرس لهم، فأعطوني، فقال: لا أب لك، كدت تهلكني، فأدخل يده في حلقه وجعل يتقيأ، فجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذا لا يخرج إلا بالماء، فدعا بعس من ماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتىٰ رمى بها. فقيل له: رحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» [٢] فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد وأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه من حيث لا يحتسب.

وقال عبد الواحد بن زيد: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الحق ثقيل مريّ، والباطل خفيف وبّي، ورُبَّ شهوة أورثت حزناً طويلاً.

وقال عبد الواحد بن زيد [٣]: مررت براهب في صومعة فقلت لأصحابي: قفوا،

= ٢٧٦]، الإصابة [٢/ ٥٩٠]، سير الأعلام [٣/ ١٦٥]، والثقات [٣/ ١٣٩]، والوافي بالوفيات [١٥/ ٢٢].

(١) الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة لا نهي فيه، بل هو سنة، ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين أن المدح في ترك الرقى للأفضلية وبيان التوكل، والذي فعل الرقى وأذن فيها لبيان الجواز مع أن تركها أفضل، وبهذا قال ابن عبد البر، وحكاه عمن حكاه، والمختار الأول، وقد نقلوا الإجماع علىٰ جواز الرقى بآيات وأذكار الله ـ تعالىٰ ـ قال المازري: جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر، قال: واختلفوا في رقية أهل الكتاب فجوزها أبو بكر الصديق، وكرهها مالك خوفاً أن يكون مما بدلوه، ومن جوزها قال: الظاهر أنهم لم يبدلوا الرقى فإنهم لهم غرض في ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه. "النووي في شرح مسلم [١٤/ ١٤٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١] والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/ ٢٢٦، ٦/ ٨، ١٠] والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٢٨٤]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٧٦].

(٣) عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري العابد القدوة، شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن الحسن وعطاء بن أبي رباح، وعبادة بن نسي، وعبد الله بن راشد وجماعة سواهم، وعنه: وكيع ومحمد بن السماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وهو ضعيف الحديث، قال البخاري: عبد الواحد بن زيد تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتىٰ غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه. "الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات [١٥١ ـ ١٦٠]".

وكلمته وقلت له: يا راهب، فكشف ستراً علىٰ باب صومعته فقلت له: ما علم اليقين؟ فقال: يا عبد الواحد إن أحببت أن تعلم علم اليقين، فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطاً من حديد ثم أرخى الستر.

الثانية: قال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة يأكل منها، فقلت له: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي وأباحني الجنة بأسرها، وقال لي: كل من جميع ثمارها، واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تمنع نفسك الشهوات في الدنيا.

الثالثة: حكي أنه لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بَنِيّ اذكروا صاحب الرغيف، قالوا: وما صاحب الرغيف؟ قال: كان رجل يتعبد في صومعة أراه سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد، قال: فتنه (أوشب) [1] الشيطان في عينيه بامرأة، قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال، قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً [2] فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فأواه الليل إلىٰ مكان عليه اثنا عشر مسكيناً، فأدركه الإعياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم.

وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة مع رجل فيعطي كل إنسان رغيفاً، ومر علىٰ ذلك الرجل الذي خرج تائباً ظن أنه مسكين، فأعطاه رغيفاً، فقال المتروك لصاحب الأرغفة: ما لك لم تعطني رغيفي؟ قال: تراني أمسكته عنك، هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا، قال: تراني أمسكته عنك، والله لا أعطيك الليلة شيئاً، فعمد التائب إلىٰ الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلىٰ الرجل الذي تُرِكَ، فأصبح التائب ميتاً، فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي، فرجحت الليالي، فوزن الرغيف بالسبع ليالي فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بَنِيَّ اذكروا صاحب الرغيف.

فائدة: قال سعيد بن المسيب [3] ـ رحمه الله تعالىٰ: ما أكرمت العباد أنفسها

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القرشي المخزومي العائذي المدني الأعور، قال ابن حجر في التقريب: اتفقوا علىٰ أن مراسليه أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة [٩٤، ٩٣، ١٠٠]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤/ ٨٤]، تقريب التهذيب [١/ ٣٠٥،

بمثل طاعة الله، ولا أماتت أنفسها بمثل معصية الله تعالىٰ.

الرابعة: عن وهيب بن الورد [(١)] ـ رحمه الله ـ قال: يقول الله ـ عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي، ما من عبد آثر هواي علىٰ هواه إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء كل تاجر.

وعزتي وجلالي وعظمتي، ما من عبد آثر هواه علىٰ هواي إلا أكثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي أوديتها هلك.

فائدة: قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فَيُنْسِي الآخرة.

نادرة: قال أبو محمد الحريري: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجن الهوى، فحرم الله علىٰ قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلامه ولا يستحليه وإن كثر ترداده علىٰ لسانه.

الخامسة: عن بعضهم قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي علىٰ لوح، وقد ولدت في تلك الحال صبية فصاحت بي وقالت: قتلني العطش، فقلت: هو ذا يرى حالنا [(٢)] فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال: هاك اشربا، فأخذنا الكوز وشربنا منه، فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: عبد لمولاك، فقلت: بما وصلت إلىٰ هذا؟ فقال: تركت الهوى لمرضاته فأجلسني علىٰ الهواء، ثم غاب عني فلم أره.

= ٣٠٦]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٥١٠]، الكاشف [١/ ٣٧٢]، سير الأعلام [٤/ ٢١٧].

(١) وهيب بن الورد بن أبي الورد، أبو عثمان أبو أمية القرشي مولاهم المكي، ثقة عابد، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة [١٥٣]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١١/ ١٧٠]، تقريب التهذيب [٢/ ٣٣٩]، الكاشف [٣/ ٢٤٦]، تاريخ البخاري الكبير [٨/ ١٧٧]، الجرح والتعديل [٩/ ١٥٧]، سير الأعلام [٧/ ١٩٨]، الثقات [٧/ ٥٥٩].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: ٦٢] قال ابن كثير: ينبه تعالىٰ أنه هو المدعوُّ عند الشدائد، المرجوُّ عند النوازل كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النَّحل: ٥٣] وهكذا قال ههنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: ٦٢] أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٨٣]".

وأنشدوا:

بحق الهوى يا أهل وُدِّي تفهموا لسان جواد[١] بالوجود غريب

حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

السادسة: عن إبراهيم الخواص ـ رحمه الله ـ قال: كنت في جبل لكام فرأيت رمَّاناً فاشتهيته، فدنوت وأخذت منه واحداً، فشققته فوجدته حامضاً، فمضيت وتركته.

فرأيت رجلا مطروحاً وقد اجتمعت عليه الزنابير[٢] فقلت: السلام عليك، فقال لي: وعليكم السلام يا إبراهيم، فقلت له: أراك حالاً مع الله ـ تعالىٰ ـ فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير، قال: وإذا لك حالا مع الله ـ تعالىٰ ـ فالوسيلة أن يقيك شهوة الرمان، فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير لا يجد ألمه إلا في الدنيا، فتركته ومشيت.

السابعة: حكي أن سبب قطع يد أبي الخير أنه كان في جبال أنطاكية وحواليها يطلب المباح وينام بين الجبال، وأنه عاهد الله ـ تبارك وتعالى ـ أن لا يأكل من ثمار الجبال شيئاً إلا ما طرحته الريح، فبقي أياماً لم تطرح الريح شيئاً، فرأى يوماً شجرة كمثرى فاشتهى منها، فلم يفعل، فأمالتها الريح إليه، فأخذ واحدة، واتفق أن لصوصاً قطعوا هناك الطريق وجلسوا يقتسمون، فوقع عليهم السلطان، فأخذهم فقطع أيديهم وقطعت يده في جملتهم، فلما هم بقطع رجله عرفه رجل فقال للأمير: أهلكت نفسك؛ هذا أبو الخير، فبكى الأمير وسأله أن يجعله في حل ففعل، وقال: أنا أعرف ذنبي، فلذلك سمي الأقطع، وأنشدوا:

نون الهوان من الهوى مسروقة فأسير كل هوى أسير هوان

الثامنة: عن شيبان بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ قال: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة ـ شرَّفها الله تعالىٰ ـ في سوق الليل عند مولد النبي ﷺ وهو يبكي ناحية من الطريق، فسلمت عليه وصليت عنده وقلت له: يا أبا إسحاق ما هذا البكاء؟ قال: خير، فعاودته مرة ثانية وثالثة، فلما أطلت عليه السؤال قال لي: يا شيبان إن أنا أخبرتك تبح به أو تستر عليَّ؟ فقلت له: يا أخي قل ما شئت.

فقال: اشتهت نفسي سكباجاً منذ ثلاثين سنة، وأنا أمنعها جهدي، فلما كان البارحة غلبني النوم، وإذا أنا بإنسان من أحسن الناس وجهاً وبيده قدح أخضر يعلو

---

(١) أجاد: أتى بالجيد من قولٍ أو عملٍ، ويقال: أجاد الشيء وفيه: صيره جيداً.

(٢) الزنبار: حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبورية، واحدته زنبارة، جمعها: زنابير.

منه البخاري ورائحة السكباج [١]، فأجمعت همتي عنه، فقربه مني وقال: يا إبراهيم كل، قلت: ما آكل شيئاً تركته لله ﷻ فقال: ولا إن أطعمك الله؟ قال: فما كان لي جواب إلا البكاء، فقال لي: كل يرحمك الله، فقلت: قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا ما نعلم، فقال لي: كل عافاك الله، فإنما ناولني هذا رضوان وقال لي: يا خضر [٢] اذهب بهذا الطعام فأطعمه للقس إبراهيم بن أدهم، فقد رحمها الله علىٰ طول صبرها علىٰ ما يحملها من منعها شهوتها، ثم قال: فالله ﷻ يطعمها وأنت تمنعها يا إبراهيم، إني سمعت الملائكة يقولون: من أعطي ولم يأخذ طلب ولم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لم آخذ بالعهد مع الله ﷻ وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئاً وقال: يا خضر لَقِّمْه، فلم يزل يطعمني بيده فانتبهت وحلاوة ذلك في فمي، ولون الزعفران في شفتي، فدخلت زمزم فغسلت فمي، فلا الرائحة ذهبت، ولا أثر الزعفران، قال شيبان: فقلت له: أرني، فإذا أثره لم يذهب، فقلت: يا من يُطعِم مناع الشهوات إذا صححوا المنع لأنفسهم، يا من ألزم قلوب أوليائه التصحيح، يا من سقى قلوبهم من شراب محبته، أترى لشيبان ذلك عندك، قال: ثم أخذت يد إبراهيم ورفعتها إلىٰ السماء وقلت: اللهم بقدر هذه الكف وقدر صاحبها وحرمته عندك وبالجود الذي وجده منك يا الله جُد علىٰ عبدك الفقير إلىٰ فضلك وإحسانك برحمتك يا أرحم الراحمين، وإن لم يستحق ذلك منك يا رب العالمين.

التاسعة: عن بعضهم قال: لقيت رجلاً بالبصرة يعرف بالمسكى، وذلك من شدة ما كان يوجد منه من ريح المسك، حتىٰ إنه إذا دخل المسجد الجامع يعرف أنه قد جاء من شدة الرائحة، وإذا مرَّ في الأسواق كذلك، فقصدته وبت عنده وقلت له: ما أشك أنك محتاج إلىٰ مال كثير في ثمن الطيب، فقال: ما اشتريت طيباً قط ولا تطيبت بطيب قط، وأنا أحدثك بحديثي لعلك إذا متُّ تترحم عليَّ إذا ذكرتني، كان مولدي ببغداد، وكان أبي موسراً يعلمني كل ما يعلم الناس أولادهم، وكنت من أحسن الناس وجهاً، وكان فيَّ حياء، فقيل لأبي: لو أجلست ابنك في السوق لينشط، فأجلسني في دكان بزاز، وكنت أجلس عنده طرفي النهار، فلما كان في بعض الأيام

---

(١) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل مع توابل وأفاويه، القطعة منه: سكباجة.

(٢) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

جاءت عجوز فطلبت منه متاعاً مرتفعاً فأخرج لها ما طلبت، فقالت له: تُوَجِّهُ معي إنساناً حتىٰ يأخذ ما نحتاج إليه وندفع له الثمن ونرد الباقي معه، فقال لي: تنشط أن تمضي معها، فقلت: نعم، فمضيت معها حتىٰ أدخلتني إلىٰ قصر عظيم فيه قُبَّة، وعلى بابه خُدَّام وحُجَّاب، فلما وصل إلىٰ صحن الدار إذا أنا ببنيان عظيم؛ قبة عليها شارة، فقالت ادخل القبة واجلس فيها، فدخلت فإذا أنا بجارية علىٰ سرير عليه فُرش كلها ذهب لم أر أحسن منها وعليها من كل الحلي، فنزلت عنه وضربت بيدها فيَّ وأخذتني إليها، فقلت لها: الله الله، فقالت: لا بأس عليك، لك عندي ما تحب، فقلت لها: إني حاقب [(١)] فصاحت بالجواري، فإذا بهن أقبلن، فقالت لهن: قدام مولاكن إلىٰ الخلاء، فلما دخلت الخلاء لم أجد لي فيه مسلكا أفر منه، فحللت سراويلي وتغوطت في كفي ومسحت به وجهي وبدني وقلبت عيناي، فدخلت جارية بيدها ماء ومنديل، فصحت في وجهها كالمجنون، فولت هاربة مني وقالت: مجنون، فجاء الجواري ومعهن بساط فأدرجتني وجملتني فطرحتني في بستان، فلما علمت أنهن مضين قمت فغسلت ثيابي ووجهي وسائر بدني، ومضيت إلىٰ منزلي ولم أُحَدِّث به أحداً، فرأيت تلك الليلة في منامي رجلاً فقال لي: ابن يوسف بن يعقوب [(٢)] بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله هل تعرفني؟ قلت: لا، فقال: أنا جبريل، فمسح بيده علىٰ وجهي وبدني، فمن ذلك الوقت صار لبدني رائحة المسك يفوح علىٰ ثيابي، فهذه الرائحة من يد جبريل ﷺ، وأنشدوا:

إذا خايلتك النفس يوماً بشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق

العاشرة: روي أنه كان شاب في بني إسرائيل لم يُرَ في زمانه أحسن منه، وكان يبيع القِفَاف، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك

---

(١) الحاقب: الذي يحتبس غائطه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣٨٢] في كتاب أحاديث الأنبياء، [١٨] باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣] ، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام» قال النووي: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف - عليه السلام - مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب، وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم خليل الله - عليه السلام - وانضم إليهم شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة وحياطته للرعية وعموم نفعه إياهم، وشفقته عليهم وإنقاذه إياهم من تلك السنين والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١٠] طبعة دار الكتب العلمية".

بني إسرائيل، فلما رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك: إني رأيت شاباً يبيع القفاف لم أر شاباً قط أحسن منه، فقالت لها: أدخليه، فخرجت إليه وقالت: يا فتى ادخل نشتري منك، فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم دخل باباً آخر فكذلك، حتىٰ أغلقت ثلاثة أبواب، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال: اشتروا حاجتكم، فقالت: إنا لم ندعك لهذا، إنما دعوناك لكذا - يعني تراوده عن نفسه - فقال لها: اتق الله، قالت: إن لم تطاوعني علىٰ ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت عليَّ تكابدني علىٰ نفسي، فوعظها، فأبت، فقال: ضعوا لي وضوءاً، فقالت: أعليَّ يتعلل؟! يا جارية ضعي له وضوءاً فوق الجوسق - مكان لا يستطيع أن يفر منه - قال: وكان من فوق الجوسق [١] إلىٰ الأرض أربعون ذراعاً، فلما صار في أعلى الجوسق قال: اللهم إني دعيت إلىٰ معصيتك، وإني أختار أن أرمي بنفسي من الجوسق ولا أرتكب المعصية، ثم قال: بسم الله، وألقى بنفسه من أعلى الجوسق، فأهبط الله إليه ملكاً من الملائكة، فأخذ بضبعيه [٢] فوقع قائماً علىٰ رجليه، فلما صار في الأرض قال: اللهم إن شئت رزقتني رزقاً تقيني به بيع هذه القفاف، فأرسل الله إليه جرادا من ذهب، فأخذ منه حتىٰ ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه، فإن كان ينقص مما لي عندك فلا حاجة لي فيه، قال: فنودي أن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً من أجرك علىٰ إلقائك نفسك من هذا الجوسق، فقال: اللهم لا حاجة لي فيما ينقصني عندك في الآخرة، فرفع ذلك منه، وقيل للسلطان: هلا أغريته بارتكاب الفاحشة؟ فقال: كيف أغوي من بذل نفسه لله تعالىٰ.

ولله در القائل:

وسائل عنهم ماذا يقدمهم ... فقلت فعل به عن غيرهم بانوا

صانوا النفوس عن الفحشاء ولو ابتدا ... منهن في سبيل العلياء ما صانوا

الحادية عشرة: عن مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت: إذن أفضحك، فخرج هارباً من منزله وتركها فيه، قال سليمان: فرأيت بعد ذلك يوسف - عليه السلام [٣]

---

(١) الجوسق: هو القصر الصغير والحصن، وجمعها: جواسق.

(٢) الضَّبع: ما بين الإبط إلىٰ نصف العضد من أعلاها، وهما ضبعان.

(٣) لقد فعل كما فعل نبي الله يوسف - عليه السلام - وذلك فيما ورد من قوله - تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف ٢٤ - ٢٥].

فيما يرى النائم، وكأني أقول له: أنت يوسف البريء، قال: وأنت سليمان البريء.

الثانية عشرة: قال وهيب بن الورد ـ رحمه الله: بلغنا أن إبليس ـ لعنه الله ـ تَبَدّى ليحيى بن زكريا [(١)] - عليهما السلام ـ فقال: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت إنك لم تنصحني، فأوحى الله ـ تعالىٰ ـ إليه: يا يحيى سله فإنه يَصْدُقُك، فقال: أخبرني عن بني آدم؟ قال: هم عندنا علىٰ ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف؛ يقتل حتىٰ نفسه ثم يفزع إلىٰ التوبة والاستغفار ويفسد كل شيء أدركناه منه، ثم يعود إليه فنعود، فلا نحن نيأس منه ولا ننال حاجتنا، فنحن من ذلك في غنى.

وأما الصنف الآخر: فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة بين أيدي صبيانكم؛ نلقيهم كيف نشاء، قد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم علىٰ شيء.

فقال يحيى عند ذلك: فهل قدرت مني علىٰ شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتىٰ أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم إلىٰ الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال يحيى ـ عليه السلام -: لا أشبع من طعام أبداً [(٢)] قال إبليس: لا جرم، لا أنصح آدمياً بعدك أبداً، وأنشدوا:

وكم من أكلة منعت أخاها ... بأكلة ساعة أكلات دهري

وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري

ذكر بعض المصنفين هذين البيتين بعد هذه الحكاية وليس ذلك مناسباً لحال يحيى ـ عليه السلام ـ وإنما يناسب في هذا المعنى:

وكم من أكلة حرمت كثيراً ... من الخيرات في طاعة مولى

ولذّاتٍ بخلوات تجلى ... بها المولى وقد ناجاه ليلاً

(١) قال تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ مريم [١٢ ـ ١٥]. كان ابن المسيب يذكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا» قال قتادة: ما أذنب ولا هم بامرأة، وقال محمد بن إسحاق: سنده عن ابن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا». "تفسير ابن كثير [٣/١١٧]".

(٢) روى الترمذي في سننه [٢٣٨٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، عن مقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مجلس في الحث على الازدياد في الخير في أواخر العمر

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ (١) معناه أولم نعمركم ستين، ويؤيده الحديث الآتي، وقيل ثماني عشرة، وقيل أربعين، وكان أهل المدينة إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة. والنذير: الشارع، وقيل الشيب، والأول: هو التدبير النقلي، والثاني: العقلي والآية توبيخ من الجليل.

فيقول للمصطرخين حين ذلك إجابة لقولهم ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ (٢) والتوبيخ في المتطاول أعظم، وبين ذلك منادي وغايات آخرها الستون.

وأما الأحاديث فلنذكر منها خمسة، ومدارها علىٰ الترغيب في الازدياد؛ فإنه فائدة الخلق والأمر وهو المرتجى لأولي الرأي الصيِّب والكمال الباهر فلا يدوم إلا صنعه يوم القدوم.

أحدها: حديث أبي هريرة مرفوعا: «أعذر الله إلىٰ امرئ أخَّر أجله حتىٰ بَلَّغَهُ ستين سنة» (٣) أخرجه البخاري، أي بلغه الغاية، ففيه الإعذار لمن بلغه والإنذار.

---

(١) سورة فاطر [٣٧]. اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا، فعن زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة، وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة، وعن ابن المبارك بسنده عن وهب بن منبه قال: عشرون سنة، وعن الحسن البصري قال: أربعين سنة، وعن ابن جرير بسنده عن ابن عباس: العمر الذي أعذر الله ـ تعالىٰ ـ لابن آدم أربعون سنة، ومن طريق آخر عن ابن عباس قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فَاطِر: ٣٧] ستون سنة، قال ابن كثير: وهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً لما ثبت من حديث علي ﷺ أنه قال: العمر الذي عيرهم الله به في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فَاطِر: ٣٧] ستون سنة. "تفسير ابن كثير [٣/ ٥٧٦، ٥٧٧]".

(٢) سورة فاطر [٣٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٩] كتاب الرقاق، [٥] باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٧]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/ ٢٥٤]، وابن كثير في تفسيره [٦/ ٥٤٠]، وبلفظ: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله ﷻ إليه في العمر»، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده [٣/ ٣٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٤٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [١/ ٢٩٠].

ثانيها: حديث ابن عباس قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه " الحديث إلىٰ أن قال له عمر في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] قال: "هو أجل رسول الله أعلمه له، أي ذلك علامة أجلك" [١] ووافقه عمر. رواه البخاري [٢]، ففيه الإعلام بعلامة الأجل النبوي وهو حصول ما أقيم فيه وتمامه، ومثله في آجال الناس قول الشاعر:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كبر أجسادها

وجعلت أمراضها تَعْتَادُهَا ... تلك زروع قد دنى حصادها

ثالثها: حديث عائشة: " ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] إلا يقول فيها: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي» " [٣] أخرجاه.

وفي رواية لهما: " كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن [٤] أي بعد ما أُمر به في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النّصر: ٣].

وفي رواية لمسلم: " كان يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك،

---

(١) سورة النصر تعدل ربع القرآن، وذلك فيما رواه الترمذي [٢٨٩٥] في فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان ؟» قال: لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج به، قال: «أليس معك قل هو الله أحد ؟» قال: بلى، قال: «ثلث القرآن» قال: «أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن». . . . . الحديث، وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري [٤٢٩٤] كتاب المغازي، باب [٥٣]، ورقم [٤٤٣٠] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورقم [٤٩٧٠] كتاب تفسير القرآن، [٤] باب يلي باب ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النّصر: ٢]، ورقم [٣٦٢٧] في المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرجه الترمذي في سننه [٣٣٦٢] في كتاب تفسير القرآن، باب من سورة النصر.

(٣) أخرجه البخاري [٤٩٦٧] كتاب تفسير القرآن، [١] باب سورة إذا جاء نصر الله، ومسلم في صحيحه [٢١٩ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، والنسائي [٢/ ١٣٢، ١٩٢ـ المجتبى]، وأبو داود في سننه [٨٧٧]، وابن ماجه في سننه [٨٨٥]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٨، ٢/ ٤٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١٠٩]، وابن خزيمة في صحيحه [٦٠٥، ٨٤٧]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٨٧٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٦٨] كتاب تفسير القرآن، [٢] باب سورة إذا جاء نصر الله. ومسلم في صحيحه [٢١٧ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود.

أستغفرك وأتوب إليك» قالت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها[١] ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] » " إلى آخر السورة.

وفي رواية له: " كان يكثر من قول: سبحان الله وبحمده استغفره وأتوب إليه " ، قلت: يا رسول الله أراك تكثر من ذلك، فقال: «أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] فتح مكة» "[٢].

وناهيك بأكمل الأمة ارتضى الازدياد ليوم المعاد بأمر رب العباد.

الرابع: حديث أنس: " إن الله تابع الوحي على رسوله قبل وفاته حتى يوفى أكثر ما كان الوحي "[٣] أخرجاه، ووجهه حتى يتبعه على أوفر أنسٍ وأدوم حضور، وأشد شوق، فليكثر اللبيب من الوداد قبل لقاء الأحباب.

الخامس: حديث جابر مرفوعاً: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه مسلم[٤] فالعمل بالخاتمة والأمر بالتمام، فطوبى لمن ختم له بالكمال، وحظي من الوصال بأوفر خصال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، قال النووي: معنى يتأول القرآن: يعمل ما أمر به في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النّصر: ٣] ، وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل. "النووي في شرح مسلم [٤/١٦٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٠ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٥، ١٨٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٦٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٠٩]، وابن السني [١٣٨]، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية [٢/ ٢١٣].

(٣) بنحوه روى البخاري [٤٩٩٨] في فضائل القرآن، [٧] باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ عن أبي هريرة قال: " كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض ".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢٨٧٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٩] باب الأمر بحسن الظن بالله ـ تعالى ـ عند الموت، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٣١، ٣٦٦]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٤٠، ٢/ ٤٥٢]، ٤٩٠، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٧٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٤٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٣، ٩/ ٥٨٣]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ٤٠، ٤/ ٤١٦].

مجلس في فضل الحب في الله تعالى والحث عليه

وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول إذا أعلمه قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ (١) إلىٰ آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ (٢).

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(٣).

وروينا فيهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله(٤): إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد،

---

(١) سورة الفتح [٢٩].
قال ابن كثير: هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً علىٰ الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن. "تفسير ابن كثير [٤/ ٢٠٤]".

(٢) سورة الحشر [٩].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٦] كتاب الإيمان، [٩] باب حلاوة الإيمان، ورقم [٢١] في الإيمان، [١٤] باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، ورقم [٦٠٤١] في كتاب الأدب، [٤٢] باب الحب في الله، ورقم [٦٩٤١] في كتاب الإكراه، [١] باب من اختار الضرب والقتل والهوان علىٰ الكفر، ومسلم في صحيحه [٦٧ ـ (٤٣)] كتاب الإيمان، [١٥] باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، والنسائي [٨/ ٩٤ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣، ١٧٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٨٥ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٣٢٠].

(٤) قال القاضي: إضافة الظل إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ إضافة ملك، وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا ظل العرش، وقد يراد به هنا ظل الجنة، وهو نعيمها كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] قال القاضي: قال ابن دينار: المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف عن المكاره في ذلك الموقف، قال: وليس المراد ظل الشمس، قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان؛ يقال: فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته، ثم قال النووي: وقوله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» معناه اجتمعا علىٰ حب الله، وافترقا

ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «أن الله تعالىٰ يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؛ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[2].

وروينا عنه مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[3].

وروينا عنه مرفوعاً: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له علىٰ مدرجته ملكاً» وذكر الحديث إلىٰ قوله: «إن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[4] وقد سلف.

وروينا في الصحيحين من حديث البراء مرفوعاً في الأنصار: «لا يحبهم إلا

= علىٰ حب الله، أي كان سبب اجتماعهما حب الله، واستَمَرَّا علىٰ ذلك حتىٰ تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله ـ تعالىٰ ـ حال اجتماعهما وافتراقهما. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٠٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٠] كتاب الأذان، [٣٦] باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ورقم [١٤٢٣] في الزكاة، [١٨] باب الصدقة باليمين، ورقم [٦٨٠٦] كتاب المحاربين، [٥] باب فضل من ترك الفواحش، ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي [٢٣٩١] في الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي [٨/ ٢٢٢ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٣٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٥٦٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٢] باب في فضل الحب في الله، قال النووي: قوله تعالىٰ: «المتحابون بجلالي» أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا، وقوله تعالىٰ: «يوم لا ظل إلا ظلي» أي أنه لا يكون من له ظل مجازاً كما في الدنيا، وجاء في غير مسلم: «ظل عرشي» قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق، قال: وهذا قول الأكثرين، وقال عيسى بن دينار: معناه كفاه من المكاره وأكرمه وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم السلطان ظل الله في الأرض، وقيل يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٠١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٥٤)]، ورقم [٩٤ ـ (٥٤)] كتاب الإيمان، [٢٢] باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، والترمذي [٢٦٨٨]، وابن ماجه [٦٨، ٣٦٩٢]، وأحمد في مسنده [١/ ١٦٧، ٢/ ٤٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٩٦، ٨/ ٣٠].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٥٦٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٢] باب فضل الحب في الله.

مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[١].

وروينا في الترمذي مصححاً من حديث معاذ مرفوعاً: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»[٢].

ورواه مالك بلفظ: «قال الله: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[٣].

وروينا في جامع الترمذي مصححاً، وسنن أبي داود من حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعاً: «إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه»[٤].

وروينا في سنن أبي داود والنسائي بإسناد صحيح من حديث معاذ: " أنه ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [٥].

وروينا في سنن أبي داود من حديث أنس: " أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «أعلمه» فلحقه فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له " [٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٨٣] كتاب مناقب الأنصار، [٤] باب حب الأنصار من الإيمان، ومسلم في صحيحه [١٢٩ ـ (٧٥)] كتاب الإيمان، [٣٣] باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار من الإيمان، وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، والترمذي [٣٩٠٠] كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش.

(٢) أخرجه الترمذي [٢٣٩٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ١٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٧٤].

(٣) أخرجه مالك في الموطأ [٩٥٤]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٥١٠ ـ الموارد]، والتبريزي في المشكاة [٥٠١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٢٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٢٤] كتاب الأدب، باب إخبار الرجل بمحبته إليه، والترمذي [٢٣٩٢] كتاب الزهد، باب ما جاء في إعلام الحب.

(٥) أخرجه أبو داود [١٥٢٢] كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٧٣، ٣/ ٢٧٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٤٥ ـ الموارد]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٥١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٤١]، والشجري في أماليه [١/ ٢٣٩].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٢٥] كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧١]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٩٠٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٨٢]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٤٦، ٥٥٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٧].

فصل في علامات حب الله للعبد والحث علىٰ التخلق بهذا والسعي في تحصيلها

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١) الآية.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ (٢) الآية.

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله ـ تعالىٰ ـ قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» (٣)

وروينا في الصحيحين من حديثه مرفوعاً: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» (٤) وذكر في البغض مثله.

وروينا فيهما من حديث عائشة: إن رسول الله ﷺ بعث رجلاً علىٰ سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم يختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه، فقال: لأنها صفة

---

(١) سورة آل عمران [٣١].
هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعى محبة الله وليس علىٰ الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتىٰ يبلغ الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تُحب. "تفسير ابن كثير [١/٣٥٨]".

(٢) سورة المائدة [٥٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٠٢] كتاب الرقاق، [٣٨] باب التواضع، وابن ماجه في سننه [٣٩٨٩] كتاب الفتن [١٦] باب من ترجى له السلامة من الفتن، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٤٦]، وابن حجر في التلخيص [٣/١١٧]، والحاكم في المستدرك [٤/٣٢٨]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ١٠٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٤٠] كتاب الأدب، [٤١] باب المقة من الله، أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (٢٦٣٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٨] باب إذا أحب الله عبداً حببه إلىٰ عباده، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٥٩]، [٥/ ٢٦٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٣٠٦]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٧٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣١٠].

الرحمن [١]، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال ـ عليه السلام ـ: «أخبروه أن الله يحبه»[٢].

وروينا عن مجاهد قال: " قال لي ابن عمر: أحب في الله وأبغض في الله، وعادِ في الله، فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتىٰ يكون كذلك " فقد صارت مواخاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئاً.

وقال أبو موسى: سمعت رجلاً سأل أبا يزيد فقال: دلني علىٰ عمل أتقرب به إلىٰ ربي؟ قال: أحبب أولياءه ليحبوك، وإن الله ـ تعالىٰ ـ ينظر إلىٰ قلوب أوليائه، فلعله ينظر اسمك في قلب وليه فيغفر لك ".

ولنذكر حكايات تليق بذلك: فالأولى: قيل: إن رجلاً أتى العلاء بن زياد [٣] فقال له: إن آتياً أتاني في منامي فقال: إئت العلاء بن زياد وقل له: كم تبكي فقد غفر الله لك، قال: فبكى، ثم قال: حق لي أن أبكي.

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد (المنوي) [٤] حلو المذاق

تراه باكياً في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياقي

فيبكي إن ناءوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

---

(١) قال النووي في قوله: " لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها " «أخبروه أن الله يحبه»: قال المازري: محبة الله ـ تعالىٰ ـ لعباده إرادة ثوابهم وتنعيمهم، وقيل: محبته لهم نفس الإثابة والتنعيم لا الإرادة، قال القاضي: وأما محبتهم له سبحانه فلا يبعد فيها الميل منهم إليه ـ سبحانه ـ وهو متقدس علىٰ الميل، قال: وقيل: محبتهم له استقامتهم علىٰ طاعته، وقيل: الاستقامة ثمرة المحبة وحقيقة المحبة له ميلهم إليه لاستحقاقه ـ سبحانه وتعالى ـ المحبة من جميع وجوهها. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٨٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٧٤م] كتاب الأذان، [١٠٦] باب الجمع بين السورتين في الركعة، ومسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (٨١٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٥] باب فضل قراءة قل هو الله أحد، والترمذي [٢٩٠١] كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، والنسائي [٢/ ١٧١ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٣٨١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢١٢٩].

(٣) العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، أبو نصر العدوي البصري، ثقة، أحد العباد، أرسل عن النبي ﷺ حديثاً، وكان زاهداً خاشعاً قانتاً لله بكَّاء، أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه، توفي سنة [٩٤]. ترجمة: تهذيب التهذيب [٨/ ١٨١]، تقريب التهذيب [٢/ ٩٢]، الكاشف [٢/ ٣٦٠]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٥٠٧]، تراجم الأحبار [٣/ ١٧١].

(٤) كذا بالأصل.

الثانية: عن خير النساج قال: كنا في المسجد فجاء الشبلي في سكره ـ أي في حالٍ وَرَدَ عليه ـ فنظر إلينا ولم يكلمنا، وهجم علىٰ الجنيد وهو جالس في بيته وعنده زوجته، فأرادت أن تستتر، فقال لها الجنيد (١): لا عليك هو غائب لا علم له بك، فصفق الشبلي علىٰ رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب ... ورموا بالصدود والصد (٢) صعب

زعموا حين عاينوا أن جرمي ... فرط (٣) حبي لهم وما ذاك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي ... ما جزى من يحب إلا بحب

فاهتز الجنيد وقال: هو ذاك يا أبا بكر، فخر مغشياً عليه، ثم بعد ساعة بكى الشبلي، فقال الجنيد لامرأته: استتري عنه فقد أفاق.

الثالثة: عن ذي النون المصري (٤) قال: رأيت في جبل لبنان في كهف رجلاً أبيض الرأس واللحية، أشعث أغبر نحيفاً وهو يصلي، فسلمت عليه بعد ما سلم، فرد السلام وقام إلىٰ الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتىٰ صلى العصر، ثم أسند إلىٰ حجر وجعل يسبح (٥) ولا يكلمني، فقال له: رحمك الله ادع الله ﷻ لي، فقال: آنسك الله بقربه، فقلت: زدني، فقال: يا بني من آنسه بقربه أعطاه أربع خصال: عزاً

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخزاز، وقيل: كان أبوه قواريرياً يعني زجاجاً، وكان هو خزازاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وتفقه علىٰ أبي ثور، وسمع من الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري السقطي، وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له، وحدث بشيء يسير. توفي سنة [٢٩٨].

(٢) صدَّ عنه صداً وصدوداً: أعرض عنه، وفلاناً عن كذا صدّاً: منعه وصرفه.

(٣) الفَرْط: تجاوز الحد، يقال: من فرط شغفه به أو كرهه له.

(٤) ذو النون المصري الزاهد، اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفياض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال أبو الفياض الإخميمي، وأبوه نوبي، روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وسلم الخواص وجماعة، وعنه أحمد بن صبيح الفيومي وربيعة بن محمد الطائي والجنيد بن محمد ومقدام بن داود الرعيني والحسن بن مصعب النخعي وغيرهم، وقال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة، توفى سنة [٢٤٦]. "تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ ـ ٢٥٠]".

(٥) روى البخاري في صحيحه [٨٤٤] كتاب الأذان [١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، عن المغيرة بن شعبة، أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة. ثم شهق شهقة، فلم يفق إلا بعد ثلاثة، وأنشدوا:

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف [١] لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم قتلى من الحب يوم البين [٢] ما حنثوا

ثم قام فتوضأ وسألني كم فاته من صلاته، فأخبرته فقال:

إن ذكر الحبيب هيج شوقي ثم حب الحبيب أذهل عقلي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وأنست برب العالمين، انصرف عني بسلام، فقلت له: رحمك الله، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيارة، وبكيت، فقال: أحبب مولاك، ولا ترد بحبه بديلا، فالمحبون لله هم (يتحابان) [٣] العبَّاد وعلم الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه وعباده وأولياؤه، ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا، فما كان إلا هُنَيَّةً وإذا بجماعة من العبَّاد ينحدرون من الجبل، فتولوه حتىٰ واروه التراب، فسأل عن اسمه فقال: شيبان المصاب.

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم وكان يذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن قلبك يبرح [٤]
رميت ببين منك إن كنتُ كاذباً وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرح
فإن كان شيء في البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني بعيني تملح [٥]
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

الرابعة: عن أبي الجوال المغربي قال: كنت جالساً مع رجل صالح ببيت المقدس، وإذا شاب قد طلع علينا، والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩].
الكهف هو الغار في الجبل وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون، وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس هو واد قريب من أيلة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرقيم: الكتاب، وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه علىٰ باب الكهف. «تفسير ابن كثير [٣/ ٧٥]».

(٢) البين: ما بين القوم من القرابة والصلة والمودة أو العداوة والبغضاء.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) برح برحاً وبراحاً: زال، وبرح مكانه زال عنه وغادره، وبراحاً: فارقه.

(٥) ملح الشيء ملاحة: بهج وحسن منظره فهو مليح، جمعها: ملاح.

فدخل المسجد وهو ينادي: اللهم ارحمني من هذه الدار [١] فقلت: هذا كلام حكيم، فمن أين لك هذه الحكمة؟

فقال: من أخلص لله الخدمة أورثه طريق الحكمة، وأيده بأسباب المعصية، وليس بي جنون وزلق، بل قلق وفَرَق، ثم جعل يقول:

هجرت الورى في حب من جاء بالنعم ... وعِفْتُ الكرى [٢] شوقاً إليه فلم أنم

ومَوَّهْتُ[٣] دهري بالجنون علىٰ الورى ... لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

فلما رأيت الشوق والحب بالحشا ... كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم

فإن قيل مجنون فقد جنني الهوى ... وإن قيل سقام فما بي من سقم

وحق الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس في خَدِينِ الظُّلَم

لقد لامني الواشون [٤] فيك جهالة ... فقلت لطرفي أفصح العذر فاحتشم [٥]

فعاتبهم طرفي بغير تكلم ... فأخبرهم أن الهوى يورث السقم

فبالحلم ياذا المَنِّ لا تبعد منى ... وقرب من أرى منك يا باري [٦] النسم

قال: فقلت: أحسنت، لقد غلط من سماك مجنونا، فنظر إليَّ وبكى وقال: أَوَلاَ تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟ قلت: بلى أخبري، فقال: طَهَّرُوا الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبته في الآفاق، واتزروا بالصدق، وارْتَدَوْا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركبوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة [٧] الحذاق[٨] حتىٰ اتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهق[٩]، وغيبهم عن الخلائق، لا يأويهم دار، ولا يقر بهم قرار، فالنظر إليهم

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٥١] كتاب الدعوات [٣٠] باب الدعاء بالموت والحياة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٢) الكرى: النعاس، وجمعها: أكراء.

(٣) موه الشيء: طلاه بفضة أو ذهب، وموه الحق لبسه بالباطل، يقال موه الحديث: زخرفه ومزجه من الحق والباطل، وعليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.

(٤) وشى به إلىٰ السلطان وِشَاية: نَمَّ به وسعى، فهو واش، جمعها: وشاة، والوشاء: النمام والكذاب.

(٥) حشم حشما: خجل، احتشم: استحيا. (٦) الباري: المخترع الموجد.

(٧) الجهباذ، والجهبذ: النقاد الخبير بغوامض الأمور، جمعها: جهابذة.

(٨) حذق فلان العمل: أوغل في ممارسته حتىٰ مهر فيه، فهو حاذق، جمعها: حُذَّاق.

(٩) شهق البناء والجبل ونحوهما شهوقاً: عظم ارتفاعه فهو شاهق، جمعها: شواهق.

اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار، ورهبان أحبار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يُشْهَدُوا، قال: فأُنسيت الدنيا عند حديثه، ثم ولى هارباً، وأنا متأسف عليه.

الخامسة: عن بعض الصالحين قال: حججت سنة من السنين، وكانت سنة كثيرة الجدب[1] والسَّموم، فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز، انقطَعْتُ عن الحجاج وغفوت قليلاً، فلم أشعر إلا وأنا وحدي في البرية، فلاح لي شخص أمامي مسرعاً، فلحقته وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير والشمس الضاحية، وعليه أثر الدَّلال والترف، فقلت: السلام عليك يا غلام، فقال: وعليكم السلام يا إبراهيم، فتعجبت منه كل العجب، ورابني أمره، فلم أتمالك أن قلت: يا سبحان الله!! من أين تعرفني، ولم ترني قبلها؟!! فقال لي: يا إبراهيم ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت. فقلت: ما الذي أوقفك في هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الجدب والقيظ؟ فأجابني: يا إبراهيم ما آنست بسواه، ولا وافقت غيره، وأنا منقطع إليه بالكلية، مُقرٌّ له بالعبودية، فقلت له: من أين المأكول والمشروب؟ فقال: تكفل لي به المحبوب، فقلت: والله إني خائف عليك لأجل ما ذكرت لك، فأجابني ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول:

من ذا يخوفني بالبر أقطعه ... إلى المحب وقد قدمت إيماناً
الحب أقلقني والشوق أزعجني ... ولا يخاف محب الله إنساناً
فلو أجوع فذكر الله يشبعني ... ولا أكون بحمد الله عطشاناً
وإن ضعفت فوجد منه يحملني ... من الحجاز إلىٰ أقصى خراسانا
فهل لصغري تكون اليوم تحقرني ... دع عنك عذلك لي قد كان ما كانا

قال: فقلت له: سألتك بالله يا غلام إلا أعلمتني حقيقة عمرك؟ قال: فلقد آليت عليَّ بأجلّ الأيمان عندي، عمري اثنا عشر سنة، ثم قال: ما ألجأك إلىٰ ذلك؟ فقلت: أذهلني ما سمعته منك، فقال: الحمد لله علىٰ ما أولانا من نعمه وفَضَّلَنَا علىٰ كثير من عباده المؤمنين، قال: فتعجبت من حسن وجهه وبهاء طلعته وحلاوة منطقه، فقلت: سبحان الخالق المصور[2] فأطرق الغلام إلىٰ الأرض ملياً، ثم رفع رأسه ينظر

---

(١) جدب المكان جدباً: يبس لاحتباس الماء عنه، ويقال أجدبت السنة: صار بها جدب، والقوم أصابهم الجدب، والأرض وجدها جدبة.

(٢) الخالق المقدِّر، وحمل المفسرون قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] علىٰ معنى التقدير. المصور: المرتب للصور والمخترعات. "انظر سلاح المؤمن لابن الإمام [ص ٢٥٩]".

شزراً وهو يقول:

ويحي إذا كان الجحيم جزائي ... ماذا يحل ببهجتي وبهائي
يُبْلي العذاب محاسني ويشينها ... ويطول مني بالجحيم بكائي
ويقول لي الجبار جل جلاله ... أنسيت عهد ثَمَّ يوم لقائي
وترى وجوه الطائعين كأنها ... بدر بدا في ليلة ظلماء
كشفوا الحجاب فعاينوه فأدْهِشُوا ... ونسوا نعيمهم وكل رجائي
وكساهم حلل المهابة والرضا ... وحبا الوجوه بنظرة وبهاءِ

ثم قال: يا إبراهيم اعلم أن المنقطع من قطعه الحبيب، والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب، ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا إبراهيم، فقلت له: نعم، أنا ذلك، سألتك بالله إلا دعوت لي أن ألحق من سبقني من أصحابي، قال: فنظرت الغلام قد لمح بطرفه إلىٰ السماء، وتكلم بكلام حرك بها شفتيه، فعند ذلك لحقتني سِنَةٌ وأُغْمِيَ عليَّ، فلم أفق إلا وأنا في وسط الحاج، وزميلي يقول: يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة، ولم أدر أصعد الغلام إلىٰ السماء أم نزل إلىٰ الأرض، فلما وقفنا بعرفة ودخلت الحرم، فإذا أنا به متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي ويقول:

تعلقت بالأستار والقبر زرته ... وأنت بما في القلب والسر أعلم
أتيت إليه ماشياً غير راكب ... لأني علىٰ صغري محب متيم [1]
هويتك طفلاً حيث لا أعرف المأوى ... فلا تعذلوني إنني متعلم
وإن كان قد حانت لديك منيتي [2] ... لعلي بوصلك منك أحظى وأغنم

قال: ثم أرخى نفسه ووقع ساجداً وأنا أنظر إليه، فحركته فإذا هو قد مات، فتأسفت عليه كل الأسف، ومضيت إلىٰ راحلتي وأخذت ثوباً، واستعنت بمن يساعدني عليه حتىٰ أواريه، فأتيت إليه فلم أجده، فسألت عنه الحاجَّ جميعه فلم أر له خبراً، فعلمت أنه قد ستر عن أعين الخلق وأنه لم يره غيري، فأتيت إلىٰ مكاني وأغفيت قليلاً، فرأيته في المنام في موكب عظيم، وهو في أوائلهم، وعليه من النور والحلل ما لا أحسن وصفه، فقلت له: ألست صاحبي؟ قال: نعم، فقلت له: ألست مت؟ قال: قد كان ذلك، فقلت له: والله لقد طلبتك أُكفنك وأصلي عليك فلم أجدك؟ فقال: يا إبراهيم اعلم أن الذي من بلدي أخرجني، وبحبه شوقني، وعن

(١) تام الهوى فلاناً تيماً: استولى عليه وذهب بعقله، وتيمه الهوى أو الحبيب تامه.
(٢) المنية: الموت، جمعها: منايا.

أملي غربني، هو كفنني، ما أحوجني، فقلت له: ما فُعل بك بعد ذلك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: ما بُغْيَتُكَ؟ فقلت: أنت، فقال: أنت عبدي حقاً حقاً، ولك عندي أن لا أحجب عنك، فما تريد؟ قلت: أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه، قال: قد شفعتك فيه[1]، ثم إنه صافحني، واستيقظت وقضيت بقية مناسكي، ولم يفتر قلبي من ذكره، وصارت يدي لها رائحة من تلك المصافحة، فلم تزل في يده حتىٰ قضى نحبه.

السادسة: عن مالك بن دينار قال: خرجت حاجّاً فإذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: أيها الشاب من أين؟ قال: من عنده، قلت: وإلى أين؟ قال: إليه، قلت: وأين الزاد؟ قال: عليه، قلت: إن الطريق لا يقطع إلا بالماء والزاد، فهل معك شيء؟ قال: نعم؛ تزودت عند خروجي بخمسة أحرف، قلت: ما هي؟ قال: كهيعص[2]، قلت: وما معناها؟ قال: الكاف من الكافي، والهاء من هادي، والياء من مؤوي، والعين من عالم، والصاد من صادق، فمن كانت صحبته ذلك لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلىٰ حمل ماء وزاد، قال: فلما سمعت كلامه نزعت قميصي علىٰ أن ألبسه إياه، فأبىٰ أن يقبله، وقال: العُرْيُ خير من قميص الفناء، حلالها حساب وحرامها عذاب، وكان إذا جنَّه الليل يرفع رأسه نحو السماء ويقول: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك، فلما أحرم الناس ولبوا قلت: لم لا تلبي؟ فقال: يا شيخ أخشى أن أقول لبيك،

---

(١) مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طـه: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدَّثر: ٤٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. «النووي في شرح مسلم [٣/ ٣١] طبعة دار الكتب العلمية».

(٢) اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلىٰ الله ولم يفسروها، حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وقاله الشعبي والثوري والربيع، واختاره ابن حبان، ومنهم من فسرها، واختلف هؤلاء في معناها، فقال عبد الرحمن بن أسلم: هي أسماء السور، وقال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر، وقال مجاهد: هي فواتح افتتح الله بها القرآن. «تفسير ابن كثير [١/ ٣٦]».

فيقول: لا لبيك ولا سعديك، لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، ثم مضى فما رأيته إلا في مِنى وهو يقول:

إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي ... دمي حلال له في الحل والحرم
والله لو علمت روحي بمن علقت ... قامت علىٰ رأسها فضلاً عن القدم
بالآي لا تلمني في هواه فلو ... عاينت منه الذي عاينت لم تلُم
ويطوف بالبيت قوم لو بخارجه ... بالله طافوا لأغناهم عن الحرم
ضحى الحبيب بنفسه يوم عيدهم ... والناس ضحوا بمثل الشاة والنعم
للناس حج ولي حج إلىٰ سكني ... تهدي الأضاحي وأهدي مهجتي[1] ودمي

ثم قال: اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك، وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي، فتقبلها مني، ثم شهق شهقة فخرَّ ميتاً، وإذا بقائل يقول: هذا حبيب الله، هذا قتيل الله، قتل بسيف الله فجهزته وواريته، فرأيته في منامي فقلت: ما فُعل بك؟ قال: كما فُعل بشهداء بدر، قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بمحبة الجبار.

السابعة: قيل: لما وقف الشبلي بعرفات لم ينطق بشيء حتىٰ غربت الشمس، فلما جاوز العلمين هملت عينه بالدموع، ثم أنشأ يقول:

أروح وقد ختمت علىٰ فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غمضت طرفي ... فلم أنظر به حتىٰ أراكا
وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يَدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تَباكى
وكل يدَّعُون وصال ليلى ... وليلى لا تُقرُّ لهم بذاكا

الثامنة: عن الجنيد قال: حججت علىٰ الوجدة[2]، وجاورت بمكة، فكنت إذا دخلت الطواف وإذا بجارية تطوف وتقول:

يأبى الحب أن يخفى وقد كتمته ... واضح عندي قد أباح وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رمت قرباً من حبيب تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ... ويسعدني حتىٰ ألذ وأطربا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله؛ في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا

---

(١) المهجة من كل شيء: خالصه، ودم القلب والروح، جمعها: مهج.
(٢) وجد فلان وجداً: حزن، ووجد به: أحبه، وتواجد: أي تظاهر بالوجد.

الكلام؟!! فالتفتت إليَّ وقالت:

لـولا الـتـقـى لـم تـرنـي أهـجـر طـيـب الـوسـن
إن الـتـقـى شـردنـي كـمـا تـرى عـن وطـنـي
أفـر مـن وجـدي بـه فـحـبـه هـيَّـمـنـي[1]

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت، فقلت: أطوف بالبيت، فرفعت رأسها إلىٰ السماء وقالت: سبحانك سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة إليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وحلوا بجار القرب في باطن الكفر
وقد أخلصوا في الود غاية صفاتهم وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد[2]: فغشي عليَّ من قولها، فلما أفقت لم أرها.

وسيكون لنا عودة إلىٰ هذه الحكاية في مجلس الحج ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ فإنها تليق به.

التاسعة: عن ذي النون المصري قال: رأيت امرأة في تيه بني إسرائيل عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف، وفي كفها عُكَّز من حديد، فقلت: السلام عليك، فردت ثم قالت: وذا للرجال وخطاب النساء عافاك الله، فقلت: أخوك ذو النون، فقالت: مرحباً بك، حياك الله بالسلام، قلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: كلما أتيت إلىٰ بلد يعصى فيه الحبيب يضيق عليَّ فأنا أطلب بقعة طاهرة أخرّ عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلىٰ لقائه.

قلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأي شيء المحبة؟ فقالت: سبحان الله! أنت الحكيم الواعظ تسألني!! أول المحبة تبعث علىٰ الكدّ الدائم، حتىٰ إذا وصلت أرواحهم إلىٰ أعلى الصفاء جرَّعتهم من محبته لذيذ الكؤوس ثم صرخت مغشياً عليها، فلما أفاقت قالت:[3]

---

(١) هام فلان هيماناً: خرج علىٰ وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه، وهام بفلانة: شغف بها.

(٢) من أقوال الجنيد: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات، وعن الجنيد قال: أعلى درجة الكبر أن ترى نفسك، وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك، وقال أبو علي الروذباري: قال الجنيد: سألت الله أن لا يعذبني بكلامي، وربما وقع في نفسي أن زعيم القوم أرذلهم. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٩١ ـ ٣٠٠]".

(٣) أظنه من شعر رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، والمتوفاة سنة ثمانين =

أحبك حبين؛ حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فذكرٌ شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجب حتىٰ أراكا
ولا حمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

العاشرة: عن ذي النون أيضاً قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً، وإذا جارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنت تدري يا حبيبي ... من حبيبي أنت تدري
ونحول الجسم والدمع ... يبوحان بسرّي
قد كتمت الحب حتى ... في الهوى قد ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت منها حتىٰ انتحبت وبكيت، ثم قالت: سيدي ومولاي، بحبك لي إلا ما غفرت لي، قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك، حتىٰ تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما علمت أن لله عباداً أحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعت الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له، فقلت: من أين علمتِ أني ذا النون؟!! فقالت: يا بطّال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك، ثم قالت: انظر من خلفك، فأدرت وجهي فلا أدري؛ السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها !!

الحادية عشرة: عن سري السقطي[2] قال: اشتريت جارية للخدمة، فكانت تخدمني دهراً طويلاً، وتكتم أمرها ولها محراب تصلي فيه.

فلما كانت في بعض الليالي وجدتها تصلي تارة، وتناجي أخرى، فسمعتها

= ومائة، ولها ترجمة بتاريخ الإسلام للذهبي، انظر وفيات [١٧١ ـ ١٨٠] وستأتي ترجمتها قريباً.

(١) سورة المائدة [٥٤].
يقول تعالىٰ مخبراً عن قدرته وعظمته أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمَّد: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]. "تفسير ابن كثير [٢/٧١]".

(٢) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون، وعنه أبو العباس بن مسروق والجنيد وأبو الحسن النوري وإبراهيم بن عبد الله المخرمي، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي سنة [٢٥٣]. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٥١ ـ ٢٦٠]".

تقول: بحبك لي إلا فعلت كذا وكذا، فناديتها عند ذلك: لا تقولي هكذا، لكن قولي بحبي إياك، فقالت: يا سيدي: لولا حبه إياي ما أقعدك وأقامني، فلما أصبحت دعوتها وقلت: إنك لا تصلحين لخدمتي بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر، اذهبي فأنت حرة لوجه الله، ثم وصلتها بشيء وسرحتها وندمت علىٰ مفارقتها.

الثانية عشرة: عن أبي الأشهب السايح قال: بينما أنا أطوف إذا بجارية تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول:

يا وحشتي بعد أنسي ويا ذلي بعد العز

ويا فقري بعد الغنى

فقلت لها: مالك، أذهب لك مال؟ أو أُصِبْتِ بمصيبة؟ قالت: لا ولكن كان لي قلب فقدته وأنشدت:

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه

رب فارْدُدْ عليَّ فقد عيل[1] صبري في تَطَلُّبه

وأغث ما دام بي رمق[2] يا غياث المستغيث به

فقلت لها: هذه مصيبتك؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟ فقلت لها: إن حسن صوتك قد عطّل من سمعه عن الطواف، فقالت: يا شيخ البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بيته، قالت: الحرم حرمك أم حرمه؟ قلت: بل حرمه، قالت: فدعنا نتدلل عليه علىٰ قدر ما استرارنا إليه، ثم قالت: بحبك لي إلا ما رددت عليَّ قلبي، فقلت لها: من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: جيَّش من أجلي الجيوش[3]، وأنفق الأموال، وأخرجني من دار الشرك وأدخلني دار التوحيد[4] وعرفني نفسه بعد جهلي إياه، فهل إلا لعناية؟ قلت: فكيف حبّك له؟ قالت: أعظم شيء وأجله، قلت: وتعرفي الحب؟ قالت: فإذا جهلته فأي شيء أعرف به حلو المجتبى ما اقتصر، فإذا أفرط عاد حبلاً قاتلاً، وفساداً معضلاً، وهي شجرة غرسها

---

(١) عيل صبره: نفد، فهو معول.

(٢) الرمق: بقية الروح، وجمعها: أرماق.

(٣) تقصد الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلىٰ بلادها، وأدخلتها في الإسلام، وكانت هذه نعمة عظيمة تَكَرَّم الله بها عليها.

(٤) روى البخاري في صحيحه [٢٥] كتاب الإيمان، [١٧] باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله».

كريم، (ومجناها) لذيذ، ثم ولت وأنشأت تقول:

وذي قلق لا يعرف الصبر والصبرا … له مقلة غبراء أضر بها البكا
وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى … بماذا يداوى المستهان من الضنى
ولاسيما والحب صعب مرامه … إذا عطفت منه العواطف بالفتى

الثالثة عشرة: عن محمد بن الحسين البغدادي قال: حججت مرة، فبينا أنا أدور في شوارع مكة، وإذا أنا بشيخ قابض علىٰ يد جارية مُتغيِّر لونها، نحل جسمها، وعلى وجهها نور ساطع وضياء لامع، وهو ينادي: هل من طالب؟ هل من راغب؟ هل من زايد علىٰ عشرين ديناراً؟ وأنا بريء من كل عيب، قال: فدنوت منه، قلت: وما هو؟ قال: اعلم أنها جارية مهمومة؛ قائمة ليلها صائمة نهارها، لا تأكل طعاماً ولا تشرب (مُدَاماً) قد ألفت الانفراد والوحدة في كل أرض وبلدة، فلما سمعت كلامه أحببتها فاشتريتها ورحت بها إلىٰ منزلي فرأيتها مطرقة إلىٰ الأرض، ثم رفعت رأسها إليَّ وقالت: يا مولاي الصغير من أين أنت يرحمك الله؟ قلت: من العراق، قالت: من البصرة أو من الكوفة؟ فقلت: ولا من واحدة منهن، فقالت: لعلك من مدينة السلام ببغداد؟ قلت: نعم، قالت: بخ بخ؛ مدينة الزهاد والعبَّاد، قال: فعجبت وقلت: يا جارية من حجرة إلىٰ حجرة، ينادى عليها من أين لها معرفة بالزهاد والعبَّاد، ثم أقبلت عليها شبه الملاعب لها، وقلت لها: من تعرفي منهم؟ قالت: أعرف مالك بن دينار، وبشر الحافي [(١)]، وصالح المزي، وأبا حاتم السجستاني، ومعروفاً الكرخي [(٢)]، ومحمد بن الحسين البغدادي، ورابعة العدوية [(٣)]، وشعوانة،

---

(١) بشر الحافي بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء أبو نصر المروزي البغدادي الزاهد الكبير، كان عديم النظر زهداً وورعاً وصلاحاً، كثير الحديث إلا أنه كان يكره الرواية ويخاف من شهوة النفس في ذلك حتىٰ إنه دفن كتبه. ومن قوله: أمس قد مات واليوم في نزاع وغداً لم يولد بعد، وعنه قال: لا يفلح من ألف أفخاذ النساء، وعنه قال: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وقيل لأحمد بن حنبل: مات بشر فقال: مات ـ رحمه الله ـ وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن قيس، فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة [٢٢٧]. "انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ ـ ٢٣٠]".

(٢) معروف الكرخي زاهد العراق وشيخ الوقت، كان أبوه من أعمال واسط من الصابئة، وقال أبو علي الدقاق قال: كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلىٰ مؤدب نصراني، فكان يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه، فهرب، فكان أبواه يقولان: ليته رجع، ثم أسلم أبواه، وذكر السلمي أن معروفاً صحب داود الطائي ولم يصح، ومن أقواله: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة [٢٠٠]. "انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٩١ ـ ٢٠٠]".

(٣) رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، وهي رابعة بنت إسماعيل، كنيتها أم =

وميمونة، فأقبلت عليها وقلت لها: من أين لك معرفة هؤلاء؟ قالت: يا فتى كيف لا أعرفهم وهم والله أطباء القلوب ومنّ المحب علىٰ المحبوب. فقلت لها: يا جارية أنا محمد بن الحسين، فقالت: لقد سألت الله أن يجمع بيني وبينك يا أبا عبد الله، ما فعل حسن صوتك الذي يحيى به قلوب المريدين وتبكي به عيون السامعين؟ فقلت: باق علىٰ حاله، قالت: فبالله عليك أسمعني شيئاً من القرآن، فقرأت " بسم الله الرحمن الرحيم " فصرخت صرخة عظيمة، وغشي عليها.

فرششت علىٰ وجهها الماء فأفاقت فقالت: يا أبا عبد الله، هذا اسمه فكيف لو عرفته حق معرفته، وفي الجنان رأيته؟ اقرأ يرحمك الله، فقرأت: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾(1) الآية قالت: يا أبا عبد الله، ما عبدنا وثناً ولا قبلنا صنماً، اقرأ رحمك الله، فقرأت: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] الآية، فقالت: يا أبا عبد الله، لقد ألزمت نفسك القنوط، روح قلبي بين الرجاء والخوف، اقرأ، فقرأت: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(2) قالت: واشوقاه إلىٰ لقائه؛

= عمرو، وولاؤها للعتكيين، وقد أفرد ابن الجوزي أخبارها في الشاميات، ورابعة العابدة معاصرة لها، فربما تداخلت أخبارهما، ومن أخبارها أن ناساً استأذنوا علىٰ رابعة ومعهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة وذكروا شيئاً من أمر الدنيا، فلما قاموا قالت لامرأة تخدمها: إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه فلا تأذني لهم؛ فإني رأيتهم يحبون الدنيا، وقال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكماً كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما، توفيت ـ رحمها الله ـ [١٨٠]. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٧١ ـ ١٨٠].

(1) سورة الجاثية [٢١].

يقول تعالىٰ: لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ـ تبارك وتعالى ـ ههنا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] أي عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١] أي نساويهم بها في الدنيا والآخرة ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] أي ساء ما ظنوا بنا وبعد لنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار. "تفسير ابن كثير [٤/ ١٥٠]".

(2) سورة القيامة [٢٢، ٢٣].

وقال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله ـ تعالىٰ ـ ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً علىٰ أن وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله ـ تعالىٰ ـ دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع: المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله ـ تعالىٰ ـ لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله ـ تعالىٰ ـ في الآخرة للمؤمنين. "النووي في شرح مسلم [٣/ ١٥] طبعة دار الكتب العلمية".

يوم يتجلى لأوليائه، اقرأ، فقرأت: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾ (١) الآيات، قالت: يا أبا عبد الله أراك قد خطبت الحور العين، فهل بذلت من مهورهن شيئاً؟ قلت: يا جارية، دليني فإني مفلس، فقالت: عليك بقيام الليل وصيام النهار، وحب الفقراء والمساكين، ثم أنشأت تقول:

يا خاطب الحوراء في خدرها ... وطالب ذاك علىٰ قدرها
انهض بجد لا تكن وانياً (٢) ... وجاهد النفس علىٰ صبرها
وقم إذا الليل بدا شطره ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تمشي بين أربابها ... وعقدها يشرف في نحرها
لهان في عينيك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهرها

قال: ثم غشي عليها، فرششت علىٰ وجهها الماء، فأفاقت، ثم أنشأت تقول:

إلهي لا تعذبني فإني ... مقرٌّ بالذي قد كان مني
فكم من زلة لي في الخطايا ... عفوت وأنت ذو فضل ومَنِّ
يظن الناس بي خيراً وإني ... لشرُّ الناس إن لم تعف عني
ومالي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظني

قال: ثم غُشي عليها، فدنوت منها، فإذا هي قد ماتت ـ رحمة الله عليها ـ فاغتممت لذلك غماً شديداً، وخرجت إلىٰ السوق لآخذ في جهازها، فلما رجعت إذا هي قد كُفنت وحُنطت وعليها خضراوتان من حلل الجنة، مكتوب علىٰ الكفن سطران: الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثاني: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ (٣).

---

(١) سورة الواقعة [١٧].

(٢) الواني: الضعيف البدن، وني في الأمر: فتر وضعف وكلَّ وأعيا.

(٣) سورة يونس [٦٢].

قال الشوكاني: قال الإمام تقي الدين بن تيمية ـ رحمه الله: أولياء الله علىٰ طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله ـ سبحانه في عدة مواضع من كتابه في أول الواقعة وآخرها، وسورة الإنسان، والمطففين، وسورة فاطر إلىٰ آخر كلامه. وقال الشوكاني: وليس لمنكر أن ينكر علىٰ أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع، وهذا باب قد فتحه رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم» والمحدث: الصادق الظن المصيب الفراسة. "انظر قطر الولي علىٰ =

قال: فحملتها أنا وأصحابي وصلينا عليها ودفناها وقرأت عند رأسها سورة يس، ورجعت إلىٰ محرابي باكي العين حزين القلب علىٰ فراقها، وصليت ركعتين ونمت، فرأيت الجارية في الجنة وعليها الحلل، وهي في مرج من زعفران أفيح، عليها حلل السندس والاستبرق، وعلى رأسها إكليل مرصع بالدرّ والجوهر، وفي رجليها نعلان من الياقوت الأحمر يفوح منها ريح المسك والعنبر، ووجهها أضوأ من الشمس والقمر، فقلت: مهلاً يا جارية، ما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قالت: حُب الفقراء والمساكين، وكثرة الاستغفار، ونقل الأذى عن طريق المسلمين، ثم أنشأت تقول:

طوبى لمن سهرت في الليل عيناه ... وبات ذا قلق من حب مولاه
وراح يوماً علىٰ تفريطه وبكى ... خوفاً لما قد جناه من خطاياه

= حديث الولي [ص ٢٦، ٣٧] طبعة دار الكتب العلمية».

مجلس في الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد والحذر من الخيانة

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١).

وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ (٢).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] (٣).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (٤).

وفي هذه الآيات الأمر بالوفاء وإنكار الخَلْف علىٰ ذي إيمان، وتشديد الذم له، وتهديد من نكبه بالمقت عند الله، والمقت أشد البغض، وعند الله أبلغ، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٥)، وقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (٦).

وقال: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٧).

وقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ﴾ (٨).

وقال: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الإسراء [٣٤]. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤] أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] أي عنه. "تفسير ابن كثير [٣/ ٤٠]".

(٢) سورة النحل [٩١].

(٣) سورة المائدة [١]. قال ابن كثير: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود، وحكى ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك قال: والعهد ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره.

(٤) سورة الصف [٢، ٣]. استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان». "تفسير ابن كثير [٤/ ٣٥٧]".

(٥) سورة آل عمران [٩].

(٦) سورة إبراهيم [٤٧].

(٧) سورة الكهف [٩٨].

(٨) سورة طه [٩٧].

(٩) سورة الأنبياء [٩].

(١٠) سورة الحج [٤٧].

وقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ (١).

وقال: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٢).

وقال: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (٣).

وقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ (٤).

وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٥).

وقال: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ (٦).

وقال: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٧).

وقال: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٨).

وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (١٠).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (١١).

وقال: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ (١٢).

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ (١٣).

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ (١٤) الآية.

وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾ (١٥) الآية.

وقال: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ (١٦).

وقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (١٧).

---

(١) سورة الروم [٦].
(٢) سورة الإسراء [٥].
(٣) سورة الإسراء [١٠٨].
(٤) سورة الذاريات [٥].
(٥) سورة الروم [٦٠].
(٦) سورة الأحقاف [١٦].
(٧) سورة غافر [٧٧].
(٨) سورة القصص [١٣].
(٩) سورة النور [٥٥].
(١٠) سورة الأنفال [٧].
(١١) سورة النساء [٥٨].
ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة حاجب الكعبة المعظمة، وكان أسلم في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه.
(١٢) سورة سورة البقرة [٢٨٣].
(١٣) سورة المؤمنون [٨].
(١٤) سورة الأحزاب [٧٢].
(١٥) سورة آل عمران [٧٥].
(١٦) سورة الأنفال [٢٧].
(١٧) سورة النساء [١٠٥].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١).

وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ (٣) الآية.

وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (٤).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٥).

وقال: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (٦).

وأما الأحاديث فكثيرة نذكر منها ستة أحاديث:

مشتملة علىٰ التحذير من إخلافه وغدر العهد، وعلى بيان أهل الوفاء من النبيين والصديقين الذين يرغب أن ينتظم في سلكهم كل لبيب.

أولها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (٧) متفق عليه، زاد مسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه

---

(١) سورة النساء [١٠٧].

(٢) سورة الأنفال [٥٨].

يقول تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً﴾ أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتىٰ يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم علىٰ السواء، أي تستوي أنت وهم في ذلك، وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: أي علىٰ مهل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي حتىٰ ولو في حق الكفار لا يحبها أيضاً. "تفسير ابن كثير [٢/٣٢٧]".

(٣) سورة الأنفال [٧١]. (٤) سورة يوسف [٥٢].

(٥) سورة الحج [٣٨].

(٦) سورة التحريم [١٠]. قال الثوري بسنده عن ابن عباس في هذه الآية ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها علىٰ أضيافه، وقال العوفي عن ابن عباس قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا علىٰ غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع علىٰ سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، وقال الضحاك عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين. "تفسير ابن كثير [٤/٣٩٣]".

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق، ورقم [٢٦٨٢] كتاب الشهادات، [٢٨] باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، ورقم [٢٧٤٩] في الوصايا، [٨] باب قول الله ـ تعالىٰ: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٥٩)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق، وأحمد في مسنده [٢/ =

مسلم»(١).

ولا تحذير أبلغ من ذلك، فمن يختار أن يكون في رتبة المنافقين التي هي أسفل الدرجات.

ثانيها: حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(٢) متفق عليه أيضاً.

ثالثها: حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين لأعطينَّك هكذا وهكذا».

فلم يجئ حتىٰ قُبض رسول الله ﷺ فلما جاء، أمر الصديق من كان له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ أو دين فليأتينا، فأتيته وقلت: إن رسول الله ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها، فإذا هي خمسمائة، فقال: خذ مثلها(٣) متفق عليه أيضاً.

= ٣٥٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٨٥، ٢٨٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [١٤/ ٧٠].

(١) سورة أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٩ ـ (٥٩)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق، ورقم [٢٤٥٩] كتاب المظالم، [١٧] باب إذا خاصم فجر، ورقم [٣١٧٨] كتاب الجزية والموادعة، [١٧] باب إثم من عاهد ثم غدر، ومسلم في صحيحه [١٠٦ ـ ٥٨] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق، والترمذي في سننه [٢٦٣٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٨٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٣٠، ١٠/ ٧٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٢٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٩٣]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٣٩]، وقال النووي: وقد أجمع العلماء علىٰ أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه ـ بحمد الله ـ إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، والذي قاله المحققون والأكثرون، وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٤٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري [٣/ ١٢٦، ٤/ ١١٠، ١١٩]، ومسلم [٦٠ ـ (٢٣١٤)] كتاب الفضائل، [١٤] باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٩/ ١٤]، والحميدي في مسنده [١٢٣٣]، وقال النووي: قوله: "فقال: خذ مثليها " يعني خذ معها مثليها فيكون الجميع ألفاً وخمسمائة لأن له ثلاث حثيات، وإنما حثى له أبو بكر بيده لأنه خليفة رسول الله ﷺ فيده قائمة مقام يده، وكان له ثلاث حثيات بيد رسول الله ﷺ، وفيه إنجاز العِدَةِ، قال الشافعي والجمهور: إنجازها والوفاء بها =

فالصديق وفَّى موعوده، فإنها تُعادل الدين بالنسبة إلىٰ مقامه الغالي.

رابعها: حديث حذيفة قال: " حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال [(١)]، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته علىٰ رجلك فنفط، تراه منتبراً، وليس فيه شيء [(٢)] - ثم أخذ حصى فدحرجه علىٰ رجليه - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتىٰ يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتىٰ يقال للرجل، ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

ولقد أتىٰ عليَّ زمان وما أبالي أيَّكُمْ بايعت، لئن كان مسلما لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دينه، ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليَرُدَّنَّهُ علي ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع [(٣)] منكم إلا فلاناً وفلانا " [(٤)] متفق عليه.

= مستحب لا واجب وأوجبه الحسن وبعض المالكية. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ٦٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) الجذر بفتح الجيم وكسرها لغتان، وبالذال المعجمة فيهما وهو الأصل، قال القاضي عياض - رحمه الله: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم، وأبو عمرو يكسرها، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله - تعالىٰ - به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم، قال الإمام أبو الحسن الواحدي - رحمه الله - في قول الله - تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها الله - تعالىٰ - علىٰ العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة، وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه، وقال مقاتل: الأمانة الطاعة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) قوله: «كجمر دحرجته علىٰ رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء» فالجمر والدحرجة معروفان، ونفط بفتح النون وكسر الفاء، ويقال: تنفط بمعناه، ومنتبراً: مرتفعاً، وأصل هذه اللفظة الارتفاع، ومنه المنبر لارتفاعه لارتفاع الخطيب عليه، وقوله: «ثم أخذ حصى فدحرجه»، ووقع في أكثر الأصول «ثم أخذ حصاة فدحرجه» بإفراد لفظ الحصاة، وهو صحيح أيضاً، ويكون معناه دحرج ذلك المأخوذ أو الشيء وهو الحصاة، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قال القاضي عياض وصاحب التحرير: وحمل بعض العلماء المبايعة هنا علىٰ بيعة الخلافة وغيرها من المعاقدة والتحالف في أمر الدين، قالا: وهذا خطأ من قائله، وفي الحديث مواضع تبطل قوله؛ منها قوله: "ولئن كان نصرانياً أو يهودياً" ومعلوم أن النصراني واليهودي لا يعاقد علىٰ شيء من أمور الدين، والله أعلم. "المرجع السابق [٢/ ١٤٥]".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٧] كتاب الرقاق، [٣٥] باب رفع الأمانة، ومسلم في صحيحه =

خامسها: حديث حذيفة أيضاً وأبي هريرة " في إتيان الناس يوم القيامة إلىٰ آدم وغيره، إلىٰ أن يأتوا إلىٰ نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيُؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق " الحديث(١) رواه مسلم.

سادسها: حديث عبد الله بن الزبير الطويل في صحيح البخاري، وأن والده كان يستودع المال فيقول: لا ولكن هو سلف فإني أخشى عليه الضيعة، فمات وعليه من الدين ألفا ألف، فوافى وقسم الباقي، ورفع الثلث، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف(٢).

ونذكر من الحكايات أيضاً ستة:

الأولى: قال بعضهم: كنت بمكة فجاءني رجل من أهل اليمن فقال: جئتك بهدية، ثم قال لرجل كان معه: حدِّث ما كان منك، قال: خرجت من صنعاء حاجاً فشيعني جماعة وقال لي رجل منهم: إذا زرت رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وعلى سائر الصحابة، قال: فدخلت المدينة ونسيت ذلك، فخرجنا إلىٰ ذي الحليفة لنُحرم، فتذكرت الأمانة، فرجعت إلىٰ المدينة وفعلت ما استودعني، فأدركني الليل ورحلت القافلة فنمت في المسجد، فرأيت رسول الله ﷺ فقال: هذا أبو الوفا وأخذ بيدي فوُضعت بمكة، فأقمت زماناً حتىٰ وردت رفقتي.

الثانية: عن إبراهيم بن أدهم أنه حج، فبينما هو في الطواف، وإذا بشاب حسن قد أعجب الناس حسنه وجماله، فجعل إبراهيم ينظر إليه ويبكي، فقال بعض

= [٢٣٠ ـ (١٤٣)] كتاب الإيمان، [٦٤] باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن علىٰ القلوب، والترمذي [٢١٧٩] كتاب الفتن، باب ما جاء في رفع الأمانة، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٨٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٢٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٧١، ٨/ ٢٥٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٨١]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٥٢]، والحميدي في مسنده [٤٤٦].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢٩ ـ ١٩٥] كتاب الإيمان، [٨٤] باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، قوله ﷺ: «وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط قال النووي: وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لِعِظَم أمرهما وكبير موقعهما، فتصوران مشخصتين علىٰ الصفة التي يريدها الله ـ تعالىٰ ـ، وقال صاحب التحرير: في الكلام اختصار والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما. "النووي في شرح مسلم [٣/ ٦٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري [٣١٢٩] كتاب فرض الخمس، [١٣] باب بركة الغازي في ماله حيّاً وميتاً مع النبي ﷺ وولاة الأمر.

أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفلة دخلت علىٰ الشيخ بلا شك، ثم قال: يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال له إبراهيم إني عقدت مع الله عهداً لا أفسخه، هذا الفتى ولدي تركته صغيراً فارّاً إلىٰ الله، وإني لأستحي أن أعود إلىٰ شيء خرجت عنه، وأنشدوا:

ولا عرضت لي نظرة مذ عرفته ... مدى الدهر إلا كان لي حيث أنظر
أغار علىٰ طرفي له فكأنني ... إذا رام طرفي غيره لست أبصر
أيا منتهى سؤلي وذخري [(١)] وعدتي ... ودادك في قلبي إلىٰ يوم أُحشر

ثم قال لي: امض وسلم عليه لعلي أتسلى بسلامك عليه، وأبرد ناراً علىٰ كبدي، فأتيته وقلت: بارك الله فيك لأبيك، قال: يا عم وأين أبي؟ إنه خرج فاراً إلىٰ الله، ليتني أراه ولو مرة واحدة، وتخرج نفسي عند ذلك، هيهات، وخنقته العبرة، وقال: والله أود لو أني رأيته وأموت في مكاني، ثم بكى وأنشد:

لقد حكم الزمان عليَّ حتى ... يراني في هواك كما تراني
حبيبي إن بعدت فإن قلبي ... علىٰ مرّ الزمان إليك دابي
وإن بعدت ديارك عن دياري ... فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد أسكنت حبك في فؤادي ... مكاناً ليس يعرفه جناني
كأنك قد ختمت علىٰ ضميري ... فغيرك لا يمر علىٰ لساني

ثم رجعت إلىٰ إبراهيم وهو ساجد وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع لله ويقول:

هجرت الخلق طراً [(٢)] في رضاكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما سكن الفؤاد إلىٰ سواكا

قال: فقلت: ادع الله له، فقال: حجبه الله عن معاصيه وأعانه علىٰ ما يرضيه.

الثالثة: عن يوسف بن الحسين قال: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم[(٣)] فخرجت من مكة قاصداً إليه حتىٰ وافيته في جزيرة مصر، فأول ما بصرني

---

(١) ذخر الشيء ذُخراً وذَخراً: جمعه وحفظه لوقت الحاجة إليه.

(٢) طرَّ طرًّا وطروراً: كان طريراً ذا رواء وجمال، والطرَّة ما تتزين به المرأة من الشعر الموفى علىٰ جبهتها بالقص والتصفيف.

(٣) روى أبو داود في سننه [١٤٩٣] عن بريدة أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دعي به أجاب» وفيه برقم [١٤٩٥] عن أنس أنه =

رآني طويل اللحية، وفي يدي ركوة كبيرة متزراً بمئزر، وعلى كتفي مئزر، وفي رجلي (تاسوتة) [١]، فاستشنع منظري، فلما سلمت عليه كأنه ازدراني، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة ناظره شخص، فاستظهر عليه، فقمت وقطعته، ثم دققت حتىٰ لم يفهم كلامي، فعجب مني وأكرمني، فصحبته سنة، فطلبت منه تعليمي الاسم الأعظم فلم يجبني، وأوهم أنه ربما علمني، فلما كان بعد ستة أشهر بعث معي حاجة إلىٰ شخص في طبق عليه (مكبة) [٢] مشدود بمنديل، فاستخففته، فكشفته، فإذا فيه فأرة هربت، فغضبت ثم رجعت، فلما رآني تبسم وقال: يا مجنون؛ ائتمنتك علىٰ فأرة فخنتني، فكيف أأتمنك علىٰ اسمه الأعظم؟ اذهب عني.

الرابعة: عن بعضهم قال: دخلت الخلوة أيام بدايتي، وعاهدت الله أن لا آكل شيئاً إلا بعد أربعين يوماً، فمكثت نيفاً وعشرين، واشتدت بي الفاقة، فخرجت ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في السوق، وإذا بفقير يتمنى رغيف حواري [٣] - أي أبيض - ورطل شوي، ورطل حلوى، فاستثقلته، فحصل ذلك له فأعطانيه، وأمسك بأذني وقال: من هو الثقيل؟ الذي نقض العهد وخرج من الخلوة لأجل الشهوة، أو الذي يطلب من الطيبات المعاش ما يرد عليه القوة والحواس، ثم قال: إن الذي يريد طي الأربعين يطويها علىٰ التدريج وإلا ثار عليه كَلِبَ الجوع وهاج، ثم لا يعود إلىٰ هذا المذهب، وتركني وذهب.

الخامسة: عن بعضهم أنه عقد مع الله عقداً أن لا ينظر إلىٰ مستحسنات الدنيا، فمر يوماً بسوق الصرف، فنظر إلىٰ منطقة [٤] معلقة وأطال النظر فرآه صاحبها، ثم التفت فلم يرها، فأمسكه وقال: أنت سرقتها، وأنت صوفي، فحلفت أني لم آخذ شيئاً، فحمل إلىٰ الأمير وقال: هذا فعال الصالحين؟ فحلفت ثانياً، فقال رجل من الحاضرين: جردوه، فإذا هي في وسطه، فصرخ الأمير وغشي عليه، فلما أفاق أخبره الخبر، ثم ولى وهو يقول:

يـــا عـــدتـــي فـــي شـــدتـــي إن لـــم تـــكـــن أنـــت فـــمـــن

= كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله ﷻ باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

(١) و(٢) كذا بالأصل.

(٣) الحواري: الخالص المنقى من كل عيب.

(٤) المنطقة: ما يشد به الوسط، والنطاق: حزام يشد به الوسط، وإزار تلبسه المرأة تشده علىٰ وسطها أثناء العمل.

ينقذني من الردى [١] يا صاحب الفعل الحسن
طوبى [٢] لمن بات بكم مشرَّداً بلا وطن

السادسة: عن بعضهم قال: كنت بالمصِّيصة، فإذا رجلان يتكلمان في الخلوة مع الله تعالىٰ، فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعال نجعل لهذا العلم ثمرة، ولا يكون حجة علينا، فقال: اعزم ما شئت، قال: عزمت علىٰ أن لا آكل ما لمخلوق مال فيه صنع، قال: فتبعتهما وقلت: أنا معكما، فقالا: علىٰ الشرط؟ قلت: نعم، فصعدا جبل لكام ودلاني علىٰ كهف وقالا لي: تعبد فيه، فدخلت فيه وجعل كل واحد يأتي بما قسم الله، وبقيت مدة فقلت: إلىٰ متى أقيم هنا؟ أنا أسير إلىٰ طرسوس وآكل من حلال، وأعلم الناس العلم وأقرأ القرآن، فخرجت ودخلتها، وأقمت بها سنة، فإذا برجل منهما واقف عليَ يقول: يا فلان خُنت في عهده، ونقضت الميثاق، أما إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك كما وهب لنا، قلت: ما هو؟ قال: ثلاثة أشياء: طي الأرض من المشرق إلىٰ المغرب بقدم واحد، والمشي علىٰ الماء، والحجبة إذا (سا) [٣] ثم احتجب عني فقلت: بالذي وهب لك هذا الحال إلا ما ظهرت لي فقد شوقت قلبي، فظهر وقال: سل، فقلت: هل لي إلىٰ ذلك الحال عودة، فقال: هيهات، لا يؤتمن الخائن، ثم أنشأ يقول:

من ساررو فأبدى السر مشتهراً لم يأمنوه علىٰ الأسرار ما عاشا
وأبعدوه ولم يسعد بقربهم وأبدلوه ما كان الأسر إحياشا
ومن أتاهم فهم لا يحجبوه به حاشا ودادهم حاشاهم حاشا
لكن لهم وبهم في كل نابية إليهم ما بقيت الدهر هشاشا

---

(١) الردى: الهلاك.
(٢) الطوبى: الحسنى والخير، وفي القرآن ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد].
(٣) كذا بالأصل.

مجلس في الاقتصاد في العبادة

ومعناه الشيء يقصد وهو الوسط بين الإفراط والتفريط، والحسنة بين السيئتين، ومنه ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [(١)].

والقصد: العدل، والاقتصاد: الاعتدال فلا غُلُوّ مسطع، ولا تقصير متساهل.

وقد قال ﷺ: «القصد القصد» [(٢)].

قال تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [(٣)].

فنفى كون الشقاء والكد في العبادة مفعولاً من أجله أنزل القرآن الداعي إلىٰ الله وعبادته، وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [(٤)] أي يريد الله بكم اليسر والتخفيف بملة حنيفية سهلة لا إصر [(٥)] ولا أغلال فيها، ولا يريد بكم العسر والمشقة والتعب والشقاء.

أما الأحاديث فنذكر منها اثنا عشر حديثاً:

ومدارها الزجر والتحذير البليغ عن غلو الخوارج المارقين، والترغيب في الاقتصاد المعتدل المُرضي لله، الموصل إلىٰ الله، المسئول في أم القرى ضمن كل صلاة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [(٦)].

الحديث الأول: عن عائشة أنه ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «من هذه؟»

---

(١) سورة لقمان [١٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨/ ١٢٢]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ٥١٤، ٥٣٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٨]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٩/ ٩٧].

(٣) سورة طه [١، ٢]. قال جويبر عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن علىٰ رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه، فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن علىٰ محمد إلا ليشقى، فأنزل الله - تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً.

(٤) سورة البقرة [١٨٥].

(٥) أصر الشيء أصراً: عقده وشده، ولواه وعطفه وحبسه، والإصر: العهد المؤكد الثقيل، وأظنها هي المقصودة في النص.

(٦) سورة النحل [٩].

قال مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩] قال: طريق الحق علىٰ الله، وقال =

قالت: هذه فلانة؛ تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتىٰ تملُّوا[(١)]، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»[(٢)] متفق عليه.

ومه: كلمة زجر ونهي، ومعنى لا يملُّ الله: أي لا يقطع ثوابه عنكم، وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتىٰ تملُّوا فتتركوا، فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم، فمفاسد (الناو)[(٣)] والملل والعجز عن الدوام ونقص الخيرات.

ثانيها: عن أنسٍ ﷺ قال: " جاء ثلاثة رهط إلىٰ أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[(٤)]، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال

= السدي ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩] الإسلام، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩] يقول: وعلى الله البيان، أي يبين الهدى والضلالة، وقول مجاهد أقوى لأنه ـ تعالىٰ ـ أخبر أن ثَمَّ طرقاً تُسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورضيها، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ [النّحل: ٩] أي خائر مائل زائغ عن الحق. "تفسير ابن كثير [٢/ ٥٨٠]".

(١) قال النووي: الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله ـ تعالىٰ ـ فيجب تأويل الحديث، قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المال فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته حتىٰ تقطعوا عملكم، وقيل: معناه لا يمل إذا مللتم، وقاله ابن قتيبة وغيره، وحكاه الخطابي وغيره، وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلىٰ ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً، فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق، فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب، فيفوته خير عظيم. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٣] كتاب الإيمان، [٣٣] باب أحب الدين إلىٰ الله أدومه، ورقم [١١٥١] كتاب التهجد، [١٨] باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٧٨٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣٠] باب فضيلة العمل الدائم من قيام وغيره، وابن ماجه في سننه [٤٢٣٨]، وأحمد في مسنده [٦/ ٥١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٧]، وابن خزيمة في صحيحه [١٢٨٢].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) في عبادة النبي ﷺ روى البخاري في صحيحه [٤٨٣٧] كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، [٢] باب قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾ [الفَتْح: ٢] عن عائشة: " أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه " فقالت عائشة: " لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ " قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً ؟» فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قال فقرأ ثم ركع.

الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي [(١)] فليس مني» [(٢)] " متفق عليه.

وفيه أن مفاسده المروق من الدين، «فمن رغب عن سنتي» وحقَّر أهلها وصيامهم وصلاتهم وعبادتهم مع عبادته فليس مني.

ثالثها: عن ابن مسعود مرفوعاً: «هلك المتنطعون» " قالها ثلاثًا ". أخرجه مسلم [(٣)] وهم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد، فهو مهلك.

رابعها: عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الدين يسر ولن يُشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيء من الدجلة» [(٤)] رواه البخاري.

وفي رواية له: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدجلة، القصد القصد تبلغوا» [(٥)].

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني معناه من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها علىٰ ما هي عليه، أما من ترك النكاح علىٰ الصفة التي يستحب له تركه كما سبق، أو ترك النوم علىٰ الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك فلا يتناوله هذا الذم والنهي. "النووي في شرح مسلم [٩/ ١٥٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠٦٣] كتاب النكاح، [١] باب الترغيب في النكاح لقوله تعالىٰ: ﴿ فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النِّساء: ٣] ، ومسلم في صحيحه [٥ ـ (١٤٠١)] كتاب النكاح، [١] باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٧٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٥]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٢٦١، ٩/ ٣٢٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٦٧٠)] كتاب العلم، [٤] باب هلك المتنطعون، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٢/ ٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٨٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ٢١٦]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٩٥, ٢/ ٢١١].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٩] كتاب الإيمان، [٣٠] باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة»، ورقم [٥٦٧٣] كتاب المرض والطب، [١٩] باب تمني المريض الموت، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٢٤٦]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٦٨]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ١٢١].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٦٣] كتاب الرقاق، [١٨] باب القصد والمداومة علىٰ العمل، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٩]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٥٦٧]، وابن حبان في صحيحه =

قوله: الدين: هو مرفوع على ما لم يسم فاعله، وروي منصوباً، وروي: لن يشاد أحد الدين.

قوله ﷺ: «إلا غلبه» أي غلبه الدين، وعجز ذلك الشادّ عن مقاومة الدين بكثرة، والغدوة: سير أول النهار، والروحة: آخر النهار، والدجلة: آخر الليل.

وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله ـ تعالىٰ ـ بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة، ولا تسأمون فتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب، والله أعلم.

فمن شاء فهو مغلوب عاجز عن مقاومته، منقطع عن مرامه، والمقتصد الواصل.[1]

خامسها: عن أنس رضي الله عنه قال: " دخل رسول الله ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال ﷺ: «حُلُّوه، ليصل أحدُكُم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» "[2] أخرجاه.

والفتور: منفر من القيام ينقص فيه، وعادة أهله الرقاد، وغيره ليس بمشروع لهم، فما لهم وله.

سادسها: عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي

= [١٧٥٥ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٩٢، ٢/ ٢٢٧] ، والقرطبي في تفسيره [١٢/ ٣]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١١٦١].

(١) في الحديث الأول المتقدم في هذا الفصل، وقد رواه مسلم عن عائشة في قوله ﷺ: «عليكم من الأعمال ما تطيقون» قال النووي: أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر، وفي قوله ﷺ: «وإن أحب الأعمال إلىٰ الله ما دووم عليه وإن قل» فيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق ـ سبحانه وتعالى. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٣] طبعة دار الكتب العلمية" .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٥٠] كتاب التهجد، [١٨] باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه [٢١٩ ـ (٧٨٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣١] باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، والنسائي [٣/ ٢١٩ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠١]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٠].

فليرقد حتىٰ يذهب عنه النوم [(١)]؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» [(٢)] أخرجاه.

فالناعس فاقد التميز، فأنى له العبادة، فالسنة زاجرة عن الإفراط.

سابعها: عن جابر بن سمرة قال: " كنت أصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً " أخرجه مسلم [(٣)] أي بين الطول والقصر، فالاقتصاد محمود لأنه الهدي المحمدي المحمود، وكفى بذلك مرغباً.

ثامنها: عن أبي جحيفة: " أنه ﷺ آخا بين سلمان وأبي الدرداء، فزاره سلمان فرأى زوجته مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا " الحديث.

وفيه فقال سلمان: " إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «صدق سلمان» " [(٤)] أخرجه البخاري.

فالقصد هو من أعطى كل ذي حق حقه، وغيره معتد ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ١٨].

---

(١) فيه الحث علىٰ الإقبال علىٰ الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط، وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها، قال القاضي: وحمله مالك وجماعة علىٰ نفل الليل لأنه محل النوم غالباً. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٥] طبعة دار الكتب العلميه".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٢] كتاب الوضوء، [٥٥] باب الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءاً، ومسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (٧٨٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣١] باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، وأبو داود في سننه [١٣١٠]، والترمذي في سننه [٣٥٥]، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٠٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٢٤٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ ـ (٨٦٦)]، ورقم [٤٢] كتاب الجمعة، [١٣] باب تخفيف الصلاة والخطبة، وأبو داود في سننه [١١٠١] كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب علىٰ قوس، وابن ماجه في سننه [١١٠٦] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [٨٥] باب ما جاء في الخطبة يوم الجمعة، وأحمد في مسنده [٥/ ٩٣، ٩٤، ٩٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٨] كتاب الصوم، [٥١] باب من أقسم علىٰ أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ورقم [٦١٣٩] كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، والترمذي في سننه [٢٤١٣] كتاب الزهد، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٣٠٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٧].

تاسعها: عن عبد الله بن عمرو في قصة صلاته وصومه وقراءته وقوله بعد ما كبر: " يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ " أخرجاه [(١)] بطوله.

فالاقتصاد سنة الأكابر المسددين، ومن شدد شُدِّد عليه [(٢)].

عاشرها: عن حنظلة بن ربيع أحد كتَّاب الوحي قال: " لقيني الصدِّيق فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: نكون عند رسول الله ﷺ فيُذكِّرنا بالجنة والنار كأنَّا رأي العين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً [(٣)] قال الصديق: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات. أخرجه مسلم [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٧٥] كتاب الصوم، [٥٥] باب حق الجسم في الصوم، ومسلم في صحيحه [١٨٢ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، وأبو داود في سننه [٢٤٢٧] كتاب الصوم، باب في صوم الدهر تطوعاً، وأحمد في مسنده [٥/ ١٨٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٧٨٦٢].

(٢) قال النووي: في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وجمع مسلم ـ رحمه الله ـ طرفه فأتقنها، وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، واختلف العلماء فيه؛ فذهب أهل الظاهر إلى منع صيام الدهر نظراً لظواهر الأحاديث، قال القاضي وغيره: وذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها، وهي العيدين والتشريق. "النووي في شرح مسلم [٨/ ٣٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قوله: " عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات " هو بالفاء والسين المهملة، قال الهروي وغيره: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، والضيعات جمع ضيعة بالضاد المعجمة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة، وروى الخطابي هذا الحرف: عانسنا بالنون، قال: ومعناه لاعبنا، ورواه ابن قتيبة بالسين المعجمة قال: ومعناه عانقنا، الأول هو المعروف وهو أعم. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٧٥٠)] كتاب التوبة، [٣] باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، وقال النووي: قوله: " نافق حنظلة " معناه أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، وساعة وساعة: أي ساعة =

(...............) [١] للبر والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون الملائكة الكرام، لكن نومتنا محسوبة كقومتنا، فزدنا عليهم هذا التنويع من الخير بإذن السميع العليم.

الحادي عشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» [٢] أخرجه البخاري. فالاستدراك إنما هو في المشروع، وغيره مردود ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

= كذا وساعة كذا. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) كلمات غير واضحة نحو ثلاث كلمات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٠٤] كتاب الأيمان والنذور، [٣١] باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٧٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٢٤]، والدارقطني في سننه [٤/ ١٦١]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤/ ١٨٧].

مجلس في المحافظة على الأعمال

ومعناه الحفظ والمراقبة من غير تضيع ولا تعريض له، ولا تغافل عن مضيع ولا تهاون في استرداد ما ضاع.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] الآية[2].

وقال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[3].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[4].

وقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[5].

في الآية الأولى النهي عن التشبه بأهل القلوب القاسية، وفي الثانية: بالضلال،

---

(١) سورة الحديد [١٦]. يقول تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، قال ابن المبارك: حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس أنه قال: "إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. "تفسير ابن كثير [٤/ ٣١٠]".

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٣٠٢٧)] كتاب التفسير، [١] باب في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] عن ابن مسعود قال: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين".

(٣) سورة الحديد [٢٧]. هو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [الحديد: ٢٧] وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق، وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها أمة النصارى وما شرعناها لهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي فما قاموا بما التزموه. "تفسير ابن كثير [٤/ ٣١٥]".

(٤) سورة النحل [٩٢].

(٥) سورة الحجر [٩٩]. روى البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] قال سالم ـ وهو سالم بن عبد الله بن عمر: اليقين: الموت، وقال ابن كثير: ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله كما ثبت في الصحيح عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». "تفسير ابن كثير [٢/ ٥٧٧]".

وفي الثالثة بالحمق، وفي الآخرة الختم بالدوام علىٰ العبادة حتىٰ الممات، وهو صفة بعد الانتهاء عما سلف من الملامات.

ونذكر من الأحاديث أربعة:

ومدارها علىٰ بيان حكم المحافظة، وإن فاته بعد اجتهاده، وحكم من فوَّت العمل لتهاون أو عذر.

أولها: الحديث السالف في الباب، وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه، فمن قام بالعمل له البشرى بأحب الدين إلىٰ الله ورسوله.

ثانيها: عن عمر مرفوعاً: «من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل» (١) أخرجه مسلم.

فمن فاته العمل بنوم ونحوه من الأعذار، إذا بادر إليه كتب له كالأداء بفضل الجبار.

ثالثها: عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فتركه» (٢) أخرجاه، والتفاوت تهاوناً من النهار، إذ فيه تفويت للأعمال الزكيَّات.

رابعها: عن عائشة: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" (٣) أخرجه مسلم، فَيُتَأَسَى به في ذلك، فإنه النهل العذب لنواله في ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٢ ـ (٧٤٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٨] باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، وأبو داود في سننه [١٣١٣] كتاب الصلاة، باب من نام عن حزبه، والترمذي في سننه [٥٨١] في الصلاة، باب ما ذكر فيمن فاته حزبه من الليل فقضاه بالنهار، والنسائي [٣/ ٢٥٩، ٢٦٠ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [١٣٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٤، ٤٨٥]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٣٢٦]، والشجري في أماليه [١/ ٢٢١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٥٢] كتاب التهجد، [١٩] باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل يوم وإفطار يوم، والنسائي [٣/ ٢٥٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [١٣٣١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٤]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٢٩]، والشجري في أماليه [١/ ٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٠ ـ (٧٤٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٨] باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، وأحمد في مسنده [٦/ ٩٥، ٢٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٥].

مجلس في الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (١) أي لأنه ما نطق عن الهوى، فيرد إليه عند التنازع، فإن طاعته من طاعته، فإنه هادٍ بأحكامه وأوامره إلىٰ الصراط الأقوم؛ صراط الله، فليحذر المخالف، وليشكر الموالف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ (٢).

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٣)

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٤)

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ (٥) الآية.

وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (٦) الآية، أي إلىٰ الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الحشر [٧].
أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، وروى البخاري في صحيحه [٤٨٨٦] كتاب تفسير القرآن، سورة الحشر، [٣] باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] عن عبد الله بن مسعود قال: " لعن الله الواشمات والموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: " وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، فقال: " لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ؛ أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] " قالت: بلى، قال: " فإنه قد نهى عنه "، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: " فاذهبي فانظري " فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً، فقال: " لو كانت كذلك ما جامعتنا ".

(٢) سورة النجم [٣].
(٣) سورة آل عمران [٣١].
(٤) سورة الأحزاب [٢١].
(٥) سورة النساء [٦٥]. يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. "تفسير ابن كثير [١/ ٥٢٠]".
(٦) سورة النساء [٥٩].

وقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١)

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾ (٣) الآية.

وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ﴾ (٤) الآية. والآيات فيه كثيرة.

ولنذكر من الأحاديث اثنا عشر:

ومدارها على الإغرار والتحذير والإرشاد، فيرغب في المحافظة، ويحذر من الإضاعة.

فنذكر خواص المحافظة وتركها، وذكر عاقبتها، والتلويح إلى أساس السنة وأهلها، والرمز إلى أصل المتأهل للحفظ، والإضاعة حكمها أجلاً وحقاً، والإشارة إلى ما يستحقه الروافض، والحفاظ من هجره ووداده.

الحديث الأول: عن أبي هريرة مرفوعاً: «دعوني ما تركتكم؛ إنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (٥) أخرجاه.

فالاختلاف على الأنبياء من المهلكات، والوفاق إذاً من المنجيات.

ثانيها: عن العرباض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ

---

(١) سورة النساء [٨٠].

(٢) سورة الشورى [٥٢].

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣]، أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. "تفسير ابن كثير [٣/٣١٦]".

(٤) سورة الأحزاب [٣٤]. قال ابن جرير: واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك واحمدنه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي ذا لطف بكنَّ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله، والحكمة هي السنة، ﴿خَبِيرًا﴾ بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً، وقال قتادة: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] قال: يمتن عليهن بذلك. "تفسير ابن كثير [٣/٥٠٣]".

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٢٨٨] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [٢] باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٣٠ - (١٣٣٧)] كتاب الفضائل، [٣٧] باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، وأحمد في مسنده [٢/٢٤٧، ٣٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١/٢١٥]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/٥٧٩]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/١٥٨].

منها القلوب وذرفت منها العيون [١]، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» [٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

النواجذ: بالذال المعجمة الأنياب، وقيل: الأضراس، فلزوم السُّنَّة والعض عليها بالنواجذ مُخرِج من الفتنة والظلمة والضلالة، وغيرها من المحدثات والبدع تدخل في الظلمة والجهالة.

ثالثها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [٣] أخرجه البخاري.

فعاقبة المحافظة على طاعة الرسول يورث الجنة، وعاقبة غيره حرمانها، نعوذ بالله من المحنة.

رابعها: حديث سلمة بن الأكوع: "أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه" [٤] أخرجه مسلم.

فعاقبة الممتنع منها كبراً ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [٥] ذوق وبال أمره، وكان

---

(١) ذرفت منها العيون: سالت الدموع. ووجلت منها القلوب: أي خافت.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٠٧] كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي [٢٦٧٦] كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسنده [٤/ ١٢٦، ١٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١١٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ٩٦، ٩٧]، وابن حبان في صحيحه [١٠٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٧٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٢٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٢٨٠] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [٢] باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٥، ٤/ ٢٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٣]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٢٩٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٠٢١)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٥]، والدارمي في سننه [٢/ ٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ١٥].

(٥) سورة القيامة [١٥].

عاقبة أمره خسرا.

خامسها: حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «لَتُسوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم»(١) أخرجاه.

وفيه عاقبة المتهاون بالسنَّة سوء ذات البين والمخالفة بين الوجوه، ففيه والحديثين قبله بيان العاقبة دنيا وأخرى.

سادسها: حديث أبي موسى قال: " احترق بيتٌ علىٰ أهله من الليل، فلما حُدِّث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: «إن هذه النار عدوكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم»"(٢) أخرجاه.

فأساس السنة وأصلها أعظم نصيحة وأشد رحمة، وأبلغ بيان لكل عدو مؤذ من نار الدنيا(٣) والأخرى فأنى يصرف عنها اللبيب.

سابعها: عنه مرفوعاً: «إن مثل ما بعثني الله من الهدى كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله - تعالىٰ - ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يدفه بذلك رأساً ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرسلت به»(٤) أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١٧] كتاب الأذان، [٧١] باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، ومسلم في صحيحه [١٢٧ - (٤٣٦)]، [١٢٨] كتاب الصلاة، [٢٨] باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام علىٰ الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، وأبو داود في سننه [٦٦٣]، والترمذي [٢٢٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٧١، ٢٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٢١، ٣/ ١٠٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٤] كتاب الاستئذان، [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ومسلم في صحيحه [١٠١ - (٢٠١٦)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب.

(٣) قال النووي في أمره ﷺ في إطفاء النار حين النوم: هذا عام تدخل فيه نار السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بها لانتفاء العلة؛ لأن النبي ﷺ علل الأمر بالإطفاء في الحديث السابق بأن الفويسقة تضرم علىٰ أهل البيت بيتهم، فإذا انتفت العلة زال المنع. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٥٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٩] كتاب العلم، [٢١] باب فضل من علم وعلَّم، ومسلم في =

فالسنة غيث والقلوب أراضيه، فالطيب الأصل يقبل ويثبت، والمقارب يحبط ويمسك، والخبيث الأصل ضد ذلك، فطوبى لمن جبل على الخير، ويسر له وحفظه من الغير.

ثامنها: حديث جابر مرفوعاً: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها (١) وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلّتون من يدي» (٢) أخرجه مسلم.

والجنادب: نحو الجراد والفراش المعروف الذي يقع في النار، والحجز: جمع حجزة، وهي وقعد الإزار والسراويل، والسنَّة مانعة من مواقعة النار بالعقلاء، ومن هو كالفراش ينفلت من يدها، ويحرق نفسه.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ (٣) فهذا الحديث والذي قبله لبيان الأصل النفيس والخسيس قلباً وعقلاً، والبعد حينئذ إلى كل أحد فطنة وغفلة على قدر محافظته وتهاونه.

تاسعها: حديثه أيضاً: " أمر رسول الله ﷺ بلعق الأصابع والصحفة وقال: «إنكم لا تدرون في أيّه البركة» " (٤) أخرجه مسلم.

= صحيحه [١٥ ـ (٢٢٨٢)] كتاب الفضائل، [٥] باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٩]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٤٣٧]، وابن كثير في تفسيره [٤/ ٣٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩].

(١) قوله: «فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها»: أما الفراش فقال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، وقال غيره: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار، وأما الجنادب فجمع جندب، وفيها ثلاث لغات: جُندُب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما، والثالثة حكاه القاضي بكسر الجيم وفتح الدال، والجنادب هذا الصرار الذي يشبه الجراد، وقال أبو حاتم: الجندب على خلقة الجراد ؛ له أربعة أجنحة كالجرادة، وأصغر منها يطير ويَصِرُّ بالليل صَرّاً شديداً، وقيل غيره. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩ ـ (٢٢٨٥)] كتاب الفضائل، [٦] باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤٥٣]، والبيهقي في دلائل النبوة [١/ ٣٦٧]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٥٩١]، والقرطبي في تفسيره [٥/ ١٦٥]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٤/ ١٠٤، ٢١٠].

(٣) سورة الزمر [٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٧، ٢٩٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٨]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٣١].

وفي رواية: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، فليأكلها ولا يدعها للشيطان» (١) فالخلق عقولهم قاصرة عن دراية ما فيه الخير والبركات، وما فيه حظ الشيطان والشر والهلكات، وإذا كانت المصالح والمفاسد بهذه الدقة والخفاء فلا أدري إلا الاعتصام بسنَّة السادة الأنبياء المأخوذة من رب العالمين والسماء ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

العاشرة: حديث ابن عباس: " قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس تحشرون إلىٰ الله - تعالىٰ - حفاة عراة غرلا (٣) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٤)، وأول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ﷺ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥).

فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم» (٦) أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ - (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٢٢٠]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٥].

(٢) سورة النور [١٩].

(٣) قال النووي: الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين، جمع أغرل وهو الذي لم يختتن وبقيت معه غرلته وهي قلفته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان، قال الأزهري وغيره: هو الأغرل والأرغل والأغلف بالغين المعجمة في الثلاثة، والأقلف والأعرم بالعين المهملة، وجمعه غرل ورغل وغلف وقلف وعرم، والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتىٰ الغرلة تكون معهم. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) سورة الأنبياء [١٠٤].

(٥) سورة المائدة [١١٧، ١١٨].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣٤٩] كتاب أحاديث الأنبياء، [٩] باب قول الله - تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، ورقم [٣٤٤٧] [٥٠] باب ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، ورقم [٤٦٢٥] كتاب تفسير القرآن، [١٤] باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧ الآية، ورقم [٤٦٢٦]، [١٥] باب قوله ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨]، ورقم [٤٧٤٠] من سورة الأنبياء، [١] باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ورقمي [٦٥٢٥، ٦٥٢٦] كتاب الرقاق، [٤٥] باب كيف =

غرلاً: غير مختونين، وفيه أن المسألة قد تخرج وصاحبها لا يدري له فيه حكمها وعدم عصمتها، فهذا الحديث والذي قبله يسوغ حكمها جلاء في الواضحات، وخفاء في كثرتها، فطوبى لمن حافظ على كلها.

الحديث الحادي عشر: حديث عبد الله بن مغفل: " نهى رسول الله ﷺ عن الحذف، وقال: «إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو، وإنه يفقأ العين، ويكسر السِّنَّ»[(١)] أخرجاه.

وفي رواية: "أن قريباً لابن مغفل حذف، فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تحذف لا أكلمك".

وفيه: استحقاق المتهاون بعد العلم بالسنة وبحكمها لأن يهجر فلا يُكلَّم أبداً.

الحديث الثاني عشر: حديث عابس بن ربيعة قال: " رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر - يعني الأسود - ويقول: إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك "[(٢)] أخرجاه[(٣)].

= الحشر، ومسلم في صحيحه [٥٨ - (٢٨٦٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٤] باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي [٤/ ١١٤ - المجتبى]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ١١٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/٣٤٩]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١٠/٤٥٦]، وابن حبان في صحيحه [٢٥٧٦ - الموارد].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٤٧٩] كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، [٥] باب الخذف والبندقة، ومسلم في صحيحه [٥٤ - (١٩٥٤)، ٥٥، ٥٦] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٠] باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف.

(٢) هذا الحديث فيه فوائد منها استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف بعد استلامه وكذا يستحب السجود على الحجر أيضاً بأن يضع جبهته عليه فيستحب أن يستلمه ثم يقبله ثم يضع جبهته عليه، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وحكاه ابن المنذر عن عمر وابن عباس وطاوس والشافعي وأحمد، وانفرد مالك عن العلماء فقال: السجود عليه بدعة، واعترف القاضي عياض المالكي بشذوذ مالك في هذه المسألة عن العلماء، وأما قول عمر رضي الله عنه: "لقد علمت أنك حجر وإني لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع"، فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله، وإنما قال: "وإنك لا تضر ولا تنفع" لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار تعظيماً ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريباً بذلك، فخاف عمر أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه، فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته. "
النووي في شرح مسلم [٩/ ١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٦١٠] كتاب الحج، [٦٠] باب تقبيل الحجر، ومسلم في صحيحه [٢٤٨ - (١٢٧٠)] كتاب الحج [٤١] باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، =

واعلم أن ما ذكرناه من الأحاديث مدارها علىٰ المُرضي لله، الموصل إلىٰ الله، المسؤول في أم القرى ضمن كل صلاة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩].

علىٰ مهيمن: الإغراء والتحذير والبيان والإرشاد وفي المهم الأول: ست تنبيهات: ترغب في المحافظة علىٰ السنة، وترهب من إضاعتها، وذكر خواص المحافظة وعاقبتها، والتلويح إلىٰ أساس السنة وأهلها، والرمز إلىٰ أصل المتأهل للحفظ والإضاعة، وحكمتها جلاء وخفاء والإشارة إلىٰ ما تستحقه الروافض، والحافظ من هجر ووداد.

وفي المهم الثاني: بيان جملة من السنن المباركة المهمة النافعة، فمنها: مجالسة الكبراء، كما في حديث البيهقي، وذلك بأمور: أحدها: ترك السؤال الصادر عما لعله أهم للسامع، وثانيها: حسن الموافقة في كل قول وفعل وإرادة، وثالثها: مقابلة الأوامر والأخبار بالسمع والطاعة، والإيمان والتصديق لا بالعلم والرأي، وهي واضحة من الحديث الأول.

ومنها إفادة الكبير للمريدين بالمواعظ المؤثرة، وبالوصايا النافعة لاسيما إذا طلبت بصدق وبالإشارات المهمة كما في الحديث الثاني.

وفيه أيضاً حسن الاستفادة بأربعة أمور: الإقبال بالفهم والقلب كله علىٰ الكثير، وسؤال الوصية والعض بالنواجذ [(١)] علىٰ الطريق المرضية، وتجنب ما خالف ذلك، والحذر منه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [(٢)]، ومنها ثلاثة أمور: التحذير الأبلغ مما يخالف بداية العقول علىٰ وجه من التغيير بدفع، والمراجعة فيما لا ينفهم حتىٰ ينفهم، وأخذ الحذر مما حذّر منه الناصح فلا يُعصى بشيء من أوامره البتة.

ومنها: الاحتفال بالأكل باليمين والأمر به لمن يتركه، وقبول النصح والبدار إليه، وترك الكبرياء فإنه مُهلك، وترك النفاق، فلا خير في شيء منه، وتحرِّي الصدق في الاعتذار وغيره ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [(٣)] وتغيير حذر سطوة

= والترمذي في سننه [٨٦٠] كتاب الحج، باب ما جاء في تقبيل الحجر، وأبو داود في سننه [١٨٧٣] في المناسك، باب تقبيل الحجر.

(١) الناجذ: الضرس، جمعها نواجذ، ويقال: ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ناجذ: استغرق في الضحك.

(٢) سورة يونس [٣٢].
قوله تعالىٰ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يُونس: ٣٢] أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن ينفرد بالعبادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: ٣٢] أي فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو واحد لا شريك له. «تفسير ابن كثير [٢/ ٤٢٥]».

(٣) سورة النحل [١٠٥].

الأكابر، وتغيير قلوبهم ودعائهم كما في الحديث الرابع.

ومنها: الاهتمام بآداب ثمانية؛ تسوية الصفوف، ولاسيما للإمام، وأمر المتهاونين فيها به، وترك المواجهة بالموعظة، وتحسين القول كقوله: عباد الله، ولم يقل أيُّها المسيئون.

والاحتفال بالإرشاد وتكريره حتىٰ يرى أن قد عُقِلَ، وإنذار المتعرض للهلاك بجهله، وإيضاحه له، وأخذ الحذر من الشقاق، وتخالف الوجوه، وترك احتقار شيء من السببين فيجبه من الخير ما لا يوصف كما هو جلي من الحديث الخامس.

ومنها: إطفاء النار عند النوم وأن يُؤْخَذَ العبرة مما يتحدث به شأن الناس.

ومنها: التنبيه بضرب الأمثال، ولها فوائد جليلة، فليعنى به الألباء ويتيقن الهدى، والعلم غيب يحيي الله به القلوب، فليحرص علىٰ التفقه فيه الناصح لنفسه معظماً لنعمة الله ـ تعالىٰ ـ به، وأن التعليم بعد العلم مهم كالمراعي، وأن الرواية خير كثير فليحمل العلم من كل خلف عدوله كالاجادر [١].

وليبك علىٰ نفسه المحروم من كل دراية ورواية ورعاية فإنه قيعان، ومنها إرغام الشيطان بلعق الأصبع والقصعة [٢] وأكل المتناثر، وإطابة المطاعم حسّاً ومعنى.

ومنه إماطة الأذى عن المأكول والمشروب، والتبرك باستعمال أقوال الصالحين، وترك الحذف، وتقبيل الحجر الأسود، ولا يخفى الفهم بعد ذلك ما يستنبط منه أو يُستزاد، ويؤخذ منه، وبالله الإعانة والتسديد.

فصل في وجوب الانقياد لحكم الله ـ تعالىٰ ـ وما يقوله من دعي إلىٰ ذلك وأمر بمعروف أو نهى عن منكر

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [٣] الآية [٤]

---

(١) الجدر: النبت، طلعت رؤوسه أول الربيع.

(٢) قال النووي فيما رواه مسلم من أحاديث باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وقد تقدم بعضها: في هذه الأحاديث أنواع من سنن الأكل منها: استحباب لعق اليد محافظة علىٰ بركة الطعام وتنظيفاً لها واستحباب الأكل بثلاث أصابع، ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر بأن يكون مرقاً وغيره مما لا يمكن بثلاث وغير ذلك من الأعذار، واستحباب لعق القصعة وغيرها واستحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع علىٰ موضع نجس، فإن وقعت علىٰ موضع نجس تنجست، ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيواناً، ولا يتركها للشيطان، ومنها إثبات الشياطين وأنهم يأكلون. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٧٢، ١٧٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) سورة النساء [٦٥].

(٤) روى البخاري في صحيحه [٤٥٨٥] كتاب تفسير القرآن، [١١] باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ =

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١) الآية.

ومعنى الحكم التدبير الشامل للكونيات والدينيات التكليفية والجزائية، حسية وخلقية، ولا شك أن الإنسان إن خاصم أولاً فله التحكيم، وإلا فالطواعية.

وفيه من الأحاديث حديث أبي هريرة المذكور في أول الفصل قبله، وغيره من الأحاديث.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: " لما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية، اشتد ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا علىٰ الركب فقالوا (٢): أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما فعلوا ذلك نسخها (٣)، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾

= ﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] من سورة النساء، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلىٰ جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله إنْ كان ابن عمتك ؟ فتلوَّن وجهه ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر، ثم أرسل الماء إلىٰ جارك» واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) سورة النور [٥١].

(٢) قال الإمام أبو عبد الله المازري ـ رحمه الله: يحتمل أن يكون إشفاقهم وقولهم لا نطيقها لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم علىٰ دفعه من الخواطر التي لا تكتسب، فلهذا رأوه من قبيل ما لا يطاق، وعندنا أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، واختلف هل وقع التعبد به في الشريعة أم لا، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [٢/١٢٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) معنى أمر النبي ﷺ لهم بالإيمان والسمع والطاعة لما أعلمهم الله ـ تعالىٰ ـ من مؤاخذته إياهم، فلما فعلوا ذلك وألقى الله ـ تعالىٰ ـ الإيمان في قلوبهم وذلت بالاستسلام لذلك ألسنتهم كما نص عليه في هذا الحديث، رفع الحرج عنهم ونسخ هذا التكليف، وطريق علم النسخ إنما هو بالخبر عنه أو بالتاريخ، وهما مجتمعان في هذه الآية، قال القاضي: وقول المازري: إنما يكون نسخاً إذا تعذر البناء، كلام صحيح فيما لم يرد فيه النص بالنسخ، فإن ورد وقفنا عنده. "النووي في شرح مسلم [٢/١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية".

[البَقَرَة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] الآية، قال: «نعم»[1]. ومدار الحديث على تعظيم أمر الله بنحو ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] شق أو لم يشق، من وسط القلب، والرفق بالنفس بسؤال التخفيف بنحو ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] [2]، وأن تقرن عندها ما يهون عليه التحمل، لو لم يخفف عنها شيء بنحو ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

فالآية الشريفة اشتدت على المؤمنين، فلولا يقينهم وإيمانهم بالله واليوم الآخر، لما ألقوا لذلك بالاً. ولولا مراقبتهم لأنفسهم وعلمهم حالها، وبضعفهم عن مثلها، لما ثبتوا لمشقتها عليهم، ولمَّا شقت الآية عليهم أتوا رسول الله ﷺ فتلا عليهم ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشّرح: ٦] [3]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [4] لما سمعوا تيسير ذلك، ولولا حسن ظنهم بالله ورسوله لكتموا ما بهم عنها وبركوا على الركب استرحاما لله، وذكروا قصتهم، فلولا إخلاص قلوبهم لتظاهروا بغير ما فيها، ولولا مناصحتهم لله ولرسوله لَشَكَوْا همَّهم لغيرهما، ولولا إجلالهم للرب - جل جلاله - لانطلقت ألسنتهم بأكثر من مجرد القصد، واستضعاف أهل الطريق منزلة الخوف والرجاء له موضع يخاض فيه، وكان الشارع أعلم بالمؤمنين لسعة ذلك عليهم، ولكن مهمته ببادئ الحال، ولمَّا تعلقوا أغاثهم بترك التوقف لهم، وذكر أنهم معذورون، أو أنه يسأل الله لهم أو نحو ذلك [5]، وصرفه لهم عن كل وجهة مبيناً أن جميع ما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٩ - (١٢٥)] كتاب الإيمان، [٥٧] باب بيان أنه - سبحانه وتعالى - لم يكلف إلا ما يطاق، وأحمد في مسنده [٢/ ٤١٢]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٧٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٧٤].

(٢) ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] سؤال للمغفرة والرحمة واللطف، ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] أي المرجع والمآب يوم الحساب، قال ابن جرير بسنده عن جابر: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] الآية، قال جبريل: إن الله أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] "تفسير ابن كثير [١/ ٣٤٢]".

(٣) قال البخاري في تفسير سورة ألم نشرح في صحيحه في كتاب التفسير: قال مجاهد: "وزرك" في الجاهلية "أنقض": أثقل، "مع العسر يسراً": قال ابن عيينة: أي مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ ولن يغلب عسر يسرين، وقال مجاهد: "فانصب" في حاجتك إلى ربك، ويذكر عن ابن عباس ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشّرح: ١] شرح الله صدره للإسلام.

(٤) سورة الطلاق [٢].

(٥) اختلف الناس في هذه الآية فأكثر المفسرين من الصحابة ومَنْ بعدهم على ما تقدم فيها من النسخ =

يحاول، فإنما هو حال أهل الغضب والضلال، ولما علموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه أرشدهم لما أرشدهم إليه، فأعظم به رسولاً وهادياً، فأزال الله ـ تعالىٰ ـ انقباضهم ببسط موجه لهم حيث قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] الآية، وسارع في رضاهم، فأزال ما شق عليهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦][1] فأبهجهم بإجابة أدعيتهم ناجزاً معقباً كل واحد بنعم، فليبشر المنقاد لحكم الله، لما يرغب عاجلاً أو آجلاً.

جزى الله يوم الروع خيراً فإنه أرانا علىٰ علاته أم سالم

فصل في إجراء الناس علىٰ الظاهر وسرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾[2] يأمر بتخلية المعقود له علىٰ مرصد، إذا فعل ذلك.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله

= وأنكره بعض المتأخرين، قال: لأنه خبر ولا يدخل النسخ الأخبار، وليس كما قال هذا المتأخر، فإنه وإن كان خبراً فهو خبر عن تكليف ومؤاخذة بما تكن النفوس والتعبد بما أمرهم النبي ﷺ في الحديث بذلك، وأن يقولوا سمعنا وأطعنا، وهذه أقوال وأعمال اللسان والقلب، ثم نسخ ذلك عنهم برفع الحرج والمؤاخذة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه ـ تعالىٰ ـ بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤] أي هو وإن حاسب وسأل، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٤٢]".

(٢) سورة التوبة [٥].

قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، وروى البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها؛ لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم».

تعالىٰ» [(١)].

ورويناه في صحيح مسلم من حديث طارق بن أشيم [(٢)] مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله، حُرِّم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله» [(٣)]

وفيه وما قبله عصمة دم ومال من أسلم، وترك قتاله حكمنا ظاهر إيمانه، وما يفعله من مباني الإسلام [(٤)].

وقوله: «وحسابهم علىٰ الله» تصريح بأن الغيب لله، والظاهر هو الذي يعتمده البشر ليس إلا، ولإيراد هذا الحديث بعد الأول فوائد: أحدها: إيضاح أنه لا فرق بين مقاتل وسالم في ذلك.

ثانيها: بيان أن القول هو المراد بالشهادة المذكورة في الأول.

ثالثها: إن عصمة الدم والمال علىٰ سبيل التحريم المحتم.

رابعها: أنه عصمة منه ـ عليه السلام ـ ومن كل أحد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥] كتاب الإيمان، [١٧] باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ومسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٢)] كتاب الإيمان، [٨] باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.....، وأبو داود [١٥٥٦، ٢٦٤٠]، والترمذي [٢٦٠٦، ٢٦٠٧]، والنسائي [٧/ ٧٧، ٧٨ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٣٩٢٧، ٣٩٢٨].

(٢) طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي والد أبي مالك سعد بن طارق، صحابي له أحاديث، أخرج له البخاري في الأدب، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه. ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٢]، تقريب التهذيب [١/ ٣٧٦]، والكاشف [٢/ ٤٠]، أسد الغابة [٣/ ٦٩]، الإصابة [٣/ ٥٠٧]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٣٨٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٣)] كتاب الإيمان، [٨] باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.....، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٨١]، والزيلعي في نصب الراية [٣/ ٣٨٠].

(٤) قال النووي: اعلم أن هذا الحديث بطرقه مشتمل علىٰ أنواع من العلوم وجمل من القواعد، ثم ذكرها النووي ومنها: أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ، وقد جمع ذلك ﷺ بقوله: «أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وما جئت به»، وفيه: وجوب الجهاد، وفيه: صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف، وفيه: أن الأحكام تجري علىٰ الظاهر، والله ـ تعالىٰ ـ يتولى السرائر، وفيه: جواز القياس والعمل به، وفيه: وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيراً، وفيه: وجوب قتال أهل البغي، وفيه: وجوب الزكاة في السخال، وفيه: قبول توبة الزنديق. "مختصراً من شرح مسلم للإمام النووي [١/ ١٨٨، ١٨٩] طبعة دار الكتب العلمية".

وفي الحديثين بيان الأسباب، والمحل إما محل الحكم، والظاهر بالدنيا فقط، وأما الآخرة، فمدار الحقائق كما يشعر به قوله: «وحسابهم على الله».

وأما الأسباب فمنها: الاستصحاب كما في قوله: «أُمرت أن أقاتل» أي لأن الأصل عدم إيمانهم.

ومنها: إخبار العالم كما في ضميره الذي لا يعلم ما فيه إلا من جهته كما في قوله: «حتى يقولوا أو يشهدوا».

ومنها: اعتناء من أُمر بأعمال هي زاده ليوم مَعَاده بحيث يشق تضييع مثلها، فالتهاون في شرط أو فرض منها، كما في قوله: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة».

وروينا في الصحيحين من حديث أبي معبد مقداد بن الأسود [١] قال: قلت لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال» [٢].

معناه أنه معصوم الدم، محكوم بإسلامه، وأنت مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر.

وفيه ذكر بعض ما يصرف الناس عن الحكم بالظاهر وهو شهوة الانتقام المشعر به قوله: قطع إحدى يديه، ثم قال ذلك بعد ما قطعها.

وقوله: «وإنك بمنزلته قبل أن يقولها» [٣] أبلغ منقد وزاجر عن إلغاء قوله

---

(١) المقداد بن عمرو بن الأسود الكندي وكان حليفاً لبني زهرة، وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، فالمقداد هذا هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، هذا نسبه الحقيقي، وكان الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة قد تبناه في الجاهلية، فنسب إليه وصار به أشهر وأعرف، وكان المقداد رضي الله عنه من أول من أسلم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة منهم: المقداد، وهاجر إلى الحبشة، يكنى بأبي الأسود وقيل أبا عمرو، وقيل أبا معبد، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٦٥] كتاب الديات، مقدمته باب [١]، ومسلم في صحيحه [١٥٥ ـ (٩٥)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وأبو داود [٢٦٤٤]، وأحمد في مسنده [٦/ ٤، ٦/ ١٩٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٢/ ٣٧٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٤٩]، والألباني في إرواء الغليل [٨/ ١٣٦].

(٣) قال النووي: اختلف في معناه، فأحسن ما قيل فيه، وأظهره ما قاله الإمام الشافعي وابن القصار المالكي وغيرهما أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قوله لا إله إلا الله، قال ابن =

الذي هو مظنة إيمانه.

وروينا فيهما من حديث أسامة بن زيد ﷺ قال: " بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ الحُرقة من جهينة، فصبحنا القوم علىٰ مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتىٰ قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم "[(١)].

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا» فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ[(٢)]، ومعنى مُتعوِّذاً: معتصماً بها من القتل، لا معتقداً لها.

وفيه ذكر ما يصرف عنه وهي أنه قالها متعوذاً خوفاً من السلاح، وبيان حكمة الحكم بالظاهر، وهي سلامة مهجة الصادق كما يشير إليه قوله: «حتى تعلم أقالها خوفاً من السلاح أم لا».

وفيه أيضاً بيان سبب مشروعية الحكم بالظاهر، وهو قصور السر عن الاطلاع

= القصار: يعني لولا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٩١] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٧٢] كتاب الديات، [٢] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المَائدة: ٣٢]، ومسلم في صحيحه [١٥٩ ـ (٩٦)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، وأحمد بن حنبل في مسنده [٥/ ٢٠٠]. قوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا» الفاعل في قوله: «أقالها» هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلىٰ معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان وقال: «أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت علىٰ اللسان فحسب، يعني وأنت لست بقادر علىٰ هذا فاقتصر علىٰ اللسان فحسب، يعني ولا تطلب غيره. وقوله: حتىٰ تمنيتُ أني أسلمت يومئذ، معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو ما تقدم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٨٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٨ ـ (٩٦)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، وأبو داود في سننه [٢٦٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٩، ١٩٢]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٠٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/ ١٢٢]، وابن عبد البر في التمهيد [١٠/ ١٦١].

علىٰ حقائق الأمور كما يشعر به قوله: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم».

وروينا في صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله [(١)] ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلىٰ قوم من المشركين، وأنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلىٰ رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته - قال: وكنا نحدِّث أنه أسامة بن زيد - فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، فجاء البشير إلىٰ النبي ﷺ فسأله، فأخبره، حتىٰ أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «لم قتلته؟» قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً - وسمى له نفراً - وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «أقتلته؟» قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله استغفر لي[(٢)]، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيده علىٰ أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» [(٣)].

وفيه ذكر ما يصرف عنه من غيره الإسلام، وحدَّة حميَّته لأهل دينه، كما يشعر قوله: «أوجع وقتل من المسلمين» كما يشعر به قوله: وإني حملت عليه، والتهمة المشعرة بها قوله: فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله [(٤)].

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله أبو سفيان البجلي العلقي الأحمسي، صحابي أخرج له أصحاب الكتب الستة. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢/ ١١٧]، تقريب التهذيب [١/ ١٣٤، ١٣٥]، الكاشف [١/ ٨٨]، تاريخ البخاري الكبير [٢/ ٢٢١]، الجرح والتعديل [٢/ ٢١٠٢]، أسد الغابة [١/ ٣٦١] تجريد أسماء الصحابة [١/ ٩١]، الإصابة [١/ ٥٠٨]، الوافي بالوفيات [١١/ ١٩٣]، سير الأعلام [٣/ ١٧٤]، الثقات [٣/ ٥٦].

(٢) أما كونه ﷺ لم يوجب علىٰ أسامة قصاصاً ولا دية ولا كفارة، فقد يستدل به لإسقاط الجميع، ولكن الكفارة واجبة والقصاص ساقط للشبهة ؛ فإنه ظنه كافراً، وظن أن إظهاره كلمة التوحيد في هذا الحال لا يجعله مسلماً، وفي وجوب الدية قولان للشافعي، وقال بكل واحد منهما بعض من العلماء، ويجاب عن عدم ذكر الكفارة بأنها ليست علىٰ الفور، بل هي علىٰ التراخي، وتأخير البيان إلىٰ وقت الحاجة جائز علىٰ المذهب الصحيح عند أهل الأصول، وأما الدية علىٰ قول من أوجبها فيحتمل أن أسامة كان في ذلك الوقت معسراً. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٩١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٠ - (٩٧)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٥١]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ٥٩٨]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٢/ ٣٠١].

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤٣ - (٢٦)] كتاب الإيمان، [١٠] باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله =

وفيه وجه بليغ من وجوه: أحدها: قوله: «كيف تصنع بها»، وثانيها: قوله: «إذا جاءت يوم القيامة، ثالثها: الإعراض عن الاستغفار له، ورابعها: تكرير ذلك والتأوه منه.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: " إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم [(١)] ، فمن أظهر لنا خيراً أمنَّاهُ وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة ".

وفيه أن المانع من الحكم بالظاهر إنما هو يقين الوحي، ونحوه كلام عيسى وصاحب جريج وشاهد يوسف [(٢)] وأن مجرد الاحتمالات لا تصلح مانعاً، كما يشعر به قول الفاروق: " وليس لنا من سريرته شيء " وفيه أن الأعمال البشرية إذا تعارضت مع دعوى الخيرية قدمنا الأعمال كما هو جلي من قوله لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة.

وحاصل الأحاديث إيجاب الحكم بالظاهر مرتباً علىٰ سببه وملازمه، وبيان الأسباب ومحل الحكم بالظاهر، وبيان ما يصرف الناس عن الحكم بالظاهر، وحكمة الحكم بالظاهر، وفائدته وما يزجر عن تركه، وسبب مشروعيته، وما يمنع منه، وما لا يصلح مانعاً، وترجح أحد المتعارضين وسننه ذلك قتال الناس حكماً بأن لا أمان لهم بأنه الظاهر علىٰ فترة من الرسل، ومثله الإغارة علىٰ من لا أذان [(٣)] فيهم حكماً

= إلا الله دخل الجنة»، وقال النووي: مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين علىٰ مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ وأن كل من مات علىٰ الإيمان وتشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة.

(١) روى أبو داود في سننه [٣٥٨٦] كتاب الأقضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ عن ابن شهاب أن عمر رضي الله عنه قال وهو علىٰ المنبر: يا أيها الناس، إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً؛ لأن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف.

(٢) روى الحاكم في المستدرك [٢/ ٤٩٧] عن ابن عباس قال: " تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم "، ورواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تكلم أربعة وهو صغار....» الحديث، إلا أن الألباني ذكره في سلسلة الأحاديث الضعيفة [٢/ ٢٧٢] رقم [٨٨٠].

(٣) روى البخاري في صحيحه [٦١٠] كتاب الأذان، [٦] باب ما يحقن بالأذان من الدماء، عن أنس بن مالك: " أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتىٰ يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم... " الحديث.

بكفرهم لأنه ظاهر الإخلال بشعار الدين بعد أن ضرب الإيمان بجرابه، وفيها غير ذلك مما لا يخفى علىٰ متأمل ومستوضح ومتمهل.

فصل في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

والمراد بها ما خالف الحق أو تردد في الصدر أو أنكره القلب أو ردَّته الشريعة.

وهي في اللغة ما ليس له مثال سابق، ومن هذا السنَّة الحسنة (١) وغيرها.

واللغوية هي التي انقسمت إلىٰ الأحكام الخمسة، وكل بدعة ليست شرعية فضلالة.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ (٢) فلا واسطة بينهما، فمن أخطأ الحق وقع في الضلال.

وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (٣) فكل شيء فيه خير ما، فالكتاب المجيد مشتمل عليه لم يفعل ولم يترك بناء علىٰ أن الكتاب القرآن، وهو مذهب الجمهور، لا الأجل ولا اللوح المحفوظ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (٤) أي الكتاب والسُّنَّة، فيجب الرد إليهما إذ ذاك.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦٩ - (١٠١٧)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، عن جرير بن عبد الله، وفيه: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»، وقال النووي: فيه الحث علىٰ الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وفيه الحث علىٰ استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، وأن من دعا إلىٰ هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلىٰ ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك". النووي في شرح مسلم [٧/ ٩٢]، [١٦/ ١٨٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) سورة يونس [٣٢]. (٣) سورة الأنعام [٣٨].

(٤) سورة النساء [٥٩].

قال مجاهد وغيره من السلف: أي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عَزَّ وَجَلَّ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلىٰ الكتاب والسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الصحة. "تفسير ابن كثير [١/ ٥١٨]".

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية، فاتباع السبيل مفوق عن الإسلام الذي هو صراط أهل الإيمان الموصل إلىٰ أعالي الجنان.

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [(١)]، فمن أحب الله اتبع رسوله، ومن اتبعه أحبه الله، فأقبح بالبدعة الصادة عن الحق، ولا خير فيها ولا مرجع إلىٰ الله ورسوله، ولا اتباع بها لصراط الله بل لسبيل يفرق عن سبيل الله، ويبعد عن محبة الله، أعاذنا الله منها بمنه.

والآيات في الباب كثيرة معروفة.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً مشهورة منها:

حديث العرباض السالف في المحافظة علىٰ السنَّة، فهو خامة مرتعها قاتل لا يستردف [(٢)] سُم، ولا أرجى منه ولا أهلك.

ومنها حديث عائشة مرفوعاً: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [(٣)] أخرجاه.

ولمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [(٤)] أي فهو زيف مردود لا يتوصل به إلىٰ خير دنيا ولا أخرى.

ومنها حديث جابر ﷺ قال: " كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتىٰ كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «بُعثت والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد، فإن

---

(١) سورة آل عمران [٣١]. هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعى محبة الله وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». "تفسير ابن كثير [١/ ٣٥٨]".

(٢) أردف الشيء بالشيء: أتبعه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣/ ٢٤١]، ومسلم في صحيحه [١٧ - (١٧١٨)]كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، وأبو داود [٤٦٠٦] كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وابن ماجه في سننه [١٤] في المقدمة، [٢] باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ علىٰ من عارضه، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٤٠، ٢٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١١٩، ١٥٠، ٢٥١]، والدارقطني في السنن [٤/ ٢٢٥]، والتبريزي في المشكاة [١٤٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٨٣].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨/ ١٧١٨] كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، وكذلك رواه البخاري في صحيحه [٣/ ٩١، ٩/ ١٣٢]، وأحمد في مسنده [٦/ ١٦، ١٨٠]، والدارقطني في السنن [٤/ ٢٢٧]، والقرطبي في تفسيره [٣/ ٣٥٦، ٦/ ٣٣].

خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» (١) ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً لأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ» (٢) أخرجه مسلم.

فالمحدث شرّ الأمور المؤذي للدين والقلب، إذ كله ظلم وغل.

فصل فيمن سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٣) وهو ظاهر في مدح سؤالها في الدين، إذ هو المتبع المقتدى به، والمراد الحسن.

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (٤) فأكرم بهذا الإنعام، وبدأنا بالآية الأولى لاقتضائها الوقوع، وبه يتحقق الإمكان.

وروينا في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه مرفوعاً(٥): «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص

---

(١) قوله ﷺ: «وكل بدعة ضلالة» هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد علىٰ الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتاب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التَّبَسُّط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران. "النووي في شرح مسلم [٦/ ١٣٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣ ـ (٨٦٧)] كتاب الجمعة، [١٣] باب تخفيف الصلاة والخطبة، وابن ماجه في سننه [٤٥] في المقدمة، [٧] باب اجتناب البدع والجدل، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢٠٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٠٧]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٢٣٠، ٧/ ١١٤، ١١٥].

(٣) سورة الفرقان [٧٤].
قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير، وقال غيرهم: هداة مهتدين دعاة إلىٰ الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً إلىٰ غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً. تفسير ابن كثير [٣/ ٣٤٠].

(٤) سورة الأنبياء [٧٣].

(٥) قال النووي: فيه الحث علىٰ استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، وأن من دعا إلىٰ هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلىٰ ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٨٥] طبعة دار الكتب العلمية".

من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[١] وإنما جعل الفعل سبباً من حيث إنه موقظ وموضح ومسهل.

ورويناه في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعاً: «ليس من نفس تُقتل ظلماً إلا كان علىٰ ابن آدم كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل»[٢].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (١٠١٧)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ورقم [١٥ ـ (١٠١٧)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٥٧، ٣٥٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٠]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٣٤٨، ٨/ ٣٠٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٢١] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٥] باب إثم من دعا إلىٰ ضلالة أو سن سنة سيئة، ومسلم في صحيحه [٢٧ ـ (١٦٧٧)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، [٧] باب بيان إثم من سن القتل، وقال النووي: هذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل من ابتدع شيئاً من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلىٰ يوم القيامة، ومثله من ابتدع شيئاً من أمور الخير.

مجلس في الدلالة على الخير والدعاء إلى الهدى أو الضلالة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [1].

وقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [2] فالآية الأولى آمرة بالدعاء، وهذه مما يدعى به.

وهذه باعتبار مراتب المدعو في النباهة التامة وسلامة الصدور.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [3].

وقال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [4] فالآية الأولى معمِّمة لوجوه البِّر، والثانية مبينة بأنه فرض كفاية.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي مسعود البدري ﷺ مرفوعا: «من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله» [5] أخرجه مسلم، وهو حاث علىٰ الترغيب بالدلالة.

وروينا فيه أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «من دعا إلىٰ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» [6].

---

(١) سورة القصص [٨٧]. (٢) سورة النحل [١٢٥].

(٣) سورة المائدة [٢].

يأمر الله ـ تعالىٰ ـ عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر علىٰ الباطل والتعاون علىٰ المآثم والمحارم، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً ؟!! قال: «تحجزه وتمنعه من الظلم فذلك نصره».

(٤) سورة آل عمران [١٠٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (١٨٩٣)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأبو داود في سننه [٥١٢٩] كتاب الأدب، باب في الدال علىٰ الخير، والترمذي في سننه [٢٦٧١]، وأحمد في مسنده [٤/ ١٢٠، ٥/ ٢٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٨]، وابن حبان في صحيحه [٨٦٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٢٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧/ ٢٢٥، ٢٢٦].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٧٤)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأبو داود في سننه [٤٦٠٩] كتاب السنة، باب لزوم السنة، =

وروينا في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ﷺ: " أنه ﷺ قال لعلي ﷺ يوم خيبر: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم» [(١)].

وأي ترغيب أعظم من هذا في الهداية والتعليم، فإن حُمُر النعم فيها من النفع والجمال لأربابها أنفس شيء وأعزه، فكيف أجرها بالصدقة ونحوها وفي الذي قبله ترغيب في الدعاء إلىٰ الهدى، والتحذير من الدعاء إلىٰ الضلالة بمثل أجر فاعل ذلك.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ: " أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به، فقال: «ائت فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض» فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئاً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه " [(٢)] وهو ظاهر في الدلالة علىٰ الخيرات كالعالم والعابد والواعظ والمتصدق وغير ذلك من العقائد والنصائح.

ومدار هذه الأحاديث علىٰ الترغيب في الدلالة والدعاء والهداية بالقول البين بجزيل الأجر وبالفعل الجاذب إلىٰ الاقتداء.

= والترمذي في سننه [٢٦٧٤]، وابن ماجه [٢٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٨٦٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٠١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٩] باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ، ومسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٢٤٠٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، قال النووي: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلىٰ الهدى وسن السنن الحسنة. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (١٨٩٤)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، قال النووي: فيه فضيلة الدلالة علىٰ الخير، وفيه أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة يستحب له بذله في جهة أخرى من البر، ولا يلزمه ذلك ما لم يلتزمه بالنذر.

مجلس في التعاون على البر والتقوى [1]

كل منهما يشمل الآخر إذ أفرد، ويتميزان عند الاجتماع، فإن الأول فعل الخيرات، والثاني ترك المنكرات.

وفي الكتاب العزيز كثير من ذلك، منه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ [3] إلىٰ آخرها.

قال الشافعي: كلاماً معناه أن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة، وهو كما قال، فيحتمل أملاً، فأقسم الله بالعصر، وهي الوسطى، والمراد بالإنسان جميعهم، والخسر: النقص، وذهاب رأس المال، فالكافر في ضلال حتىٰ يموت ويدخل النار فيهلك نفسه وعمره أكثر رأس ماله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] بالقرآن المجيد، ﴿بالصبر﴾ عن المعاصي.

وروى أبو أمامة [4] عن أُبي بن كعب قال: قرأت علىٰ رسول الله ﷺ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلىٰ الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥] قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٩٠]".

(٢) سورة المائدة [٢].

(٣) سورة العصر [١، ٢].

العصر: الزمان يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم - تعالىٰ - بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العَصر: ٣] وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي علىٰ المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٤٨]".

(٤) أبو أمامة البلوي الأنصاري الحارثي، اسمه إياس، وقيل: عبد الله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٢/ ١٣]، تقريب التهذيب [٢/ ٣٩٢]، الثقات [٣/ ٤٥١]، أسد الغابة [٦/ ١٧]، الاستيعاب [٤/ ١٦٠١]، تجريد أسماء الصحابة [٢/ ١٤٨]، التاريخ الكبير [٩/ ٣]، الخلاصة [٣/ ١٩٩]، الاستبصار [٢٥١].

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العَصر: ١] فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما تفسيرها؟ فقال: «﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أبو جهل بن هشام ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الصديق، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفاروق، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العَصر: ٣] عثمان، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عليّ.

وروينا في الصحيحين [(١)] من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعاً: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا».

وفيه المعاونة للغازي بالمال، والقيام على العيال بالخدمة البدنية ونحوها، والترغيب في كل منهما بأنه غزو [(٢)].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: " أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان من هذيل فقال: «لينبعث من كل رجلين أحدهما، والأجر بينهما» [(٣)].

وروينا فيه أيضاً من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ لقى ركباً بالروحاء فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله»، فرفعت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٤٣] كتاب الجهاد والسير، [٨] باب فضل من جهز غازياً أو خلافته بخير، ومسلم في صحيحه [١٣٥ ـ (١٨٩٥)]، [٣٦] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأبو داود في سننه ٢٥٠٩]، والترمذي [١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣١]، والنسائي [٦/ ٤٦ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ١١٥، ١١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٢٤٠، ٩/ ٢٨]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٨٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٥٤].

(٢) قال النووي: قوله ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا» أي حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم، وإنفاق عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (١٨٩٦)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٢٠]، وقال النووي: قد اتفق العلماء على أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفاراً، فبعث إليهم بعثاً يغزوهم وقال لذلك البعث: ليخرج من كل قبيلة نصف عددها، وهو المراد بقوله: من كل رجلين أحدهما، وأما كون الأجر بينهما فهو محمول على ما إذا خلف المقيم الغازي في أهله بخير. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٦] طبعة دار الكتب العلمية".

إليه امرأة صبياً [(١)] فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر» [(٢)] فيه معاونة الحاج بالمال والبدن، ونية الإحرام.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «إن الخازن المسلم الأمين الذي يُنفِذُ»، وفي لفظ: «يعطي ما أُمِره به، فيعطيه كاملاً مُوَفَّراً طيبة به نفسه، فيدفعه إلىٰ الذي أُمِر له به أحد المتصدقين» [(٣)] فليحرص علىٰ الدفع كما أُمر له به من غير مطل بطيب نفس وبشاشة، ومدار هذه الأحاديث علىٰ الترغيب في المعاونة، وبيان مجاريها وصفتها، وقس بالأول والثاني إعانة كل دافع للشر، وبالثالث إعانة كل معظم لأمر الله، (وبالرابع من)[(*)] مشفق علىٰ خلق الله، وفي الرابع: الإعانة بمنفعة الوكالة، وفيما قبله بالمال والبدن (حرامته) [(*)] وخدمة وغير ذلك.

---

(١) هذا الحديث فيه حجة للشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعاً، وهذا الحديث صريح فيه، وقال أبو حنيفة: لا يصح حجه، قال أصحابه: وإنما فعلوه تمريناً له ليعتاده فيفعله إذا بلغ، وهذا الحديث يرد عليهم، قال القاضي: لا خلاف بين العلماء في جواز الحج بالصبيان، وإنما منعه طائفة من أهل البدع ولا يلتفت إلىٰ قولهم، بل هو مردود بفعل النبي ﷺ وأصحابه وإجماع الأمة، وإنما خالف أبو حنيفة في أنه هل ينعقد حجه وتجري عليه أحكام الحج وتجب فيه الفدية ودم الجبران وسائر أحكام البالغ، فأبو حنيفة يمنع ذلك كله ويقول: إنما يجب ذلك تمريناً علىٰ التعليم، والجمهور يقولون: تجري عليه أحكام الحج في ذلك، ويقولون: حجه منعقد يقع نفلاً لأن النبي ﷺ جعل له حجاً، قال القاضي: وأجمعوا علىٰ أنه لا يجزئه إذا بلغ عن فريضة الإسلام إلا فرقة شذت ولم يلتفت العلماء إلىٰ قولها. "النووي في شرح مسلم [٩/ ٨٤]".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠٩ ـ (١٣٣٦)] كتاب الحج، [٧٢] باب صحة حج الصبي، وأجر من حج به، وأبو داود في سننه [١٧٣٦] في المناسك، والترمذي [٩٢٤] كتاب الحج، باب ما جاء في حج الصبي، والنسائي [٥/ ١٢١ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٢٩١٠] كتاب المناسك، باب حج الصبي، وأحمد في مسنده ١/ ٣١٩، ٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ١٥٥، ١٥٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٩٦، ٨/ ٢٩٥].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٨] كتاب الزكاة، [٢٧] باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد، ومسلم في صحيحه [٧٩- (١٠٢٣)] كتاب الزكاة، [٢٥] باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي، والنسائي [٥/ ٧٩ ـ المجتبى]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٤٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٦٠]، وقال النووي: معنى هذه الأحاديث أن المشارك في الطاعة مشارك في الأجر، ومعنى المشاركة أن له أجراً كما لصاحبه أجر، وليس معناه أن يزاحمه في أجره، والمراد المشاركة في أصل الثواب، فيكون لهذا ثواب ولهذا ثواب، وإن كان أحدهما أكثر، ولا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء بل قد يكون ثواب هذا أكثر وقد يكون عكسه. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٩٨، ٩٩] طبعة دارالكتب العلمية".

(*) كذا بالأصل.

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمعروف كل مناسب أن يتقرب به شرعاً والمنكر غيره.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(١)

وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٢) الآية

وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾(٣) الآية

وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٤) الآية

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾(٥) الآية

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٦)

وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(٧)

---

(١) سورة آل عمران [١٠٤].
يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥] قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] ثم قال: «الخير اتباع القرآن وسنتي رواه ابن مردويه. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٩٠]".

(٢) سورة آل عمران [١١٠].

(٣) سورة الأعراف [١٩٩].
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] يعني خذ ما عفي لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات، قاله السدي. وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أنفق الفضل، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم، واختار هذا القول ابن جرير، قال البخاري: قوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ العرف المعروف. "تفسير ابن كثير [٢/ ٢٨٤]".

(٤) سورة التوبة [٧١].

(٥) سورة المائدة [٧٨].

(٦) سورة الكهف [٩٤].
يقول تعالى لرسوله ﷺ: وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا ما باب التهديد والوعيد الشديد. "تفسير ابن كثير [٣/ ٨٣]".

(٧) سورة الحجر [٩٤].

=

وقال تعالىٰ: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ﴾ (١) الآية، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (٢).

وروينا فيه أيضاً من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون (٣) فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (٤).

وروينا في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: " بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله ـ تعالىٰ ـ فيه

= يقول تعالىٰ آمراً رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] أي أمضه، وفي رواية: افعل ما تؤمر، وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة. "تفسير ابن كثير [٢/ ٥٧٦]".

(١) سورة الأعراف [١٦٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٤٩)] كتاب الإيمان، [٢٠] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، والترمذي في سننه [٢٢٧٢] كتاب الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، والنسائي [٨/ ١١١، ١١٢ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٣٧]، وابن عبد البر في التمهيد [١٠/ ٢٦٠].

(٣) قال النووي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه علىٰ منكر أو تقصير في المعروف، قال العلماء: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٢٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٥٠)] كتاب الإيمان، [٢٠] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، وأحمد في مسنده [١/ ٤٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٧]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٣٦].

برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم »[١].

المَنْشَط والمَكْرَه، بفتح ميميهما: أي السهل والصعب. والأثرة: الاختصاص بالمشترك، وبَوَاحاً: ظاهراً لا يحتمل تأويلاً، فشرط الإنكار كون المنكر كُفراً بواحاً[٢] أن يكون فيه برهان من الله، أي دليل جلي لا يقبل الاجتهاد، وأن رعاية القلوب ليست عذراً.

فالمؤمن لا يخاف في الله لومة لائم، بل يقول الحق ولو كره المشركون.

ورُوينا في صحيح البخاري[٣] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً: «مثل القائم في حدود الله ـ تعالىٰ ـ والواقع فيها كمثل قوم استهموا علىٰ سفينة، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[٤].

معنى القائم في حدود الله: المنكر لها في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود ما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ ـ (١٧٠٩)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وقال النووي: المراد بالمبايعة المعاهدة، وهي مأخوذة من البيع لأن كل واحد من المتبايعين كان يمد يده إلىٰ صاحبه، وكذا هذه البيعة تكون بأخذ الكف، وقيل: سميت مبايعة لما فيها من المعاوضة لما وعدهم الله ـ تعالىٰ ـ من عظيم الجزاء، قال الله ـ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

(٢) بواحاً بالواو، وفي بعض النسخ براحاً والباء مفتوحة فيهما، ومعناهما كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى عندكم من الله فيه برهان: أي تعلمونه من دين الله ـ تعالىٰ ـ ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب علىٰ ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه، قال القاضي عياض: أجمع العلماء علىٰ أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. "شرح مسلم للنووي [١٢/ ١٨٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) رواه البخاري في صحيحه [٢٤٩٣] كتاب الشركة، [٦] باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟، ورقم [٢٦٨٦] كتاب الشهادات، [٣٠] باب القرعة في المشكلات.

(٤) أخرجه البخاري وقد تقدم، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٦٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٨٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٥]، والقرطبي في تفسيره [١٦/ ٨٦]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [٦٩].

نهى الله عنه، واستهموا: اقترعوا، فالأخذ علىٰ يد العاصي أهم مهم؛ لأنه كمنع خارق السفينة من خرقها المهلك لجميع من فيها من عال أو سافل.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً: «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون منهم وتنكرون، فمن كره فقد برئ [١]، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا» [٢] وفي رواية: قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة» [٣].

ومعناه من كره بقلبه، ولم يستطع إنكاراً بيده ولا لسانه فقد برئ من الإثم وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بفعلهم وتابعهم عليه فهو عاص، فالعجز مع الأمراء ونحوهم عذر سقط غير إنكار القلب، وأن العجز عبارة عن توقف التغير عليه مقابلة ونحوها لم يأذن فيها أرباب الشوكة المطاعة.

وروينا في الصحيحين [٤] من حديث زينب بنت جحش أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ [٥] قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

---

(١) من كره فقد برئ، فظاهره ومعناه من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا بلسانه، فليكرهه بقلبه وليبرأ، وأما من روى فمن عرف فقد برئ فمعناه - والله أعلم - فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلىٰ البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكرهه بقلبه.
"النووي في شرح مسلم [١٢/ ٢٠٣، ٢٠٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ - (١٨٥٤)]، [٦٣] كتاب الإمارة، [١٦] باب وجوب الإنكار علىٰ الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ - (١٨٥٥)]، [٦٦] كتاب الإمارة، [١٧] باب خيار الأئمة وشرارهم، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٥٨]، والدارمي في سننه [٢/ ٣٢٤]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٠٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٦٧٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٥٩] كتاب الفتن، [٤] باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ومسلم في صحيحه [١ - (٢٨٨٠)]، [٢] كتاب الفتن، [١] باب اقتراب فتح ردم يأجوج ومأجوج، والترمذي في سننه [٢١٨٧] كتاب الفتن، باب ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج، وأحمد في مسنده [٦/ ٤٢٨]، ومالك في الموطأ [٩٩١]، والحميدي في مسنده [٣٠٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ٢٦٩].

(٥) قوله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «إذا كثر الخبث» هو بفتح الخاء والباء، وفسره الجمهور =

قلت: وهو متأيد بمثال خرق السفينة السابق.

وروينا فيهما من حديث أبي سعيد الخدري السابق مرفوعاً [(١)]: «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حقه؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [(٢)].

والمراد بكف الأذى من منكرات العين واليد واللسان وظن السوء.

وروينا في صحيح مسلم من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلىٰ جمرة من نار فيجعلها في أصبعه» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ [(٣)].

قلت: وهذا بيان صفة تغيير اليد.

= بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، ويهلك بكسر اللام علىٰ اللغة الفصيحة المشهورة، وحكي فتحها وهو ضعيف أو فاسد، ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون. "النووي في شرح مسلم [١٨/٣، ٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) هذا الحديث كثير الفوائد، وهو من الأحاديث الجامعة، وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة، وظن السوء، واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق، وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع. "النووي في شرح مسلم [١٤/٨٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٥] كتاب المظالم، [٢٢] باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس علىٰ الصعدات، ورقم [٦٢٢٩] كتاب الاستئذان، [٢] باب قول الله ـ تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها....﴾** الآية، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (٢١٢١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس علىٰ الطريق رد السلام، ورقم [١١٤ ـ (٢١٢١)] كتاب اللباس والزينة، [٣٢] باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، وأحمد في مسنده [٣/٣٦، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٦٤١]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/٤١]، والزبيدي في الإتحاف [٦/٢٤٨، ٧/٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٢٠٩٠)] كتاب اللباس والزينة، [١١] باب تحريم خاتم الذهب علىٰ الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/٤٢٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/٩٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٨٥].

وروينا فيه أيضاً من حديث الحسن البصري: " أن عائذ بن عمرو دخل علىٰ عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شرُّ الرِّعاء الحطمة»[(١)]، فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس فإنما أنت من نُخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم "[(٢)].

ففيه بيان تغيير اللسان، ولم يقل فيه: أنت منهم، وإنما حذَّره، ثم أنكر بلسانه ثانياً.

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث حذيفة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[(٣)].

ففيه التهديد البليغ ليُسمع، وفي أدنى من ذلك ما يزجر اللبيب.

وروينا في سنن أبي داود، وجامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث أبي سعيد مرفوعاً: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[(٤)].

---

(١) قوله ﷺ: «إن شر الرعاء الحطمة» قالوا: هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سَوْقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها، وقوله: "إنما أنت من نخالتهم" يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من سقطهم، والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره، والنخالة والحقالة والحثالة بمعنى واحد، وقوله: "إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" هذا من جزيل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. "شرح مسلم للنووي [١٢/ ١٨١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣ ـ (١٨٣٠)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، وأحمد في مسنده [٥/ ٦٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٨]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٧٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٩]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٣٤٤].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢١٦٩] كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٨٩]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ١٨٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ١٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٣٠١، ٣٤١].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٤٤] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي [٢١٧٤]، وابن ماجه في سننه [٤٠١١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٣٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [٧/ ٢٣٨، ٢٣٩]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٦٤]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٣/ ٥٣].

ورواه النسائي بإسناد صحيح من حديث طارق بن شهاب البجلي [(١)] مرفوعاً: «إن أول ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ما هذا، اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو علىٰ حاله ولا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قال: «﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ [المَائدة: ٧٨] إلىٰ قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾» ثم قال: «كلا والله، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علىٰ يد الظالم ولتأطرنه علىٰ الحق أطراً، أو لتقصرنَّه علىٰ الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضاً، ثم ليلعننكم كما لعنهم» [(٢)] رواه الترمذي وحسنه بلفظ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم علىٰ لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: «لا والذي نفسي بيده حتىٰ تأطروهم [(٣)] علىٰ الحق أطراً» [(٤)].

معنى تأطروهم تعطفونهم، ولتقصرنَّه: أي لتحبسنه.

ففيه وجوب تكرير الإنكار، ولا يسقط بمرة، وكيف يسقط وقد رأى المعصية تأتي كل يوم؟ ثم المواكلة والمجالسة تأنيس لا يناسب مُلابِسَ العصيان المصرّ عليه.

---

(١) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن هلال بن سلمة بن عوف بن جُثيم أبو عبد الله أبو حية البجلي الأحمسي الكوفي البقري، رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٨٢، ٨٣]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٣]، تقريب التهذيب [١/ ٣٧٦]، الكاشف [٢/ ٤٠]، أسد الغابة [٣/ ٧٠]، البداية والنهاية [٩/ ٥١]، تجريد أسماء الصحابة [١/ ٢٧٤]، سير أعلام النبلاء [٣/ ٤٨٦]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٣٨٠].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٣٦] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، عن ابن مسعود، والترمذي في سننه [٣٠٤٨] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩٣].

(٣) تأطروهم: أي حتىٰ تمنعوا أمثالهم من أهل المعصية: أي لا تنجوا من العذاب حتىٰ تميلوهم من جانب إلىٰ جانب، مأخوذ من أطرت القوس إذا حنيتها: أي تمنعوهم من الظلم وتميلوهم عن الباطل إلىٰ الحق فلا عذر لكم حتىٰ تجبروا الظالم علىٰ الإذعان للحق.

(٤) أخرجه الترمذي [٣٠٤٧] كتاب الفتن، باب من سورة المائدة، وأحمد في مسنده [١/ ٣٩١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٤٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٥٢]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ١٥٢]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ١٥٠].

وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة من حديث أبي بكر الصديق قال: " يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علىٰ يديه أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقاب منه» " [١].

وفي موضع هذه الآية وجهان: أحدهما: وهو مذهب الصدّيق: أنها فيمن يخاف من كُفر أو وقوع عصيان في الوجود، وثانيهما: وهو مذهب ابن مسعود: أنها فيمن سقط الإنكار عنهم، وفيه وجه ثالث: أنها لرفع فرض الإنكار في آخر الزمان، ولا شك أن الإنكار لا يسقط فرضه عند اجتماع شرائطه [٢] وإذا سقط لانتفاء شرطه لم يضُر الضار إلا نفسه.

فصل في تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف فعلُهُ قوله

قال تعالىٰ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [٣] فنسيان النفس مع نصح الناس مخالفة لبداهة العقول.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٣٨] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي [٢١٦٨] كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ورقم [٣٠٥٧] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، وابن ماجه [٤٠٠٥] في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحمد في مسنده [١/ ٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩١]، وابن حبان في صحيحه [١٨٣٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٩].

(٢) في حديث مسلم المتقدم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه....» الحديث، قال النووي: وأما قوله ﷺ: «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن يبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة. "شرح مسلم للنووي [٢/ ٢٠]".

(٣) سورة البقرة [٤٤].

يقول تعالىٰ: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه علىٰ من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم. "تفسير ابن كثير [١/ ٨٥]".

ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [(١)] فلا مقت أكبر منه.

وقال تعالىٰ إخباراً عن شعيب ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هُود: ٨٨].

فالمخالفة إلىٰ النهي لوم وسقوط مروءة، فالمخالف مخالف للعقل والشرع ولؤم الطبع.

وروينا في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار، فيندلق أقتاب بطنه [(٢)] فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؛ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» [(٣)].

ويندلق بالدال المهملة معناه يخرج، والأقتاب الأمعاء، واحدها قتب، وشبهه بالحمار من حيث أنه حمل أسفار العلم ولم يعمل لها، واندلاق أقتابه إما لأن المخالفة كانت للشهوات، وإما لأن جنايته الحسية والمعنوية كانت مكتومة، وظهر حسنها لما ظهر معناها، فافتضح حسّاً ومعنى.

فصل في الأمر بأداء الأمانة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: ٥٨] [(٤)]

---

(١) سورة الصف [٢، ٣].
إنكار علىٰ من يعد وعداً أو يقول قولًا لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان». "تفسير ابن كثير [٤/٣٥٧]".

(٢) قوله ﷺ: «فتندلق أقتاب بطنه» هو بالدال المهملة، قال أبو عبيد: الأقتاب الأمعاء، قال الأصمعي: واحدها قتبة، وقال غيره: قتب، وقال ابن عيينة: هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقصاب، واحدها قصب، والاندلاق خروج الشيء من مكانه. "النووي في شرح مسلم [١٨/٩٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥١ ـ (٢٩٨٩)] كتاب الزهد والرقائق، [٧] باب عوقبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله.

(٤) سورة النساء [٥٨].
يخبر تعالىٰ أنه يأمر بأداء الأمانات إلىٰ أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أدّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك ولا تخن من خانك» رواه أحمد وأهل السنن وهو يعم الأمانات الواجبة علىٰ الإنسان من حقوق الله ﷻ علىٰ عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم علىٰ بعض =

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] (١)

وهو دال علىٰ تعظيم أمر الأمانة، وتفخيم شأنها. والمراد بالأمانة الطاعة والأحكام؛ لأنها لازمة كما أن الأمانة لازمة الأداء، ومنهم من فسّرها بالتوحيد أو أدلته، ومباني الإسلام، أو أن لا يغتاب مسلماً، أو حفظ الفرج، أو غسل الجنابة، وكله واضح، وعرض ذلك علىٰ الجمادات إما لعقل خلق لها حينئذ، وإما علىٰ سبيل العرض والتمثيل، أو المراد أهلها، وإباؤها من حيث أنه عرض لا إلزام بدليل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] في الإلزام. وحمل الإنسان لها إن كان منع أدائها فالظلم والجهل له لائح، وإن كان لحمله والتزامه فهو ظلوم لنفسه الضعيفة، جهول بما في الأمانة من الشدة، وما لها من خطر العاقبة.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً (٢): «آية المنافق ثلاث» منها «وإذا ائتمن خان»، وقد سلف في الكلام علىٰ الوفاء بالعهد.

وروينا فيهما من حديث حذيفة وقد سلف هناك بطوله، وأن محل الأمانة جذر(٣) قلوب الرجال، وأنها ترفع، وتارة تبقى لها أثر، حينئذ (تأولو) (٤) كنت، وتارة لا تبقى بل كأثر المجل.

= كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة علىٰ ذلك، فأمر الله ﷻ بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة. تفسير ابن كثير [١/ ٥١٥].

(١) سورة الأحزاب [٧٢].

(٢) الحديث تقدم من قبل، وقال النووي: وقد أجمع العلماء علىٰ أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار؛ فإن إخوة يوسف - عليه السلام - جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه - بحمد الله تعالىٰ - إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٤٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها لغتان، وبالذال المعجمة فيهما وهو الأصل، قال القاضي عياض - رحمه الله: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم، وأبو عمر يكسرها، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله - تعالىٰ - به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم، قال الإمام أبو الحسين الواحدي - رحمه الله - في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]: قال ابن عباس ﷺ هي الفرائض التي افترضها الله - تعالىٰ - علىٰ العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) كذا بالأصل.

وقوله حتىٰ يقال للرجل ما أجمله! ما أظرفه! وليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، إشعار بانتفاء الإيمان، إذ لا إيمان لمن لا أمانة له. وفيه أن رفع الأمانة وقع في زمن حذيفة، وسلف فيه حديث حذيفة وأبي هريرة، وأن الأمانة والرحمة يقومان مقام جنبتي الصراط، وليس إلا لإنجائهما من قام بحقهما وإخلائهما من ضيعهما، وأي ترغيب وترهيب مثل هذا، وسلف في حديث عبد الله بن الزبير الطويل، وفيه: أن الاستعانة بالمولى ـ سبحانه ـ تزيل كربة معسرها [1] وأن حرص الزبير ووصيته المبادرة بقضاء دينه، وحرص وصيته علىٰ ذلك أعقب ما لم يكن يحتسب من بركة لا توصف، ثم حساب الدين وضبطه والنداء في الموسم سنين، وهذه أفعال المؤمن الناصح الصادق.

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٤٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم».
وروى أبو داود [١٥٢٥] عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهنَّ عند الكرب ـ أو في الكرب ـ الله الله ربي لا أشرك به شيئاً».

مجلس في تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (١) والحُرُمات جمع حرمة، وهو ما يجب القيام به، ويحرم انتهاكه، والتفريط فيه من الأوامر والنواهي والحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، وكل ما يجب احترامه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (٢) والشعائر جمع شعيرة، أي ما أُشْعِرَ وجعل شِعَاراً وعَلَماً في دين الله من أعمال البر ومواطنها وعلمائها والدعاة إليها والعمال بها، ونحو ذلك من المعالم الشاملة للحج وغيره، وتعظيم الحرمات والشعائر بأنها واجبة المراعاة والحفظ، ثم القيام بمن أعانه وتوفيته حقوقها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) أي النزول بهم والتواضع لهم، ولين الجانب معهم، والجلوس بينهم، ونحو ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٤).

---

(١) سورة الحج [٣٠].
أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: ٣٠] أي فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل، كذلك علىٰ ترك المحرمات واجتناب المحظورات، وقال ابن جريج: قال مجاهد في قوله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٢٥]".

(٢) سورة الحج [٣٢].
يقول تعالىٰ هذا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] أي أوامره ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس: تعظيمها استسمانها واستحسانها، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٢٦]".

(٣) سورة الحجر [٨٨].

(٤) سورة المائدة [٣٢].

ففيها تنزيل النفس الواحدة منزلة الناس جميعاً في إساءة أو إحسان؛ لأن كل إنسان يُدلي مما يدلي به الآخر من الكرامات علىٰ الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل بغير حق فقد أهان ما كرَّم الله وهتك حرمته، فإذا قتل بحق فقد عكس فالواحد والجمع إذن واحد، فالآية الأولى مرغِّبة في التعظيم من حيث إنه حرَّمه من حيث إنه شعار، والثالثة تعظيم خفض الجناح، والرابعة: تفخيم ما نوى من إحسان أو إساءة، فخفض الجناح (١) ذكر بين سبب ومرتبة، والسبب سابق وهي تابعة الموجود، وفي كل آية مُرغِّب يخصها.

ولنذكر أحاديث مدارها علىٰ بيان خاصة المؤمنين، وأصول معاملات الناس، وآثار الرحمة وأنواع الإثارة والتحذير من أذية أحد منهم، وأنواع من الأذى المجتنب والحقوق المؤداة ونوعهما اللذان هما نصرة تدفع المضرَّة، وكرامة تجلب بها المسرَّة.

فروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٢).

قلت: فذلك نعمة تُشكر، ومصلحة تُنشر وتُحمد، وبذلك تنشط النفوس لتعظيم حرماتهم إذ هم عين الإنسان وعضده وقوة ضعفه وأنصاره في مهماته، ونحو ذلك.

وروينا فيها من حديثه أيضاً مرفوعاً: «من مرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض علىٰ نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها شيء» (٣).

= أي من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. "تفسير ابن كثير [٢/ ٤٨]".

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ الحجر [٨٨، ٨٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٦] كتاب المظالم، [٥] باب نصر المظلوم، ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٥٨٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٧] باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، والترمذي في سننه [١٩٢٨] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم علىٰ المسلم، والنسائي [٥/ ٧٩ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٠٤، ٤٠٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٢٢، ١٣/ ٢٥٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٧٨، ٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٢] كتاب الصلاة، [٦٧] باب المرور في المسجد، ورقم [٧٠٧٥] كتاب الفتن، [٧] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، ومسلم في صحيحه [١٢٤ ـ (٢٦١٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٤] باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها.

ففيه الحذر البليغ من إيذاء أحد منهم ودفع ما يتوقع من أدنى أذية لهم، وقمع كل مؤذ عنهم، وقد نبه علىٰ ذلك بما ذكر من القبض.

وروينا فيهما من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (١).

ففيه التوجع والتسلية والانقباض والقلق مما يقع بأحدهم مما الإنسان عاجز عن منعه ورفعه كما مثل بالجسد.

وروينا فيهما أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس (٢)، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «لا يُرحم من لا يَرحم» (٣). وفيه التحنن والتلطف والتأنيث لأطفالهم بالقبلة وغيرها.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت: " قَدِمَ ناس من الأعراب علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: تُقبلون صبيانكم؟ قال: «نعم» قالوا: كلنا والله ما نُقَبِّل، فقال رسول الله ﷺ: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة» " (٤).

وفيه رقَّة القلب ورحمته وتأثره لضعفهم بحيث يكون الباطن أشد من الظاهر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١١] كتاب الأدب، [٢٧] باب رحمة الناس بالبهائم، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٥٨٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٧] باب "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم"، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٥٣]، والشجري في أماليه [٢/ ١٣٥، ١٥١]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٣٣٣، ٦/ ٢٥٣].

(٢) الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي أحد المؤلفة قلوبهم وأحد الأشراف، أقطعه أبو بكر له ولعيينة بن بدر، فعطل عليهما عمر ومحا الكتاب الذي كتب لهما أبو بكر، وكانا من كبار قومهما، وشهد الأقرع مع خالد حرب أهل العراق وكان علىٰ المقدمة، وقيل إن عبد الله بن عامر استعمله علىٰ جيش سيره إلىٰ خراسان فأصيب هو والجيش بالجوزجان، وذلك في خلافة عثمان، وقال ابن دريد: اسمه فراس بن حابس بن عقال، ولقب بالأقرع لقرع برأسه. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [سنة ٢٣]".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٧] كتاب الأدب، [١٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٣١٨)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٨] كتاب الأدب، [١٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه [٦٤ ـ (٢٣١٧)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

وروينا فيهما من حديث جرير بن عبد الله مرفوعاً: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[(١)]، وفيه الرحمة الباعثة علىٰ المصالح، ولا أبلغ من هذا الترغيب والتهديد، فمن علم أن من لا يرحم لا يُرحم، احتاج إلىٰ أن يرحمهم لاضطراره إلىٰ ربه في كل نَفَسٍ، وعلى كل حال.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير» وفي لفظ «وذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»[(٢)].

وفيه نوع من آثار الرحمة وهو تخفيف ما كلفوه، وتسهيل ما تقيدوا به من اقتداء في حال صلاة أو غيرها، فإن فيهم المعذور كما ذكر.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت " إن رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيُفرض عليهم "[(٣)].

وفيه الانفكاك عما يتوقع منه مشقة علىٰ أحد، كترك فعل يخشى أن يفرض علىٰ الناس لو لم يترك.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت: " نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل؟ قال: «إني لست كهيئتكم؛ إني يطعمني ربي ويسقيني» "[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٧٦] كتاب التوحيد، [٢] باب قول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٣١٩)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، وأحمد في مسنده [٤/٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢]، والحميدي في مسنده [٨٠٢، ٨٠٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/١٧٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٦٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٣] كتاب الأذان، [٦٢] باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (٤٦٧)] كتاب الصلاة، [٣٧] باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، وأبو داود [٧٩٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧١]، والنسائي [٢/ ٩٤ ـ المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١١٧]، ومالك في الموطأ [١٣٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢/ ٦٢]، ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٧١٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٣] باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان. وأحمد في مسنده [٦/ ١٧٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٢] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال، ومسلم في صحيحه [٥٥ ـ (١١٠٢)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم، وقال النووي: اتفق أصحابنا علىٰ النهي عن الوصال وهو صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما، ونص الشافعي وأصحابنا علىٰ كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان، أصحهما: أنها كراهة تحريم، والثاني: كراهة تنزيه، وبالنهي عنه قال جمهور العلماء وقال القاضي عياض: اختلف العلماء في =

أي يجعل فيَّ قوة من غير أكل وشرب، وفيه إخراج من التزم ما يشق عليه التزامه كالوصال ونحوه.

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أُطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّزُ في صلاتي كراهية أن أشق علىٰ أمه» [١].

وفيه رعاية القلوب، وإن أدى إلىٰ ترك مصالح جليلة، فَيُجَوِّز مريد التطويل كما ذكر.

وروينا في صحيح مسلم [٢] من حديث جندب بن عبد الله مرفوعاً: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يَكُبُّه علىٰ وجهه في نار جهنم».

وفيه التهديد الأبلغ والتحذير الأشد من الإقدام علىٰ ترك الذمة والجوار والإقدام علىٰ الجراءة علىٰ إخفار ذمة الجليل مالك الملك خطير لا يرجى معه حلم.

وروينا في الصحيحين [٣] من حديث ابن عمرو مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّج عن

= أحاديث الوصال ؛ فقيل النهي عنه رحمة وتخفيف، فمن قدر فلا حرج، وقال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله وحرمت علىٰ الأمة. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٨٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٧] كتاب الأذان، [٦٥] باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، والبخاري أيضاً رقم [٨٦٨] كتاب الأذان، [١٦٣] باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، وأبو داود في سننه [٧٨٩] كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة للأمر يحدث، والنسائي [٢/ ٥٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٠٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٢ ـ (٦٥٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٦] باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٢/ ١٧٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ٣٠٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٥٠]، قال النووي: قوله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله» قيل: الذمة هي الضمان، وقيل: الأمان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٢] كتاب المظالم، [٣] باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ورقم [٦٩٥١] كتاب الإكراه، [٧] باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (٢٥٨٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، وأبو داود في سننه [٤٨٩٣]، والترمذي في سننه [١٤٢٦]، وابن ماجه [٢١١٩، ٢٢٤٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٧، ٣١١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٢٠، ٦/ ٩٢، ٩٤].

مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

وقد اشتمل علىٰ بيان أنواع من الأذى كالظلم والمسلم المتقاعد عن حاجة يسهل قضاؤها وتفريج كربة وستر مسلم.[١]

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم».[٢] وهو مشتمل علىٰ بيان أنواع أُخر من الأذى.

وروينا في صحيح مسلم[٣] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا».[٤]

---

(١) قال النووي: في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروف بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلىٰ ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر علىٰ هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره علىٰ مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها علىٰ من قدر علىٰ ذلك، ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلىٰ ولي الأمر إذا لم تترتب علىٰ ذلك مفسدة. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٢٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم علىٰ المسلم، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ٢٨٣]، وآخره أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٨٢] كتاب الأدب، باب في الغيبة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٢، ٩٤، ٨/ ٢٥]، والألباني في إرواء الغليل [٨/ ٩٩]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢١٩، ٨/ ٥٠].

(٤) قوله ﷺ: «التقوى ههنا» ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات: معنى الرواية أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله ـ تعالىٰ ـ وخشيته ومراقبته، ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك علىٰ ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله ورؤيته محيط بكل شيء. ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من نحو قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة....» الحديث، قال المازري: واحتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ أن العقل في القلب لا في الرأس. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ٩٩] =

ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». وفيه بيان أنواع أُخر كالتحاسد ونحوها.

والنجش: أن يزيد في ثمن سلعة ينادى عليها ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يغر غيره، وهذا حرام.

والتدابر: أن يعرض عن إنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء ظهره ودبره.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يُحب لأخيه ما يحب لنفسه» (١).

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعاً: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» (٢).

وفيه ذكر أحد نوعي المصالح المحبوبة، وهي النصرة وتقوية اليد والإعانة والإغاثة سواء كان ظالماً أو مظلوماً.

وفي قوله: «انصر أخاك ظالماً» إشعار بأن الأخذ علىٰ يده نصر له، وحينئذ سهل الأمر علىٰ الآخذ والظالم، وبسط الصدر لهم وأشباه هذا مما يندب لو عبر عنه بغير ذلك.

وروينا في الصحيحين (٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «حق المسلم علىٰ

= طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣] كتاب الإيمان، [٧] باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٤٥)] كتاب الإيمان، [١٧] باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والترمذي [٢٥١٥] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والنسائي [٨/ ١١٥، ١٢٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٦، ٢٧٦، ٢٧٨]، وابن ماجه في سننه [٦٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٧٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٣]، [٢٤٤٤] كتاب المظالم، [٤] باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ورقم [٦٩٥٢] كتاب الإكراه، [٧] باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، والترمذي [٢٢٨٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٩٩، ٢٠١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٤، ١٠/ ٩٠]، وابن حبان في صحيحه [١٨٤٧ ـ الموارد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٩٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٩١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ٤٦٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٠٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٤٠] كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه [٤ ـ (٢١٦٢)] كتاب السلام، [٣] باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في =

المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

وفي رواية لمسلم: «حق المسلم علىٰ المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته [١]، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» [٢]، وفيه بيان الحقوق الإلزامية السارة تعاطيها.

وروينا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار المقسم [٣] ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام، ونهانا عن خواتيم أو تختم الذهب وعن شرب بالفضة وعن المياثر الحُمُر وعن القسي وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج " [٤] وفي رواية: " وإنشاد الضالة " في السبع الأول .

= مسنده [٢/ ٥٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٨٦]، والتبريزي في المشكاة [١٥٢٤].

(١) قال ثعلب: يقال سمت العاطس وشمته إذا دعوت له بالهدى وقصد السمت المستقيم، قال: والأصل فيه السين المهملة فقلبت شيناً معجمة، وقال صاحب المحكم: تسميت العاطس معناه هداك الله إلىٰ السمت.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢١٦٢)] كتاب السلام، [٣] باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٤٧، ١٠/ ١٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٢٦، ٤/ ٣١٧] ، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٢٥].

(٣) إبرار القسم فهو سنة أيضاً مستحبة متأكدة، وإنما يندب إليه إذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر أو نحو ذلك، فإن كان شيء من هذا لم يبر قسمه كما ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه لما عبر الرؤيا بحضرة النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» فقال: أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني، فقال: «لا تقسم» ولم يخبره، وأما نصر المظلوم فمن فروض الكفاية وهو من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما يتوجه الأمر به علىٰ من قدر عليه ولم يخف ضرراً. "النووي في شرح مسلم [١٤/ ٢٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٣٩] كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، وفي أرقام [٢٤٤٥، ٥١٧٥، ٥٦٣٥، ٥٦٥٠، ٥٨٣٨]، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (٢٠٦٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل وإباحته للنساء، وإباحة العَلَم ونحوه للرجال ما لم يزد علىٰ أربع أصابع، والترمذي في سننه [٢٨٠٩] كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية لبس المعصفر للرجل والقسي، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٨٤، ٢٩٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٣٥].

المياثر: جمع ميثرة، وهي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطناً أو غيره، ويجعل في السرج وكور البعير، يجلس عليه الراكب.

والقَسِّي: بفتح القاف وكسرْ السين المهملة المشدده، وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين، وإنشاد الضالة: تعريفها.

مجلس في ستر عورة المسلمين والنهي عن إشاعتها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (١).

وفيها تهديد بليغ للذين يحبون أن تظهر الفاحشة وتشيع، فما ظنك بمن يشيعها.

ومعنى العورة: العيب والتقص وكل ما يسوء ويستحيا منه، وكل ظل متخوف منه.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (٢).

وفيه الترغيب في الستر (٣) والتنفير من أن يهتك أحد ستر أحد، وما أذن الشرع في هتكه فيستثنى بدليله.

وروينا في الصحيحين أيضاً عنه مرفوعاً: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة (٤) أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه» (٥)

---

(١) سورة النور [١٩].
هذا تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقالم بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ١٩] أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [النُّور: ١٩] أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٨٣]".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧١ـ(٢٥٩٠)]، [٧٢] كتاب البر والصلة والآداب، [٢١] باب بشارة من ستر الله ـ تعالىٰ ـ عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٤]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٨٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٣٧]، والزيلعي في نصب الراية [٣/ ٣٠٧].

(٣) قوله ﷺ: «لا يستر عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» قال القاضي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف، والثاني: ترك محاسبته عليها وترك ذكرها، قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر يقرره بذنوبه، يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) بالأصل في البخاري «وإن من المجانة».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٩] كتاب الأدب، [٦٠] باب ستر المؤمن علىٰ نفسه، ومسلم =

وهو دال علىٰ التنفير من هتك الأستار.

وروينا في الصحيحين أيضاً من حديثه مرفوعاً: «إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر»[1] ففيه النهي عن التثريب وهو التوبيخ والتقبيح والتعيير البليغ، والاستقصاء في اللوم.

وروينا في صحيح البخاري عنه أيضاً قال: " أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «لا تقولوا هكذا؛ لا تعينوا عليه الشيطان»[2].

ففيه النهي عن شتم الآثم وإخزائه المعين للشيطان عليه، إذ يجد طريقاً إلىٰ تبغيض المؤمنين له، وتبغيض مجالسهم ومجامعهم إليه، بل أن يروه أو يراهم، وربما جرَّه ذلك إلىٰ صحبة الأشرار الفُجَّار، ويتعذر الفلاح حينئذ.

فمدار الأحاديث إذن علىٰ إمساك اللسان عن التلمظ بمضغة طال ما لفظها الكرام، وعن التعبير والإخزاء بها.

= في صحيحه [٥٢ ـ (٢٩٩٠)] كتاب الزهد والرقاق، [٨] باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٢٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٣٠]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٧٢، ٨/ ٥٧٢]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ٣٣٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٣٩] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٢٣] باب لا يثرب علىٰ الأمة إذا زنت ولا تنفى، ومسلم في صحيحه [٣٠ ـ (١٧٠٣)] كتاب الحدود، [٦] باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، وأبو داود [٤٤٧٠]، والترمذي [١٤٣٣]، وابن ماجه [٢٥٦٦]، وأحمد في مسنده [٦/ ٦٥، ٢/ ٢٤٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٢٤٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٧٧] كتاب الحدود، [٥] باب الضرب بالجريد والنعال، ورقم [٦٧٨١] كتاب الحدود، [٦] باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، وأبو داود في سننه [٤٤٧٧] كتاب الحدود، باب الحد في الخمر، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٣٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٢٥٦]، والتبريزي في المشكاة [١٦٢١].

مجلس في قضاء حوائج المسلمين

قال تعالىٰ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

أمر الله ـ تعالىٰ ـ بذلك، والخير يُفسر بصلة الرحم ومكارم الأخلاق.

وقد روينا في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم»(٢) إلىٰ آخره، سلف قريباً في تعظيم حرمات المسلمين.

وروينا في صحيح مسلم(٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر علىٰ معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلىٰ الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة (٤) وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (٥).

---

(١) سورة الحج [٧٧].

(٢) تقدم تخريجه من قبل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٦٩٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي في سننه [١٤٢٥]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٢]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٨٣]، والشجري في أماليه [٢/ ١٧٩، ١٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٠٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٩٣].

(٤) قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار وهو أحسن، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ ويدل عليه الحديث الذي بعده، فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج علىٰ الغالب لاسيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يعمل به. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) قوله: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» معناه من كان عمله ناقصاً لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل علىٰ شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل.

ومدار الحديثين علىٰ مهمين: الترغيب بمضمون تحريهم وصفهم في دفع المكاره عن الإخوان، وجلب المسار إليهم، وذكر أنواع ذلك وأهله ومحله، ففي الحديث الأول التهييج وإثارة الرحمة، وبيان الأهل والمحل بقوله: «المسلم أخو المسلم» [(١)].

وفيه الترغيب بأن يدان المسلم كما دان، وبيان أنواع من الخير كالسعي في حوائج الإخوان، وبعد تفريج الكرب وستر المسلم، ففي التدريج رفع الألام والستر، ودفع الفضائح وإبقاء الرجاء للممات.

وفي الثاني تقديم التنفيس لأنه أهم في بعض الأشخاص أو بعض الأحوال إذ ضيق الحال لا قرار معه، وأردفه بالتيسير علىٰ المعسر؛ لأن الإعسار كربة، ثم أردفه بالستر والمعاونة، وهي السعي في الحاجات، ثم ختم ذلك بطلب العلم والاجتماع علىٰ التلاوة والتدارس، وهو أهم الحاجات.

---

(١) قال النووي في هذا الحديث: في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلىٰ ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر علىٰ هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره علىٰ مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها علىٰ من قدر علىٰ ذلك، ولا يحل تأخيرها.
"النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في الشفاعة

قال تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [1]

وهي التي روعي فيها حق المسلم، ورفع عنه بها شر أو جلب إليه بها خيراً، وابتغى بها وجه الله، ولم يؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله، ولا في حق من الحقوق، والسُّنَّة ما كان بخلاف ذلك.

وقيل الشفاعة الحسنة [2]: الدعوة للمسلم، والنصيب قول الملك: ولك بمثل، والسيئة الدعاء عليه، واللبيب متيقظ لحكم القرآن فيقدم علىٰ ما يسوغ ويحجم عن ضره غير غرّ ولا متغافل، وذكر النصيب في الخير والكفل في الشر من باب اليقين في البلاغة، ولا يصح أن يقال إن الكفل في الشر، فقد قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [3].

وروينا في الصحيحين [4] من حديث أبي موسى الأشعري قال: " كان رسول

---

(1) سورة النساء [٨٥].
أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النّساء: ٨٥] أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب علىٰ سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما شاء» وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض. "تفسير ابن كثير [١/ ٥٣١]".

(2) في الحديث الآتي: «اشفعوا فلتؤجروا. . .» الحديث، قال النووي: فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلىٰ سلطان ووال ونحوهما أم إلىٰ أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلىٰ سلطان في كف ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق أو نحو ذلك فهي حرام. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٦]".

(3) سورة الحديد [٢٨].

(4) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٢] كتاب الزكاة، باب التحريض علىٰ الصدقة والشفاعة فيها، ومسلم في صحيحه [١٤٥ ـ (٢٦٢٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٤] باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، وأبو داود في سننه [٥١٣٢]، والنسائي [٥/ ٧٨ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٠٤، ٤٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩٥٦].

الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل علىٰ جلسائه فقال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما أحب» وفي لفظ «ما شاء».

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عباس في قصة بريرة وزوجها قال: قال لها رسول الله ﷺ: «لو راجعتيه» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنما أشفع» قالت: لا حاجة لي فيه. [1] ومدار هذين الحديثين علىٰ الترغيب في الشفاعة[2] بالقول والفعل، وعلى بيان أنواعها بطلب الشافع، وطلب كل أحد لها، وفي كل محل وعند كل أحد وإيضاح العذر عند المنع، ثم المطلوب منه شفاعة تقبل لا مطلق الشفاعة وعلى أن المشفوع عنده بالخيار إن شاء قبل، وإن شاء رد.

وعلى أن الرد لا ينقص من الشافع ولا من أجره، فعفى الله عن بريرة كيف حمل قلبها رد شفاعة سيد الأولين والآخرين، لا (امترى) (*) لو قبلت ذلك لقلب الله قلبها (راجسة) (*) وبورك لها فيه، واغتبطت به، لكن الله جعل ذلك ليسهل بعده علىٰ كل شافع رد من رده، ففيمن شفع عندها أُسوة حسنة وعذرها متلمح من قولها: أتأمرني؟ فلم يقل: نعم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه [٥٢٨٣] كتاب الطلاق، [١٦] باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، والطبراني في المعجم الكبير [١١/ ٣٤٥].

(٢) في إعتاق بريرة فيما رواه مسلم [١٠ ـ (١٥٠٤)]، [١١, ١٢، ١٤] كتاب العتق، [٢] باب إنما الولاء لمن أعتق، وفيه أن النبي ﷺ خير بريرة في فسخ نكاحها، وقال النووي: وأجمعت الأمة علىٰ أنها إذا أعتقت كلها تحت زوجها وهو عبد كان لها الخيار في فسخ النكاح، فإن كان حراً فلا خيار لها عند مالك والشافعي والجمهور، وقال أبو حنيفة: لها الخيار، واحتج برواية من روى أنه كان زوجها حراً، والروايات المشهورة في صحيح مسلم وغيره أن زوجها كان عبداً، ورواية من روى أنه كان حراً غلط وشاذة مردودة لمخالفتها المعروف من روايات الثقات، ويؤيده قول عائشة: " كان عبداً، ولو كان حراً لم يخيرها " وفي فوائد الحديث قال النووي: فيه ثبوت الخيار للأمة إذا أعتقت تحت عبد، وفيه جواز الشفاعة من الحاكم إلىٰ المحكوم له للمحكوم عليه، وجواز الشفاعة إلىٰ المرأة في البقاء مع زوجها، وفيه لها الفسخ بعتقها وإن تضرر الزوج بذلك لشدة حبه إياها. . . . إلىٰ آخره. "مختصراً من شرح مسلم للنووي [١٠/ ١٢٠، ١٢٣]".

(*) كذا بالأصل.

مجلس في الإصلاح بين الناس

قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (1)

ففيه أن الأمر بالإصلاح فيه خير، وإن من عمله ابتغاء مرضات الله سوف يؤتيه أجراً عظيماً.

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (2)

ففيها الأمر بإصلاح (3) الأحوال التي هي ذات البين حتىٰ تكون أحوال أُلفة ومحبة واتفاق واتحاد وتواخ في الله، وتواس فيما رزق الله.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (4)

فالإيمان عقد بين أهله من النسب والسبب ما لا ينقص عن عقد الأخوة، ثم العادة السعي البليغ في الإصلاح بين أخوة الولادة، فالأخوة في الدين أولى بذلك، وأشد منه.

فالآية الأولى أمره بالصلاح، وفي الثانية وقوعه، والثالثة والرابعة الأمر بإصلاح ذات البين وبالإصلاح بين الأخوين.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كل سُلاَمَي (5) من الناس

---

(1) سورة النساء [١١٤].
يعني كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الآية، أي إلا نجوى من قال ذلك فيما رواه ابن مردويه بسنده عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله ﷻ أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر». "تفسير ابن كثير [١/ ٥٥٤]".

(2) سورة الأنفال [١].

(3) قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أي واتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظلموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه، وقال السدي: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أي لا تستبوا. "تفسير ابن كثير[٢/ ٢٩١]".

(4) سورة الحجرات [١٠].

(5) السلامي: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وهو المفصل وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء، وفي القاموس: السلامي كحبارى، عظام صغار طول الأصبع في اليد والرجل وجمعه سلاميات.

عليهم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، وترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلىٰ الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة حتىٰ تعدل بينهما تصلح بينهما يصلح بينهما بالعدل»[(١)].

وروينا فيهما عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مرفوعاً: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً»[(٢)].

ولمسلم زيادة: " ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ".

وروينا فيهما من حديث عائشة قالت: " سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[(٣)] في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف؟» قال: أنا يا رسول الله، فله أيَّ ذلك أحب "[(٤)].

معنى يستوضعه: يسأله أن يضع عنه بعض دينه. ويسترفقه: يسأله الرفق. والمتألي: الحالف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٠٧] كتاب الصلح، [١١] باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، ورقم [٢٨٩١] كتاب الجهاد والسير، [٧٢] باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، ورقم [٢٩٨٩] كتاب الجهاد والسير، [١٢٨] باب من أخذ بالركاب ونحوه، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (١٠٠٩)] كتاب الزكاة، [١٦] باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٨٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٩٢] كتاب الصلح، [٢] باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (٢٦٠٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٧] باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٥، ٥٠٣١]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٢/ ٧٥].

(٣) قوله: "وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه" أي يطلب منه أن يضع عنه بعض الدين ويرفق به في الاستيفاء والمطالبة، وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنه لا بأس بمثل هذا ولكن بشرط أن لا ينتهي إلىٰ الإلحاح وإهانة النفس أو الإيذاء ونحو ذلك إلا من ضرورة، والله أعلم، وقوله: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف؟» قال: "أنا يا رسول الله وله أيَّ ذلك أحب" المتألي الحالف والآلية اليمين وفي هذا كراهة الحلف علىٰ ترك الخير وإنكار ذلك، وأنه يستحب لمن حلف لا يفعل خيراً أن يحنث فيكفر عن يمينه، وفيه الشفاعة إلىٰ أصحاب الحقوق وقبول الشفاعة في الخير. "النووي في شرح مسلم [١٠/ ١٨٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٠٥] كتاب الصلح، [١٠] باب هل يشير الإمام بالصلح؟ ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٥٥٧)] كتاب المساقاة، [٤] باب استحباب الوضع في الدين، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٠٥].

وروينا فيهما من حديث سهل بن سعد الساعدي: " أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج [١] رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه، فجلس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة، فجاء بلال إلىٰ أبي بكر فقال: يا أبا بكر، إن رسول الله قد حبس وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال وتقدم أبو بكر فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتىٰ وقف في الصلاة، وأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التفت، فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله، فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه [٢] حتىٰ قام في الصف، فتقدم رسول الله فصلى بالناس، فلما فرغ أقبل علىٰ الناس فقال: «أيها الناس ما لكم حين نابكم في الصلاة أخذتم بالتصفيح [٣] إنما التصفيح للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله» ثم التفت إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه فقال: «يا أبا بكر ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت عليك؟» قال أبو بكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ [٤].

---

(١) في هذا الحديث فضل الإصلاح بين الناس ومشي الإمام وغيره في ذلك وأن الإمام إذا تأخر عن الصلاة تقدم غيره إذا لم يخف فتنة، وإنكار من الإمام، وفي أن المقدم نيابة عن الإمام يكون أفضل القوم وأصلحهم لذلك الأمر وأقومهم به، وفيه أن المؤذن وغيره يعرض التقدم علىٰ الفاضل، وأن الفاضل يوافق. "النووي في شرح مسلم [٤/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) وفيه أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة لقوله: صفق الناس، وفيه جواز الالتفات في الصلاة للحاجة واستحباب حمد الله ـ تعالىٰ ـ لمن تجددت له نعمة ورفع اليدين بالدعاء، وفعل ذلك الحمد والدعاء عقب النعمة، وإن كان في صلاة، وفيه جواز مشي الخطوة والخطوتين في الصلاة، وفي أن هذا القدر لا يكره إذا كان لحاجة، وفيه جواز استخلاف المصلي بالقوم من يتم الصلاة لهم. "المرجع السابق [٤/ ١٢٢]".

(٣) التصفيح: في النهاية: التصفيح والتصفيق واحد وهو من ضرب صفحة الكف علىٰ صفحة الكف الآخر، وقال النووي: التصفيح أن تضرب المرأة بطن كفها الأيمن علىٰ ظهر كفها الأيسر ولا تضرب بطن كف علىٰ بطن كف علىٰ وجه اللعب واللهو فإن فعلت هكذا علىٰ جهة اللعب بطلت صلاتها لمنافاته الصلاة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢١٨] كتاب العمل في الصلاة، [١٦] باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به، ورقم [٢٦٩٠] كتاب الصلح، [١] باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، وأبو داود في سننه [٩٤٠] كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢١٥].

في هذا الحديث أن التابع إذا أمره المتبوع بشيء وفهم منه إكرامه بذلك الشيء لا تحتم الفعل، فله أن يتركه، ولا يكون هذا مخالفة للأمر بل يكون أدباً وتواضعاً وتحذقاً في فهم المقاصد، وفيه ملازمة الأدب مع الكبار، وفيه أن السنة لمن نابه شيء في صلاته كإعلام من يستأذن عليه، وتنبيه =

ومعنى حُبِسَ: أمسكوه ليضيفوه، ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان أُجرة المُرغِّب فيه وأهله ومحله وشرطه وتوسع الطريق الموصل إليه، وأن الآلية لا تمنع منه، وأن المصالح عليه أنواع، وحسن الانقياد إليه وأنه من لسان الشارع حتىٰ يمضي إليه وإن بَعُدَ عن أهله وجماعة مسجده.

وفي الحديث الأول أن أهله كل ذي سلامى ولا يعمهم مثله، وأن محله كل اثنين فأكثر، وإن شرطه أن يكون بالقول، فلا يحل حراماً، ولا يُحَرِّم حلالاً، فإنه صدقة يرغب فيها طالب فكاكه من النار.

وفي الثاني أنها محبوبة للشرع حتىٰ أباح من أهله ما هو حرام في غيره من أقوال خير لم تكن مطابقة ونفى شرعاً أن يكون قائلها كذاباً.

وفي الثالث قوله: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف» وإن صاحب الحق قادر لإجابة خصمه، وأن المطلوب كان وضع بعض الدين إبراء، والإمهال والتيسير ترفقاً.

وفي الرابع خروجه ﷺ مع ناس للإصلاح، واحتباسه عندهم حتىٰ حانت الصلاة ودخل فيها الناس.

= الإمام وغير ذلك.
شرح مسلم للنووي [٤/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين

والإجابة إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ(٢) وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] (٣)

ففيها الأمر بخفض الجناح وصبر النفس معهم، ومثل ذلك كل وداد وتأنيس (٤)

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ (٥)

قلت: ويلتحق بهما كل إيذاء وتضييق.

وقال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [المَاعون: ١]

إلىٰ قوله: ﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾(٦)

---

(١) سورة الحجر [٨٨].

(٢) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، ويقال إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم وضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس علىٰ حدة، فنهاه الله عن ذلك. تفسير ابن كثير [٣/ ٨٢].

(٣) سورة الكهف [٢٨].

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤٥ ـ (٢٤١٣)] كتاب فضائل الصحابة [٥] باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن سعد بن أبي وقاص: فيَّ نزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعَام: ٥٢] قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تُدني هؤلاء، وفي رقم [٤٦] فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعَام: ٥٢].

(٥) سور الضحى [٩، ١٠].

(٦) يقول تعالىٰ: أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين، وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [المَاعون: ٢] أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [المَاعون: ٣] كما قال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ

قلت: ويلتحق بالحض على طعام المسكين كل إحسان ومعروف.

ولنذكر أحاديث مشتملة على حفظ قلوب الضعفة، والقيام بمصالحهم قدر الإمكان، وترك المشقة عليهم ورعاية فضلهم وبركتهم مع بيان مجاري ذلك، وما يغري به أو يحذر من تركه وما يترجح عند التعارض، وما يخشى أن يكون منافياً، وما يستدرك به المنافي ونحو ذلك.

روينا في صحيح مسلم [(١)] من حديث سعد بن أبي وقاص قال: " كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] . [(٢)]

ففيه حفظ قلوب الضعفة بترك طردهم، وروينا فيه أيضاً من حديث أبي هبيرة عائذ بن عمرو المزني، وهو من أهل بيعة الرضوان: " أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها[(٣)]، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؛ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي. [(٤)]

= ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٥٤]".

(١) تقدم قريباً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف: ٢٨]، وقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي يعبدونه ويسألونه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ . "تفسير ابن كثير [٢/ ١٣٧]".

(٣) قوله: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ضبطوه بوجهين: أحدهما بالقصر وفتح الخاء، والثاني: بالمد وكسرها وكلاهما صحيح، وهذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية، وفي هذا فضيلة ظاهرة لسلمان ورفقته هؤلاء، وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين وإكرامهم وملاطفتهم. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٠ - (٢٥٠٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٢] باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال، وأحمد في مسنده [٥/ ٦٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٨]، =

معنى قوله مأخذها: أي لم تستوف حقها منه، وفيه حفظ قلوب الضعفة بترك إغضابهم.

وروينا في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، فرج بينهما شيئاً [(١)].

وكافل اليتيم القائم بأموره، ففيه القيام بمصالح الأيتام وأمرهم.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى [(٢)].

وقوله: «اليتيم له أو لغيره» معناه قريبه أو الأجنبي منه، فالقريب مثل أن يكون تكفُلُه أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من أقربائه.

وروينا في صحيح البخاري من حديثه مرفوعاً أيضاً: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف» [(٣)]، وفي رواية لهما: «لكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطَنُ به فيُتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس» [(٤)].

= والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٠٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣٤٦]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٤٣٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٠٤] كتاب الطلاق، [٢٥] باب اللعان، ورقم [٦٠٠٥] كتاب الأدب، [٢٤] باب فضل من يعول يتيماً، وعن أبي هريرة في مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٩٨٣)] كتاب الزهد والرقاق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، وأبو داود في سننه [٥١٥٠] كتاب الأدب، باب في مَن ضم اليتيم، والترمذي في سننه [١٩١٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢١٣، ٨/ ٣٥١].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٩٨٣)] كتاب الزهد والرقائق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٣٩] كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، [٤٨] باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣] ، ومسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، وأبو داود [١٦٣١، ١٦٣٢] ، والنسائي [٥/ ٨٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٩٥، ٧/ ١١]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٧٢]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٥٨] ، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٢٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٧٩] كتاب الزكاة، [٥٥] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣] ، ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] =

قلت: فمثل هذا يبادر إلىٰ القيام بمصلحته.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» أحسبه قال: «وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر» [(١)].

قلت: فالقيام والسعي عليها أشرف العبادات وأدومها.

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «شر الطعام طعام الوليمة؛ يُمْنَعُها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» [(٢)] وفي رواية له وللبخاري من قوله: «بئس الطعام طعام الوليمة؛ يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء» [(٣)].

وفيه أن القيام في الضيافات بالفقراء أهم من الأغنياء أو مثله.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس مرفوعاً: «من عال جاريتين حتىٰ يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه. [(٤)]

والمراد جاريتين أي بنتين، وفيه القيام بهما حتىٰ يبلغا.

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: " دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء[(٥)]

= باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٠٧] كتاب الأدب، [٢٦] باب الساعي علىٰ المسكين، ومسلم في صحيحه [٤١ ـ (٢٩٨٢)] كتاب الزهد والرقائق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، والترمذي في سننه [١٩٦٩] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في السعي علىٰ الأرملة واليتيم، والنسائي [٥/ ٨٧ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٦١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٥٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٤٧ ـ الموارد].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٠ ـ (١٤٣٢)] كتاب النكاح، [١٦] باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوة، وأبو داود في سننه [٣٧٤٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٧، ٤٠٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ١٩١، ٢٦٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٥٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (١٤٣٢)] كتاب النكاح، [١٦] باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوته، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٦٧].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٩ ـ (٢٦٣١)] كتاب البر والصلة، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٦٤].

(٥) قوله ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء» إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل: ٥٨]، وقوله: «من =

فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار» ".[1]

وفيه الإحسان إلىٰ البنات علىٰ الإطلاق، ولو بتمرة أو بشق تمرة.

وروينا في صحيح مسلم من حديثها أيضا قالت: " جاءتني جارية تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلىٰ فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»[2] وفيه إيثار البنات علىٰ البنين.

وروينا في النسائي بإسناد جيد من حديث أبي شريح خويلد بن عمر الخزاعي[3] مرفوعاً: «اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»[4].

معنى أُحرِّج: الحرج وهو الإثم لمن ضيَّع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً بالغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً، فإنه ليس من الشفقة والرحمة تضييع حق لأحد منهما، وخصم من يفعل ذلك هو الله.

وروينا في صحيح البخاري من حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: "رأى سعد أن له فضلاً علىٰ من دونه فقال النبي ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟» "[5] كذا رواه البخاري مرسلا، فإن مصعب بن سعد تابعي، ورواه

= عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه، ومعنى عالهما: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما، مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه «ابدأ بمن تعول»، ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٧، ١٤٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٥] كتاب الأدب، [٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٢٦٢٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والتبريزي في المشكاة [٤٩٤٩]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٣٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (٢٦٣٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، وأحمد في مسنده [٦/ ٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٣٨]، والقرطبي في تفسيره [١٠/ ١١٨].

(٣) خويلد بن عمرو، أبو شريح مشهور بكنيته الخزاعي الكعبي العدوي، صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٦٨]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ١٧١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٢٩، ٢/ ٤٣٤]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٢٢٤]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٦٠]، الجرح والتعديل [٣/ ١٨٢٨]، الاستيعاب [٢/ ٤٥٥]، الإصابة [٢/ ٣٥٠]، الثقات [٣/ ١١٠].

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه [٣٦٧٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٣٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٩٦] كتاب الجهاد والسير، [٧٦] باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٣]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٣٨]، =

البرقاني متصلا عن مصعب عن أبيه.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد جيد من حديث أبي الدرداء عويمر مرفوعاً: «ابغوني الضعفاء فإنما تُرزقون وتُنصرون بِضعفائكم»[(١)].

ففيه تعريف من يجهل أمر الضعفة بركتهم علىٰ الموجود وفضلهم علىٰ كل موجود بفضل رعاية الله العظيم لهم، ونظره إليهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾[(٢)] وغيرِ خاف من هذه الأحاديث من بيان مجاري اللطف والإحسان وصفته، وبيان المرغِّبات في ذلك، وأكد زجر من تركه، ودفع الصوارف عنه بسؤال الصناديد طرد الفقراء، وسهل مناولة ذلك، ومزيل نقيضه، والدوام عليه، وأرجحيته علىٰ نحو الصيام والقيام، وما يخشى أن يكون منافياً، وما يستدرك به وأشباه ذلك.

= وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٤٩]، والتبريزي في في مشكاة المصابيح [٥٢٣٢]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٩٧]، والقرطبي في تفسيره [٣/ ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٤٣].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٩٤] كتاب الجهاد، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، والنسائي [٦/ ٤٦ ـ المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٤٥، ٦/ ٣٣١]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٠٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١٠/ ٤٣]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٧٧٩].

(٢) سورة الفتح [٢٥].

مجلس في الوصية بالنساء

قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ (١) فأمر بذلك.

وقال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ الآية (٢)

ففيها أن ذلك علىٰ التشديد والمقاربة، والنهي عن كل ميل.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» (٣).

وفي رواية لهما: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»(٤).

قوله: «على عوج» هو بفتح العين والواو فيه تكرار الوصية التي لا تُرَدّ، وإقامة العذر بأن الاعوجاج ضروري فيهن، وذاتي لهن، والإياس من واحدة منهن مستقيمة، وأن محاولة الإقامة مجرد عناء، ولا تفضي إلا إلىٰ الكسر، وأن الاستمتاع بهنَّ متأت

---

(١) سورة النساء [١٩].
أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيآتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله.

(٢) سورة النساء [١٢٩].
أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك. "تفسير ابن كثير [١/ ٥٦٤]".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٨٦] كتاب النكاح، [٨١] باب الوصاة بالنساء، ومسلم في صحيحه [٦٠ - (١٤٦٨)] كتاب الرضاع، [١٨] باب الوصية بالنساء، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٣٨]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٣٦٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٥/ ٢٧٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٨٤] كتاب النكاح، [٨٠] باب المداراة مع النساء، وقول النبي ﷺ: «إنما المرأة كالضلع»، ومسلم في صحيحه [٦٥ - (١٤٦٨)] كتاب الرضاع، [١٨] باب الوصية بالنساء، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٧٩، ٢/ ٤٢٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣٠٣]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار[٢/ ٤٧].

مع ذلك أحسن التأتي، فليستسهل غيره.

وروينا في الصحيحين أيضاً من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنهما: أنه سمع النبي ﷺ يقول وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾ [الشمس: ١٢] انبعث لها عزيز رجل عارم منيع في رهطه»[(١)]، ثم ذكر النساء فوعظ فيهن فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فعلها يضاجعها من آخر يومه» ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: «إلام يضحك أحدكم مما يفعل»[(٢)].

ومعنى انبعث: قام بسرعة، والعارم: بالعين المهملة والراء: الشرير المفسد، وفيه التنبيه علىٰ منافاة مضاجعتهن وملاطفتهن لمجافاتهن وجلدهن والإغلاظ عليهن.

وفيه منع العرامة[(٣)] والجراءة علىٰ إماء الله، والاستهانة بميثاقهنَّ الغليظ، وهو الموقع في الشقاء والتعب.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره»[(٤)] معنى يفرك: يبغض، يقال فرِكت المرأة زوجها وفرِكها زوجها بكسر الراء يفرَكها بفتحها: أبغضها، وفيه أن المؤمن لا بد وأن يجد في المؤمنة ما يرضيه، فيخبر به ما يكرهه ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: ١١٤].

وإذا المحب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٤٢] كتاب تفسير القرآن، من سورة والشمس وضحاها، ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٨٥٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، والترمذي في سننه [٣٣٤٣] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة والشمس وضحاها، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٥٧].

(٢) تقدم تخريجه قبل هذا، وقال النووي: قوله ﷺ: «عزيز عارم» العارم بالعين المهملة والراء، قال أهل اللغة: هو الشرير المفسد الخبيث، وقيل: القوي الشرس، وقد عرُم بضم الراء وفتحها وكسرها عرامة بفتح العين وعراماً بضمها فهو عارم وعرم، وفي هذا الحديث النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب، وفيه النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره بل ينبغي أن يتغافل عنها ويستمر علىٰ حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره، ويظهر أنه لم يسمع، وفيه حسن الأدب والمعاشرة. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٥]".

(٣) عرم: فلان عرامة: شرس واشتد.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦١ ـ (١٤٦٩)] كتاب الرضاع، [١٨] باب الوصية بالنساء، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٢٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٠]، والتبريزي في المشكاة [٣٢٤٠].

وروينا في جامع الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص [١] الجشمي: أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا، ألا إن لكم علىٰ نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم علىٰ نسائكم فلا يوطئن فرشكم مَنْ تكرهون، ولا يأذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» [٢].

معنى عوان: أسيرات جمع عانية بالعين المهملة وهي الأسيرة، والعاني الأسير، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير، والضرب المبرح هو الشاق الشديد. [٣]

ومعنى فلا تبغوا عليهن سبيلاً: لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن، وتؤذوهنَّ به، فقد اشتمل علىٰ بيان أمور: أحدها: إن الذي يملكه الزوج حبسها علىٰ طاعته ويجب حكمه.

ثانيها: أنه يؤدب بقدر الحاجة من غير تبريح.

ثالثها: أن الإتيان بالفاحشة المبينة، أي التي لا يحتمل التأويل يؤدبن عليه.

رابعها: أن طاعتهن إذا وجدت انتفى السبيل عليهن.

---

(١) عمرو بن الأحوص أبو سليمان الجشمي الكيلاني الأزدي، صحابي له حديث في حجة الوداع، أخرج له أصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٢]، تقريب التهذيب [٢/ ٦٥]، الكاشف [٢/ ٣٢٣]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ١٦٩]، الجرح والتعديل [٦/ ٦٤٠]، ميزان الاعتدال [٣/ ٢١٠]، المغني [٤٤٩٩]، تراجم الأحبار [٢/ ٥٥٤]، الوافي بالوفيات [٢٢/ ٥٠٢].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦٣] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ الزوج، ورقم [٣٠٨٧] كتاب تفسير القرآن، من سورة التوبة، وابن ماجه في سننه [١٨٥١] كتاب النكاح، [٣] باب حق المرأة علىٰ الزوج، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٦]، والقرطبي في تفسيره [٥/ ١٨٣]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٩٦].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، وقال الحسن البصري: يعني غير مؤثر، قال الفقهاء: هو أن لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر فيها شيئاً. "تفسير ابن كثير [١/ ٤٩٢]".

خامسها: أن الحق المتوجه إليهن هو العفة والصيانة وحفظ الغيب.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث معاوية بن حيدة (١) قال: "قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت " أو اكتسيت " ولا تضرب الوجه ولا تُقبِّح ولا تهجر إلا في البيت» (٢).

ومعنى لا تقبح: لا تقول قَبَّحَكَ الله، وفيه بيان ما يجب من حقوقهن، ومجامعة الكفاية وكف الأذى بيد أو لسان أو جفاء، فيواسيها بما يسوغ شرعاً ومروءة. وروينا في جامع الترمذي مصححاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» (٣).

قلت: وهذا بيان منه ـ عليه السلام ـ علىٰ الدرجات.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء علىٰ أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم» (٤).

---

(١) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، جد بهز بن حكيم، الليثي، صحابي نزل البصرة ومات بخراسان، أخرج له البخاري تعليقاً وأصحاب السنن. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ٢٠٥]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٥٩]، الكاشف [٣/ ١٥٦]، تاريخ البخاري الكبير [٧/ ٣٢٩]، الجرح والتعديل [٨/ ٣٧٦]، الثقات [٣/ ٣٧٤]، أسد الغابة [٥/ ٢٠٨، ٢١٤]، الاستيعاب [٣/ ٤١٥، ٤٢٥]، أسماء الصحابة [٧٥]، طبقات ابن سعد [٧/ ٣٥].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٢] كتاب النكاح، باب في حق المرأة علىٰ زوجها، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٠٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥١]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٧٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٩].

(٣) أخرجه الترمذي [١١٦٢] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها، وأبو داود في سننه [٤٦٨٢] كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٠، ٤٧٢]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣]، والطبراني في الصغير [١/ ٢١٨]، وابن حبان في صحيحه [١٣١١، ١٩٢٦ ـ الموارد]، والهيثمي في المجمع [٤/ ٣٠٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٢٤٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٦] كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٨٥] كتاب النكاح، [٥١] باب ضرب النساء، والدارمي في سننه [٢/ ١٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٠٤، ٣٠٥] ، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٨٨، ١٩١]، وعبد الرزاق في =

معنى ذئرن: اجترأن، وأطاف: أحاط، فالذائرات يحتملن ويسامحن، ولا يؤذيهن خيار الناس وأشرافهم، بل شرارهم وأطرافهم.

وروينا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة». [(١)]

قلت: وهذا حسن بالغ، أعنى الخيرية، وتعميم الدنيا بما فيها، ومدار هذه الأحاديث إلىٰ بيان العناية الربانية بهن مع استحالة استقامتهن واستفتاح إهانتهن، وبيان الغرض المثالي والقدر المستفاد بالزواج وما تدعو الضرورة إليه من التأديب، وبيان العدل الواجب لهن، ومرتبة الفضل معهن وإن ذئرن، وبيان النعمة بهن وأشباه ذلك.

= مصنفه [١٧٩٤٥]، وابن حبان في صحيحه [١٣١٦ ـ الموارد]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ٢٠٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ ـ (١٤٦٧)] كتاب الرضاع، [١٧] باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤١]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٤/ ١٠١]، وابن كثير في تفسيره [٧/ ٣٧].

مجلس في حق الزوج على امرأته

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (١) الآية ففضله عليهن بما قام به من الكمال، وبما يكون منه من النوال، وأنه بذلك يستحق القوامية بالأمر المطاع والتدبير المرجوع إليه، ونحو هذا، كما يقدم الولاة علىٰ الرعايا والقنوت (٢) ملازمة الطاعة والتذلل (والغيب) (٣) النفس والمنزل والعيال وذات اليد.

والأحاديث في الباب كثيرة منها: حديث عمرو بن الأحوص السالف المجلس قبله.

ومنها: حديث أبي هريرة المرفوع: «إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح» (٤) أخرجاه.

وفي رواية لهما: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح» (٥)، وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلىٰ فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتىٰ يرضى عنها» (٦).

---

(١) سورة النساء [٣٤].
أي الرجل قيم علىٰ المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء: ٣٤] أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم، لقوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري. "تفسير ابن كثير [١/ ٤٩١]".

(٢) القنوت: الطاعة. (٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٣] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، وأبو داود في سننه [٢١٤١]، وأحمد في مسنده [٢/ ٨٦، ٣/ ٥١٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩٢]، والدارمي في سسنه [٢/ ١٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٤] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ومسلم في صحيحه [١٢٠ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢١ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

قلت: وأي منفِّر أو محذر مثل هذا.

ومنها حديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[١] أخرجاه، واللفظ للبخاري، ووجهه أن الصوم يمنع الجماع شرعاً، وهذا في التطوعات.

ومنها: حديث ابن عمر مرفوعاً: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي علىٰ الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع علىٰ أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية علىٰ أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع علىٰ مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[٢] أخرجاه أيضاً، فليحذر من أن يضيع شيئاً من حقه أو تنتهك شيئاً من حرمته.

ومنها حديث أبي علي طلق بن علي مرفوعاً: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت علىٰ التنور»[٣] أخرجه النسائي والترمذي وحَسَّنَهُ، وأي مبادرة وتأكيد طاعة كهذا.

ومنها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[٤] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وفيه أن الزوج له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٥] كتاب النكاح، [٨٧] باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ١٣١، ٣/ ٥٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٩٣] كتاب الجمعة، [١١] باب الجمعة في القرى والمدن، ورقم [٢٤٠٩] كتاب الاستقراض وأداء الديون، [٢٠] باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ورقم [٢٥٥٤] كتاب العتق، [١٧] باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، ورقم [٢٥٥٨] في العتق، [١٩] باب العبد راع في مال سيده، ونسب النبي ﷺ المال إلىٰ السيد، ورقم [٢٧٥١] كتاب الوصايا، [٩] باب تأويل قول الله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ [النِّساء: ١٢]، ورقم [٥١٨٨] كتاب النكاح، [٨٢] باب ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التّحريم: ٦]، ورقم [٥٢٠٠] كتاب النكاح، [٩١] باب المرأة راعية في بيت زوجها، ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (١٨٢٩)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث علىٰ الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، وأبو داود في سننه [٢٩٢٨] كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية، والترمذي [١٧٠٥] كتاب الجهاد، باب ما جاء في الإمام، وأحمد في مسنده [٣/ ٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٧، ٧/ ٢٩١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦٠] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وابن حبان في صحيحه [١٢٩٥ ـ الموارد]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٢٩٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٩٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٠] كتاب النكاح، باب في حق الزوج علىٰ المرأة، والترمذي في =

من المنزلة أن تسجد له المرأة ولولا أنه ممتنع شرعاً لأمرته، وأي تعظيم لأحد من الناس يداني هذا.

ومنها حديث أم سلمة مرفوعاً: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» [1] رواه الترمذي وحسنه.

وما أكرم هذا الوعد وأيسر هذا الوعد، وأيسر هذا العمل، وأشرف هذه المنزلة.

ومنها: حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا» [2] رواه الترمذي وحسنه.

وفيه تحذير المرأة من أن تدعو عليها زوجة زوجها من الحور العين، ويغتم له إذا أوذي، وفي إثارة هذا من الغيرة وخوف استجابة الله ـ تعالىٰ ـ ذلك الدعاء أبلغ زجر عن إيذاء المرأة زوجها بأي أمر صغير أو كبير.

ومنها: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ علىٰ الرجال من النساء» [3] أخرجاه.

= سننه [١١٥٩] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٨١، ٦/ ٧٦]، والحاكم في المستدرك، [٢/ ١٨٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩١، ٢٩٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤/ ٣٠٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٥/ ٢٣٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٥، ٥٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣١٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٤].

(١) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦١] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وابن ماجه في سننه [١٨٥٤] كتاب النكاح، باب حق الزوج علىٰ المرأة، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤/ ٣٠٣]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧٣].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١١٧٤] كتاب الرضاع، وابن ماجه في السنن [٢٠١٤] كتاب النكاح، باب في المرأة تؤذي زوجها، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠٩٦] كتاب النكاح، [١٨] باب ما يتقي من شؤم المرأة، ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٢٧٤٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي [٢٧٨٠] كتاب الأدب، باب ما جاء في تحذير فتنة النساء، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٩١]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٦٠٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٣٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٠٨٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ١٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٣٣]، والقرطبي في تفسيره [٤/ ٢٩، ١٢/ ٣١١].

ففتنة النساء أضرّ علىٰ الرجال من كل فتنة، فلتتق الله امرأة كل زوج ولا تفتنه.

فمدار هذه الأحاديث علىٰ زجر المرأة أن لا تنتهك حرمة زوجها أو حقه بحسي أو شرعي، وحملها علىٰ المبادرة إلىٰ طاعته، وعلى تعظيمه، والحرص علىٰ رضا قلبه وتحذيرها من إيذائه وفتنته.

مجلس في النفقة على العيال

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [1] ففيه توظيفهما به.

وقال تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [2] الآية، وهذا تفسير للمعروف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [3] وفيها تسهيل ذلك على النفوس بوعد الله لا غيره بأنه لا يخلفه ولا بد إما بثواب في الآخرة إما برزق غيره وإما بغير ذلك.

وروينا في صحيح مسلم [4] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار تنفقه في سبيل الله، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به علىٰ مسكين، ودينار أنفقته علىٰ أهلك، أعظمها أجراً [5] الذي أنفقته علىٰ أهلك».

وروينا فيه من حديث ثوبان مرفوعاً: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علىٰ

---

(١) سورة البقرة [٢٣٣].
أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره، كما قال تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧]. "تفسير ابن كثير [١/ ٢٨٣]".

(٢) سورة الطلاق [٧].

(٣) سورة سبأ [٣٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩ ـ (٩٩٥)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٧٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٦٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٣٦٤].

(٥) قال النووي: مقصود الباب الحث علىٰ النفقة علىٰ العيال وبيان عظم الثواب فيه؛ لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه، وهو أفضل من صدقة التطوع، ولهذا قال ﷺ في رواية ابن أبي شيبة: «أعظمها أجراً الذي أنفقته علىٰ أهلك» مع أنه ذكر قبله النفقة في سبيل الله وفي العتق، والصدقة ورجح النفقة علىٰ العيال علىٰ هذا كله.
"النووي في شرح مسلم [٧/ ٧١] طبعة دار الكتب العلمية".

عياله، ودينار ينفقه الرجل علىٰ دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه علىٰ أصحابه في سبيل الله» (١).

وروينا في الصحيحين من حديث أم سلمة قالت: " قلت: يا رسول الله هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم؟ قال: «نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم» " (٢).

وفيه أن في الأولاد أجر النفقة إن كان الطبع يهوى ذلك.

وروينا فيهما من حديث سعد بن أبي وقاص في حديثه الطويل السالف في أوائل الكتاب في النية: " أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها حتىٰ ما تجعل في فيّ امرأتك» " (٣).

وروينا فيهما من حديث أبي مسعود البدري مرفوعاً: «إذا أنفق الرجل علىٰ أهله يحتسبها فهو له صدقة» (٤).

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «كفى بالمرء إثماً أن يُضيِّع مَن يقوت» (٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٩٩٤)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، وابن ماجه في سننه [٢٧٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٧٧، ٢٧٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٦٧] كتاب الزكاة، [٥٠] باب الزكاة علىٰ الزوج والأيتام في الحجر، ومسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٠٠١)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٩٣، ٣١٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٧٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦] كتاب الإيمان، [٤٢] باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ورقم [١٢٩٥] كتاب الجنائز، [٣٦] باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة، وانظر أرقام [٢٧٤٢، ٣٧٤٤، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٣٥٤، ٥٦٥٩، ٥٦٦٨، ٦٣٧٣، ٦٧٣٣]، ومسلم في صحيحه [٥ ـ (١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٦٨، ٢٦٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٥]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٣٦].

(٤) أخرجه البخاري [٥٥] كتاب الإيمان، [٤٢] باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ورقم [٤٠٠٦]، [٥٣٥١]، ومسلم [٤٨ ـ (١٠٠٢)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٩٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٠، ١٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٦٧، ٩/ ٢٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣٢٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٣٨٢].

ولمسلم وغيره معناه: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»[(١)]، قلت: ولا تهديد مثله.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً»[(٢)].

فهذا دعاء للأول ودعاء علىٰ الثاني، فما أشرف السخاء دنيا وأخرى «ما نقص مال من صدقة»[(٣)].

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»[(٤)].

ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان رتبة الإنفاق وأرجحيته عند التعارض، وحصول الأجر في الأولاد والزوجة، وأنه صدقة، وتحذير المرء أن يضيع من يقوت أو يحبس عنه قوته، والأمر بالبداءة بمن يعول، فليعتن به اللبيب جهده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ ـ (٩٩٦)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ١٢٢، ٥/ ٨٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٤٢] كتاب الزكاة، [٢٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ الآية، ومسلم في صحيحه [٥٧ ـ (١٠١٠)] كتاب الزكاة، [١٧] باب في المنفق والممسك، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٨٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٩٢٠].

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير [١/ ٥٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٣/ ١٠٥]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٥٦، ٨/ ٣٩]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٥٩، ٥/ ٣٥].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٢٧] كتاب الزكاة، [٢٠] باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم في صحيحه [٩٥ ـ (١٠٣٤)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة، وأبو داود في سننه [١٦٤٨]، والترمذي في سننه [٢٣٤٣، ٢٤٦٣]، والنسائي [٥/ ٦١ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤، ٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٧، ١٨٠]، وابن أبي شيبة [٣/ ٢١١، ٢١٢]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٤١]، وابن أبي شيبة [٣/ ٢١١]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٦٤، ١٢/ ١٤٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٨١].

مجلس في الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١)

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (٢) الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس قال: " كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء (٣)، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب " قال أنس رضي الله عنه: " فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] قام أبو طلحة إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» (٤).

---

(١) سورة آل عمران [٩٢].

(٢) سورة البقرة [٢٦٧].
يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالإنفاق، والمراد به الصدقة ههنا، قاله ابن عباس، من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها، قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم، وقال علي والسدي ﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧]: يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض، قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٢٠]".

(٣) قوله: "وكان أحب الأموال إليه بيرحاء" اختلفوا في ضبط هذه اللفظة علىٰ أوجه، قال القاضي ـ رحمه الله: روينا هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء والراء، قال الباجي: قرأت هذه اللفظة علىٰ أبي ذر البروي بفتح الراء علىٰ كل حال، قال: وعليه أدركت أهل العلم والحفظ بالمشرق، وقال لي الصوري: هي بالفتح، واتفقا علىٰ أن من رفع الراء وألزمها حكم الإعراب فقد أخطأ، قال: وبالرفع قرأناه علىٰ شيوخنا بالأندلس، وهذا الموضع يعرف بقصر بني جديلة قبلي المسجد. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٧٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري [١٤٦١] كتاب الزكاة، [٤٦] باب الزكاة علىٰ الأقارب، وانظر أرقام [٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٤٥٥٥، ٥٦١١]، ومسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٩٩٨)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا =

فقال أبو طلحة [(١)]: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه".

روي: رايح، بالمثناة تحت، أي رايح عليك نفعه، وبالباء الموحدة أيضاً، وبيرحاء: حديقة نخل، بفتح الباء وكسرها.

وفيه المكافأة والاقتداء بالسادات وما يقابل والإشعار بمحبة الخير، والرغبة فيه والمبادرة إليه، واستشارة الأكابر، وقصد العمل بما فضل والتصدق بالمحبوب في الجهات المحبوبة، ومدح أهل الخير وتبشيرهم بعظيم الأجر ترغيباً لهم ولأمثالهم، فينبغي مساعدتهم علىٰ مقاصدهم الصالحة، وأعمالهم الزاكية الرابحة.

= مشركين، وأحمد في مسنده [٣/ ١٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥]، ومالك في الموطأ [٩٩٦].

(١) قوله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح» قال أهل اللغة: يقال بخ بإسكان الخاء وتنوينها مكسورة، وحكى القاضي الكسر بلا تنوين، وحكى الأحمر التشديد فيه، قال القاضي: وروى بالرفع، فإذا كررت فالاختيار تحريك الأول منوناً وإسكان الثاني، قال ابن دريد: معناه تعظيم الأمر وتفخيمه، وسكنت الخاء فيه كسكون اللام في هل وبل ومن، قال: بخ بكسره منوناً شبيه بالأصوات، كصه ومه، قال ابن السكيت: بخ بخ، وبه به بمعنى واحد، وقال الداودي: بخ كلمة تقال إذا حمد الفعل، وقال غيره: تقال عند الإعجاب. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٧٥] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (١) قلت: ويلحق بها كل عبادة وخير.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٢) قلت: فيلزموا بفعل الخيرات، وترك المنكرات، وتصحيح العقائد والنيات، وتحسين الأخلاق والمعاملات مع تسهيل التأديب وقبوله والترغيب فيه بذكر هول النار ووقودها وغلظة خزنتها، ورجوع أمرها إلىٰ مالك الملك ذي البطش جل جلاله.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال ﷺ: «كخ كخ ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة» (٣) وفي رواية لهما: «لا تحل لنا الصدقة» (٤).

وكخ كخ بإسكان الخاء وبكسرها من التنوين كلمة زجر للصبي من المستقذرات، وكان الحسن إذ ذاك صبياً.

---

(١) سورة طه [١٣٢].
أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت علىٰ فعلها كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. "تفسير ابن كثير [٣/ ١٧٥]".

(٢) سورة التحريم [٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٩١] كتاب الزكاة، [٦٢] باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٦١ - (١٠٦٩)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٢١٤].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦١ - (١٠٦٩)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم.

وفيه من أنواع التأديب خمسة: القبيح، ومخاطبة النصوح بما يفهم، كما يوضحها قوله: «كخ كخ»[(١)]، والأمر الموضح للمطلوب، كما في قوله: «ارم بها»، والتذكير والتعليل، كما في قوله: «أما علمت كذا..» وهو من أخف المراتب وأولها وقوعاً، ثم اليد وفيه من مجاري التأديب بعظيم حرمات الله في الأموال، وكونها مأكولة بلاغاً، وشدَّة الاعتناء لاسيما بالحرام منه، وبيان مستنده، وأن الإمام والعالم أو كبير المكان أو جد الصبي أو قريبه أهل للتأديب، وكيف باجتماعهما كما في النبي ﷺ مع الحسن.

وفيه من أسباب التأديب التساهل كما في أخذ التمرة وجعلها في الفم، ومثله كل تناول يتداعى إلىٰ الفساد، ومن شرطه وضوح عدم الحل وعدم الإقدام بغير عذر وابداؤه للنواظر كما فعل الحسن.

وفيه من الحوادث علم حكم الشرع ورحمة القلب، وحفظ الأمانة كما يشعر قوله: «كخ كخ» أي إنه مستقذر شرعاً يصير ناراً في البطن كما يشعر بأنه تضييع لحق الفقراء، والمتصدق في قوله: «لا تحل لنا الصدقة».[(٢)]

وروينا في الصحيحين من حديث أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال: " كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[(٣)] فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ ".

---

(١) قال القاضي: يقال كخ كخ بفتح الكاف وكسرها وتسكين الخاء ويجوز كسرها مع التنوين وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات فيقال: كخ أي اتركه وارم به، قال الداودي: هي عجمية معربة بمعنىٰ بئس، وقد أشار إلىٰ هذا البخاري بقوله في ترجمة، باب من تكلم بالفارسية والرطانة. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٥٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) الحديث دليل للشافعي وموافقيه أن آله ﷺ هم بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال بعض المالكية، وقال أبو حنيفة ومالك: هم بنو هاشم خاصة، قال القاضي: وقال بعض العلماء: هم قريش كلها، وقال أصبغ المالكي: هم بنو قصي، وأما صدقة التطوع فللشافعي فيها ثلاثة أقوال: أصحها: أنها تحرم علىٰ رسول الله ﷺ وتحل لآله، والثاني: تحرم عليه وعليهم، والثالث: لا تحل له ولهم. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٧٦] كتاب الأطعمة. [٢] باب التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، ورقم [٥٣٧٧، ٥٣٧٨] في الأطعمة، [٣] باب الأكل مما يليه، ومسلم في صحيحه [١٠٨ - (٢٠٢٢)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وابن ماجه في سننه [٣٢٦٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧٧]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٢٩].

ومعنى تطيش [١] تدور في نواحي الصحفة، وفيه من أنواع التأديب كنداء يا غلام، والأمر بضد المنكر، فمن أكل مما يليه لم تطش يده، وفي الطيشان إخجال يمنع المؤاكلة، وإنجاس له ولأمه من حيث أنه يتيم علىٰ مائدة متصدق مهان، فليراع المؤدب أمثال هذا، فعلى من هذه مكارمه أفضل صلاة وتسليم.

وفيه [٢] من مجازي التأديب ينال التناول، ويلحق به محاولة كل مفعول عادي بما بين الأكابر والعناية الشديدة.

وفيه بدئية التسمية والتيامن، وأن الأكل مما يليه أمر تأديب، وفي جميعها الإرشاد لحفظ العرض والوجاهة وتركه الطعام.

وفيه أن من أهل التأديب زوج الأم مع ما سلف ومن محله الربيب، ولاسيما كونه في الحجر، والصبي مع المخالط لقبول النصح، ولذلك قال: " لم تزل تلك طِعْمَتِي ".

وفيه أن من أسباب التأديب الإساءة كما في الطيشان، ويلحق به كل عيب يعافه جليسه، ولا بد من كونه بغير عذر ليخرج الطيشان في الفاكهة.

وفيه من الحوادث الحاملة عليه الحنق والرحمة والنصيحة المفهومة من قوله: «يا غلام» فعليه من ربه المنان به علىٰ كل صغير وكبير أفضل صلاة وأزكى سلام.

وروينا في الصحيحين [٣] أيضاً من حديث ابن عمر مرفوعاً: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [٤]؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده

---

(١) قوله: تطيش، بكسر الطاء وبعدها مثناة تحت ساكنة، أي تتحرك وتمتد إلىٰ نواحي الصحفة ولا تقتصر علىٰ موضع واحد، والصفحة دون القصعة وهي ما تسع ما يشبع خمسة، فالقصعة تشبع عشرة، كذا قاله الكسائي فيما حكاه الجوهري وغيره عنه، وقيل: الصحفة كالقصعة، وجمعها: صحاف. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل، وهي التسمية والأكل باليمين، والثالثة: الأكل مما يليه، لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة، وترك مروءة؛ فقد يتقذره صاحبه لاسيما في الأمراق وشبهها، وهذا هو في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان تمراً أو أجناساً فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه، والذي ينبغي تعميم النهي حملاً للنهي علىٰ عمومه حتىٰ يثبت دليل مخصص. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) تقدم تخريجه من قبل.

(٤) قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. "النووي في شرح مسلم [١٢/ ١٨٠] طبعة دار الكتب العلمية".

ومسئول عن رعيته» قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

وقد سلف قريباً وهو مبين لأهله ومحله، وأشد مرغِّب في التأديب إذ السؤال من الديان لا بد له من جواب صواب، فليعين برعايته أُولوا الألباب ليحظوا بسعادة القيام به يوم المآب.

وروينا في سنن أبي داود [١] بإسناد حسن من حديث عمرو بن شعيب [٢] عن أبيه عن جده مرفوعاً: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» [٣]، وفيه من أنواع التأديب والتعليم والأمر به في حال، أو الضرب في آخر.

وفيه من مجاري التأديب الصلاة، ويلحق به ما يطيقه الصبي من صيام وتلاوة وأوراد وغير ذلك من العبادات والتعليم، وفيه صيانة الفروج بالتفريق في المضاجع، وفيه أن المؤدب الوالد، ويلحق به ذو الولاية كما في حديث سبرة بن معبد الجهني [٤] مرفوعاً: «علِّموا الصبي الصلاة لسبع، واضربوه عليها ابن عشر سنين». رواه أبو داود والترمذي وحسنه [٥]، ولفظ أبي داود: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٥] كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ١٨٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١١، ١٤]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٠٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٦/ ٣١٧، ٩/ ١٤]، والقرطبي في تفسيره [١٨/ ١٩٥]، وابن كثير في تفسيره [٨/ ١٩٤].

(٢) عمر بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو إبراهيم، أبو عبد الله السهمي المدني الطائفي القرشي الحجازي، صدوق، أخرج له: البخاري في جزء القراءة وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة [١١٨]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٤٨]، تقريب التهذيب [٢/ ٧٢]، الكاشف [٢/ ٣٣١]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٣٤٢]، الجرح والتعديل [٦/ ١٣٢٣]، ميزان الاعتدال [٣/ ٢٦٣]، سير الأعلام [٥/ ١٦٥].

(٣) تقدم قبل هذا.

(٤) سبرة بن معبد بن عوسجة الجهني المدني، والد الربيع، صحابي، أول مشاهده الخندق، أخرج له: البخاري تعليقاً ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي في خلافة معاوية. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٤٥٣]، تقريب التهذيب [١/ ٢٨٣، ٢٨٤]، الكاشف [١/ ٣٤٨]، تاريخ البخاري الكبير [٤/ ١٧٨]، الجرح والتعديل [٤/ ١٢٨١]، أسد الغابة [٢/ ٣٢٥]، الوافي بالوفيات [١/ ٥٨]، الاستيعاب [٢/ ٥٧٩]، الثقات [٣/ ١٧٦]، أسماء الصحابة الرواة [١٢٨]، الإكمال [١/ ٢٣٢].

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٤] كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، والترمذي في سننه [٤٠٧] في الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/

=

وفيه الأمر بالضرب في سن التمييز وهو ابن سبع ونحوها، والضرب في سن إمكان البلوغ وهو عشر ونحوها، وفيه من أسباب التأديب الحاجة إلىٰ تمرين النفس، واعتيادها الخير، وحفظ الفرج بعد التمييز عند مظنة البلوغ.

والحاصل من هذه الأحاديث بيان أنواع التأديب ومراتبه ومجاريه وأنواعه وأهله ومحله، وبيان سببه وشرطه، وبيان ما يحدث إليه ويعزي به.

= ١١، ١٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٩٧]، والخطيب في الفقيه والمتفقه [١/ ٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣١٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٠٠]، والقرطبي في تفسيره [١٨/ ١٩٥].

مجلس في حق الجار والوصية به

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾.(١)

وروينا في الصحيحين (٢) من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه» وهو دال علىٰ تأكد حقه وإظهار شدة الاعتناء بشأنه وتكرير الوصية به.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» (٣) وفي رواية له عن أبي ذر قال: " إن خليلي ﷺ أوصاني: «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف». (٤)

وفيه من أنواع حقه إسداء المعروف إليه وتسهيل فعله والدوام عليه.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٥)، وفي لفظ: «لا

---

(١) سورة النساء [٣٦].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٥] كتاب الأدب، [٢٨] باب الوصاية بالجار، ومسلم في صحيحه [١٤١ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار والإحسان إليه، وأبو داود في سننه [٥١٥٢]، والترمذي في سننه [١٩٤٣] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، وابن ماجه [٣٦٧٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٨٥، ١٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥، ٧/ ١١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٥٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٥٢ ـ الموارد]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٧٤٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٦٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٦٦، ١٢/ ٣٦٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٢ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار والإحسان إليه، وأحمد في مسنده [٥/ ١٤٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٣ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار، والإحسان إليه، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣٧]، والبخاري في الأدب المفرد [١١٤]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٦٦، ١٦٧]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٢٢٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٦] كتاب الأدب، [٢٩] باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، =

يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[١]، والبوائق: الغوائل والشرور، وفيه من أنواع حقه معاملات توجب أمن قلبه وطمأنينته بحيث لا يتوقع شيئاً من البوائق.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة جارتها، ولو فِرسِنَ شاة»[٢].

وفيه من أنواع الحق أن هداياه وإن قلت حتىٰ فرسناً محقراً لا يحتقر، وقد يلحق به كل إحسان كبشاشة ودعاء وتأنيس وتودد، ونحو ذلك.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره» ثم يقول أبو هريرة: " مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمينَّ بها بين أكتافكم "[٣].

خشبة: ويروى بالإفراد والجمع، وبالتنوين علىٰ الإفراد، وقوله: مالي أراكم عنها معرضين، أي عن هذه السُّنَّة.

وفيه أن سؤاله لا يرد، وطلباته وحاجاته تُقضى له.

= وبلفظ يأتي في مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٤٦)] كتاب الإيمان، [١٨] باب بيان تحريم إيذاء الجار، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٨٨، ٤/ ٣، ٦/ ٣٨٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٠، ٤/ ١٦٥]، والشجري في أماليه [١/ ١٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٩].

(١) أخرجه مسلم وقد تقدم قبل هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٧] كتاب الأدب، [٣٠] باب لا تحقرن جارة لجارتها، ومسلم في صحيحه [٩٠ ـ (١٠٣٠)] كتاب الزكاة، [٢٩] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٤، ٣٠٧، ٤٣٢]، والبيهقي في السنن الكبرىٰ [٤/ ١٧٧، ٦/ ٦٠]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣١٠]، وقال النووي: قوله ﷺ: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» قال أهل اللغة: هو بكسر الفاء والسين، وهو الظلف، قالوا: وأصله في الإبل، وهو فيها مثل القدم في الإنسان، قالوا: ولا يقال إلا في الإبل، ومرادهم أصله مختص بالإبل ويطلق علىٰ الغنم استعارة، وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر، وإن كان قليلاً كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] . "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٠٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٣] كتاب المظالم، [٢٠] باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره، ومسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (١٦٠٩)] كتاب المساقاة، [٢٩] باب غرز الخشب في جدار الجار، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٤٧]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ٤٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٩٩٤]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٢١٤].

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (١).

وفيه كف كل إيذاء عنه وعن أهله وعن أطفاله.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي مرفوعاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (٢)، وروى البخاري (٣) بعضه، وفيه الترغيب في الإحسان إليه.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عائشة: " قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أُهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً» " (٤) أي لأنه أقرب جواراً كما جاء في رواية أخرى.

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه [٧٥ ـ (٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٧٦، ١٠/ ٣٠٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ٢٤١]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٩]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ١٣٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٤٨)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث عن إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، والدارمي في سننه [٢/ ٩٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٦٧٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٥٢، ٣٥٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٢٥٠]، وابن المبارك في الزهد [١٢٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٨].

(٣) البخاري في صحيحه [٦٠١٩] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٢٠] كتاب الأدب، [٣٢] باب حق الجوار في قرب الأبواب، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٣٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٦٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٢١، ٤٢٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣٦].

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٤٤] كتاب البر والصلة، ما جاء في حق الجوار، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٨]، والحاكم في المستدرك [١/ ٤٤٣، ٢/ ١٠١]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٥١ ـ الموارد]، وابن خزيمة في صحيحه [٥٢٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٩٨٧]،

قلت: فاحرص أن تكون خيرهم عند الله، واستعن بالله ولا تعجز.

والحاصل من هذه الأحاديث بيان تأكيد حق الجار، وأنواع ما ينبغي معه، وأولى الجيران عند التزاحم وتفاوت درجات الإحسان لتحرص، ويتنافس في أعلاها المتنافسون.

= والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٩]، والشجري في أماليه [٢/ ١٣٩، ١٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٦٠]، وابن كثير في تفسيره [٢/ ٢٦٢].

مجلس في تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (١) فالقاطع لُعِنَ وصُمَّ وَعُمِيَ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرّعد: ٢٥] إلىٰ قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٥] (٢) ذكر ذلك بلام الاستحقاق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣](٣) الآية، وأف والنَّهْرُ نوعان نبه بهما علىٰ الأعلى بالأدنى.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس وقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت • (٤) فقرن عقوق الوالدين بالشرك بالله، وحكم بأنه أكبر الكبائر،

---

(١) سورة محمد [٢٢، ٢٣].
أي عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٢٢] أي تعودوا إلىٰ ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء؛ تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محَمَّد: ٢٣] وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله ـ تعالىٰ ـ بالإصلاح في الأرض وصلة الرحم وهو الإحسان إلىٰ الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. "تفسير ابن كثير [٤/ ١٧٨]".

(٢) سورة الرعد [٢٧].

(٣) سورة الإسراء [٢٣]. يقول تعالىٰ آمراً بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد ﴿وَقَضَىٰ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]: يعني وصى، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وأمر بالوالدين إحسانا، كقوله في الآية الأخرى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمَان: ١٤]، وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتىٰ ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٥]".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩١٩] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، ومسلم في صحيحه [١٤٣ ـ (٨٧)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٣١، ٥/ ٣٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٢١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٠٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١١٧، ١٤٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٤٠].

ولا مرتبة أعلا من هذا.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» (١).

واليمين الغموس التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم، فجعل العقوق بين الشرك وقتل النفس، وهي مرتبة عظمى.

وروينا في الصحيحين عنه مرفوعاً: «من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟!! قال: «نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (٢).

وفي رواية: «من الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسبُّ الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه» (٣).

وهذا النوع من العقوق وهو السب بشتم الناس وبلعنهم إلىٰ أن يسُبَّ الأب والأم(٤).

وروينا فيهما من حديث أبي محمد جبير بن مطعم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» (٥) قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم، قلت: وهذا غاية في التنفير.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٥] كتاب الأيمان والنذور، [١٦] باب اليمين الغموس، ورقم [٦٨٧٠] كتاب الديات، [٢] باب قول الله ـ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المَائدة: ٣٢]، ورقم [٦٩٢٠] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٤٧، ٦٢١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٣] كتاب الأدب، [٤] باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم في صحيحه [١٤٦ ـ (٩٠)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، والترمذي في سننه [١٩٠٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في عقوق الوالدين، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٤، ١٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩/ ٨٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٨٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٤٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٣] كتاب الأدب، [٤] باب لا يسب الرجل والديه.

(٤) قال النووي: وأما قوله ﷺ: «من الكبائر شتم الرجل والديه» إلىٰ آخره، ففيه دليل علىٰ أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين، وفيه: قطع الذرائع، وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، قال: وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية ومخالفة أمرهما في ذلك عقوق. "مختصراً عن النووي في شرح مسلم [٢/ ٧٥، ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) البخاري في صحيحه [٥٩٨٤] كتاب الأدب، [١١] باب إثم القاطع، ومسلم في صحيحه [١٨ ـ =

وروينا فيهما من حديث أبي عيسى المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعاً: «إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(١).

قوله: منع معناه: منع ما وجب عليه، وهات: طلب ما ليس له، ووأد البنات: دفنهن في حال الحياة، وقيل وقال: معناه الحديث بكل ما سمعه، فيقول: قيل كذا، وقال فلان كذا مما لم يعلم صحته ولا يظنها «وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»(٢) وإضاعة المال: تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا، وترك حفظه مع إمكان الحفظ، وكثرة السؤال: الإلحاح فيما لا حاجة إليه.

وفي الباب أحاديث مذكورة في باب بر الوالدين كحديث: «واقطع من قطعك»(٣)، وحديث: «من قطعني قطعه الله»(٤) فخاصة القطيعة قطع الله لصاحبها ونتائج ذلك من الشفا لا تنحصر.

وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة العقوق، وأنواع منه ونتائجه وحكمه ومنفرداته وزواجره.

= (٢٥٥٦)]، [١٩] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وأبو داود في سننه [١٦٩٦]، والترمذي [١٩٠٩] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨٠، ٨٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٢٢٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٠٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٥] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (٥٩٣)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٦٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩١٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٥)] في المقدمة، [٣] باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦]، وقال النووي: فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثماً، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [١/ ٧١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) رواه البخاري في صحيحه [٥٩٨٧] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٥٥٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٨] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٥٥٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

مجلس في فضل بر أصدقاء الأب والأم

والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه.

روينا في صحيح مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أبر البر أن يصل الرجل ودَّ أبيه»[1]، وفي رواية له: أن ابن عمر أعطى أعرابياً دابة وعمامة لأنه كان ودَّ أبيه.[2]

قلت: وهذا التعبير أعني أنه أبر البر، أعلا المراتب، ولقد كان ابن عمر شديد الاتباع، فبرَّ هذا الأعرابي صديق والده بما قدر عليه.[3]

وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم؛ الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[4].

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: " ما غِرْتُ علىٰ أحد من نساء رسول الله ﷺ ما غرت علىٰ خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٥٥٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤] باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

(٢) أخرجه بقصة الأعرابي مسلم في صحيحه [١١ـ (٢٥٥٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤] باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

(٣) الود هنا مضموم الواو، وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج، وقد سبق أحاديث إكرامه ﷺ خلائل خديجة . "انظر النووي في شرح مسلم [٨٩/١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٤٢] كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، وابن ماجه في سننه [٣٦٦٤] كتاب الأدب، [٢] باب صل من كان أبوك يصل، والحاكم في المستدرك [١٥٥/٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٢٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩٣٦].

منها ولد» "[١]، وفي رواية: " إن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهنَّ "[٢]، وفي رواية: " كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلىٰ أصدقاء خديجة»[٣]، وفي رواية قالت: " استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علىٰ رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»[٤]

قولها: فارتاح هو بالحاء المهملة، وفي جمع الحميدي فارتاع بالعين ومعناه: اهتم به.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: " خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً، آليت أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته "[٥].

وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة بر أصدقاء الأب، وأنه من حقوقه وبيان أنواع منه، ومحله وبيان أنه شأن الأكابر وأهل الوفاء، والترغيب فيه قولاً وفعلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨١٨] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٥ - (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالىٰ عنها - والترمذي في سننه [٢٠١٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن العهد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨١٦] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٤ - (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٥ - (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالىٰ عنها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨٢١] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٨ - (٢٤٣٧)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله تعالىٰ عنها - والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٠٧]، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٤، ٤/ ١٥٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٤٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ١٦٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨١ - (٢٥١٣)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٥] باب في حسن صحبة الأنصار.

مجلس في إكرام بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾[1].

وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢][2] وروينا في صحيح مسلم[3] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: " قام رسول الله ﷺ فينا يوماً خطيباً بماء يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة[4] فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذَكَّر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له الحصين: ومَنْ أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة[5] بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي،

---

(١) سورة الأحزاب [٣٣].

(٢) سورة الحج [٣٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١٤٨، ٧/ ٣٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦١٣١].

(٤) قوله: " ماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة " هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم، وهو اسم لغيضة علىٰ ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إلىٰ الغيضة، فيقال غدير خم، وقوله ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين» فذكر كتاب الله وأهل بيته، قال العلماء: سُميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) قوله: " ولكن أهل بيته من حرم الصدقة " هو بضم الحاء وتخفيف الراء، والمراد بالصدقة الزكاة، وهي حرام عندنا علىٰ بني هاشم وبني المطلب، وقال مالك: بنو هاشم فقط، وقيل بنو قصي، وقيل قريش كلها. قوله في الرواية الأخرى: فقلنا من أهل بيته نساؤه، قال: لا، هذا دليل لإبطال قول من قال: هم قريش كلها، فقد كان في نسائه قرشيات، وأما قوله في الرواية الأخرى: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة، قال: وفي الرواية الأخرى، فقلنا من أهل بيته نساؤه، قال: لا، فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف في معظم =

وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم.

وفي رواية له: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله، وهو حبل الله[١] من اتبعه كان علىٰ الهدى، ومن تركه كان علىٰ ضلالة»[٢].

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عمر عن أبي بكر الصديق موقوفاً عليه أنه قال: "أُرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته"[٣].

ومعنى ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه.

= الروايات في غير مسلم أنه قال نساؤه لسن من أهل بيته، فتتأول الرواية الأولى علىٰ أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم، وذكر فنساؤه داخلات في هذا كله، ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، وقد أشار إلىٰ هذا في الرواية الأولى بقوله نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان. "النووي في شرح مسلم [١٥/١٤٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) قال النووي: المراد بحبل الله عهده، وقيل: السبب الموصل إلىٰ رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧١٣] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١١ باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ورقم [٣٧٥١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢٣] باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

مجلس في فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

وهو فيما قال الجنيد:(١) استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.

وقال أبو سليمان الداراني: ترك ما هو أشغل عن الله.

وقال الشبلي: هو غروب النفس عما سوى الله، وثمرته أن لا تفرح بموجود من ذلك، ولا تأسي على مفقود منه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤] إلىٰ قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

فأخبر الله أن سرعة الدنيا وإقبالها وسرعة زوالها كالزرع، ثم ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾(٤) إلىٰ قوله: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾(٥).

---

(١) ومن أقواله: أعلى درجة الكبر أن ترى نفسك وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك، وقال الجريري: سمعته يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات، وذكر أبو جعفر الفرغاني أنه سمع الجنيد يقول: أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب ـ جل جلاله ـ من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٣٠١ ـ ٣٢٠]".

(٢) سورة يونس [٢٤].
ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤] أي زينتها الفانية ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] أي حسنت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ [يونس: ٢٤] أي جذاذها وحصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤] "تفسير ابن كثير [٢/ ٤٢٢]".

(٣) سورة الحاقة [٨].

(٤) سورة الكهف [٤٥].

(٥) الكهف [٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠] إلىٰ قوله: ﴿الْغُرُورِ﴾ (١).

فالدنيا ليست إلا من محقرات الأمور، فأي جدوى لها.

وقوله: كفيت، كناية عن سرعة زوالها، وفي الآخرة الأمور العظام الذي يعتنى بمثلها أولوا النهى.

وقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤] (٢) إلىٰ قوله: ﴿الْمَآبِ﴾، ففيها بيان الوسائل الموصلة إلىٰ ذلك من نساء وحرث وغير ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥﴾ (٣)، وفيها النهي عن الاغترار والانخداع إما بالدنيا حتىٰ يذهب التمتع بها، والتلذذ بمتاعها عن العمل للآخرة، وطلب ما عند الله.

وإما ما يوسوس به الغَرور من أنه لا يغتر من يموت، ولئن بعثت ﴿إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (٤)، وأشباه ذلك ما قعد عن سبيل الله، والتزود للقيامة.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ (٥) الآية، فعاقبة الإلهاء ومنشؤه الجهل المحض.

---

(١) سورة الحديد [٢٠].

(٢) سورة آل عمران [١٤]. يخبر تعالىٰ عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذّ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء» فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٥١]".

(٣) سورة فاطر [٥].
قوله تعالىٰ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [فَاطِر: ٥] أي المعاد كائن لا محالة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلىٰ ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمَان: ٣٣] وهو الشيطان، قاله ابن عباس، أي لا يفتنكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته؛ فإنه غرار كذاب أفاك.
"تفسير ابن كثير [٣/ ٥٦٥]".

(٤) سورة فصلت [٥٠].

(٥) سورة التكاثر [١].
يقول تعالىٰ: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها، وقال الحسن البصري: ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٤٤]".

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[١] الآية، وفيها ازدراء الدنيا وتصغير أمرها كما يفهمه قوله: هذه، وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة[٢].

والمعنى وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها غير منتفعين بها بطائل إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، وأن الآخرة ليس فيها إلا حياة مستمرة[٣] دائمة خالدة لا موت فيها، فكأنها في ذاتها حياة.

والحيوان مصدر حي، وأصله حييان، وفي بناء حيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في فعلان من معنى الحركة والاضطراب.

والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه علىٰ بناء دال علىٰ معنى الحركة مبالغة في معناه.

وحاصل هذه الآيات البدأة بذكر ما فيه الزائل الفاسد، ثم بما فيه الباقيات الصالحات[٤]، ثم بما يوضح مقاصد الزائل ووسائله الحقيرة، ثم ما ينهي عن الاغترار به، ثم بيان وبال عاقبة ذلك وهو الاغترار.

والآيات في الباب كثيرة مشهورة، ولنختم بالأحاديث، ومدارها علىٰ التحذير من الدنيا، وذكر سبب الانحدار بها، وما يسلي عنها وما ينفر عنها، وتحقير أمرها

---

(١) سورة العنكبوت [٦٤].

(٢) روى الترمذي [٢٣٢٠] في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤٠ - (٢٨٤٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت» قال: «فيؤمر به فيذبح» قال: «ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] » وأشار بيده إلىٰ الدنيا.

(٤) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس: الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي ؟ فقال: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٨٨]".

وتسهيل الغروب عنها، وكيف ينبغي أن يكون الإنسان فيها وخاصة الزهد.

ومن أهله وما حالهم ومرتبة الدنيا عند الله، وما لولاه لم يخلق وما يسقط الاعتبار منها، وأن الكافي منها قليل، والزائد مذموم مناف لمحبة الشارع، وذم الحرص وطول الأمل، ودلائل منازل الزهد، وذكر فوائده وموجباته ومجاريه.

وجماع ذلك أربعة وثلاثون حديثاً، وإن كانت أكثر من أن تحصى، وهذا الطرف ينبه علىٰ ما سواه.

الحديث الأول: حديث عمرو بن عوف الثابت في الصحيحين (١): " أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فَوَافَوْا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى انصرف، فتعرضوا له، فتبسم حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟» فقالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علىٰ من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» (٢) وفيه أن شأن الدنيا الإغراء بالتنافس والاتباع في الهلاك الديني والدنيوي بدليل من سلف".

الثاني: من حديث أبي سعيد الخدري الثابت في الصحيحين (٣) أيضاً قال: جلس رسول الله ﷺ علىٰ المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم بعدي ما يُفْتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٠١٥] كتاب المغازي، باب [١٢] من شهود الملائكة بدراً، ورقم [٦٤٢٥] كتاب الرقاق، [٧] باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ورقم [٣١٥٨] كتاب الجزية والموادعة، [١] باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ومسلم في صحيحه [٦ ـ (٢٩٦١)] كتاب الزهد والرقائق، في فاتحته، والترمذي في سننه [٢٤٦٢] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٢٨]، وابن ماجه في سننه[٣٩٩٧] كتاب الفتن، باب فتنة المال، وأحمد في مسنده [١٣٧/٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤/ ٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧/ ٢٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٨/ ٨٧].

(٢) تقدم تخريجه في أوله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٢٧] كتاب الرقاق، [٧] باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (١٠٥٢)] كتاب الزكاة [٤١] باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، وأحمد في مسنده [٣/ ٢١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٥٣].

وفيه إرشاد إلىٰ أن الدنيا جميع سرور العالم، إذ لا محذور ولا مخوف سواها.

الحديث الثالث: حديثه أيضاً الثابت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة (١)، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (٢).

وفيه تصريح بمقتضى ما قررناه، وفيه وما قبله أبلغ تحذير، وفيه بيان ما ينخدع به أبناء الدنيا، وأن استخلافهم فيها كرامة فيما ظنوه وليس ابتلاء.

الحديث الرابع: حديث أنس الثابت في الصحيحين مرفوعاً: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (٣).

وفيه ما يسلي عن الدنيا، ورغد عيشها؛ فإنه ليس بعيش حقيقي، والحقيقي هو الأخروي، وهذه اللفظة قالها ﷺ في أشد حاليه وأشرها تزهيداً وتصبيراً.

الخامس: حديثه أيضاً في الصحيحين مرفوعاً: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (٤) أخرجاه.

---

(١) قوله ﷺ: «إن الدنيا خضرة حلوة. . . .» إلىٰ آخره، قال النووي: معناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن، ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيئان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً، فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين، ومعنى مستخلفكم فيها: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ٤٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٢٧٤٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي [٢١٩١] كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وابن ماجه في سننه [٤٠٠٠] كتاب الفتن، باب فتنة النساء، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٦٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣١١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٣] كتاب الرقاق، [١] باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، ومسلم في صحيحه [١٢٦ ـ (١٨٠٤)] كتاب الجهاد والسير، [٤٤] باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، والترمذي في سننه [٣٨٥٦]، [٣٨٥٧] كتاب المناقب، باب في مناقب أبي موسى الأشعري، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٢، ٢٧٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٨، ٩/ ٣٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ٣٠١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٩٧٢]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢٣٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٩٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥١٤] كتاب الرقاق، [٤٢] باب سكرات الموت، ومسلم في =

وهذا أول المنفرات، وهو أن الدنيا مودِّع مفارق لا صديق ملازم.

أحــلام نــوم أو كــظــل زائــل إن الـلـبـيـب بـمـثـلـهـا لا يـنـخـدع

كــيــف الــسرور بــإقــبــال وآخـره إذا مــا تــأمــلــه مــقــلــوب إقــبــال

السادس: حديثه مرفوعاً: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة [1] فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». أخرجه مسلم[2].

وهو ثاني التنفيرات، أي أنها توقع في النار، وحينئذ فكأنها لم تكن ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾[3].

السابع: حديث المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع»[4] أخرجه مسلم.

= صحيحه [٥ ـ (٢٩٦٠)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٣٧٩] كتاب الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وأهله وولده وماله وعمله، وأحمد في مسنده [٣/ ١١٠]، والنسائي [٤/ ٥٣ ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٤]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٠٠، ٨/ ١٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٦٧].

(١) قوله: «فيصبغ صبغة في الجنة» الصبغة بفتح الصاد أي يُغْمَسُ غمسة، والبؤس بالهمزة هو الشدة، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٨٠٧)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٢] باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة، وأحمد في مسنده [٣/ ٢٠٣]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [١١٦٧].

(٣) سورة الشعراء [٢٠٥ ـ ٢٠٧].
أي لو أخذناهم وأنظرناهم وأمليناهم برهة من الدهر وحيناً من الزمان وإن طال، ثم جاءهم أمر الله أيَّ شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٦٠]".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٨٥٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٤] باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، والترمذي في سننه [٢٣٢٣] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ والحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٢٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٣٢٧، ٣٣٩]، والشجري في أماليه [٢/ ١٦٠]، والمنذري في =

وهو ثالث المنفرات، وهو أنها تُفوِّت الآخرة ونسبتها في القلة إليها كبلة إصبع بالنسبة إلىٰ اليم، ليت شعري هل يفهم لها نسبة أو هل يعبر عن قلة وحقارة بأبلغ من ذلك، أو هل يصرف النفس عنها بأحسن من ذلك.

الثامن: حديث جابر ﷺ: " أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم» "[1] أخرجه مسلم.

قوله: كنفته: أي عن جانبيه، والأسك الصغير الأذن.

وفي هذا البيان المنفر الرابع، وهو أنها أهون عند الله من هوان جدي أسك ميت علىٰ من يُعرض عليه بدرهم أو بلا شيء.

التاسع: حديث أبي ذر ﷺ قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرَّة المدينة فاستقبلنا أُحد، فقال: «يا أبا ذر[2]» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ما

= الترغيب والترهيب [٤/ ١٧٤].

قال النووي: اليم البحر، وقوله بم ترجع ضبطوه بم ترجع بالمثناة فوق والمثناة تحت، والأول أشهر، ومن رواه بالمثناة تحت أعاد الضمير إلىٰ أحدكم، والمثناة فوق أعاده علىٰ الأصبع، وهو الأظهر، ومعناه لا يعلق بها كثير شيء من الماء، ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلىٰ الآخرة في قصر مدتها وفناء لذتها، ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلىٰ باقي البحر. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٩٥٧)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ١٣٩]، والبخاري في الأدب المفرد [٩٦٢].

(٢) قوله ﷺ: «يا أبا ذر» فيه مناداة العالم والكبير صاحبه بكنيته إذا كان جليلاً، وقوله: «من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟!! قال: وإن زنى وإن سرق» فيه دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار، خلافاً للمعتزلة والخوارج، وقال النووي في موضع آخر: مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً علىٰ كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد. "النووي في شرح مسلم [١/ ١٩٢، ٧/ ٦٥]، طبعة دار الكتب العلمية".

يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه ديناراً إلا شيئاً أرصده لِدَيْنٍ إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشى فقال: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا ـ عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ـ وقليل ما هم» ثم قال لي: «مكانك لا تبرح حتىٰ آتيك» ثم انطلق في سواد الليل حتىٰ توارى، فسمعت صوتاً قد ارتفع، فتخوفت أن يكون قد عرض للنبي ﷺ فأردت أن آتيه، فذكرت قوله لي: «لا تبرح حتىٰ آتيك» فلم أبرح حتىٰ أتاني، قلت: يا رسول الله لقد سمعت صوتاً تخوفت فذكرت له، فقال: «وهل سمعته؟» قلت: نعم، قال: «ذلك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»(١) أخرجاه والسياق للبخاري.

وهو بيان للمنفر الخامس، وهو أكمل العقلاء عقلاً، ما يسره أن يكون عنده مثل أحد ذهباً إلىٰ آخر الحديث، ليس ذلك إلا لعلمه بحقائق الأشياء وما فيه منها خير وما لا، ويوضحه قوله: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة» (٢) وفي الرواية الأخرى: «ليسرني أن لا يمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء» (٣).

وفرق بين قولك: ما يسرني أن يبقى، ويسرني أن لا يبقى.

العاشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرَّني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين»(٤) أخرجاه.

الحادي عشر: حديثه أيضاً مرفوعاً: «انظروا إلىٰ من أسفل منكم، ولا تنظروا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٤] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، ومسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٩٩١)] كتاب الزكاة، [٩] باب الترغيب في الصدقة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٦٥، ٧/ ٢٣٤]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١١، ٨/ ١٤٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٧٠، ٦/ ١٤٦].

(٢) انظر ما تقدم.

(٣) هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه [٦٤٤٥] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، ومسلم في صحيحه [٣١ ـ (٩٩١)] كتاب الزكاة، [٨] باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٥٤]، وابن حجر في تغليق التعليق [٨٢٧]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١١٣٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٥] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، وقد تقدم نخريجه قبل هذا، وهو في مسلم بلفظ: «تأتي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لدَيْن عليَّ».

إلىٰ من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله»[(١)] أخرجاه والسياق لمسلم، وفي البخاري: «إذا نظر أحدكم إلىٰ من فُضِّل عليه في المال والخَلْق، فلينظر إلىٰ من هو أسفل منه»[(٢)].

وهذا أول مسهل للزهد علىٰ أهله، وهو المنازلة لا العلو.

الثاني عشر: حديثه أيضاً مرفوعاً: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إن أُعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض»[(٣)] أخرجه البخاري.

وهو ثاني مسهل له، وهو دعاء بذلك والإخبار به لمن عبد غير خالقه.

الثالث عشر: عنه أيضاً قال: " لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم من رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته "[(٤)] أخرجه البخاري.

وهو ثالث مسهل، وهو حكاية حال الزاهدين وكثرتهم، وفي من ليس مثلهم أُسوة فكيف بهم، وإشارة شديدة لخُلُق المحاكاة.

الرابع عشر: عنه مرفوعاً: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[(٥)] أخرجه مسلم.

وهو رابع مسهل، فما أفرح المؤمن بضيق دنياه، وما أحزنه باتساعها (لا لكاد)[(٦)] ذلك.

---

(١) انظر تخريج ما يليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٠] كتاب الرقائق، [٣٠] باب لينظر إلىٰ من هو أسفل منه ولا ينظر إلىٰ من هو فوقه، ومسلم في صحيحه [٩ـ (٢٩٦٣)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٥١٣] كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع، وابن ماجه في سننه [٤١٤٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٨٢، ٢٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٦٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٣٥] كتاب الرقاق، [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، وابن ماجه في سننه [٤١٣٥، ٤١٣٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٥٩، ١٠/ ٢٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٤٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٢] كتاب الصلاة، [٥٨] باب نوم الرجل في المسجد.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٩٥٦)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٣٢٤] كتاب الزهد، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وابن ماجه [٤١١٣] في الزهد، باب مثل الدنيا، وأحمد في مسنده [٢/ ١٩٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٣٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ١٧٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٨٨ ـ الموارد].

(٦) كذا بالأصل.

الخامس عشر: حديث ابن عمر ﵄ قال: " أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ".

وكان ابن عمر يقول: " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك " (١) أخرجه البخاري.

أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلىٰ أهله.

وهذا بيان حال العاقل في دنياه، ولا أجمع من قوله: " كن " إلىٰ آخره، فإن الغريب والمسافر لا يركن إلىٰ غير مستقره، ولا يُعْنَى به، ولا يتخذه وطناً، ولا يعلق قلبه بشيء منه كما أوضحناه.

السادس عشر: حديث سهل بن ساعد الساعدي قال: " جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني علىٰ عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» ". (٢) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

وفيه ذكر خاصية الزهد ولازمه، وهو محبة الله للزاهد، ومحبة الناس له، وكفى بذلك ترغيباً فيه ومدحاً له.

السابع عشر: حديث النعمان ﵄ قال " ذكرت لعمر بن الخطاب ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دَقَلاً يملأ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٦] كتاب الرقاق، [٣] باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، والترمذي في سننه [٢٣٣٣] كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، وابن ماجه [٤١١٤] كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٣٩٩]، والطبراني في الصغير [١/ ٣٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٧٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١٣].

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه [٤١٠٢] كتاب الزهد، [١] باب الزهد في الدنيا، وقال في الزوائد: في إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق علىٰ ضعفه، واتهم بالوضع، وأورد له العقيلي هذا الحديث وقال: ليس له أصل من حديث الثوري، لكن قال النووي عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، وأخرجه الحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٨٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ١٣٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٥٦]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣٠٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٣٨].

به بطنه »[1] أخرجه مسلم.

والدقل بفتح الدال والقاف رديء التمر.

وفيه بيان أهله وحالهم، وأن من الزهاد سيد البرية، بل هو أَجَلّهم، وأنه وصل من زهده إلىٰ هذه الحالة لاسيما في أرض التمر الكثير، فطوبى لمن به تأسى واقتدى واتبع واهتدى.

الثامن عشر: حديث عائشة قالت: « توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتىٰ طال عليَّ، فكلته ففني »[2] أخرجاه.

وشطر الشعير أي شيء منه، كذا فسره الترمذي.

وهذا دال علىٰ استمرار هذه ودوامه حتىٰ الممات بعد أن فتحت البلاد، ودانت العباد.

التاسع عشر: حديث عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين قال: « ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة »[3] أخرجه البخاري.

وهو وما قبله دالان علىٰ أن اقتناء ما لا بد منه ونحو الأقوات والربط والزواج ونحوه لا ينافي الزهد.

العشرون: حديث خباب بن الأرت قال: « هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٩٧٨)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته. والدقل: هو بفتح الدال والقاف، وهو تمر رديء، «كذا قاله النووي في شرح مسلم [١٨/ ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٥١] كتاب الرقائق، [١٦] باب فضل الفقر، ومسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٩٧٣)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته. قوله: «شطر شعير في رف» الرف بفتح الراء معروف، والشطر هنا معناه شيء من شعير، كذا فسره الترمذي، وقال القاضي: قال ابن أبي حازم: معناه نصف وسق، قال القاضي: وفي رواية هذا الحديث أن البرك أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات، وأما الحديث الآخر «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» فقالوا: المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً، ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل. «شرح مسلم للنووي[١٨/ ٨٤] طبعة دار الكتب العلمية».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٦١] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وأبو داود في سننه [٢٨٦٣]، وابن ماجه في سننه [٢٦٩٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٢٠٧]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ٢١]، والدارقطني في سننه [٤/ ١٨٥].

الله، فوقع أجرنا علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير؛ قتل يوم أحد وترك نمرة، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل علىٰ رجليه من الإذخر، ومنا من أينعت ثمرته فهو يهدُبُها »[1] أخرجاه.

والنمرة: كساء ملون من صوف، وأينعت: نضجت وأدركت، ويهدبها: بفتح الياء وضم الدال وكسرها لغتان: يقطعها ويجتنيها، وهذه استعارة لما فتح عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها.

وفيه أن من أهل الزهد اتباعه من السادة المهاجرين قريب مما وصف بهم حالهم، وقوله: « ومنا من أينعت له ثمرته » كالمتحزِّن من خوف تعجيل الأجر ونحو ذلك.

الحديث الحادي بعد العشرين: حديث سهل بن سعد مرفوعاً:«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»[2] رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

وفيه بيان مرتبة الدنيا عند الله، ولا أبلغ من قوله ذلك، وهل مرتبة أحسن من ذلك.

الحديث الثاني بعد العشرين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم» [3] رواه الترمذي وحسنه، وقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٨] كتاب الرقاق، [١٦] باب فضل ليلة القدر، ومسلم في صحيحه [٤٤ ـ (٩٤٠)] كتاب الجنائز، [١٣] باب في كفن الميت. الإذخر: بكسر الهمزة والخاء، وهو حشيش معروف طيب الرائحة، وفيه دليل علىٰ أنه إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره جعل مما يلي الرأس، وجعل النقص مما يلي الرجلين، ويستر الرأس، فإن ضاق عن ذلك ستر العورة فإن فضل شيء جعل فوقها، فإن ضاق عن العورة سترت السوأتان لأنهما أهم، وهما الأصل في العورة، وقد يستدل بهذا الحديث علىٰ أن الواجب في الكفن ستر العورة فقط ولا يجب استيعاب البدن عند التمكن. "النووي في شرح مسلم [٧/٧] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/٢٨٨]، وابن حجر في المطالب العالية [٣١٧٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤/٩٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/١٧]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٤١٥]، ورواه ابن ماجه في سننه [٤١١٠] في الزهد، باب مثل الدنيا، بلفظ «ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٢] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ =

يبق في العلم.

وفيه تقرير الحديث الذي قبله، فلعن الدنيا وما فيها ليس مجرد تحقير واستصغار، بل استرذال واستقذار واستفتاح يوجب الطرد والإبعاد، والمشير يشير إلىٰ أن ذلك هو حكمة اتخاذ الدنيا والتنافس في إبقائها ولذلك تخرب إذا رفع العلم والقرآن والخير، فإذا لم يبق ما يقول: الله الله قامت القيامة.

الحديث الثالث بعد العشرين: حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً: «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»[1] رواه الترمذي وحَسَّنه.

وفيه النهي عن أسباب ينشأ عنها الرغبة في الدنيا، منها اتخاذ الضيعة التي هي نوع وطن ويتشعب أسباب عمارتها إلىٰ كل ديني ودنيوي.

الحديث الرابع بعد العشرين: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًا لنا، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: قد وَهَى فنحن نُصْلحُه. قال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك»[2] رواه أبو داود والترمذي بإسناد الشيخين، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الخامس بعد العشرين: حديث كعب بن عياض مرفوعًا: «إنَّ لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»[3] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، فالمال فتنة هذه الأمة المحمدية، فأي لبيب يعتني بالفتنة والبلية؟

السادس بعد العشرين: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ليس

= وابن ماجه في سننه [٤١١٢] كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٧٦].

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٢٨] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في الهم في الدنيا وحبها، وابن حبان في صحيحه [٢٤٧١ ـ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٤١]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٧٧].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٣٦) كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء، والترمذي في سننه (٢٣٣٥) كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، والنسائي (٢/ ٥٧٢. المجتبى)، وابن ماجه في الزهد، باب في البناء والخراب، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه (٢٣٣٦) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال. ، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقائق، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٧٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٢).

لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء»[(١)] رواه الترمذي وصححه.

الجلف: الخبز ليس معه إدام. قاله النضر. أو غليظ الخبز، أو وعاء الجوالق. والخارج عنه[(٢)] أقوال، فهذا هو الكافي وما سواه فضول لا ضرورة إليه.

السابع بعد العشرين: حديث عبد الله بن الشخير ﵁ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التّكاثُر: ١] [(٣)] قال: يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[(٤)] أخرجه مسلم.

فالتكاثر المذموم ليس إلا لملك موهوم، موضحه قولهم: مال الفضول لحادث أو فارث.

والحديث السالف: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟... الحديث»[(٥)] وحديث: «وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت»[(٦)] الحديث. وهذا القدر لا يلهي، ولا تكاثر فيه.

الثامن بعد العشرين: حديث عبد الله بن المغفل، قال: جاء رجل لرسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤١) كتاب الزهد، باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠١)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٢٦، ٧/ ٢٤٠، ١٤/ ٣٠٨).

(٢) غير موجودة بالأصل، ووضعناها ليستقيم الكلام.

(٣) يقول تعالىٰ: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها؟ وتمادى بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها؟ وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: ١] في الأموال والأولاد. [تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٤)].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣. (٢٩٥٨)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه (٢٣٤٢) كتاب الزهد، باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا، والنسائي في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤، ٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٤، ٤/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢١١، ٦/ ٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٢).

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٢) كتاب الرقاق، [١٢] باب ما قدم من ماله فهو له، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢)، وهو في البخاري بتكملة: " قالوا يا رسول الله ما منا إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر».

(٦) انظر ما تقدم قبل هذا.

ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إني لأحبك. فقال: «انظر ما تقول» قال: والله إني لأحبك. فقال: «انظر ما تقول» قال: والله إني لأحبك، ثلاث مرات. فقال: «إن كنت تحبُّني فأعد للفقر تِجفافا، فإن الفقر أسرع إلىٰ من يحبني من السيل إلىٰ منتهاه»[١] رواه الترمذي وقال: حسن.

التِجفاف: بكسر التاء المثناة فوق، وإسكان الجيم وبالفاء المكررة هو الشيء يلبسه الفرس ليتقي به الأذى، وقد يلبسه الإنسان. وذلك مؤذن بالتنافس بين الدنيا ومحبة الشارع. فإن من خاص محبته زوال رأس كل خطيئة.

التاسع بعد العشرين: من حديث كعب بن مالك مرفوعًا: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه»[٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه ذم الحرص علىٰ المال والشرف، وهما ركنا الدنيا، ومنافاتهما للدين وإفسادهما له لائح.

الثلاثون: حديث عبد الله بن مسعود قال: " نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٣] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وهو مشتمل علىٰ دلائل الزهد، وهو أن لا يخطر بالبال أدوات الدنيا كنومه علىٰ حصير ولم يطلب وطاء، وأن لا تميل النفس إلىٰ قبولها إذا عرضت عليه كما قال: «ما لي وللدنيا»، وأن يكون أمل الزهد قصير كقوله: «إنما أنا في الدنيا» إلىٰ آخره، فلا كان الحرص ولا طول الأمل، لقد أوقعاني في كل رداء وهلكة.

الحادي بعد الثلاثين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يدخل الفقراء الجنة قبل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في فضل الفقر، والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٦٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٦) كتاب الزهد، باب [٤٣]، والنسائي في الكبرى، في الرقائق، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٦، ٤٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٤، ١٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٠، ٥٤٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٧) كتاب الزهد، باب [٤٤]، وابن ماجه في سننه(٤١٠٩) كتاب الزهد، [٣] باب مثل الدنيا، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٨)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٠٢). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الأغنياء بخمسمائة عام»[1] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وفيه من فوائد الزهد، وأثره الذي هو الفقر، ودخولهم الجنة قبلهم بذلك المقدار، وكفى بذلك.

الثاني بعد الثلاثين: حديث ابن عباس، وعمران بن حصين مرفوعاً: «أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[2] أخرجاه من حديث ابن عباس، وللبخاري من حديث عمران.[3]

وفيه من فوائده أن أكثر أهل الجنة الفقراء أو عامة من دخلها إذا قام ﷺ علىٰ بابها كما سيأتي، وأهل الجد محبوسون، وكفى بذلكم الحبس منفِّراً.

الثالث بعد الثلاثين: حديث أسامة مرفوعاً: «قمت علىٰ باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلىٰ النار»[4] أخرجاه، والجد: الحظ والغنى.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وابن ماجه في سننه (٤١٢٢) كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦، ٤٥١، ٥/ ٣٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٢، ٩/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٩) كتاب الرقاق، [١٦] باب فضل الفقر، ومسلم في صحيحه [٩٤.(٢٧٣٧)] كتاب الرقاق، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي (٢٦٠٢) كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن أكثر أهل النار النساء، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣٤، ٣٥٩، ١٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٢، ١٦٣).

(٣) وعن عمران بن حصين أخرجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٥٤٧) كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٩٣.(٢٧٣٦)] كتاب الرقاق، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٥٩، ٢٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٧٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٣٢٢). وقال [النووي: قوله: «وإذا أصحاب الجد محبوسون»هو بفتح الجيم، قيل: المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل المراد أصحاب الولايات، ومعناه محبوسون للحساب، ويسبقهم الفقراء بخمسمائة عام كما جاء في الحديث، وقوله: «إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلىٰ النار» معناه من استحق من أهل الغنى النار بكفره أو معاصيه، وفي هذا الحديث تفضيل الفقر علىٰ الغنى، وفيه فضيلة الفقراء والضعفاء. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٤) طبعة دار الكتب العلمية].

الخاتمة: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»(١) أخرجاه.

وهو بيان مجاري الزهد ومحتمة، فتأمل ذلك، وكل باطل، فحتم علىٰ العاقل عزوب النفس عنه، تواصياً بالحق، وحفظاً للتوحيد المحض ولا براعة ختم كهذا.

ولنذكر الحكايات المتعلقة بالزهد مع طرف منها:

الأولى: روي أن عيسىٰ ﷺ صحبه رجل وقال: يا نبي الله، أكون معك، فانطلقا فانتهيا إلىٰ شط نهر فجلسا يتغذَّيان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين، وبقى رغيف، فقام عيسىٰ ﷺ إلىٰ النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري، فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية(٢) معها ولدان لها، فدعا واحداً فأتاه فذبحه وشوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال له بعد ما ذبحه وأكلا منه قم بإذن الله ﷻ فقام، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية، من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري، فانطلقا حتىٰ انتهيا إلىٰ مغارة، فجمع عيسىٰ ﷺ تراباً وكثيباً ثم قال: كن ذهباً بإذن الله ﷻ فصار ذهباً، فقسمه ثلاثة أقسام وقال: ثلث لك، وثلث لي، وثلث للذي أخذ الرغيف، فقال أنا الذي أخذت الرغيف، قال: فكله لك، وفارقه عيسىٰ ﷺ فانتهيا إلىٰ رجلان في المغارة ومعه الذهب، فأرادا أن يأخذاه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً، فقبلا ذلك، فقال: يذهب واحد إلىٰ القرية حتىٰ يشتري لنا طعاماً، فذهب واحد واشترى طعاماً وقال في نفسه: لأي شيء أقاسمهما هذا المال، أنا أجعل في الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال جميعه، فجعل فيه السم، وقالا هما فيما بينهما: لأي شيء نجعل لنا ثالثاً، إذا رجع قتلناه، واقتسمنا المال نصفين، فلما رجع إليهما قتلاه، ثم أكلا من الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المغارة وأولئك الثلاثة قتلى عنده، فمر عليهم عيسىٰ ﷺ فرآهم علىٰ تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها.

الحكاية الثانية: روي أن عيسىٰ ﷺ كشفت له الدنيا في صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك، قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسىٰ- عليه السلام: بؤساً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٨٩) كتاب الرقاق، [٢٩] باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، ومسلم في صحيحه [٣. (٢٢٥٦)] كتاب الشعر في مقدمته، وابن ماجه (٣٧٥٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٨٦).

(٢) الظبي: جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمجوفات القرون، أشهرها الظبي العربي، ويقال له الغزال الأعفر، وهي ظبية، جمعها: ظباء.

لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، فلا يكونون منك علىٰ حذر.(١)

الحكاية الثالثة: قال الفضيل ـ رحمه الله ـ: بلغني أن رجلاً عرج بروحه في المنام، فرأى امرأة علىٰ قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب، وإذا بها لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا أدبرت كانت أحسن الناس عجوزاً زرقاء شمطاء عمشاء، قال: فقلت لها: نعوذ بالله منك، فقالت: لا والله لا يعيذك الله حتىٰ تبغض الدرهم(٢) قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

الحكاية الرابعة: روي عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أدّ أمانتك فيقول: من أين يا رب؟ قد ذهبت الدنيا، فتمثل له الدنيا علىٰ هيأتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها علىٰ عاتقه، فيصعد بها، حتىٰ إذا ظن أنه خرج بها هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين.

الحكاية الخامسة(٣): قال طلحة بن يحيى: حدثتني جدتي بنت عوف قالت: دخلت علىٰ طلحة فرأيته مغموماً، فقلت: ما شأنك؟ قال: إن المال الذي عندي قد كثر وأكربني، فقلت: ما عليك؛ اقسمه، فقسّمته حتىٰ ما بقي درهم، قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف.

الحكاية السادسة: قال أنس: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا جِمَال قدمت لعبد الرحمن بن عوف، وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن

---

(١) في الزهد في الدنيا: روى البخاري في صحيحه (٦٤١٦) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، عن ابن عمر، وفيه: " وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

(٢) في فتنة المال: روى البخاري في صحيحه (٦٤٣٥) كتاب الرقاق [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض».

(٣) روى هذه القصة بطريق آخر الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٣٦) وفيه: " قال أبو إسماعيل الترمذي بسنده عن موسى بن طلحة أن أباه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لك ؟ فقال تفكرت فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته، قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فاقسمها، فقال: إنك موفقة. وهي أم كلثوم بنت الصديق. فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلىٰ علي منها وأعطى زوجته ما فضل، فكان نحو ألف درهم.

عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه، فحدثته، قال: فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله ـ عز وجل.[(١)]

الحكاية السابعة: عن المِسْوَر قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسَّم المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين، وبعث إلىٰ عائشة بمال من ذلك المال.

فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون»[(٢)]

سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

الحكاية الثامنة: وهو حديث عن ابن عمر قال: " كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة فدخلها في صدره بخلال[(٣)] فقال: «يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح» قال: فإن الله يقرأ عليه السلام، ويقول لك: قل له: أراض أنت عني في فقرك أم ساخط، فقال أبو بكر: أسخط علىٰ ربي، أنا علىٰ ربي راض، قالها أربعاً.[(٤)]

الحكاية التاسعة: قال عطاء: بعث معاوية إلىٰ عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوِّم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

الحكاية العاشرة: قالت أم ذرَّة:[(٥)] بعث الزبير إلىٰ عائشة بغرارتي مال فيهما ثمانون ألفاً أو مائة ألف، فدعت بطبق. وهي يومئذ صائمة. فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية ائتيني بعشائي. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت لها أم ذرة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت: لا تعتبيني، لو كنت ذكرتيني لفعلت[(*)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ١١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٠، ٦/ ٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢١٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٩)، ورواه أحمد في مسنده (٦/ ١٠٤)، وذكره الحاكم في مستدركه (٣/ ٣١١) عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسق ابن عوف من سلسبيل الجنة».

(٣) الخِلال: منفرج ما بين الشيئين، والعود الذي يتخلل به، والديار: مضى فيها ومشى خلالها، وهنا يقصد عودًا ضم به العباءة نظراً لما أصابها من التمزق من القدم.

(٤) أخرجه ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٤٨٦) وذكره الهندي في كنز العمال (٣٥٦٥٨).

(٥) أم ذرة المدنية مولاة عائشة، مقبولة، أخرج لها أبو داود.
[انظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٧، رقم ٢٩٤٤).

(*) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٥١ ـ ٦٠) وفيه أيضًا عن عروة، رأيتها تصدق بسبعين ألفاً، وإنها لترفع جانب درعها.

الحكاية الحادية عشرة: قال عروة: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها (*).

الثانية عشرة: حكي أنه كان لهارون الرشيد[1] ولد قد بلغ من العمر ست عشرة سنة، وكان قد رافق الزهاد والعباد، وكان يخرج إلىٰ المقابر ويقول: قد كنتم قبلنا، وقد كنتم تملكون الدنيا، فما أراها تنجيكم، وقد صرتم إلىٰ قبوركم، فيا ليت شعري: ما قلتم وما قيل لكم؟ ويبكي بكاء شديدًا، وكان ينشد:

ترف عني الجنائز كل يوم ويحزنني بكاء النائحات

فلما كان في بعض الأيام مر علىٰ أبيه وحوله وزراؤه وكبار دولته وأهل مملكته، وعليه جبة صوف، وعلى رأسه مئزر صوف، فقال بعضهم لبعض: قد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك، فلو عاتبه لعله يرجع عما هو عليه؟ قال: فكلمه في ذلك، فقال: يا بني لقد فضحتني بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يجبه، ثم نظر إلىٰ طائر علىٰ شرفة من شراريف القصر، فقال: أيها الطائر بحق الذي خلقك إلا ما جئت علىٰ يديّ. فانقض الطائر علىٰ كف الغلام، ثم قال: ارجع إلىٰ موضعك، فرجع علىٰ موضعه، فقال: بحق من خلقك إلا ما سقطت في كف أمير المؤمنين، فما نزل، فقال له الغلام: أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا، وقد عزمت علىٰ مفارقتك، ففارقه ولم يتزود منه بشيء إلا مصحفًا، وانحدر إلىٰ البصرة.

وكان قد وقع في جداري حائط، فخرجت أطلب من يعمله، فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجهًا، وبين يديه زنبيل، وهو يقرأ في مصحف، فقلت له: يا غلام أتعمل؟ قال: ولم لا أعمل وللعمل خلقت؟ ولكن أخبرني في أي الأعمال تستعملني؟ قلت: في الطين. قال: بدرهم ودانق، وأصلي صلاتي؟ قال: لك ذلك، ثم مضيت به إلىٰ العمل وتركته يعمل، فلما كان آخر النهار وجدته عمل عمل عشرة رجال. فوزنت له درهمين فأباهما إلا درهمًا ودانقًا.

فلما كان من الغد خرجت إلىٰ السوق فلم أجده، فسألت عنه فقيل لي: إنه لا يعمل إلا يوم السبت، ثم لا نراه إلا يوم السبت الثاني، فأخرت العمل إلىٰ الثاني ثم أتيته، فوجدته، فقال لي مثل الأول، فمضيت به إلىٰ العمل، فوقفت أنظر إليه من بعيد

(*) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٥١ ـ ٦٠) وفيه أيضًا عن عروة، رأيتها تصدق بسبعين ألفاً، وإنها لترفع جانب درعها.

(١) هارون الرشيد من أشهر أمراء الدولة العباسية، وقد بلغت فيها الدولة الإسلامية أعظم قوتها واتساعها، وكانت تهابه ملوك العجم من الروم والفرنج.

وهو لا يراني، فأخذ كفا من طين وتركه علىٰ الحائط وإذا الحجارة تتركب بعضها علىٰ بعض، فقلت: هكذا أولياء الله يعانون. فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبلها، ولم يقبل سوى درهمًا ودانقًا[١].

فلما كان السبت الثالث جئت علىٰ السوق فلم أره، فسألت عنه، فقيل لي: له ثلاثة أيام وجِعٌ يعالج سكرات الموت، فوهبت أجرة لمن يدلني عليه، ومشينا حتىٰ وقفنا عليه في خراب بلا باب، وإذا هو مغشى عليه، فسلّمت عليه، فإذا تحت رأسه نصف لبنة وهو في حال الموت، فسلمت عليه ثانية فعرفني، فأخذت رأسه فجعلته في حجري فمنعني من ذلك، وأنشا يقول:

يا صاحبي لا تغترَّ[٢] بتنعم ... فالعمر ينفد والنعيم يزول

وإذا علمت بحال قوم مرة ... فاعلم بأنك عنهم مسئول

وإذا حملت إلىٰ القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

فقلت: يا حبيبي، ولم لا أكفنك في ثياب جديدة؟ فقال: الحي أحوج إلىٰ الجديد من الميت، الثياب تبلى والعمل يبقى، وخذ مئزري وسروالي فادفعهما للحفار، وخذ هذا المصحف والخاتم فادفعهما إلىٰ أمير المؤمنين هارون الرشيد، ولا تدفعهما إلا من يدك إلىٰ يده، وقل له: يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب، وهو يقول لك: لا تموتنَّ علىٰ غرَّتك، أو قال علىٰ غفلتك، ثم خرجت روحه. رحمه الله. فعلمت أنه ولد الخليفة، وعملت كل ما أوصاني به، وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد، وقصدت هارون الرشيد ووقفت في موضع مشرف، فخرج موكب في تقدير ألف فارس، ثم تبعه عشرة مواكب، كل موكب ألف فارس، وخرج أمير المؤمنين في الموكب العاشر، فناديت: بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلا ما وقفت لي قليلاً، فلما رآني قلت: يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب، ثم دفعت إليه المصحف والخاتم، وقلت له ما أوصاني به.

فنكَّس رأسه وأسال دمعته، وأوصى عليَّ بعض الحجّاب وقال: ليكن هذا عندك إلىٰ أن أسألك عنه. فلما رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب: هات الرجل، وإن كان يُجدِّد عليَّ أحزاني، فقال لي الحاجب: يا أبا عامر إن أمير المؤمنين مهموم، فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا، فقلت: نعم.

ودخلت عليه، فإذا مجلسه خالٍ، فلما رآني قال: ادن مني يا أبا عامر، فدنوت

(١) الدانق: سدس الدرهم، جمعها: دوانق، ودوانيق.

(٢) غرَّ الرجل غرة: جهل الأمور وغفل عنها، واغتر فلان، غفل، وبكذا: خُدع به.

منه، فقال: أتعرف ولدي؟ قلت: نعم، قال: في أي شيء كان يعمل؟ قلت: في الطين والحجارة، قال: استعملته أنت؟ قلت: نعم. قال: استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ؟ فقلت: المعذرة إلىٰ الله ثم إليك يا أمير المؤمنين؛ فإني ما علمت من هو إلا عند وفاته. قال: أنت غسَّلته بيدك؟ قلت: نعم. قال: هات يدك، فأخذها وتركها علىٰ صدره وهو يقول: بأبي كيف كفنت العزيز القريب؟ ثم أنشأ يقول:

يا غريبا عليه قلبي يذوب ... ولعيني عليه دمع سَكُوب

يا بعيد المكان حزني قريب ... كدَّر الموت كل عيش يطيب

كان نذرًا عليَّ قضيت لحين ... فمضى النذر في الشدي (والقضيب)[1]

قال: ثم تجهز وخرج إلىٰ البصرة وأنا معه، حتىٰ انتهى إلىٰ القبر. فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق أنشد يقول:

يا غائبا لا يؤوب[2] من سفره ... عاجله موته علىٰ صغره

يا قرة العين كنت لي أنسا ... في طول ليلي نعم وفي قصره

شربت كأسا أبوك شاربها ... لا بد من شربها علىٰ كبره

اشربها والأنام كلهم ... من كان من بدوه ومن حضره

فالحمد لله لا شريك له ... قد كان هذا القضاء من قدره

قال أبو عامر: فلما كان تلك الليلة قضيت وردي واضجعت، فإذا (يفتة)[3] من نور عليها صحاف من نور، وإذا قد كشف الصحاف، فإذا الغلام ينادي: يا أبا عامر جزاك الله عني خيرا، فقلت: ولدي إلىٰ ماذا صرت؟ قال: إلىٰ رب راض غير غضبان؛ أعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر[4] وآلى علىٰ نفسه أن لا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي إلا كرمه مثل كرامتي.

فاستيقظت فرحًا به وبما قال لي وبشرني به ـ رحمه الله تعالى.

الثالثة عشرة: عن عبد الرحمن بن حفصة قال: إنه رأى عمر يبكي، فجلس يبكي لبكائه.

---

(١) كذا بالأصل، وأظنها (وانقلب).

(٢) الأوب: الجهة والناحية، يقال: جاءوا من كل أوب.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) حديث «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» أخرجه مسلم في صحيحه [٢ . (٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في مقدمته.

ثم جاء محمد فجلس يبكي لبكائهما، فاشتد بكاؤهم جميعًا، فبكى الرسول[١] أيضًا لبكائهم، ثم أرسل إلىٰ صاحبه فأخبره بذلك، وأرسل إلىٰ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يستعلم عن ذلك البكاء، فجاء ربيعة وذكر ذلك لمحمد، فقال محمد سله؛ فهو أعلم ببكائه، فاستأذن عليه ربيعة فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير؟ فقال: إني والله حسبت أن تغلب الدنيا علىٰ قلبي فلا يكون للآخرة فيها نصيب، فذلك الذي أبكاني. وأمر بالمال فتصدق به علىٰ فقراء أهل المدينة.

قال: فجاء ربيعة فأخبر الأمير بذلك، فبكى وقال: هكذا والله يكون أهل الجنة.

الرابعة عشرة: عن ذي النون[٢] قال: بينما أنا أسير في بعض الطرق إذا أنا بفتى حسن الوجه، بين عينيه أثر التهجد، فقلت: حبيبي، من أين قدمت؟ فقال من عنده. فقلت: وإلى أين تريد؟ قال: إلىٰ عنده. قال: فعرضت عليه النقود، فنظر إليَّ مغضبا ثم ولى، وأنشأ يقول:

وكافر بالله مولاه ... يزداد ضعافا علىٰ كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانًا علىٰ فقره
لا خير في من لم يكن عاقلاً ... يمد رجليه علىٰ قدره

الخامسة عشرة: قال أبو علي بن جبران: مرَّ أبو تراب بمزيِّن فقال: أتحلق رأسي لله تعالىٰ؟ فقال له: اجلس، فجلس، فبينما هو يحلق رأسه إذ مر به أمير من أهل بلده، فسأل حاشيته، فقال: أليس هذا أبو تراب؟ فقالوا نعم. فقال أي شيء معكم من الدنانير؟ فقال له رجل: معي خريطة فيها ألف دينار، قال: إذا قام فأعطه إياها واعتذر إليه، وقل له: لم يكن معنا غير هذه.

فجاء الغلام إليه فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام، ويقول لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير. فقال: ادفعها إلىٰ المزين، فقال المزين: أي شيء أعمل بها؟ فقال: خذها. فقال: والله ولو أنها ألف دينار ما أخذتها، فقال الغلام: إنها ألف دينار. قال لا حاجة لي بها، إنما حلقت رأسه لوجه الله. فقال له أبو تراب: ردها

---

(١) كذا بالأصل، وأظنه الرسول الذي أرسله الأمير إلىٰ عمر، هذا الذي لم يعرف ما هو، وأظنه أحد الزهاد.

(٢) اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفيض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال: أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، وروى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل وسفيان بن عيينة وسلم الخواص، وجماعة، توفي سنة (٢٤٨،٢٤٦).

عليه وقل له إن المزين ما رضي يأخذها، فخذها أنت واصرفها في مهماتك.

السادسة عشرة: قال الشبلي: قال لي خاطري يومًا: أنت بخيل، فقلت: ما أنا بخيل، فقال: بلى أنت بخيل ثلاثا. فنويت أن أول شيء يفتح به علي أعطيه لأول فقير ألقاه، فما تم الخاطر حتىٰ دخل عليَّ إنسان. سماه[1]. بخمسمائة دينار، فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيراً ضريرًا أو قال: أكمه[2] بين يدي مزين يحلق شعره، فناولته ذلك، قال: أعطها للمزين. فقلت: إنها دنانير، فرفع رأسه إليَّ وقال: أما قلنا لك إنك بخيل؟ فناولتها للمزيِّن فقال: عقدت مع الله عقداً أن لا آخذ من هذا الفقير شيئًا.

قال: فأخذتها وذهبت بها إلىٰ البحر فرميتها فيه، وقلت: فعل الله بك وفعل؛ ما أحبك أحد إلا أذله الله.

فإن قلت: كيف رماها الشبلي وساغ له ذلك؟ قلت: يجوز أن يكون غائبا أو شهد فيها سما مهلكا، أو كان ذلك بإشارة مؤذية اضطر إلىٰ ذلك.

السابعة عشرة: عن إبراهيم بن شبيب قال: كنا نتجالس في يوم الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به فجلس إلينا وألقى مسألة، فما زلنا نتكلم في الفقه حتىٰ انصرفنا.

ثم جاءنا في الجمعة فأجبناه وسألناه عن منزله، فأخبرنا به، وسألناه عن كنيته فقال: أبو عبد الله. فرغبنا في مجالسته، فمكثنا كذلك زمنًا، ثم انقطع عنا، واجتمعنا وأتيناه في بيته وسألنا عنه فقال: ذاك أبو عبد الله الصياد ذهب يصطاد والآن يأتي، فقعدنا ننتظره، وإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقة، وعلى كتفه أخرى، ومعه أطيار مذبوحة، وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسم إلينا، فقلنا: قد كنت عمَّرت مجلسنا فما غيَّبك عنا؟ قال: إذاً أصدقكم، كان لي جار أستعير منه ذلك الثوب الذي كنت آتيكم به، وقد سافر. ثم قال: هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله، فدخلنا وقعدنا، فدخل علىٰ امرأته وسلم إليها الأطيار المذبوحة، وأخذ الأطيار الأحياء فباعها بالسوق واشترى خبزًا وملحًا، وقد صنعت المرأة ذلك وهيأته، فقدم إلينا خبزًا وطيرًا وملحًا، فأكلنا وخرجنا.

فقال القوم بعضهم لبعض: ألا تنظرون إلىٰ حال هذا الرجل وما هو فيه من الفقر مع فضله وصلاحه، وأنتم قادرون علىٰ أن تجمعوا له ما يقوم بحاله. فاتفقوا علىٰ أن

---

(١) أي سماه باسمه.

(٢) كَمِهَ الرجل كمها: عمي، فهو أكمه، وهي كمهاء.

يجمعوا له ما يستغني به، وانصرفنا علىٰ عزم أن نأتي بما وعدوه به، وهو خمسة آلاف درهم.

فلما مررنا بالمربد إذا أمير البصرة محمد بن سليمان قاعد في منظرة له، وهو يقول: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب، قال: فأتيته، فسألنا عن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث، فقال: أنا أحقكم، فأمر له بعشرة آلاف درهم. ففرحت بذلك وأسرعت، فلما رآها انقلب وتغير لونه وقال: ما لي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني؟ فأخبرته الخبر، وأن الأمير أخذ (........)[1] فازداد غضبًا وأغلق الباب، فرجعت إلىٰ الأمير فأخبرته، فقال: حروري، وأمر بضرب عنقه، فسكنته وقلت: أنا آتيك به، فسكن غضبه، ثم أتيته فإذا زوجته تبكي، وقالت: ما شأنكم بأبي عبد الله؟ دخل فنزع ما كان عليه وتوضأ ثم صلى، فسمعته يقول: اللهم اقبضني إليك ولا تفتني، فقضى نحبه.

فأخبرت الأمير، فصلى عليه وعامة أهل البصرة.

الثامنة عشرة: عن عمر بن عبد العزيز أنه قيل له لما حضرته الوفاة: تركت أولادك فقراء لا شيء لهم[2]. فقال: أولادي أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا وهو يتولى الصالحين، وإما رجل منكب علىٰ المعاصي، فلا أقويه علىٰ معاصي الله.

وكان ﷺ يؤتى بالحلة قبل أن يتولى الخلافة بألف درهم فيقول: ما أحسنها لولا خشونة ما فيها. ويؤتى بالحلة وهو في الخلافة بأربعة دراهم أو ستة فيقول: ما أحسنها لولا نعومة فيها. فقيل له في ذلك، فقال: إن لي نفسا تواقة ذواقة؛ إذا تاقت إلىٰ شيء وذاقت تاقت إلىٰ ما فوقه، فلم تزل تتوق وتذوق إلىٰ أن ذاقت الخلافة فتاقت إلىٰ ما فوقها، فلم تجد شيئًا فوقها إلا ما عند الله تعالى في الدار الآخرة

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) قال مالك بن دينار: الناس يقولون: إني زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وقال الفسوي بسنده عن عبد العزيز بن عمر، قال دعاني المنصور قال: كم كانت غلة عمر بن عبد العزيز حين أفضت إليه الخلافة؟ قلت: خمسون ألف دينار، فقال: كم كانت غلته يوم مات؟ قلت: ما زال يردها حتىٰ كانت مائتي دينار.

وبسنده عن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لامرأته فاطمة. وهي أخت مسلمة: اغسلوا قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل، ثم عدت فإذا القميص علىٰ حاله، فقلت لها: فقالت: والله ما له قميص غيره. [تاريخ الإسلام، وفيات (١٠١ . ١١٠)].

فتاقت إليه، ولا يمكن الوصول إليه إلا بترك الدنيا.

التاسعة عشرة: سئل حاتم الأصم[١] فيما أفنيت عمرك؟ فقال: في أربعة أشياء: علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه. وعلمت أن لي رزقا لا يجاوزني، وقد ضمنه لي فوثقت به عن طلبه، وعلمت أن عليَّ فرضًا لا يؤديه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته. وقد سلف في المراقبة.

العشرون: عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢] أنه خرج حاجًا، ولما نظر إلىٰ البيت بكى حتىٰ علا صوته، فقيل له: إن الناس ينظرون إليك، فلو رفقت صوتك قليلاً. فقال: ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إليَّ برحمة منه فأفوز بها عنده غدًا. ثم طاف وركع خلف المقام ورفع رأسه من السجود فإذا موضع سجوده مبتل بدموع عينيه. فقال لبعض أصحابه: إني لمحزون، وإني مشتغل القلب. فقيل له: لِمَ؟ قال: إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه، وما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة استحسنتها، أو أكلة أكلتها؟ أو كما قال[٣].

الحادية بعد العشرين: قال كعب: استخرجت من التوراة خمس عشرة كلمة فجعلتها في قصبة وربطتها في عنقي، فكنت أقرأها كل يوم خمس عشرة مرة.

أولها: يقول الله: يا ابن آدم لا تخف فوت الرزق ما دامت خزائني مملوءة، وخزائني مملوءة لا ينفد ما فيها أبدًا.

ثانيها: يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيًا، وسلطاني باق لا ينفد أبدا.

---

(١) حاتم الأصم، أبو عبد الرحمن البلخي الزاهد الناطق بالحكمة، له كلام عجيب في الزهد والوعظ، وكان يقال له لقمان هذه الأمة، وصحب شقيق البلخي وتأدب بآدابه.
قال أبو تراب: سمعت حاتم الأصم يقول: لي أربع نسوة، وتسعة أولاد ما طمع شيطان أن يوسوس في شيء من أرزاقهم.

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، الهاشمي، الباقر، العلوي الفاطمي المدني القرشي، زين العابدين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو ثقة فاضل.
[تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١٩٢)].

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤. (٢٩٥٩)] كتاب الزهد، في المقدمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث ؛ ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

ثالثها: يا ابن آدم لو أنني أعطيتك الدنيا كلها ما كان لك منها إلا القوت، فإذا أعطيتكه منها وجعلت حسابها علىٰ غيرك فأنا محسن إليك.

رابعها: يا ابن آدم لا تأمن مكري حتىٰ تجوز الصراط(١).

خامسها: يا ابن آدم إني خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا يشغلك ما خلقته من أجلك عما خلقتك لأجله.

سادسها: يا ابن آدم ما أنصفتني في المعاملة؛ أنا لعنت إبليس وغضبت عليه وطردته من أجلك، فصالحته وقطعتني.

سابعها: يا ابن آدم كل أحد يريدك له، وأنا أريدك لي، وأنت تفرُّ مني.

ثامنها: يا ابن آدم أنا وحقي لك محب، فبحقي كن أنت لي محبًا.

تاسعها: يا ابن آدم إني خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه إليك من حيث لا تحتسب؟(٢).

عاشرها: يا ابن آدم تغضب علي من أجل نفسك؟!

الحادية عشرة: يا ابن آدم كما لا أطالبك بعمل غدٍ لا تطالبني برزق غدٍ.

الثانية عشرة: يا ابن آدم إن لي فرضا، ولك عليّ رزق(٣) فإن خالفتني في

---

(١) فيما روى مسلم في صحيحه [٢٩٩. (١٨٢)] كتاب الإيمان، [٨١] باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي هريرة من حديث طويل، وفيه: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم....» الحديث. قال [النووي: وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف علىٰ إثباته، وهو جسر علىٰ متن جهنم، يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم، أي منازلهم، والآخرون يسقطون فيها ـ أعاذنا الله الكريم منها ـ وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري ﵁. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) روى الترمذي في سننه (٢٣٢٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله عز وجل، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء».

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦. ٥٨] أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها.

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨)].

فرضي فلا أخالفك في رزقك علىٰ ما كان منك.

الثالثة عشرة: يا ابن آدم إن قنعت بما رزقتك أرحت قلبك وبدنك وأنت عندي مشكور، وإلا أتعبت قلبك وبدنك وسلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمت لك، وأنت عندي مذموم.

الرابعة عشرة: يا ابن آدم لا تأنس بغيري ما وجدتني فمتى طلبتني وجدتني.

الخامسة عشرة: يا ابن آدم ما خلقتك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح عليَّ.

خاتمة: قال أبو جعفر محمد بن علي السالف[1]: إن أهل التقوى أكثر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك.

قوالين بالحق قوامين بأمره، وأنزل الدنيا منك بمنزله منزل نزلت به أو ارتحلت عنه أو كمال أصبته في منامك واستيقظت، وليس معك منه شيء.

وأنشدوا في معناه:

ألا إنــمــا الــدنــيــا كــأحــلام نــائــم ... ومــا خــيــر عــيــش لا يــكــون بــدائــم

تــأمــل إذا مــا نــلــت بــالأمــس لــذَّة ... فــأفــنــيــتــهــا أنــت إلا كــحــالــم

---

(١) كان أحد من جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة وولد سنة [٥٦]، وتوفي سنة [١١٤، ١١٧] وله إخوة أشراف: زيد الذي صلب، وعمر، وحسين وعبد الله بنو زين العابدين رحمة الله عليهم. [تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١٠ أ ١٢٠)].

مجلس في الدعاء(١)

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢). إضافة بكاف الخطاب، وكفى به مباهاة، ووعد بالإجابة مؤكد باستقراعه في قالب الاستقبال ليؤذن به في ثاني الحال.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾(٣).

والتضرع هو حال الاضطرار، والخفية حال الحضور والإخلاص.

ثم أرشد إلىٰ التحذير من الاعتذار فيه ولا يرتكب شيئًا من مخالفة إذنه لئلا يعتدي بسببه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٤).

ففيه إعلام تقرب الرب المدعو وإجابته دعوة كل داع، ولو من غير صالح.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾(٥) الآية.

فالآية الأولى فيها أصل الدعاء والثانية: صفته. والثالثة: المدعو تعالى وقربه،

---

(١) قال القاضي عياض: " إن الله أذن في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته وعلم النبي ﷺ الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء العلم بالتوحيد والعلم باللغة والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الإقتداء بالنبي ﷺ وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها علىٰ الأنبياء والصالحين، فيقولون: " دعاء آدم ودعاء نوح ودعاء يونس ودعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاتقوا الله في أنفسكم ولا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح منه. [مقدمة كتاب سلاح المؤمن لابن الإمام (٢٦، ٢٧)].

(٢) سورة غافر [٦٠]. (٣) سورة الأعراف [٥٥].

(٤) سورة البقرة [١٨٦].

روى ابن حاتم بسنده عن معاوية بن صبرة أن أعرابيا قال: " يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت. [تفسير ابن كثير (١ / ٢١٨)].

(٥) سورة النمل [٦٢].

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد والمرجو عند النوازل فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. [تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣)].

والداعي وما يتصف به من الاضطرار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (١).

ولنذكر تسعة وعشرين حديثا مشتملة علىٰ مهمات الترغيب في الدعاء وجوامعه، وبيان أدعية مخصوصة كلية وجزئية مقصورا، ووسيلة وألفاظ مأثورة في طلب المغفرة ونحوها، وفي التعوذ ونحو ذلك وبيان أدعية لزمها الأكابر، واعتنت بشأنها.

الحديث الأول: حديث النعمان بن بشير مرفوعا «الدعاء هو العبادة»(٢).

رواه أبو داود والترمذي وقل: حسن صحيح أي مخها وكبدها علىٰ نحو «الحج عرفة»(٣).

ثانيها: حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك»(٤).

رواه أبو داود بإسناد جديد.

ووجه شمولها المهمات النافعات الجامعات.

ثالثها: حديث أنس، كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخرجاه.(٥)

---

(١) سورة الأعراف [١٨٠].

(٢) أخرجه أبو داود في سنة [١٤٧٩] كتاب الصلاة، باب الدعاء. والترمذي [٣٢٤٧] كتاب تفسير القرآن باب من سورة المؤمن (غافر). والنسائي في الكبرى في التفسير، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء. وأحمد في مسنده (٤ / ٢٧١) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩٦ أ المورد)، والطبراني في الصغير ([٢ / ٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٧٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨ / ١٢٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٠].

(٣) أخرجه أبو داود [١٩٤٩] كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة. والترمذي في سننه [٨٨٩]، والنسائي [٥ / ٢٥٦، ٢٦٤ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٣٠١٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ١٥٢، ١٧٣]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٤، ٢ / ٢٧٨] وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ٢٥٥]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٨٢٢]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٩٢، ٩٣] والزبيدي في الإتحاف [٤ / ٢٨٩]، والبخاري في التاريخ الكبير [٢ / ١١١].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٤٨٢] كتاب الصلاة، باب الدعاء، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٤٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٢٢] في التفسير، [٣٦] باب ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية، ومسلم في صحيحه [٢٦ أ (٢٦٩٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة =

زاد في روايته: " كان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو الدعاء دعا بها فيه " وسبب أكثريته ذلك عذوبة اللفظ وشموله خير الدنيا والآخرة وسيلة ومقصودا وجمعه لطلب الدفع والنفع، ونحو ذلك.

رابعها: حديث ابن مسعود: أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[1] أخرجه مسلم.

وهذا هو الحالة الحسنة في الدنيا، فأي نعمة توزاي الهدى والتقى وعفاف النفس[2] وغناها فما مثل هذين في راحة البدن كما أن الأولين ما مثلهما في حياة القلب ونوره وانتعاشه.

الحديث الخامس: حديث طارق بن أشيم قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»[3] رواه مسلم.

وفي رواية له عن طارق أنه سمع رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله كيف أقول حيث أسأل ربي؟.

قال: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني فإن هؤلاء يجمع لك دنياك وآخرتك»[4].

قلت: فهذا هو الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة وإنها جامعة للفوز والنجاة

= والاستغفار، [٩] باب فضل بـ (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، والترمذي [٣٤٨٧]، وأحمد في مسنده [٣ / ١٠٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٤٨] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٢٨٧].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٢ ـ (٢٧٢١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والترمذي في سننه [٣٤٨٩] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه [٣٨٣٢]، وأحمد بن حنبل في مسنده [١/٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٧].
وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٨]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠ / ١٢٧].

(٢) أما العفاف والعفة فهو التنزه عما لا يباح والكف عنه، والغنى ما غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم. [النووي في شرح مسلم (١٧ / ٣٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤، ٣٥ ـ (٢٦٩٧)]، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.
وأحمد في مسنده [١ / ١٨٥، ٣/ ٤٧٢، ٦ / ٣٩٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٢]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٤٤، ٨٤٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٨ / ٣٧٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٦٩٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

والهداية والعافية الماحية للأمراض القلبية الشاملة للعقاب وغيره والرزق المزيل لكل خلة وفاقة.

الحديث السادس: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا(١): «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك» أخرجه مسلم.

وهو منبه علىٰ اعتناء الداعي بمثله فيما يشعر بتمام الاقتدار وتعظيم الخوف وشدة الاضطرار.

ولعله ينظر علىٰ آخر دعاء الآية السالفة: «وقنا عذاب النار».

الحديث السابع: حديث أبي هريرة مرفوعا(٢): «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء» أخرجاه.

وفي رواية قال سفيان أشك أني زدت واحدة منها.

الحديث الثامن: حديثه أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر». أخرجه مسلم(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٦٥٤)] كتاب القدر، [٣] باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء. وأحمد في مسنده [٢/١٦٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٣٠٢، ٨ / ٥٤٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦١٦] كتاب القدر، [١٣] باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء. ومسلم في صحيحه [٥٣ـ(٢٧٠٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. [١٦] باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. قال [النووي: أما درك الشقاء فالمشهور فيه فتح الراء، وجهد البلاء بفتح الجيم وضمها والفتح أشهر وأفصح، فأما الاستعاذة من سوء القضاء فيدخل فيها سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك في الخاتمة. وأما درك الشقاء، فيكون أيضا في أمور الآخرة والدنيا، ومعناه أعوذ بك أن يدركني شقاء، وشماتة الأعداء هي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه؛ يقال منه: شمت بكسر الميم وشمت بفتحها فهو شامت، واشتمه غيره، وأما جهد البلاء فروى عن ابن عمر أنه فسره بقلة المال وكثرة العيال وقال غيره: " هي الحال الشاقة ".
[النووي في شرح مسلم [١٧ / ٢٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧١ ـ (٢٧٢٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شرما لم يعمل. وأحمد في مسنده [٤ / ٣٩٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء
(٦/ ٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ١٠٩، ١١١]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٤٨] وابن حبان في صحيحه [٥٤١ ـ المورد] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٨٣].

الحديث التاسع: حديث عليٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم اهدني وسددني»[١]. أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «**اللهم إني أسألك الهدى والسداد**»[٢] قلت: فإذا حصلت الهداية والتسديد، فقد وصل كل مقصد، فإن من سدد سهمه أصاب غرضه وأدرك لحكمه، ومن يؤتها فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

الحديث العاشر: حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٣].

وفي رواية: «وضلع الدين وغلبة الرجال»[٤]. أخرجاه.

الحديث الحادي عشر: حديث أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعوا به في صلاتي.

قال: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٥].

أخرجاه. "كثيرًا": يروي بالمثلثة وبالباء الموحدة فينبغي الجمع بينهما.

الحديث الثاني عشر: حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وجهلي وكل ذلك عندي»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٢٧٢٥)] كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، وانظر الذي يليه في مسلم.

(٢) انظر تخريج ما قبله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٦٧] كتاب الدعوات، [٣٩] باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (٢٧٠٦)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٥] باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٦٩] كتاب الدعوات، [٤١] باب الاستعاذة من الجبن والكسل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٣٤] كتاب الأذان، [١٤٩] باب الدعاء قبل السلام. ورقم [٦٣٢٦] كتاب الدعوات، [١٧] باب الدعاء في الصلاة. ورقم [٧٣٨٨] كتاب التوحيد، [٩] باب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. ومسلم في صحيحه [٤٨ـ(٢٧٠٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٣] باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي [٣٥٢١]، والنسائي [٣ / ١٥٣ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٨٣٥]، وأحمد في مسنده [١ / ٤].

(٦) قيل: قاله تواضعًا وعد علىٰ نفسه فوات الكمال ذنوبا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل لما =

«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»(١). أخرجاه.

والعصمة من رذائل العامة لا ينافي الاستغفار من ذنوب الخاصة التي هي أشرف ممن دونهم.

الحديث الثالث عشر: حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل»(٢). أخرجه مسلم.

الحديث الرابع عشر: حديث ابن عمر قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفُجَاءَة نقمتك، وجميع سخطك»(٣).

أخرجه مسلم.

الحديث الخامس عشر: حديث زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»(٤). أخرجه مسلم.

= كان قبل النبوة وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فدعا بهذا وغيره تواضعا؛ لأن الدعاء عبادة، قال أهل اللغة: الإسراف مجاوزة الحد. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٣٣] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٩٨]، [٦٣٩٩] كتاب الدعوات، [٦٢] باب قول النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت». ومسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٢٧١٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل. وأبو داود [١٥١٤] والترمذي [٣٤٣١، ٣٤٢٢]، وأحمد في مسنده [١ / ٩٤، ١٠٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٧١٦)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار وأبو داود [١٥٥٥]، والنسائي [٣ / ٥٦، ٨ / ٢٨٠، ٢٨١ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٨٣٩، ٣٨٤٠]، وأحمد في مسنده [٦ / ٣١، ١٠٠، ٢١٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٢٧٣٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء. وأبو داود [١٥٥٠]، والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦١] والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٦].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٢٧٢٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

الحديث السادس عشر: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(١).

السابع عشر: حديث عائشة أنه ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار ومن شر الغنى والفقر»(٢).

رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وقال: حسن صحيح.

وهو متضمن تخوف شر ممن فيه خير من وجه، وشر من آخر.

الثامن عشر: حديث زياد بن علاقة عن عمه قطبه بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»(٣).

رواه الترمذي وحسنه.

فتعوذ من كسب النفوس خلقا، والجوارح عملا والعقول هوى، كل ذي منكر.

التاسع عشر: حديث شكل بن حميد قال: " قلت يا رسول الله علمني دعاء؟ ".

قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي ومن شر منيي»(٤). رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣١٧] كتاب الدعوات، [١٠] باب الدعاء إذا انتبه بالليل، ومسلم في صحيحه [٨٦ ـ (٢٧١٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل. وأحمد في مسنده [١ / ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ١٦٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦٣].

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه [١٥٤٣] كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة. والترمذي [٣٤٩٥] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه [٣٨٣٨]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١ / ١٨٩]، والحاكم في المستدرك [١٠ / ٥٤١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٣١]، وأحمد في مسنده [٦ / ٥٧].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٩١] كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة. والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣٢]، وابن حبان في الإحسان [٩٦٠]. وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٥١] كتاب الصلاة باب في الاستعاذة. والترمذي في سننه [٣٤٩٢] كتاب الدعوات والنسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر السمع والبصر، والاستعاذة من شر البصر. وأحمد في مسنده [٣ / ٤٢٩]، والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ١٩٣]، [١٥ / ٣٠]. والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٥].

الحديث العشرون: حديث أنس أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام»(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وهذه عوارض الجوارح والعقول.

الحادي بعد العشرين: حديث أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»(٢).

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الثاني بعد العشرين: حديث عليٍّ في الترمذي، محسنا أن مكاتبا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي، فأعني قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ: لو كان عليك مثل جبل دينا أداه عنك قال: «قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»(٣).

أي أغنى عن الحرام والسؤال.

الثالث بعد العشرين: حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ علم أباه حصينًا كلمتين يدعوا بهما: «اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»(٤).

رواه الترمذي وحسنه.

الرابع بعد العشرين: حديث العباس قال: قلت يا رسول الله علمني شيئا أسأله الله عز وجل، قال: «سل الله العافية» فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت: يا رسول الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٥٤] كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة.
وأحمد في مسنده [٣ / ١٩٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ١٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٧٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٦].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٤٧] كتاب الصلاة باب في الاستعاذة. والنسائي [٨ / ٢٦٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٣٣٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ١٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦٩] والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٢٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٤٤ ـ الموارد]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٣٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ١٢٣].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٦٣] كتاب الدعوات، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٣٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦١٣]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٢٧١].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣٤٨٣] كتاب الدعوات، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ١٤٧].

علمني شيئًا أسأله الله فقال لي: «يا عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»[(١)].

رواه الترمذي وصححه، والعفو: المحو، وهو صفة الصحة والقوة.

الخامس بعد العشرين: حديث شهر عن أم سلمة كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[(٢)].

رواه الترمذي وحسنه.

السادس بعد العشرين: حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «كان من دعاء داود: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من أهلي ونفسي، ومن الماء البارد»[(٣)].

رواه الترمذي وحسنه.

وهو جامع لإعلاء الأحوال والأعمال، وكان داود أعبد البشر.

السابع بعد العشرين: حديث أنس مرفوعًا: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»[(٤)].

رواه الترمذي، ورواه الحاكم من حديث ربيعة بن عامر الصحابي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وألظوا: الزموا ذلك، وأكثروا، فهو أصل كل المعارف والأحوال.

الثامن بعد العشرين: حديث أبي أمامه أنه ﷺ علمهم هذا لأنهم شكوا أنه دعا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥١٤] كتاب الدعوات، باب [٨٥] منه.
وأحمد في مسنده [١ / ٢٠٩، ٥ / ٢٣١، ٢٣٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٨]، والزبيدي في الإتحاف [٣ / ٢٨٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٢١٧].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٢٢] كتاب الدعوات، باب [٩٠] منه. ورقم [٣٥٨٧] كتاب الدعوات باب منه [١٢٥] وأحمد في مسنده [٣/ ١١٢، ٢٥٧، ٦ / ٩١]. وابن ماجه [١٩٩]، وابن حبان في صحيحه [٢٤١٩ ـ الموارد]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ٣٦] والهيثمي في مجمع الزوائد [٧ / ٢١٠، ١٠ / ١٧٦]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٣٠٢]، وابن حجر في المطالب العالية [٤٦٢، ٤٩٤].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٤٩٠] كتاب الدعوات، باب منه [٧٣]. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥ / ٧٨، ٩ / ٥٤٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١ / ٢٢٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٥ / ٣٢٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٩٦].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٢٤] كتاب الدعوات، باب [٩٢]. وأحمد بن حنبل في مسنده [٤ / ١٧٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٥ / ٦٠]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ١٥٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ١٥٣] والبخاري في التاريخ الكبير [٣ / ٢٨٠].

بدعاء كثير لم يحفظوا منه شيئًا: «اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

رواه الترمذي وحسنه.

التاسع بعد العشرين: حديث ابن مسعود: كان من دعائه عليه السلام: «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار»[٢].

رواه الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

فصل في الدعاء بظهر الغيب

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾[٣] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٤].

وقال إخبارا عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[٥].

فالآية الأولى فيها مدح عموم المؤمنين بذلك. وفي الثانية: الأمر لنبيه وحبيبه به. وفي الثالثة: أنه كان شأن خليل الرحمن فطوبى لمن كان هجيراه ما أمر[٦] به الأنبياء والأولياء والأخلاء، فهؤلاء خاصة الخواص. وروينا في صحيح مسلم من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٧٨] وابن ماجه [٣٨٤٦] كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء. والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٤٧٣] وأحمد في مسنده [١٣٨/٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٣١٣، ٥١٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٩٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٢٧٩].

(٢) أخرجه ابن ماجه [١٣٨٤] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [١٨٩] باب ما جاء في صلاة الحاجة. والحاكم في المستدرك [١ / ٥٢٤، ٥٢٦] والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٤٥].

(٣) سورة الحشر [١٠].

(٤) سورة محمد [١٩].

(٥) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١] قرأ بعضهم "ولوالدي" بالإفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ منه أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل " وللمؤمنين " أي كلهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. تفسير ابن كثير (٢ / ٥٥٧)].

(٦) كذا بالأصل وأظنها ما نهى.

حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه[(١)] بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل» ورويناه فيه أيضا، من حديثه أيضا أنه ﷺ كان يقول: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الموكل به آمين ولك بمثل»[(٢)].

فصل في مسائل من الدعاء

عن أسامة بن زيد مرفوعًا: «من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء»[(٣)].

رواه الترمذي وصححه.

وفيه أن الدعاء قد يكون ثناء.

وعن جابر مرفوعًا: «لا تدعوا علىٰ أنفسكم ولا تدعوا علىٰ أولادكم، ولا تدعوا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»[(٤)].

أخرجه مسلم. فالإجابة متوقعة كل وقت. وعن أبي هريرة مرفوعًا: «أقرب ما

---

(١) قوله ﷺ: «بظهر الغيب» فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص. قوله: "بمثل" هو بكسر الميم وإسكان الثاء هذه الرواية المشهورة، قال القاضي ورويناه بفتحها أيضا، يقال هو مثله ومثيله بزيادة الياء أي عديلة سواء، وفي هذا أفضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها.
[النووي في شرح مسلم [١٧ / ٤١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٨ ـ ٢٧٣٣] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٣] باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأبو داود (١٥٣٤) كتاب الصلاة باب الدعاء بظهر الغيب، وابن ماجه في سننه [٢٨٩٥] كتاب المناسك [٥] باب فضل دعاء الحاج. وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ٩٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٠٣٥] كتاب البر والصلة باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص[٧٥]. والطبراني في المعجم الصغير [٢ / ١٤٨]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٧١. المورد]، والبخاري في الأدب المفرد [٢١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٢٤)، والزبيدي في الإتحاف [٤ / ١٥٦]، وابن السني [٢٧٠].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤ ـ (٣٠٠٩)] كتاب الزهد والرقائق، [١٨] باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر. وأبو داود في سننه [١٥٣٢] كتاب الصلاة، باب النهي عن أن يدعو الإنسان علىٰ أهله وماله. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٩] وابن حبان في صحيحه [٢٤١١ ـ المورد].

يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[١].

أخرجه مسلم.

فأرجى الأحوال السجود.

وعنه مرفوعًا: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: قد دعوت ربي فلم يستجيب لي»[٢]. أخرجاه.

ولمسلم: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم، ما لم يستعجل».

قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟

قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[٣].

قلت: فالاستعجال آفة الدعاء، ورجاء الإجابة باق.

وعن أبي أمامة: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟

قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٥ - (٤٨٢)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود. وأبو داود [٨٧٥]، والنسائي [٢ / ٢٦ - المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ١١٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١٠ / ٢٤٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٨٩٤]، والزبيدي في الإتحاف [٣ / ٢٠، ٥ / ٣٣]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [١/ ١٤٩، ٣٠٧]، وذكره ابن حجر في الفتح [٢ / ٣٠٠، ١١ / ١٣٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٤٠] كتاب الدعوات، [٢٢] باب يستجاب للعبد ما لم يعجل. ومسلم في صحيحه [٩٠ - (٢٧٣٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٥] باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجيب لي. وأبو داود [١٤٨٤]، والترمذي [٣٣٨٧]، وابن ماجه [٣٨٥٣]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٩٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٢ - (٢٧٣٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٥] باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجيب لي. والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٩٠] والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٥٣].

(٤) أخرجه الترمذي [٣٤٩٩] كتاب الدعوات باب [٧٩]، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص [٥١، ٥٢] باب ما يستجيب من الدعاء دبر الصلوات المكتوبات، وأحمد في مسنده [٤ / ١١٢، ١١٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٥٥، ٣ / ٤]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٦٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨٩].

رواه الترمذي وحسنه.

وعن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «ما علىٰ الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل من القوم: "إذاً نكثر" قال: «الله أكثر»[١].

رواه الترمذي وصححه.

والحاكم من حديث أبي سعيد وزاد فيه: «أو يدخر له من الأجر مثلها»، قلت: فالإجابة محققة ما لم يدع بمفوِّت حق الله أو حق آدمي.

وعن أبي عباس أنه ﷺ كان يقول عند الكرب[٢]: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم» أخرجاه[٣].

فاللجأ في الكربات والشدائد علىٰ الذكر والتذلل والإستكانة والإستغراق في شهود الجلال والعظمة من المهمات.

وفي الحديث الأول: من هذه الأحاديث الدعاء للمحسن وأنه حسن.

وفي الثاني: الدعاء علىٰ السيء، وأنه محذور والدعاء لأجنبي، وعلى غيره، أو بخير أو شر ونحوهما.

وفي الثالث: توطين الأمر بإكثار الدعاء.

وفي الرابع: الترغيب في إدامته والتحذير من الملل وسوء الظن[٤]، وذكر شرط الإجابة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٧٣] كتاب الدعوات، في انتظار الفرج وغير ذلك، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٧] وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي واللفظ له: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٤٦] كتاب الدعوات، [٢٧] باب الدعاء عند الكرب، ومسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢٧٣٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢١] باب دعاء الكرب. والترمذي [٣٤٣١]، والنسائي في عمل اليوم والليلة [٦٥٢]، وابن ماجه [٣٨٨٣]. وأحمد في مسنده [١ / ٢٢٨، ٢٥٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢ / ٢٢٣].

(٣) قال الطبري: " كان السلف يدعون به ويسمونه دعاءالكرب، فإن قيل: هذا ذكر وليس فيه دعاء فجوابه من وجهين مشهورين: أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء. والثاني: جواب سفيان بن عيينه فقال: أما علمت قوله تعالىٰ: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين». [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٣٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) في قوله ﷺ في الحديث المتقدم: قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال: «يقول: دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». قال أهل اللغة: يقال: حسر واستحسر إذا أعيا =

وفي الخامس: تحري مواطن الإجابة، فإن له أثرًا.

وفي السادس: إكثار الطلب، فالكريم لا تنفد خزائنه.

وفي السابع: ما سلف.

وأما الخطايا: **فالأولىٰ:** عن سلمان الفارسي قال: إن العبد إذا كان يدعو في السَّراء[1] فنزلت به الضراء فدعا فقالت الملائكة: "صوت منكر من آدمي ضعيف ولا يشفعون له".

الثانية: قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلىٰ الله من أن يُسْأَل، وما يرفع القضاء إلا الدعاء[2].

فائدة: قال الغزالي رحمة الله عليه في الإحياء فإن قلت ما فائدة الدعاء، والقضاء لا مرد له؛ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء. والدعاء سبب الرد للبلاء، واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان[3].

فائدة أخرى: قال أبو سلمان: سمعت وهبًا يقول. وقد أقبل علىٰ عطاء الخرساني. ويحك ياعطاء أتأتي من يغلق بابه، ويظهر لك فقره، ويزوي عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾.

= وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١٩] أي لا ينقطعون عنها ففيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة. [المرجع السابق [١٧ / ٤٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) روى الحاكم في مستدركه [١ / ٥٤٤] وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يسره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء».

(٢) روى الحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٢] وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة: قالت قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما قد نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان علىٰ يوم القيامة» ويعتلجان: يتصارعان.

(٣) كذا في الإحياء [٤ / ٢٠٢] وتكملة الكلام: وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل أن لا يحمل السلاح قال عز وجل: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النِّساء: ٧١] وأن لا تسقى الأرض بعد نبت البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذرة، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر، أو هو أقرب، وترتيب تفضيل المسببات علىٰ تفاصيل الأسباب علىٰ التدريج والتقدير هو القدر.

وأنشدوا(١):

أيها السائل العباد ليُعطى إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم وارج فضل المقسِّم العوَّاد

الثالثة: قال يوسف بن أحمد البغدادي: حججت أنا وأبو سليمان، فبينا نحن نسير إذا سقطت السطحية منى، وكان برد عظيم.

فلما افتقدت السطحية قلت: يا أبا سليمان بقينا بلا ماء، فقال: سلِّم وصل على محمد وقل: يا رادَّ الضالة، ويا هاديا من الضلالة أردد الضالة وإذا بواحد ينادي: من ذهب له سطحية؟، فأخذتها منه.

فقال أبو سليمان: تراه يتركنا بغير ماء؟!

فبينا نحن نسير وإذا برجل عليه طمران(٢) رثان وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد وهو يرشح عرقا.

فقال أبو سليمان: " ألا نعطيك شيئا من ثيابنا " فقال: " يا داراني الحر والبرد خلقان لله أن يأمرهما أن يغشياني أصاباني وإن أمرهما أن يتركاني تركاني".

يا داراني تصف الزهد وتخاف من البرد، أنا في هذه البرية من ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت، يلبسني في البرد فيحا من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته.

نادرة: قال جعفر الخلدي: ودعت المزين الصوفي فقلت له: زوِّدني شيئا، فقال: إن ضاع منك شيئ(٣) أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان، فما دعوت بها في شيء إلا استجيب.

الرابعة: قال الشيخ أبو بكر الفرغاني: كنت أدفع على شدة الفاقة أياما كثيرة، وربما كنت أسقط مغشيا عليَّ، وكنت حينئذ قليل الدراية.

---

(١) قال الواحدي ـ رحمه الله: أنشدنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي ـ رحمه الله:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق علي فما ينفك أن ينفرجا
ورب فتى سدت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجا

(٢) الطمر: الثوب الخلق البالي، جمعها: أطمار.

(٣) روى ابن أبي شيبة في مصنفه [١٣٤٤٢] عن ابن عمر في الضالة يتوضأ ويصلي ركعتين ويتشهد ويقول: " بسم الله يا هادي الضال وراد الضالة، اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطائك وفضلك ".

فقلت ذات يوم لو علمتني اسمك الأعظم سألتك به إذا حلَّت بي فاقة متلفة.

فبينا أنا في بعض الأيام بدمشق علىٰ باب البريد جالس في المسجد إذ رأيت رجلين قد دخلا المسجد فوقع في نفسي أنهما ملكان فوقف أحدهما بحذائي فقال أحدهما للآخر تريد أعلمك اسم الله الأعظم. فقال له: نعم.

فأصغيت لهما فقال: هو أن يقول يا الله.

فقلت قد تعلمت، فقال أحدهما ليس كما تقول ولكن بصدق اللجأ.

قال الشيخ أبو بكر: صدق اللجأ أن يكون مثل الغريق في لُجَّةِ البحر، لم يبق له شيء يتعلق به ولا له ملجأ إلا الله ـ عز وجل.

الخامسة: عن ثابت البناني[1] قال: ما دعا الله المؤمن بدعوة إلا وكَّل بحاجته جبريل فيقول: لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي، وإن الفاجر يدعو الله فيوكل جبريل بحاجته ويقول: يا جبريل عجل إجابة دعوته فإني أحب أن لا أسمع صوت عبدي الفاجر.

السادسة: قال قدامه بن أيوب وكان من أصحاب عتبة الغلام: رأيت عتبة في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟

قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فلما أصبحت أتيت إلىٰ بيتي، فإذا بخط عتبة مكتوب علىٰ الحائط: يا هادي المضلين وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المبرورين، من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يا رب العالمين، آمين.

السابعة: قال عمر بن ثابت دخلت في أُذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتىٰ وصلت علىٰ صماخه، فأسهرت ليله ونغصت عيشه.

فأتي رجل من أصحاب الحسن، فشكى ذلك إليه فقال: ويحك إن كان شيء

---

(١) ثابت بن أسلم، أبو محمد البصري، البناني، القرشي، ثقة، عابد، أخرج له: الستة، توفي سنة [١٢٧] وله [٨٦ سنة]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢ / ٢]، وتقريب التهذيب [١ / ١١٥]، والكاشف [١ / ١٧٠]، الثقات [٤ / ٨٩] تاريخ البخاري الكبير [٢ / ١٥٩]، الجرح والتعديل [٢ / ١٨٠٥]، ميزان الاعتدال [١ / ٣٦٢]، حلية الأولياء [٢ / ٣١٨]، سير الأعلام [٥ / ٢٢٠]، الوافي بالوفيات [١٠ / ٤٦١]، طبقات ابن سعد [١ / ٤٧٨].

ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي(١) التي دعا بها في البحر وفي المغاوز. قال وما هي(٢)؟

قال: يا عليُّ يا عظيم يا حكيم يا عليم.

فدعا بها، فوالله ما برحنا حتىٰ خرجت من أذنه ولها طنين حتىٰ صكت الحائط وبرأ ما كان به.

وأنشدوا:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق ... عليَّ فما ينفك أن ينفرجا

ورُبَّ فتى سُدَّت عليه وجوهه ... أصاب لها في دعوة الله مخرجا.

الثامنة: قال بعضهم: كنا مع إبراهيم بن أدهم، فأتاه الناس فقالوا: يا أبا إسحاق، الأسد وقف في طريقنا، فأتى إبراهيم إلىٰ الأسد وقال له: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أُمِرت به، وإن لم تُؤمر بشيء فتنح عن طريقنا، فأدبر الأسد وهو يهمهم.

فقال إبراهيم وما علىٰ أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا.(٣)

أخرى: عن الخواص: قال إبراهيم الخواص: كتب في البادية مرة فسرت في وسط النهار، فوصلت إلىٰ شجرة فنزلت، فإذا بسبع عظيم، فاستسلمت ودعوت، فلما قرب

(١) العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله بن عمار بن كلب بن ربيعة بن مالك بن عويف ﷺ، حليف بني أميه، عامل البحرين صحابي جليل عمل علىٰ البحرين للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر، أخرج له الستة، توفي سنة [١٤]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/١٧٨]، تقريب التهذيب [٢ / ٩١]، الكاشف [٢ / ٣٥٩]، التاريخ الكبير [٦ / ٥١٦] الجرح والتعديل [٦ / ٣٥٧]، أسد الغاية [٤ / ٧٤]، سير الأعلام [١ / ٢٦٢].

(٢) روى الإمام البخاري في صحيحه [٦٣٤٥] عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم».

(٣) قال يحيى بن عثمان الحمصي: حدثنا بقيه قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبت ريح هاجت الأمواج واضطربت السفينة وبكى الناس، فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه؟ فرفع رأسه وقد أشرفنا علىٰ الهلاك فقال: يا حي حين لاحى ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي يا قيوم يا محسن يا مجمل، قد رأينا قدرتك فأرنا عفوك قال: فهدأت السفينة من ساعته.
[تاريخ الإسلام وفيات (١٦١ ـ ١٧٠)].

مني إذا هو يعرج، فهمهم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري، فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم.

فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت علىٰ يده خرقة، ومضى، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان[١] يحملا إليَّ رغيفين.

التاسعة: قال الربيع: حج أبو جعفر[٢] سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال لي: ابعث إلىٰ جعفر بن محمد، فتغافل عنه الربيع، فأرسل إليه برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه، ففعل.

فلما جيئ به وأحضر بين يديه قال له: "يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجتبون إليك زكاة أموالهم، ونحلت من سلطاني، قتلني الله إن لم أقتلك".

فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان ـ عليه السلام ـ أعطى فشكر، وأيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر.

فقال له أبو جعفر: إليَّ يا أبا عبد الله البرئ الساحة السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله خيرًا.

ثم تناول يده وأجلسه معه علىٰ فراشه.

ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، ثم قال: انصرف في حفظ الله وفي كنفه، فانصرف فلحقته فقلت له: إني قد رأيت قبل أن تأتي ما لم تره، ورأيت بعد أن أتيت ما قدر رأيت فما هذا؟ فقال: يا أبا عبد الله حين دخلت قلت: "اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يُرام، واغفر لي بقدرتك عليَّ، لا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجل مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وبك استعيذ من شره".

العاشرة: عن سري السقطي قال: كان يسكن في جواري رجل صالح ورع من أهل القرآن. وكان فقيرا ذا عائلة فاشتدت به الفاقه والضيقة في بعض أيامه فوقع في

---

(١) الشبل: ولد الأسد، جمعها: أشبال.

(٢) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي أمير المؤمنين، وأمه سلامة البربرية ولد سنة خمس وتسعين أو في حدودها، وروى عن أبيه ورأى جده، وعنه ولده المهدي، وكان قبل أن يلي الإمامة يقال له عبد الله الطويل، ولي الخلافة بعد موت أخيه السفاح سنة [١٢٢] وكان أسمر طويلاً نحيفًا مهيبًا، وكان جمَّاعًا للمال تاركًا للهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس، قتل خلقا كثيرا حتىٰ استقام ملكه، وكان في الجملة يرجع إلىٰ عدل وديانة وله حظ من صلاة وتدين، وكان فصيحًا بليغا مفوها، خليقا للإمارة، توفي سنة [١٥٨]. [تاريخ الإسلام وفيات (١٥١ ـ ١٦٠)].

نفسه أن يكتب حاله في ورقة ويدفعها إلىٰ الله عز وجل فلما كتبها أدركه الليل، فانتصب في محرابه يصلي ويدعو ويشير بالورقة علىٰ السماء، فلم يزل كذلك أكثر ليلته فمسَّه السهر وأعياه القيام.

وجلس يصلي قاعدا إلىٰ أن بقى من الليل قليل فغلب عليه النوم، فرأى في منامه رجلا حسن الوجه يقول له: ما هذه الغفلة التي لحقتك ترفع إلىٰ الله سوادا في بياض؟

قال: فكيف أصنع؟

قال: إذا أردت ذلك فاستمد بيد الشكر من بحر الذكر بقلم الصبر، واكتب علىٰ قلبك بياض الفكر علىٰ رهب الطلب.

قال: قلت: ماذا أكتب؟

قال: يا من أفضاله أفضل أفضال المتفضلين، وإنعامه أنعم إنعام المنعمين، وعجز عن شكره شكر الشاكرين.

قد جربت غيرك من المأمولين بغيري من السائلين، فإذا كل قاصد إلىٰ غيرك مردود، وكل طريق إلىٰ سواك مسدود، وكل خير عندك موجود وعند سواك معدوم مفقود.

قال: قلت: يا سيدي ما أحسن هذا؟

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية. فاكتب: يا من إليه توسَّلت وعليه في السراء والضراء عوَّلت، حاجاتي مصروفة إليك، وآمالي موقوفة لديك، وكل ما وفقتني له من خير أعمله وأطيقه، فأنت دليل عليه بطريقه.

قال: فقلت: يا سيدي وهذا أحسن.

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية، فاكتب: يا قادرا لا ترده المطالب، ويا مالكا يرغب إليه كل راغب، ما زلت مصحوبا منك بالنعم جاريا علىٰ عادات الإحسان والكرم، يا من بكرمه يبلغ الكرم، ومن حمده يزيد النعم.

قال: قلت: يا سيدي وهذا أحسن.

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب: يا من جعل البصر عونا علىٰ بلائه، وجعل الشكر مادا لنعمائه أسألك صبرًا جميلاً علىٰ المحن وتوفيقا للشكر علىٰ المنن، فقد عظمت محنتك عن صبري، وجلت نعمتك عن شكري، فتفضل علي بإقراري بعفو أنت أوسع له وأقدر عليه، فإن لم يكن لذنبي عذر تقبله فاجعله ذنبا تغفره.

ثم قال: يا أبا عبد البر قم في مقام التبتل[1]، وقف موقف التنصل متعرضا للفضل بخشوع التذلل للقبول بلسان التوسل علىٰ العزيز المتفضل.

قال: قلت: يا سيدي ما أحسن هذا.

قال: هو من دعاء خاصة لملك، أفهمت.

قلت: نعم إن شاء الله تعالى، ثم مسح بيده علىٰ بطني وصدري، فانتبهت فإذا أنا ذاكر لما خاطبني به، وما ذهب عني حرف.

قال السري: حدثنا أبو عبد البر عند صلاة الفجر بهذا الحديث فاستحسناه وكتبناه ـ رحمة الله تعالى.

الحادية عشر: قال بعض الصالحين: صعدت جبل لبنان مع نفر نلتمس رجلا من العباد الزهاد المقيمين فيه، فسرنا ثلاثة أيام، فضربت علىٰ رجلي، فجلست علىٰ جبل شامخ، ومضى أصحابي يدورون في الجبل علىٰ أن يرجعوا إلي، فلم يعودوا وبقيت وحدي علىٰ غد ذلك اليوم، وطلبت ماء لأتطهر به للصلاة، فوجدت أسفل الجبل عينا فتوضأت منها، وقمت أصلي فسمعت صوت قارئ فلما فرغت من الصلاة اتبعت الصوت، فوجدت كهفا فدخلته فإذا فيه رجل ضرير جالس فسلمت عليه، فرد علي السلام.

وقال لي: أجني أنت أم إنسي؟

فقلت: بل إنسي.

فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما رأيت ههنا إنسا منذ ثلاثين سنة غيرك ثم قال لي: لعلك تعبت، اطرح نفسك، فدخلت داخل الكهف فرأيت ثلاثة قبور صفا، فنمت عندها، فلما كان وقت صلاة الظهر صاح بي الصلاة يرحمك الله، ولم أر رجلا أعرف بأوقات الصلاة منه.

فصليت معه، ثم قام يصلي، فلم يزل يصلي إلىٰ العصر، قام قائمًا يدعو فسمعته يقول في دعائه: "اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ"

فلما صلينا المغرب قلت له: من أين لك هذا الدعاء؟

قال: من دعا به كل يوم ثلاثة مرات كتبه الله من البدلاء.

فقلت له: من علمك هذا الدعاء؟

---

(١) تبتل إلىٰ الله: تفرغ لعبادته، بتَّل عمله لله: أخلصه من الرياء، وانبتل: انقطع.

قال: لا يحتمل إيمانك ذلك.

فلما صلينا العشاء قال لي: تأكل؟

فقلت: نعم.

قال: ادخل داخل الكهف فكل ما تجد، فدخلت فوجدت صخرة عليها زبيب وجوز وخرنوب وتفاح وتين وحبة الخضراء، كل واحد من ذلك ناحية فأكلت منه ما أردت.

فلما كان وقت السحر أوتر، وذلك أنه لم ينم في ليلته، ثم أكل مما هناك وصليت حتىٰ صلينا الفجر فنام وهو جالس إلىٰ أن طلعت الشمس نحو رمحين.

ثم قام فتوضأ ودخل الكهف، فقلت له من أين هذه الفاكهة؟ فما رأيت أطيب منها.

فقال سترى ذلك معاينة.

فدخل طائر جناحاه أبيضان، وصدره أحمر ورقبته خضراء، وفي منقاره حبة زبيب، وبين رجليه جوزة، فوضع الزبيبة علىٰ الزبيب، والجوزة علىٰ الجوز.

فلما أحسن بجناحه قال لي. رأيته؟

قلت: نعم.

قال: هذا الطائر يأتيني بهذه الفاكهة منذ ثلاثين سنة.

فقلت: كم يتردد إليك في اليوم؟

قال: سبع مرات.

فعددت فإذا به تردد خمسة عشر مرة، فعرَّفته ذلك، فقال: قد زادك مرة، واجعلنا في حل. ورأيت عليه من اللباس من لحاء شجر يشبه الموز، فقلت له: من أين لك هذا؟

فقال: يأتيني هذا الطائر في كل يوم عاشوراء بقشر قُطِّع من هذا اللحاء، فأسوِّي منه قميصًا ومئزرا وكانت عنده مسلَّة يخيط بها اللحاء.

ورأيت بجنبه مما قد خلق من ذلك معروشًا.

ورأيت عنده حجرا يصب عليه الماء، ثم يأخذ الماء الذي ينزل منه فيسمح به الشعر الذي ينبت عليه فيحلقه.

فكنت عنده جالسا فدخل عليه سبعة نفر أعينهم مشقوقة بالطول حمر، وكانت ثيابهم شعورهم فقال لي: بالفارسية لا تفزع منهم فهم من مسلمي الجن.

فقرأ عليه أحدهم سورة طه والآخر سورة الفرقان وآخر يُلقِّن من سورة الرحمن آيات.

ثم خرجوا وسمعته وهو ساجد يقول في سجوده: اللهم مُنَّ عليَّ بإقبالي عليك، والإصغاء إليك واتصالي بك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، ورفع صوته.

فقلت له: من أين هذا الدعاء؟

فقال: أُلْهمته، ولقد كنت أدعو به في بعض الليالي، فسمعت هاتفًا بي يقول: إذا دعوت بهذا الدعاء ففخم فإنه مستجاب.

فأقمت عنده أربعة وعشرين يوما ثم قال لي حدثني بقصتك كيف وصلت علي ههنا؟ فحدثته، وقال لي: لو علمت أن قصتك هذه ما تركتك عندي هذه المدة لأنك قد شغلت قلوب إخوانك، وقد ندموا علىٰ ما فرطوا في أمرك ورجوعك إليهم أفضل من مقامك عندي.

فقلت له: إني لا أعرف الطريق.

فسكت، فلما كان وقت الزوال قال لي: قم حتىٰ تمضي.

فقلت له: أوصني وصية.

فقال: عليك بالجوع، وحسن الأدب، فإني أرجو لك أن تلحق بالقوم، وأهدي لك هدية أيضا.

اطلب يوم الزيادة بعد العصر بين زمزم والمقام رجلا وصفه لي.

ثم قال لي: إذا لقيته فاقرأ عليه السلام واسأله أن يدعو لك.

ثم خرج من الكهف وأنا معه، فإذا بسبع قائم علىٰ باب الكهف، فتكلم معه بكلام لم أفهمه ثم قال لي: اتبعه فإذا وقف فانظر عن يمينك أو يسارك فإنك تجد الطريق.

فسار السبع أمامي ساعة.

ثم وقف فنظرت عن يميني، فإذا أنا على عتبة دمشق، فدخلت الجامع فلقيت بعض من كان معنا فحدثتهم الحديث، وخرجنا جميعا ومعنا خلق كثير حتىٰ صرنا إلىٰ ذلك الجبل وذلك الموضع بعينه، فطلبنا الكهف ثلاثة أيام فلم نجده.

فقالوا لي: هذا شيء كشف لك وغطى عنا، فكنت أحج كل سنة وألتمس الرجل الذي وصفه لي فما كنت أراه.

حتى كان بعد ذلك بثمان سنين رأيته علىٰ الصفة والمكان، فسلَّمت عليه فرد السلام، فسألته الدعاء، فدعا لي بدعوات.

فقلت له: إن إبراهيم الكرماني يقرئك السلام.

فقال لي: وأين رأيته؟

فقلت: في جبل لبنان.

قال: رحمه الله.

قلت: أو قد مات؟

قال: نعم، الساعة دفنته عند إخوتي في الغار الذي كان فيه، وصلينا عليه. فبينا نحن نغسله إذا بالطائر الذي كان يأتيه بقوته قد سقط فلم يزل يضرب بجناحيه حتىٰ مات.

فدفناه عند رجليه.

ثم قام الرجل فدخل في الطواف فلم أره بعد ذلك رحمه الله تعالى.

الثانية عشرة: قال بعضهم أدركتني ضائقة وخوف شديد، فخرجت هائما، فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة. فمشيت ثلاثة أيام، فلما كان في الرابع اشتد بي العطش والحر، وخفت علىٰ نفسي التلف ولم أجد في البرية شجرة استظل بها، فوكلت أمري إلىٰ الله، واستقبلت القبلة، فغلبتني عيناي وأنا جالس فرأيت شخصًا في المنام فصافحني وقال: أبشر أنت تسلِّم وتصل إلىٰ بيته الحرام وتزور قبر نبيه ﷺ.

فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا الخضر.

فقلت له: ادع لي.

فقال: يا لطيف بخلقه، يا خبير بخلقه، ألطف بي يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات.

فقلت ذلك.

فقال: هذه تحفة بها غنى الأبد، فإذا لحقتك ضائقة أو نزل بك نازلة فقلها، تكفي وتشفى ثم غاب عني وأنا أسمع شخصا ينادي: يا شيخ يا شيخ، فانتبهت.

فإذا برجل راكب علىٰ راحلة فقال لي: يا هذا رأيت لي شابا صفته كذا وكذا؟

فقلت: لا.

فقال: خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام، وأخبرنا أنه توجه إلىٰ الحج.

ثم قال لي: إلى أين تقصد؟

فقلت: حيث ما شاء الله، فأناخ راحلته ونزل عنها، ومد يده علىٰ جراب فأخرج منه قرصي سميد وبينهما حلوى، ونزل بسطحية مملوءة ماء.

وقال: اشرب، فشربت وأكلت قرصًا واحدا فاكتفيت به.

ثم قال لي: اركب، وركب أمامي وسرنا ليلتين ويوما فالتحقنا بالقافلة، فسأل عن الشاب فأخبر أنه في القافلة.

فتركني ومضى، ثم أتاني بعد ساعة والشاب معه وقال: يا ولدي هوَّن الله علي بالاجتماع بك اجتماعي بهذا الرجل.

ثم ودعتهما وانصرفت ولحقني الرجل بكاغدة وناولني إياها، وقبَّل يدي وانصرف.

فوجدت بها خمسة دنانير مصرية، اكتريت منها إلىٰ مكة، وتزودت ببقيتها، وحججت تلك السنة، وزرت النبي ﷺ والخليل ـ عليه السلام.

وكلما أدركتني ضائقة أو نازلة أذكر تلك الكلمات التي علمني الخضر وأعترف بفضله ومنه، وأشكره علىٰ نعمته.

تمن علىٰ ذي العرش ما شئت إنه مجيد كريم لا يُخَيِّبُ سائلا

الثالثة عشرة: عن الليث ـ رحمه الله ـ قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فأتيت مكة.

فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس وهو يدعو فقال: يا رب حتىٰ انقطع نفسه ثم قال: يا الله يا الله حتىٰ انقطع نفسه.

ثم قال: يا حي يا حي كذلك.

ثم قال: يا رحيم كذلك، ثم قال: يا أرحم الراحمين سبع مرات. ثم قال: اللهم إني اشتهيت هذا العنب فأطعمنيه.

اللهم إن بُرْدِي قد خلق.

قال الليث. فوالله ما استتم كلامه حتىٰ أُتِيَ بسلة مملوءة عنبًا، وليس علىٰ الأرض يؤمئذ عنب. وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل.

فقلت: أنا شريك.

فقال لي: ولم؟ قلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن.

فقال لي: تقدم فكل ولا تُخبأ منه شيئًا فتقدمت وأكلت شيئًا لم آكل مثله قط، وإذا عنب لا عجم فيه، فأكلت حتىٰ شبعت، والسلة لم تنقضي شيئا.

ثم قال: خذ أيَّ البردين شئت.

فقلت: أنا أغنى عنهما.

قال: توار عني حتىٰ ألبسهما، فتواريت عنه. فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر،

ثم أخذ البردين الذين كانا عليه فجعلهما علىٰ يديه، ونزل.

واتبعته حتىٰ إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسني كساك الله يا ابن رسول الله، فدفعهما إليه.

فلحقت الرجل فقلت: من هذا؟

فقال: هذا جعفر بن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فطلبته فلم أجده.

الرابعة عشرة: عن بعض المشايخ قال: كان لي زوجة كنت مشغوفًا بها، فبينا أنا عندها في بعض الأيام في البيت نائم أدركتني حالة في المنام فسمعت ما نطقت به وعاينت حركتي، وكانت حالة عظيمة.

فلما أفقت قالت: ما شأنك يا سيدي؟

فقلت: ما رأيت؟

قالت: خيرًا.

فسكت عنها، ثم خرجت وخليتها.

فقالت لخادم لنا ناد لي أمي وأختي، فناداهما.

فاجتمعت بهما وقالت جرى لزوجي كذا وكذا. وأخبرتها بالصورة، وقالت والله ما بقيت له بزوجة أبدًا، فإنه مجنون فعزلها أهلها عن ذلك وقصدوا ردها فأبت، فقالوا، تقيمين في الدار حتىٰ نجتمع معه.

فلما علمت بذلك أتيت إليها وقلت: ما مقصودك قالت: الفراق وإلا قتلت نفسي، وأنت السبب في ذلك.

فقال: أمهليني سبعة أيام.

فقالت: نعم، ثم إني وجدت مشقة كبيرة في فراقها، فقصدت رضاها بشيء من الدنيا، فأبت فأرسلت إليها جماعة من أهلي فأبت، فلما تيقنت عزمها علىٰ ما ذكرت، لحقني وَلَه وتغيرت أحوالي وتشوش خاطري ولم أجد ما يحمل ذلك عني.

فلما بقى من الأجل ليلة واحدة، وقد اشتد بي الحال، وضاقت بي الأرض، رجعت إلىٰ الله وفوضت أمري إليه وعزمت علىٰ أن ما يفعله الله أرضى به.

ثم دعوت بهذه الكلمات: اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات، ويا من بيده ملكوت الأرض والسموات، يا مجيب الدعوات استغثت بك واستجرت بك يا مجير أجرني ثلاث مرات.

ثم جلست حتىٰ كان النصف الآخر من الليل، وأنا مستقبل القبلة وإذا بها قد

دخلت فقبلت رجلي وقالت: سألتك بالله العظيم إلا رضيت عني، فقد تبت مما كنت أطلبه منك.

وقد رجعت إلىٰ الله فاسأله أن يقبل توبتي.

فقلت: لا أرضى عنك حتىٰ تخبريني بسبب هذا.

فقالت: كنت البارحة مصرة علىٰ ذلك العزم فأتى رجل في المنام وبيده اليمنى سوط، وفي الأخرى سكين وقال لي: إن رجعت عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذا السكين، ثم جلدني ثلاث جلدات.

فانتبهت مرعوبة وحرارة ذلك الضرب في قلبي فقعدت ساعة ثم نمت فرأيت الرجل بعينه قد أتاني وبيده السوط والسكين، وقال لي أما حذرتك ووعظتك وأمرتك، ثم رفع يده علي.

فانتبهت مرعوبة وأتيت إليك مسرعة لتقبل توبتي وترضي عني وتسأل الله لي.

ثم كشفت عن جسدها فرأيت أثر ثلاث ضربات فقلت لها: يتوب الله عليَّ وعليك، وقد رضيت عنك في الدنيا والآخرة.

فقالت: صداقي هبة لك، شكرا لله، وعندي عشرون دينارا من حليتي، وهي وثيابي للفقراء شكرا لله.

فلما أصبحت فعلت ذلك.

ثم نظرت لطف الله بي، وعلمت أنه ثمرة الرضا علي ما فعل، وتيقنت أن الأمور كلها بيده ثم أقمت معها بعد ذلك سبع سنين وأنا في أكمل مسرة، ثم ماتت فرأيتها في المنام في أجمل صورة وعليها من الحلي والحلل ما لا أطيق وصفه. فقلت لها: ما لقيت من ربك؟

فقالت: كما ترى، وأنا منتظرة لقاك رضي الله عنك، كما رضيت عني.

الخامسة عشرة: روى أنه كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ رجل يتجر من الشام إلىٰ المدينة ومن المدينة إلىٰ بلاد الشام.

ولا يصحب القوافل توكلا علىٰ الله.

فقدم مرة من الشام يريد المدينة، إذ عرض له لص علىٰ فرس فصاح بالتاجر، فوقف وقال شأنك مالي وخلِّ سبيلي.

فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك.

فقال له: التاجر: انظرني حتىٰ أتوضأ وأصلي وأدعو ربي قال: افعل ما بدا لك.

فقام التاجر فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه وكان من دعائه يا ودود ثلاثا يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التي قدرت بها علىٰ جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني ثلاثًا.

فلما فرغ إذا بفارس علىٰ فرس أشهب وعليه ثياب خضر وبيده حربة من نور، فلما نظر اللص قتله ثم رجع إلىٰ التاجر وقال: اعلم أني ملك من ملائكه السماء الثالثة حين دعوت المرة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار.

ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل وهو ينادي من لهذا المكروب، فدعوت ربي أن يوليني قتله، واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا في كل كربة وشدة وكل نازلة، فرج الله عنه وأعانه، وجاء التاجر سالما غانما حتىٰ دخل المدينة، وجاء إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره بالقصة وبالدعاء.

فقال ﷺ: «لقد لقنك أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى».

السادسة عشرة: روى أنه كان بالكوفة رجل يكاري ويثق به التجار ويأمنونه علىٰ أموالهم، فسار وحده في وقت.

فلما خرج من العمران لقيه في طريقه رجل فقال: أين تريد؟

فقال المكاري: أريد كذا وكذا.

فقال له الرجل: لولا قلة مقدرتي علىٰ المشي لكنت رفيقك إليها، لكن إن شئت أعطيتك دينارًا، وتحملني علىٰ دابتك.

فقال له: أفعل.

فأخذه وحمله علىٰ دابته، فلما صار في بعض الطريق ظهر لهما طريقان.

فقال الراكب لصاحب الدابة أيهما نأخذ؟

فقال: الزم الجادة.

فقال له الراكب: أليس هذا الطريق أقصر وأخصب لدابتك؟

فقال: ما سلكتها قط.

قال: أنا سلكتها مرارا كثيرة.

قال: فسر حيث شئت، فسار من النهار حتىٰ رفَّت تلك الطريق، ورمتهم إلىٰ وادٍ مُوحش فيه جيف القتلى كثيرة.

فقال المكاري: أرى هذه الطريق قد انقطع.

فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكينا وقصد قتل المكاري.

فقال له: لا تفعل ودونك البغل وما عليه.

قال: لا والله لا آخذ البغل حتىٰ أقتلك.

فقال له: سألتك بالله العظيم إلا ما تركتني وأخذت البغل بما عليه.

فقال: لا بد من قتلك إلا أن يسبقني ملك الموت.

قال: فدعني أختم عملي بركعتين ولا تعجل عليَّ فضحك من كلامه وقال: قم فافعل فإنه قد فعل مثل ذلك كل من ترى، فما نفعتهم صلاتهم ولا خلصهم مني، فعجِّل صلاتك.

فقام يصلي، فكبر، ثم قرأ بأم القرآن ثم تلجلج ولم يدر ما يقول، فنهره وقال: عجِّل: لا أم لك فألهمه الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1].

فرفع صوته وهو يبكي، فإذا بفارس قد خرج من بطن الوادي وبيده رمح، وفي رأسه سنان كأنه كوكب مضيء فأجاب، فقصد الرجل أسرع من اللحظة فطعنه طعنة من ورائه خرَّ بها علىٰ وجهه.

ثم التهب في المكان الذي وقع فيه النار.

فلما رأى ذلك صاحب الدابة خر ساجدا لله ما شاء الله، ثم رفع رأسه إلىٰ الفارس وقال: سألتك بالله الذي رحمني بك من هذا المكان من أنت؟

فقال: أنا عبد لمن يجيب المضطر إذا دعاه.

اذهب حيث شئت فلا بأس عليك.

وأنشدوا:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا	وقمت أشكو إلىٰ مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة	ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها	ما لي علىٰ حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالصبر مبتهلاً	إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروي كل من يرد

السابعة عشرة: حكى أن بعض الملوك غضب علىٰ بعض الفقراء، فبنى عليه قبة ولم يترك له منفذا ومنعه الطعام والشراب.

(١) سورة النمل [٦٢].

فلما كان بعد ثلاث وجد الفقير خارجا في عافية فأخبر الملك بذلك، فأحضره فقال له: ما الذي نجاك من هذه الشدة، وفرج عنك هذه الكربة وأنقذك مما كنت فيه.

ما سبب خلاصك؟

قال له: دعاء دعوت به.

قال: وما هو؟

قال: قلت: اللهم إني أسألك يا لطيف ثلاثا، يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض، أسألك أن تلطف بي من خفيّ خفيّ خفيٍّ لطفك الخفي الخفي الخفيّ الذي إذا لطف به لأحد من عبادك كفى.

فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩] الآية.

الثامنة عشرة: حكى أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك، وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها بيع الدار تأبى، فخرجت في سفر، فأمر الملك بهدمها.

فلما جاءت قالت من هدم داري؟

قيل: الملك، فرفعت رأسها علىٰ السماء، وقالت إلهي وسيدي ومولاي غبت أنا وأنت حاضر، للضعيف معين، وللمظلوم ناصر، ثم جلست فخرج الملك في موكبه، فلما نظر إليها قال: ما تنتظرين قالت: انتظر جواب قصتك.

فهزئ بقولها وضحك، فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره، ووجد علىٰ بعض حيطانه مكتوب:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه[1] وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

وقد شاء الإله بما تراه فما للملك عندكم بقاء

---

(١) ازدراه: حقره وعابه، وزري عليه زريا وزراية: عابه وعتب عليه. وأزرى بالشيء تهاون به وقصر.

مجلس في الصمت

قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[1].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[2].

وروينا في جامع الترمذي[3] مصححا من حديث معاذ قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار.

قال: لقد سألتني عن عظيم، وأنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل.

قال: ثم تلا﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[4] حتىٰ بلغ﴿يَعْمَلُونَ﴾ .

---

(١) سورة ق [١٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ـ(٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي في سننه [١٩٦٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الضيافة كما هو، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٩٧١]. وبذلك في الموطأ [٩٢٩] قال [النووي: قوله ﷺ: «فليقل خيرا أو ليصمت» فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبا أو مندوبا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورا بتركه مندوبا إلىٰ الإمساك عنه مخافة من انجراره علىٰ المحرم أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيرا وغالبا. [النووي في شرح مسلم [٢ / ١٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦١٦] كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه في سننه [٣٩٧٣] كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، والنسائي في الكبرى في التفسير. وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٠، ٢٣١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٨]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٥١] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٣٣٧، ٥ / ١٧٥].

(٤) سورة السجدة [١٦].

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»

قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه.

قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(١).

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك:

فالأول عن ذي النون المصري ـ رحمة الله عليه ـ قال: بينا أن أسير في نواحي الشام إذ وقعت في روضة خضراء، وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح، فتقدمت إليه، وسلمت عليه، فلم يرد علي السلام.

فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته، ثم كتب في الأرض بإصبعه:

منع اللسان من الكلام لأنه ... كهف البلاء وجالب(٢) الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا ... لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون: فبكيت طويلاً وكتبت بإصبعي في الأرض:

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

قال: فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا.

فقمت لآخذ في غسله ودفنه، وإذا بقائل يقول: خل عنه فإن الله عز وجل وعده أن لا يتولى أمره إلا الملائكة.

قال ذو النون:(٣) فقمت إلىٰ شجرة فركعت عندها ركعتين، ثم أتيت الموضع

(١) تم تخريجه في أوله.

(٢) جلب الشيء: ساقه من موضع إلىٰ آخر فهو جالب وجلاَّب.

(٣) قال السلمي في كتاب المحن: إن ذا النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، أنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر، وكان يذهب مذهب مالك، ولذلك هجره علماء مصر، حتىٰ شاع خبره، وأنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتىٰ رموه بالزندقة. قال: فدخل عليه أخوه فقال: إن أهل مصر يقولون: أنت زنديق فأنشأ يقول:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ... ووضعي كفى تحت خدي وتذكاري

[انظر تاريخ الإسلام للذهبي. وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

الذي مات فيه فلم أجد له أثرا ولا أعرف له خبرا ـ رحمه الله تعالىٰ.

فائدة: قال محمد بن حازم: قال وهب: وجدت العزلة كلها في كف اللسان.

وقال وهب: يقال الحكمة عشرة، فتسعة منها في الصمت، والعاشر في عزلة الناس.

قال: فعالجت نفسي علىٰ الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه.

فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس.

الثانية: عن ميمون بن مهران[1] قال: جاء رجل إلىٰ سلمان فقال: أوصني، قال: لا تتكلم، فإن تكلمت تكلم بحق أو اسكت.

قال: زدني، قال: لا تغضب.

قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه.

قال: فإن غضبت أملك لسانك ويدك

قال: زدني، قال لا تلابس الناس.

قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة.

فائدة: قال عطاء بن رباح: " أن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، يعدون فضوله ما عدا كتاب الله أن تقرأه وتأمر بمعروف وتنهى عن المنكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2] الآية أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي (أخلا)[3] صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

---

(١) ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي الفقيه، الجريري، وكان يرسل، وهو ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة [١١٧ ـ ١١٨]. ترجمته تهذيب التهذيب [١٠/ ٣٩٠]، التقريب [٢/ ٢٩٢].

(٢) سورة ق [١٧] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] أي مترصد ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أي ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢٤)].

(٣) كذا بالأصل.

نادرة: قال صالح بن أبي الأخضر[١]: قلت لأيوب أوصني قال: اقلل الكلام.

الثالثة: عن محمد بن رافع[٢] قال: أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينا أنا في بعض الطريق رأيت رجلاً عليه جبة من الصوف وبيده ركوة.

فقلت: أين تريد؟

قال: لا أدري، فظننته موسوسًا.

فقلت: من خلقك؟ فاصفر لونه حتىٰ خلته صبغ بزعفران، ثم قال: خلقني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فقلت: رحمك الله أنا من إخوانك، ومن يأنس إلىٰ أمثالك فلا تنقبض عني، فقال: والله لو جاز لي ترك الجماعات حتىٰ أنفرد في شاهق منيف صعب المرتقى. أو في غار موحش لعلي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها فعلت.

فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتىٰ استحقت عليك هذا البغض؟

فقال: (حنانا)[٣] بها.

فقلت: هل من دواء يعالج به هذا العمى الذي قد حجب مني ما يراد بي.

قال: ما أراك تقدر علىٰ العلاج فاستعمل من الدواء أيسره.

قلت: صف لي دواء لطيفًا.

قال فما داؤك؟

قلت: حب الدنيا.

فتبسم وقال: أي فرحة أعظم من هذه، ولكن اشرب السموم الطريفة والمكارم الصعبة.

---

(١) صالح بن أبي الأخضر اليمامي، البصري مولى هشام بن عبد الملك، ضعيف يعتبر به، أخرج له: أبو داود والترمذي في الشمائل توفي سنة [١٤٠] إلىٰ سنة [١٥٠]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤/ ٣٨٠]، تقريب التهذيب [١/ ٣٥٨]، الكاشف [٢/ ١٨]، تاريخ البخاري الكبير [٤/ ٢٧٣]، الجرح والتعديل [٤/ ١٧٢٧]، ميزان الاعتدال [٢/ ٢٨٨]، لسان الميزان [٧/ ٢٤٤]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٢٥٧]، سير الإعلام [٧/ ٣٠٣].

(٢) محمد بن رافع بن أبي زيد، وأبو عبد الله سابور القشيري، الزاهد، النيسابوري ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة عدا ابن ماجه، توفي سنة [٢٤٥]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٩ / ١٦٠]، تقريب التهذيب [٢/ ١٦٠]، الكاشف [٣/ ٤٢]، تاريخ البخاري الكبير [١/ ٨١]، الجرح والتعديل [٧/ ١٣٩١]، العبد [١ / ٤٤٥]، الوافي بالوفيات [٣ / ٦٨]، التمهيد [١ / ٢٥٥]، سير أعلام النبلاء [١٢/ ٢١٤].

(٣) كذا بالأصل.

قلت: ثم ماذا؟

قال: الوحشة التي لا أنس فيها، والتفرقة التي لا اجتماع فيها.

قلت: ثم ماذا؟. قال: السلو عما تريد، والصبر علىٰ ما لا تحب،و إن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الفتن التي كأنها قطع الليل المظلم.

قلت: فدلني علىٰ عمل يقربني من الله.

فقال: يا أخي قد نظرت في جميع العبادات.

فلم أر أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، وقلة الكلام، يا أخي رأيت القلب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس وجزء مع الدنيا، فمن يقوى علىٰ الانفراد بتسعة أجزاء من القلب.

ثم غاب عني فلم أره.

الرابعة: عن أبي سلمان المغربي قال: كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت من ثمنه، وكان طريقي فيه التوقي والتحري.

فرأيت في المنام جماعة من البصريين فيهم الحسن البصري وفرقد السبخي(١) ومالك بن دينار، فسألتهم من علم حالي فقلت: أنتم أئمة المسلمين دلوني علىٰ الحالات التيٰ ليس لله عز وجل فيها تبعة ولا للمخلوق فيه منة.(٢)

فمكثت آكل ثلاثة أشهر نيًّا ومطبوخًا في دار السبيل، فظهر لي حديث، فقلت: هذه فتنة.

فخرجت من دار السبيل، ومكثت آكل ثلاثة أشهر أخرى، فأوجدني الله تعالى قلبا طيبا حتىٰ قلت إن كان أهل الجنة بهذا القلب فهم والله العظيم في شيء طيب، وما كنت آنس بكلام الخلق.

فخرجت يومًا إلىٰ بعض الصهاريج، فجلست عنده وإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية يريد طرسوس. وقد بقى معي قطعيات من ثمن الحطب السالف فقلت: أنا قد قنعت بالحباري(٣)، أعطى هذه هذا الفقير ليأكل به شيئًا.

فلما دنا مني أدخلت يدي إلىٰ جيبي لأخرجها، وإذا أنا بالفقير قد حرَّك شفتيه،

---

(١) فرقد بن يعقوب، أبو يعقوب السبخي البصري، الكوفي، صدوق، عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ، أخرج له: الترمذي وابن ماجه، توفي سنة [١٣١]. تهذيب [٨/ ٢٦٢] التقريب [٢/ ١٠٨].

(٢) مَنَّ عليه منًّا: أنعم عليه نعمة طيبة والمِنَّةُ: الإحسان والإنعام، جمعها: منن.

(٣) الحُبارى: طائر طويل العنق رمادي اللون علىٰ شكل الإوزة، في منقاره طول.

وإذا كل ما حولي ذهب يتقد، كاد يخطف بصري، ولبستني منه هيبة، فجاء فلم أسلم عليه من هيبته.

ثم رأيته بعد ذلك خارج طرسوس جالسًا تحت برج بين يديه ركوة فيها ماء.

ثم استدعيت منه موعظة، فمد رجله وقلب الماء ثم قال: إن كثرة الكلام تنشف الحسنات كما نشفت الأرض هذا الماء، قم يكفيك.

شعر:

كن عن جميع الخلق مستوحشا ... مستأنسًا بالواحد الحق
واصبر فبالصبر تنال المنى ... وارض بما يجري من الرزق
واحذر من النطق وآفاته ... فآفة المؤمن في النطق
وجدَّ في السير وشمر كما ... شمر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة ممن سما ... وخيرة الله من الخلق

مجلس من ترك الغيبة

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1] الآية.

فنهى عنها، ونفر منها بما ذكر بعد، وحذر ورغب في التوبة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2].

نهى عن اقتفاء ما لا علم له بإباحته، أو تشريعه ولو قيل: المعنى ما ليس لك به علم نافع، لساغ، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[3].

فينبغي للعاقل التحفظ من ذلك والإمساك عن الكلام، إلا ما ظهر فيه المصلحة، وقد ينجز المباح إلىٰ غيره، فالإمساك أحوط.

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم[4].

---

(١) سورة الحجرات [١٢].

(٢) سورة الإسراء [٣٦].

قال علىٰ بن أبي طلحة عن بن عباس يقول: لا تقل وقال العوفي عنه: لا ترم أحدا بما ليس به علم. وقال محمد بن الحنفية: يعني شهادة الزور، وقال قتادة: لا تقل: رأيت ولم ترى وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢] . [تفسير ابن كثير (٣ / ٤٠)].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) قال النووي: لكن تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب: أحدها: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلىٰ السلطان والقاضي وغيرهما. والثاني: الاستغاثة علىٰ تغير المنكر ورد العاصي علىٰ الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك. الرابع: تحذير المسلمين من الشر منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين والإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته وغيره. الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة أموال الناس وجباية المكوس وتولى الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز لغيره إلا بسبب آخر. السادس: =

قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته وإن لم يكن فيه، فقد بهته»[(١)] رواه مسلم

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[(٢)] رواه أبو داود.

وفيه والترمذي وقال حسن صحيح من حديث عائشة: قالت: " قلت لرسول الله حسبك من صفية كذا وكذا "

ـ قال بعض الرواة يعني قصيرة ـ قال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنسانا.

فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا»[(٣)].

ومعنى مزجته: خالطته يتغير طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وإنه لزجر بليغ عنها فشيء يخالط البحر المحيط بالدنيا لا أقبح منه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[(٤)].

هو ظاهر في السكوت عند عدم الخيرية.

وفيهما من حديث أبي موسى: قلت: يا رسول الله أيُّ المسلمين أفضل؟

= التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها. [مختصرا من النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١٧، ١١٨] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ـ (٢٥٨٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٠] باب تحريم الغيبة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٤٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٨].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٧٨] كتاب الأدب، باب في الغيبة. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٣٣] والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ١٥٠، ٦ / ٩٦].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٧٥] كتاب الأدب، باب في الغيبة. والترمذي [٢٥٠٢، ٢٥٠٣] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٥١]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٢٨، ١٣٦، ٢٠٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٠٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٤٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٠٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ـ (٤٧)] كتاب الإيمان [١٩] باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي [١٩٦٧، ٢٥٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٩٧١] والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣٠٦، ٧ / ٣٥٨] ومالك في الموطأ [٩٢٩] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٢٢٠].

قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

وفيهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ينزل بها إلىٰ النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢].

ومعنى يتبين: يتفكر أنها حرام أو لا.

وفيهما من حديث سهل مرفوعًا: «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٣].

ورواية الترمذي مصححًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من وقاه الله تعالى شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة»[٤].

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم»[٥]

قلت: فليحذر من المعرّات﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٥].

وروينا في موطأ مالك، وجامع الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني مرفوعًا: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن يبلغ ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١١] كتاب الإيمان، [٥] باب أي الإسلام أفضل، ومسلم في صحيحه [٦٤ـ (٤٠)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل. والترمذي [٢٥٠٤، ٢٦٢٧]، والنسائي [٨ / ١٠٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٩١، ٢٠٦] والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٤٣]، والحاكم في المستدرك [٣ / ٦٢٦]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٩ / ٦٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٢٥٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٧] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٩٨٨)] كتاب الزهد والرقائق، [٦] باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار. والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٥].
والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٣٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٤] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان. والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨١٢].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، والحاكم في المستدرك [٤ / ٣٥٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥٠]، والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٣٥٧].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٨] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٣٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٣٦].

بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلىٰ يوم القيامة»[١].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وسخطه تعالى لا طاقة لنا به، فكيف مؤبده نعوذ بالله من ذلك.

وروينا من حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به. قال: «قل: ربي الله ثم استقم».

قال: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[٢].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وأما الحكايات: **فالأولى**: عن الجنيد ـ رحمه الله ـ قال: كنت جالسًا في مسجد الشونيزيه انتظر جنازة للصلاة، وأهل بغداد علىٰ طبقاتهم ينتظرونها رأيت فقيرًا عليه أثر النسك[٣] يسأل الناس، فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به.

فلما انصرفت إلىٰ منزلي وكان لي شيء من الوِرْدِ[٤] بالليل فثقل عليَّ وِرْدِي فسجدت وأنا قاعد وغلبتني عيني، فرأيت ذلك الفقير جاءوا به إليَّ علىٰ خوان ممدود وقالوا لي: كل لحمه فقد اغتبته، كشف لي عن الحال، فقلت ما اغتبته وإنما قلت في نفسي شيئًا.

فقيل لي: ما أنت ممن يُرْضَي منك بمثله، اذهب فاستحله.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣١٩] كتاب الزهد، باب في قلة الكلام. والنسائي في الكبرى في الرقائق، وابن ماجه [٣٩٦٩] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة والحاكم في المستدرك [١ / ٤٥]، وابن حبان في صحيحه [١٥٧٦ ـ المورد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ٣٥٤].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤١٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان. و ابن ماجه في سننه [٣٩٧٢] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٣)، والحاكم في المستدرك [٤ / ٣١٣]، و ابن حبان في صحيحه [٢٥٤٣ ـ المورد] و ابن أبي عاصم في السنة [١ / ١٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١ / ٦٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥١] وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٣٨)] كتاب الإيمان، [١٣] باب جامع أوصاف الإسلام.

(٣) نَسَكَ فلان نسكًا: تزهد وتعبد، وتَنَسَّك أي تزهد وتعبد.

(٤) الوِرْدُ: النصيب من القرآن أو الذكر.

فأصبحت ولم أزل أتردد حتىٰ رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقا مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال: لا تعود يا أبا القاسم.

قلت: لا، قال: غفر الله لنا ولك.

الثانية: قال: ميمون بن سياه[١] تذاكروا عندي رجلا من السلاطين فوقعوا فيه، فلما انقلبت إلىٰ أهلي رقدت إذا بجيفة منتنة، وإذا رجل علىٰ رأسي يقول: كل.

فقلت: يا أبا عبد الله لما آكل؟ قال: لما اغتيب عندك فلان، قلت: ما ذكرت منه خيرًا ولا شرًا.

قال: لكنك سمعت ورضيت.

الثالثة: قال خالد الربعي: كنت في مسجد فتناولوا رجلا، وأعنتهم عليه، فرأيت تلك الليلة في المنام كأن رجلا أتاني بطبق عليه قطعة من لحم الخنزير، فقال: كل.

قلت: لا آكل، قال: أكلت شرًا منه. ففك لحيي وأدخل فمي منه، فاستيقظت وأنا أجد طعمه في فمي. فمكثت أربعين يوما، وما ذهب نتنه من فمي.

الرابعة: قيل: أوحى الله إلىٰ موسى ﷺ يا موسى من مات تائبًا من الغيبة[٢] فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًا علىٰ الغيبة فهو أول من يدخل النار.

الخامسة: قال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك.

السادسة: قال الثوري ـ رحمه الله ـ إني لأرمي رجلا بسهم أحب إلي من أن أرميه بلساني؛ لأن رمي اللسان لا يخطئ، ورمي السهم ربما يخطيء.

السابعة: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا

---

(١) ميمون بن سياه، أبو بحرا البصري، صدوق عابد، يخطيء، أخرج له: البخاري والنسائي. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ٣٨٨]، تقريب التهذيب [٢ / ٢٩١]، الكاشف [٣ / ١٩٢]، الجرح والتعديل [٨ / ١٠٥٢]، تاريخ البخاري الكبير [٧/٣٣٩]، ميزان الاعتدال [٤ / ٢٣٣]، لسان الميزان [٧ / ٤٠٦] المجروحين [٣ / ٦]، المغنى [٦٥٥٨]، حلية الأولياء [٣ / ١٠٦].

(٢) من أوجه الغيبة المباحة: إذا كان الإخبار عن العيب عند المشاورة، فإذا رأيت من يشتري شيئا معيبًا أو عبدًا سارقًا أو زانيًا أو ساربا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد. ومنها إذا رأيت متفقًا يتردد إلىٰ فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علمًا وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا للنصيحة ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها علىٰ وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به علىٰ حالة فلا يغتر به ويلزم الاستقامة. [النووي في شرح مسلم [١٦/١١٧] طبعة دار الكتب العلمية].

لعيوب نفسه، فاعلموا أنه قد مكر به.

الثامنة: قال حاتم الأصم ـ رحمه الله ـ ثلاثة إذا كنَّ من مجلس فالرحمة عليهم مصدومة: ذكر الدنيا، والضحك، والوقعية في الناس.

التاسعة: قال مجاهد: إن لبني آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكره بسوء، قالت الملائكة: أيها المستور عورته ارفع علىٰ نفسك، واحمد الله الذي ستر عورتك.

العاشرة: قال بشر بن السري[1]: ويحك لو قيل لك لم تغتاب فلانًا وتقع فيه.

قلت: لأنه عدوي، وظلمني، فإن كان كما زعمت فدعه وما جنى علىٰ نفسه، فإن الله سينصرك ولا تخفف عنه وتحمل عنه من خطاياه بتوقير ظهرك، ويحك يسألك والدك حسنة فتمنعها وتعطيها أعداءك، ما يفعل هذا عاقل، بل كان حقا عليك لو أن إنسانا اغتابه أخذت علىٰ فيه.

وقلت: هذا عدوي فلا (تصبني)[2] له خيرًا.

وأنشدوا:

قل للذي لست أدري من يلومه ... أناصح أم على غل تداحيني

إني لا أعجب مما سمتني عجبًا ... يد منك تسخوا وأخرى منك تأسوني

تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين وكل منك يأتيني

هذان أمران (........)[3] بينهما ... فاكفف لسانك في ذمي وتزييني

الحادية عشرة: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها.

فيقول: يا رب أني لي هذا؟

فيقول: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر.

الثانية عشرة: قال أبو تراب مثل الذي يجلس في مجلس ويغتاب الناس بلسانه، مثل الذي نصب منجنيقًا[4] لحسناته فيرميها شرقا وغربا. يذكر واحدا من الشام بسوء،

---

(١) بشر بن السري، أبو عمرو البصري الأفوة المكي، ثقة متقن، وكان واعظا طعن فيه برأي جهم ثم اعتذر وتاب، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، توفي سنة [٩٦]. ترجمته تهذيب التهذيب [١/ ٤٥٠]، تقريب التهذيب [١ / ٩٩]، الكاشف [١/ ١٥٥]، تاريخ البخاري الكبير [٢ / ٧٥]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٥٨] ميزان الإعتدال [١/ ٣١٧]، الوافي بالوفيات [١٠/ ١٤٩] سير الأعلام [٩/ ٣٣٢].

(٢) كذا بالأصل وأظنها " تهيب ".

(٣) كلمتان غير واضحتان بالأصل.

(٤) المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن كانت ترمي بها حجارة ثقيلة علىٰ الأسوار فتهدمها.

ويقع في الآخر بالعراق ويغتاب واحدًا من أهل خراسان، فيقوم خاليا من حسناته قد فرقها في بلاد شتى.

نوادر: الأولى: قال سعيد بن جبير(١) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع إليه كتاب فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه ولا شيئًا من أعماله.

فيقول: يا رب هذا كتاب كانت لي فيه حسنات ليست فيه.

فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك كله بغيبتك للناس.

الثانية: قال وهب بن منبه: قال رجل من بني إسرائيل: اللهم ليس لي مال فأتصدق به، فأيما رجل أصاب عرضي فهو عليه صدقة.

قال: فأوحى الله إلىٰ نبي زمانه إني قد غفرت له.

الثالثة: قال عطاء الخرساني: من اغتيبت له غيبة غفر له نصف ذنوبه.

الرابعة قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال حتىٰ تكون من المحسنين: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تستره، فلا تغمه وإن لم تتكلم فيه بخير فاسكت عنه.

الحلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهذارًا
ما إن ندمت علىٰ سكوت مرة ... ولقد ندمت علىٰ الكلام مرارًا

غيره:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
فكم من محب ساكت لك معجب ... زيارته أو نقصه في التكلم

فصل

ومن الأحاديث الواردة فيما نحن فيه حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي»(٢). أخرجه الترمذي.

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو عبد الله الكوفي أحد الأئمة الأعلام سمع ابن عباس وعدى بن حاتم وابن عمرو عبد الله بن مغفل وغيرهم، قال ربيعة الرأي: كان سعيد ابن جبير من العبَّاد العلماء فقتله الحجاج، فلما قتل خرج منه دم كثير حتىٰ راع الحجاج فدعا الطبيب فقال ما بال دمه كثيرًا قال: قتلته ونفسه معه ليس خائفًا. قال إبراهيم النخعي: ما خلف سعيد بن جبير بعده مثله، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: مات سعيد بن جبير وما علىٰ الأرض أحد إلا وهو محتاج علىٰ علمه. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٩١ ـ ١٠٠)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤١١] كتاب الزهد، باب [٦١] منه، باب ما جاء في حفظ اللسان، =

وروينا في مصححًا من حديث عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك علىٰ خطيئتك»[(١)].

وفيه حديث أبي سعيد مرفوعًا: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن إعوججت إعوججنا»[(٢)].

وروينا[(٣)] من حديث معاذ قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

ثم قال: «ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل».

قال: ثم تلا﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: ١٦] حتىٰ بلغ﴿يَعْمَلُونَ﴾

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبركم بملاك ذلك كله؟».

قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه.

= وقال: حديث حسن. و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٣٨] و التبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٧٦]، السيوطي في الدر المنثور [٥ / ٣٢٥].

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٦] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢ / ٩]، والشجري في أماليه [٢ / ٩٩]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٤، ٤ / ٢٣٢]، الزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣٣٩، ٧ / ٤٥٠].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٧] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٩]، أحمد في مسنده [٣ / ٩٦]، و الزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٣٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦١٦] كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في الكبرى في التفسير، ابن ماجه في سننه [٣٩٧٣] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده [٥ / ٢٣٠، ٢٣١]. ، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٣٠٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٥١٧، ٥٢٨) والسيوطي في الدر المنثور [١ / ١٤٧، ٢ / ٢٢١]، الطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٥١]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٢٩٥]، والألباني في إرواء الغليل [٢ / ١٣٨].

قال: «كف عليك هذا».

فقلت: " يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في الناس علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[١] أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وتقدم في الصمت.

وروينا في حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت»[٢]. أخرجاه.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٣].

فصل في تحريم سماعها وأمر من سمعها بردها والإنكار علىٰ قائلها، فإن عجز ولم يقبل منه، فارق ذلك المجلس إن أمكنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[٤] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في أول الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٧٣٩] كتاب الحج، [١٣٣] باب الخطبة أيام منى، ومسلم في صحيحه [٢٩ ـ (١٦٧٩)] كتاب القسامة، [٩] باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال. وأحمد في مسنده [٥ / ٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ١٦٦]، و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٠٢]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣ / ٥٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله. وأبو داود [٤٨٨٢] والترمذي [١٩٢٧]، وابن ماجه [٣٩٣٣]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٧٧، ٣٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٩٢، ٨ / ٢٥٠].

(٤) سورة القصص [٥٥].
أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

(٥) سورة المؤمنون [٣].
أي عن الباطل وهو يشتمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] قال قتادة أتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٦)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾[١] الآية.

وقال تعالى﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[٢] الآية.

وروينا في جامع الترمذي مصححًا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٣]

وروينا من حديث عتبان بن مالك[٤] في حديثه الطويل المشهور في الصحيحين قال: قام رسول الله ﷺ فقال: «أين مالك بن الدخشم»[٥] فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال ﷺ: «لا تقل ذلك ألا تراه قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[٦].

وروينا فيهما من حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته الذي ذكرناه في التوبة قال: قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟».

فقال رجل: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت[٧]، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت

---

(١) سورة الإسراء [٣٦].

(٢) سورة الأنعام [٦٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٣١] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم. وأحمد في مسنده [٦ / ٤٥٠]، البيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥١٧]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٨٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٢٥٥، ٥ / ٣٥٢].

(٤) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري السلمي، البدري، العجلاني.
ويقال: عتاب بن مالك، صحابي مشهور. أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود في مسند مالك والنسائي وابن ماجه، توفي في خلافة عثمان. ترجمته: تهذيب التهذيب [٧ / ٩٣]، تقريب التهذيب [٢ / ٣]، تاريخ البخاري الكبير [٧ / ٨٠] الثقات [٣ / ٣١٨].

(٥) في روايات الدخشن.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٢٥] كتاب الصلاة، [٤٠٦] باب المساجد في البيوت، ومسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (٣٣)] كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، [٤٧] باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

(٧) قال [النووي]: قوله " فقال معاذ بن جبل: " بئس ما قلت " هذا دليل لرد غيبة المسلم الذي ليس بمتهتك في الباطل وهو من مهمات الآداب وحقوق الإسلام. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٧٤] طبعة دار الكتب العلمية].

رسول الله ﷺ(١).

والعِطْفُ: الجانب، وهو إشارة إلىٰ إعجابه بنفسه.

فصل

فيما يباح منها وضابطه إذا كان لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا به، وهو شبه أسباب مجموعة في بيت ذكرته في الشرح الصغير للمنهاج.

لقب ومستفت وفسق ظاهر والظلم تحذير مزيل المنكر

وأكثرها مجمع عليه، ومن دلائل بعضها حديث عائشة أن رجلاً(٢) استأذن علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «أئذنوا له بئس أخو العشيرة»(٣).

أخرجاه، واحتج به البخاري.

وروينا في البخاري من حديثه(٤) أيضا قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا».

قال الليث بن سعد "كانا من المنافقين " ففيه تقبيح من يقصد التعلم والاستفادة منهما والتحذير من مثل حالهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٦٧٧] كتاب تفسير القرآن، سورة براءة [١٨] باب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨]. ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة، [٩] باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه. وأحمد في مسنده [٣ / ٤٥٧]، [٦ / ٣٨٧] وابن أبي شيبه في مصنفه [١٤ / ٥٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٣٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ٣١٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٧٤٤].

(٢) قال القاضي: هذا الرجل هو عيينه بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل علىٰ ضعف إيمانه وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرا إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه ووصف النبي ﷺ له بأنه: «بئس أخو العشيرة» من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول تألفا له ولأمثاله علىٰ الإسلام. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ١١٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٥٤] كتاب الأدب، [٤٨] باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب. ومسلم في صحيحه [٧٣ـ(٢٥٩١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٢] باب مداراة من يتقى فحشه. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٧، ٦٠٦٨] كتاب الأدب، [٥٩] باب ما يكون من الظن.

وروينا في الصحيحين[(١)] من حديث فاطمة بنت قيس قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني.

فقال ﷺ: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصى عن عاتقة» وفي رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضراب للنساء»[(٢)] وهو تفسير لعدم وضع العصى.

وقيل معناه كثير الأسفار، وأغرب منهما أنه كناية عن كثرة الوطء.

وروينا فيهما من حديث زيد بن أرقم[(٣)] قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أُبَيٍّ: لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا وقال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت رسول الله فأخبرته بذلك".

فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبي، فاجتهد في يمينه ما فعل.

فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوه شدة[(٤)]، حتىٰ أنزل الله عز وجل تصديقي في﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ [المنافِقون: ١] ثم دعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم[(٥)]. أخرجاه.

وفيهما من حديث عائشة[(٦)]: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (١٤٨٠)] كتاب الطلاق، [٦] باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها. وأبو داود [٢٢٨٤] كتاب الطلاق، [٣٩] باب في نفقة المبتوتة. والترمذي في سننه [١١٣٥] كتاب النكاح، باب ما جاء أن لا يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه، وأحمد في مسنده [٦ / ٤١٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ١٧٨] ومالك في الموطأ [٥٨١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣٢٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٤٨٠)] كتاب الطلاق، [٦] باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها. وأحمد في مسنده [٦/ ٤١٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٠٣] كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقين، [٤] باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ الآية ومسلم في صحيحه [١ ـ (٢٧٧٢)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، في مقدمته.

(٤) قال [النووي: في حديث زيد بن أرقم هذا أنه ينبغي لمن سمع أمرا يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاة الأمور ويخاف ضرره علىٰ المسلمين أن يبلغه ليحتذر منه، وفيه منقبة لزيد. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ١٠١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) تقدم تخريجه في أوله.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٦٤] كتاب النفقات، [٩] باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١٧١٤)] كتاب الأقضية، [٤] باب قضية هند. والنسائي [٨ / ٢٤٧ ـ المجتبي] وابن ماجه [٢٢٩٣]، و أحمد في مسنده =

سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم.

قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»(١).

وهذا استفتاء، وما قبله تحذير.

فصل في تحريم النميمة

وهي الكلام بين الناس علىٰ جهة الإفساد.

قال تعالىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾(٣).

وروينا من حديث حذيفة مرفوعًا: «لا يدخل الجنة نمَّام»(٤). أخرجاه

وفيهما من حديث ابن عباس أنه ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلىٰ إنه كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»(٥). أخرجاه. واللفظ للبخاري.

وقوله: «في كبير» أي في زعمهما أو كبير تركه عليهما.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ألا أنبئكم ما العضْة؟، هي النميمة

= [٦ / ٣٩، ٥٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٤٦٦ - ٤٧٧]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٦ / ٥٨٤].

(١) قال النووي: هذا مذهبنا - أي الشافعي - ومنع ذلك أبو حنيفة ومالك - رحمهما الله - والأخذ من ماله بغير إذن القاضي وجهات لأصحابنا في أن إذن النبي ﷺ لهند امرأة أبي سفيان كان إفتاء أم قضاء، والأصح أنه كان إفتاء وأن هذا يجري في كل إمرأة اشبهتها فيجوز، والثاني كان قضاء فلا يجوز لغيرها إلا بإذن القاضي والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٢ / ٨] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) سورة القلم [١١].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٥٦] كتاب الأدب، [٥] ما يكره من النميمة. ومسلم في صحيحه [١٦٨ - (١٠٥)] كتاب الإيمان، [٤٥] باب بيان غلظ تحريم النميمة، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٩١، ٣٩٦]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٩٦]، الزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٦٢].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٨] كتاب الوضوء، [٥٩] باب ما جاء في غسل البول، ومسلم في صحيحه [١١١ - (٢٩٢)] كتاب الطهارة، [٣٤] باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الإستبراء منه.

القالة بين الناس»[١].

أخرجه مسلم.

العضه علىٰ وزن الوجه، مصدر يقال: عَضَهَ عضْهَا أي رماه بالعضه.

وروى العِضَة كالعدة، وهي الكذب والبهتان فمن فعل ذلك كأنما شجر العضاة وهو ذو الشوك نظير «فإنما تسفهم المل».

فصل

في النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلىٰ ولاة الأمور إذا لم تَدْعُ الحاجة إليه كخوف مفسدة ونحوها.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

وفيه الأحاديث السالفة.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا يُبَلِّغني أحد عن أحد من أصحابي شيئًا؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٣].

رواه أبو داود والترمذي.

فصل في ذم ذي الوجهين

قال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾[٤] الآية.

فمن أتى قوما بوجه فإنه يستخفي منهم بالوجه الآخر، وبالعكس.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (٢٦٠٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٨] باب تحريم النميمة، وأحمد في مسنده [١/ ٤٣٧]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩١٣].

(٢) سورة المائدة [٢].
يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر علىٰ الباطل والتعاون علىٰ المآثم والمحارم.
قال ابن جرير: الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم، وقد قال أحمد في مسنده من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قيل يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره» [تفسير ابن كثير (٢ / ٦)].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٦٠] كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، والترمذي في سننه [٣٨٩٦]، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (١/ ٣٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٦، ١٦٧]، والبخاري في التاريخ الكبير [٣ / ٤٩٤]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٢]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [٢/ ٣٧٨].

(٤) سورة النساء [١٠٨].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا[١]: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». أخرجاه

وروينا في صحيح البخاري من حديث محمد بن زيد أن أناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر إنا ندخل علىٰ سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم.

قال: «كنا نعد هذا نفاقا علىٰ عهد رسول الله ﷺ»[٢].

فصل في تحريم الكذب

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٣].

وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[٤].

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعا[٥]: «إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار[٦]، وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابا» أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٩٣] [٣٤٩٤] كتاب المناقب، [١٠] باب قوله الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، ومسلم في صحيحه [١٩٩ ـ (٢٥٢٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٨] باب خيار الناس. وأحمد في مسنده [٢ / ٥٢٥]، والخطيب في الفقيه والمتفقه [٩ / ١٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١٧٨] كتاب الأحكام، [٢٧] باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك.

(٣) سورة الإسراء [٣٦]. (٤) سورة ق [٢٨].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٩٤] كتاب الأدب، [٦٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبَة: ١١٩] وما ينهي عن الكذب.
ومسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٩] باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. وأحمد في مسنده [١ / ٣٨٤، ٤٣٢]، البيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٩٦، ٢٤٣].

(٦) قال العلماء: معناه أن الصدق يهدي إلىٰ العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله وقيل: البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلىٰ الفجور وهو الميل من الإستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي.
[النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٣١] طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا»[١] الحديث ذكرناه في الوفاء بالعهد.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من تَحَلَّم بحُلْم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل ومن استمع علىٰ حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك[٢] يوم القيامة، ومن صور صورة عُذِّب وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[٣] أخرجه البخاري.

تحلَّم: أي قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

والآنك: الرصاص المذاب، فالله تعالى يكلفه ما لا يكون كما افترى ما لم يكن.

وروينا من حديث سمرة بن جندب قال: " كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا»[٤]، فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما» فذكر الحديث، إلىٰ أن قال: «فأما الذي أتيت عليه يشرشر شدقة علىٰ قفاه، ومنحره علىٰ قفاه، وعينه إلىٰ قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»[٥] الحديث بطوله رواه البخاري.

وأي منفر أبلغ من هذا فإنه تقشعر منه الجلود.

---

(١) تقدم تخريجه في الوفاء بالعهد.

(٢) الآنك: الرصاص المذاب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٤٢] كتاب التعبير، [٤٥] باب من كذب في حلمه. و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٣٧] والزيلعي في نصب الراية [٤ / ٢٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٩٩].

(٤) فيه دليل لاستحباب إقبال الإمام المصلي بعد سلامه علىٰ أصحابه، وفيه استحباب السؤال عن الرؤيا والمبادرة إلىٰ تأويلها وتعجيلها أول النهار لهذا الحديث، ولأن الذهن جمع قبل أن يتشعب بأشغاله في معايش الدنيا ولأن عهد الرائي قريب لم يطرأ عليه ما يهوش الرؤيا عليه ولأنه قد يكون فيها ما يستحق تعجيله كالحث علىٰ خير أو التحذير من معصية ونحو ذلك، وفيه إباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا ونحوها بعد صلاة الصبح. [النووي في شرح مسلم [١٥ / ٢٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٤٧] كتاب التعبير، [٤٨] باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح. أوله أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣-(٢٢٧٥)] كتاب الرؤيا، [٤] باب رؤيا النبي ﷺ، وأبو داود في سننه [٥٠١٧] في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، الترمذي [٢٢٩٤] كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ.

نعم يباح الكذب في بعض الأحوال وضابطه ما لا يمكن تحصيل المقصود المحمود إلا به.

وقد يجب إذا كان ذلك واجبا كما إذا طلب ظالم أو طلب ماله أو كان عنده وديعة.

والأحوط التورية.

ومما يستدل به علىٰ جواز الكذب في هذه الحالة حديث أم كلثوم المرفوع: «ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا ويقول خيرا»[١]. أخرجاه.

زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: «ولم أسمعه رخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث يعني الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل وامرأته وحديث المرأة زوجها».

فصل في الحث علىٰ التثبيت فيما يقوله ويحكيه

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢].

وقال تعال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[٣]

وروينا[٤] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما يسمع».

أخرجه مسلم.[٥]

وفيه من حديث سمرة مرفوعًا: من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٩٢] كتاب الصلح، [٢] باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس. ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (٢٦٠٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٧] باب تحريم الكذب وبيان المباح منه.

(٢) سورة الإسراء [٣٦].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ـ(٥)] المقدمة [٣] باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. و ابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٤٠٨] والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦].

(٥) قال النووي في شرح مسلم: فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، ومذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه إثما والله أعلم. [شرح مسلم للنووي [١ / ٧١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة، [١] باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين =

وروينا من حديث أسماء أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضرة فهل عليَّ جناح إن تشبعت من مال زوجي غير الذي يعطيني؟

فقال ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»(١)، والمتشبع هو الذي يظهر الشبع. وليس بشبعان.

ومعناه هنا أنه يظهر أنه حصل له فضيلة وليست حاصلة، و«لابس ثوبي زور» أي ذي زور. وهو الذي يزور على الناس بأن يتزيى بزي قوم.

وليس منهم ليغتر به الناس.

فصل في غلظ تحريم شهادة الزور

قال تعالىٰ: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾(٢).

وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٣).

وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾(٥)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾(٦).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾(٧).

وروينا في الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»(٨) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق

= والتحذير من الكذب علىٰ رسول الله ﷺ والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١١١] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٥٦] و الطبراني في المعجم الكبير [٨ / ١٤٤].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٧ ـ (٢١٣٠)] كتاب اللباس والزينة، [٣٥] باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط وأبو داود في سننه [٤٩٩٧]، و أحمد في مسنده [٦ / ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣٠٧]، و الطبراني في المعجم الصغير [٢ / ١٠٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٩٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٣٣٢].

(٢) سورة الحج [٣٠].
(٣) سورة الإسراء [٣٦].
(٤) سورة ق [١٨] .
(٥) سورة الزخرف [١٩].
(٦) سورة الفجر [١٤].
(٧) سورة الفرقان [٧٢].

(٨) قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور أو شهادة الزور » فليس علىٰ ظاهر المبتدر إلىٰ الأفهام منه، وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل فلابد من تأويله وفي تأويله ثلاثة أوجه: أحدها أنه محمول علىٰ الكفر؛ فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به. والثاني: أنه محمول =

الوالدين» وكان متكئًا فجلس، فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتىٰ قلنا ليته سكت.[(١)]

= علىٰ المستحيل فيصير بذلك كافرا، والثالث: أن المراد من أكبر الكبائر كما قدمناه في نظائره، وهذا الظاهر أو الصواب. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٥٤] كتاب الشهادات، [١٠] ما قيل في شهادة الزور. ورقم [٥٩٧٦] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر. ورقم [٦٢٧٣، ٦٢٧٤] كتاب الاستئذان، [٣٥] باب من اتكأ بين يدي أصحابه. ورقم [٦٩١٩] كتاب إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة. ومسلم في صحيحه [١٤٣ـ(٨٧)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب الكبائر وأكبرها.

مجلس في المناهي الواردة في الباب والأحاديث

وترتيبه علىٰ فصول، وقد سلف النهي عن الغيبة والنميمة[1] والكذب، ونقل الحديث إذا لم تدع إليه حاجة. وذم ذي الوجهين، والنهي عن عدم التثبيت في الكلام وغلظ تحريم شهادة الزور.

فصل في تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة

روينا من حديث ثابت بن الضحاك[2] العقبي مرفوعًا: «من حلف علىٰ يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، وليس علىٰ رجل نذر فيما لا يملكه، ولعن المؤمن كقتلة»[3].

أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لَعَّانًا»[4] أخرجه مسلم.

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر علىٰ من ينم قول الغير إلىٰ المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النميمة مخصومة بهذا بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيمان فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة قال: وكل من حملت إليه نميمة. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٩٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) ثابت بن الضحاك بن خليفة، أبو زيد، أبو يزيد الكلابي، الأشهلي، الأوسي المدني الأنصاري، صحابي مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٤٥، ٦٤] ترجمته: تهذيب التهذيب [٢/٨]، وتقريب التهذيب [١ / ١١٦]، والكاشف [١ / ١٧١]، تاريخ البخاري الكبير [٢ / ١٦٥]، الجرح والتعديل [٢ / ٤٥٣]، الإصابة [١ / ٣٩١]، والاستيعاب [١ / ٧٦، ٢٠٥]، الثقات [٣ / ٤٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٥٢] كتاب الأيمان والنذور، [٧] باب من حلف بملة سوى الإسلام. ومسلم في صحيحه [١٧٦ ـ (١١٠)] كتاب الإيمان، [٤٧] باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٦٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤ ـ (٢٥٩٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

أي رتبه الصديقية منافية له.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»(١).

أخرجه مسلم.

وروينا من حديث سمرة: «لا تلاعبون بلعنة الله ولا بغضبه، ولا بالنار»(٢).

رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»(٣).

رواه الترمذي وحسنه.

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلىٰ السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلىٰ الذي لُعِنَ، فإن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلىٰ قائلها»(٤).

رواه أبو داود.

وروينا من حديث عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار علىٰ ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٥(٢٥٩٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي من لعن الدواب وغيرها. وأبو داود في سننه [٤٩٠٧] كتاب الآدب، باب في اللعن. والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٦٩] والحاكم في المستدرك [١/ ٤٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣ / ٢٥٩].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٦] كتاب الأدب، باب في اللعن. والترمذي في سننه [١٩٧٦] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة. و أحمد في مسنده [٥ / ١٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٣].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٧٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣، ٤٣] والحاكم في المستدرك [١ / ١٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٨ ـ المورد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٢٣٩، ٥ / ٥٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٧١، ٤٨٤].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٥] كتاب الأدب، باب في اللعن، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٧٢]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٠].

قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[1]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي قال: بينما جارية علىٰ ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت برسول الله ﷺ وتضايق بهم الجبل: حَلْ، اللهم العنها. فقال النبي ﷺ: «لا تصحبنا ناقة عليها لعنة»[2]. أخرجه مسلم أيضا.

وحل: كلمة زجر للإبل، ومصاحبها[3] الشارع فقط لا غيرها من التصرفات، كذا أوله النووي. لكن قد يقال: اطَّلع الشارع علىٰ إجابة تلك اللعنة فصارت مبعدة علىٰ مقدور علىٰ تسليمها.

وقد قال الشرع دعوها.

وأما في زمننا فالإجابة مغنية عنا

فصل في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

وقال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾[5] الآية.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[6].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٢٥٩٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. و أحمد في مسنده [٤ / ٤٣١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٤٨٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٢٨٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ١٩٠]، والألباني في إرواء الغليل [٧ / ٢٤٠].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٢ ـ (٢٥٩٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. و أحمد في مسنده [٤ / ٤٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٥٤]، والألباني في إرواء الغليل [٧ / ٢٤١].

(٣) أي عدم مصاحبته ﷺ لها أما غير ذلك من التصرفات التي كانت جائزة قبل هذا فهي باقية كالبيع والذبح والركوب لأن الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة فبقي الباقي. [انظر النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) سورة هود [١٨].

(٥) سورة الأعراف [٤٤].

(٦) أخرجه البخاري [٥٩٣٣] كتاب اللباس [٨٣] باب وصل الشعر، ورقم [٥٩٤٠] [٨٥] باب الموصولة. ومسلم [١١٥ ـ (٢١٢٢)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة. والمتفلجات والمغيرات خلق الله.

وأنه قال: «لعن الله آكل الربا»(١).

وأنه لعن المصورين.

وأنه قال: «لعن الله من غير منار الأرض»(٢).

أي حدودها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩] وأنه قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة»(٣) ووجهه أنه محارب الرب جل جلاله منتهك حرمة حماه غير راع لحقه.

وأنه قال: «لعن الله من يلعن والديه»(*).

«ولعن الله من ذبح لغير الله»(*).

أي لأنه تأله لغيره ولم يرع حرمة الأبوة.

وأنه قال: «من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٤) فلم يرع حق حرمة الذي دعاه لما يجيبه، وأنه قال: «اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله»(٥).

وهذه ثلاث قبائل من العرب قتلوا أصحابه، فلم يراعوا حرمته.

وأنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم [١٠٥ ـ (١٥٩٧)] كتاب المساقاة، [١٠٩] باب لعن آكل الربا، وأبو داود في سننه (٣٣٣) كتاب البيوع، باب في آكل الربا وموكله. والترمذي [١٢٠٦] كتاب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، والنسائي في الطلاق، باب إحلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ [٨ / ١٤٧ ـ المجتبي] وابن ماجه في سننه [٢٢٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٨٥]، وابن حبان في صحيحه [١١١٢ ـ المورد].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣، ٤٤ ـ (١٩٧٨)]، كتاب الأضاحي، [٨] باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٨ / ١٩٩، ٢٠٠]، مسلم في صحيحه [٧ ـ (١٦٨٧) كتاب الحدود [١] باب حد السرقة ونصابها. والنسائي [٨ / ٦٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٢٥٨٣] كتاب الحدود، باب حد السارق، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٥٣].

(*) تقدما في حديث مسلم «لعن الله من غير منار الأرض» السالف قبل السالف.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦٣ ـ (١٣٦٦)] كتاب الحج، [٨٥] باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢ / ١٩٧١] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٧١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ١٣٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٤ / ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٨١].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [١ / ١١٦، ٢ / ١١١] ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (٥٢٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٣] باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

فأذوا الأنبياء كلهم.

وأنه «لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(١).

فلم يرع حق نفسه حتىٰ نسبها إلىٰ غير جنسها.

فصل في تحريم سب المؤمن بغير حق

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٢) الآية

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»(٣) أخرجاه.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه، وإن لم يكن صاحبه كذلك»(٤).

أخرجه البخاري.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتىٰ يعتدي المظلوم».

رواه مسلم.(٥)

وروينا من حديثه أيضًا قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل شرب، قال: «اضربوه».

قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٠٩٧] كتاب اللباس، باب لباس النساء. وابن ماجه في سننه [١٩٠٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٠٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١٠٣]، والطبراني في المعجم الكبير [١١ / ٢٥٢].

(٢) سورة الأحزاب [٥٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨] كتاب الإيمان، [٣٧] باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ورقم [٦٠٤٤] كتاب الأدب، [٤٤] باب ما ينهى من السباب واللعن.
ورقم [٧٠٧٦] كتاب الفتن، [٨] باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض». ومسلم في صحيحه [١١٦ ـ (٦٤)] كتاب الإيمان [٢٨] باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٤٥] كتاب الأدب، [٤٤] باب ما ينهى من السباب واللعن.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٥٨٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٨] باب النهي عن السباب. وأبو داود في سننه [٤٨٩٤]، والترمذي [١٩٨١]، و أحمد في مسنده [٢ / ٢٣٥، ٤٤٨] والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٣٥]. وابن حبان في صحيحه [١٩٧٦ ـ الموارد] والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٦٦].

انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله.

قال: «لا تقولوا هذا لا تعينوا عليه الشيطان».

أخرجه البخاري.(١)

وروينا من حديثه مرفوعًا: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال».(٢)

أخرجاه.

فصل في تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية

وهي التحذير من الإقتداء به في بدعته وفسقه ونحو ذلك.

فيه الآية والأحاديث السالفة في الباب قبلة.

وروينا في صحيح البخاري(٣) من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدموا».

فصل في النهي عن الإيذاء

فيه الآية السالفة.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٤) أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٧٧] كتاب الحدود، [٥] باب الضرب بالجريد والنعال. وأبو داود في سننه [٤٧٧٧] كتاب الحدود، باب الحد في الخمر. والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٣١٢،١٣٨] والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ٢٥٦]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٢٨٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٦٢١].

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٥٨] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٣٢] باب قذف العبيد، ومسلم في صحيحه [٣٧ ـ (١٦٦٠)] كتاب الأيمان، [٩] باب التغليظ علىٰ من قذف مملوكه بالزنى، والترمذي في سننه [١٩٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٦] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٩٣] كتاب الجنائز، [٩٧] باب ما ينهي من سب الأموات. والنسائي [٤ / ٥٣ ـ المجتبي] والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٧٥].
والحاكم في المستدرك [١/ ٣٨٥]، وابن حبان في صحيحه [١٩٨٥ ـ الموارد]، ومشكاة المصابيح للتبريزي [١٦٦٤]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٩٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٠] كتاب الإيمان، [٤] باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٤١)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، وأبو داود في سننه [٢٤٨١] والترمذي [٢٦٢٧]، والنسائي [٨/ ١٠٥ ـ المجتبي] =

فكف الأذى هو الدين الحق والكامل.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه»[(١)]. أخرجه مسلم.

وقد سلف في باب طاعة ولاة الأمور بطوله.

فصل في النهي عن التقاطع والتباغض والتدابر

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(٢)].

والتباغض ينافيها.

وقال تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٣)].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[(٤)].

وروينا من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[(٥)]. أخرجاه.

= وأحمد في مسنده [٢ / ١٦٣، ١٩٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٨٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٠، ٣ / ٥١٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٦ ـ الموارد] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٣٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦ ـ (١٨٤٤)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعه الخلفاء الأول فالأول. و أحمد في مسنده [٢/١٦٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٥ / ٦ ، ٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٥٦، ٢/ ١٠٧].

(٢) سورة الحجرات [١٠].

(٣) سورة المائدة [٥٤] هذه صفات المؤمنين الكمل؛ أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا علىٰ خصمه وعدوه كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩] وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال؛ فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه. [تفسير ابن كثير (٢ / ٧٢)].

(٤) سورة الفتح [٢٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٧٦] كتاب الأدب، [٦٢] باب الهجرة. ومسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٥٥٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٧] باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. قال النووي: التدابر: المعاداة، وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد زوال النعمة، وهو حرام، ومعنى كونوا عباد الله إخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ٩٤] طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «يفتح الله أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا»(١). أخرجه مسلم.

وله: «تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس»(٢) وذكر نحوه.

فصل في تحريم الحسد

وهو تمنى زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٣). وفيه حديث أنس السالف في الباب قبله.

وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب»(٤).

فصل في النهي عن التجسس والتسمع لكلام من يكره إسماعه

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ - (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ - (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر. والترمذي في سننه [٧٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٤، ٣/ ٤٥٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٠٥٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٦٦].

(٣) سورة النساء [٥٤].

يعني بذلك حسدهم النبي ﷺ يعني ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بنى إسرائيل، وقال الطبراني بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] الآية قال ابن عباس نحن الناس دون الناس. [تفسير ابن كثير [١ / ٥١٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٣] كتاب الأدب، باب في الحسد. والزبيدي في الإتحاف [١ / ٢٩٤، ٨ / ٥٥] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٠٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٧٣، ٦/ ٤١٩]، وابن عبد البر في التمهيد [٦ / ١٢٤]، والبخاري في التاريخ الكبير [١ / ٢٧٢].

(٥) سورة الحجرات [١٢].

(٦) سورة الأحزاب [٥٨].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا:(١) «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم» وفي رواية: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، التقوى ههنا، التقوى ههنا» ويشير إلىٰ صدره(٢)، «بحسب كل امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

وفي رواية: «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم».

وفي رواية: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا».

وفي رواية: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا».

وفي رواية: «لا تهاجروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض» رواه مسلم بكل هذه الروايات(٣).

وروى البخاري أكثرها.

والتجسس اتباع العورات وهو مفسد للخلق.

وروينا من حديث معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول(٤): «إنك إن اتبعت

---

(١) أخرجه وما يليه من الروايات: البخاري في صحيحه [٦٠٦٤، ٦٠٦٥] كتاب الأدب [٥٧] باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ورقم [٦٠٦٦] [٥٨] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: ١٢]، ومسلم في صحيحه [٢٨إلى ٣١ـ (٢٥٦٣)] ورقم [٣٢ إلىٰ ٣٤ـ (٢٥٦٤)]. [٩] باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٢) قوله ﷺ: «التقوى ههنا» ويشير علىٰ صدره ثلاث مرات وفي رواية «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولكن ينظر علىٰ قلوبكم» معنى الرواية الأولى: أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك علىٰ ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله رؤيته المحيطة بكل شيء، ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة. . . .» الحديث. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) انظر التخريج في أول حديث من الفصل.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٨٨] كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس والطبراني في المعجم الكبير [١٩ / ٣٧٩]، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين [٦ / ٢٦٩] والبيهقي في دلائل النبوة [٦ / ٢٤٧]، وابن كثير في تفسيره [٧ / ٣٥٨].

عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»(*) حديث صحيح رواه أبو داود، وهو صحيح.

وهو شامل للإمام وغيره فيما يوجب الحد وغيره.

وروينا من حديث ابن مسعود ﷺ أنه أتى فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا. فقال له: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شئ نأخذ به».(*)

حديث صحيح. رواه أبو داود بإسناد علىٰ شرط الشيخين.

فصل في النهي عن ظن السوء بالمسلمين من غير ضرورة

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾[1] الآية.

وهي صريحة في النهي عنه وأنه غير حق.

وقال: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾[2].

وهو تهديد بالويل الجامع لكل ألم وغم وسوء حال.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[3]. أخرجه مسلم. وقد سلف بطوله، وفاعل هذا لم يرع للإسلام حقه.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا.

فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»[4].

(*) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٩٠] كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس.

(١) سورة الحجرات [١١] ينهي تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكبر بطر الحق وغمض الناس» ويروي: «وغمط الناس» والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ الآية
[تفسير ابن كثير (٤ / ٢١٢)].

(٢) سورة الهمزة [١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، والترمذي في سننه (١٩٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٢، ٨/ ٢٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٤٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٩١)] كتاب الإيمان، [٣٩] باب تحريم الكبر وبيانه، و أحمد
=

أخرجه مسلم، وبطر الحق: دفعه، وغمطهم: احتقارهم، وقد سلف بيانه أوضح من هذا في الكلام علىٰ الكبر.

وروينا من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل والله لا يغفر الله لفلان.

فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت له وأحبطت عملك»[1].

أخرجه مسلم.

وهو دال علىٰ أن الاحتقار لشخص عن أن تناله المغفرة محبط للعمل معاذ الله منه.

فصل في تحريم الطعن في الأنساب الثابتة ظاهرًا

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2] الآية.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»[3].

فصل في النهي عن إظهار الشماته بالمسلم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

= ابن حنبل في مسنده [٤/١٣٣، ١٣٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦]، و الطبراني في المعجم الكبير [٨ / ٢٤٠، ٢٩٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٢٤٢ ، ٥ / ١٣٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٠٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٤٩٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (٢٦٢١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٩] باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى. قال النووي: " معنى يتألى يحلف والألية اليمين، وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفرانها بلا توبة إذا شاء الله غفرانها واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر ويتأول حبوط عمل هذا علىٰ أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته وسمى إحباطًا، مجازًا ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر وجب الكفر ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا وكان هذا حكمهم. [النووي في شرح مسلم [١٦/١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) سورة الأحزاب [٥٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٦٨)] كتاب الإيمان، [٣٠] باب إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن غي النسب والنياحة. و أحمد في مسنده [٢ / ٤٩٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٦٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٩٩]، وأبو عوانه في مسنده [١/٢٦].

(٤) سورة الحجرات [١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية[1].

وهي شماتة، فإن الفاحشة كل ما يسوء من قذف وغيره.

وروينا من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «لا تُظْهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك»[2].

رواه الترمذي وحسنه.

ومسلم سلف: وفيه حديث أبي هريرة السالف قريبا: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام» الحديث[3].

فصل في النهي عن الغش والخداع

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الأحزاب: ٥٨] الآية[4].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[5].

أخرجه مسلم.

وفي رواية له وهي مبينة سببه أنه ﷺ مر علىٰ صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله.

---

(١) سورة النور [١٩].
هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ١٩] أي يختارون ظهور الكلام القبيح ﴿لهم عذاب أليم في الدينا﴾ أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم. [تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨٣)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٥٠٦] كتاب صفة القيامة والرقائق، الورع، باب [٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣١٠] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥ / ١٨٦] والزبيدي في الإتحاف [٨ / ٥٣]، والخطيب في تاريخ بغداد [٩ / ٩٦].

(٣) الحديث تقدم من قبل.

(٤) سورة الأحزاب [٥٨].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٠١)] كتاب الإيمان، [٤٣] باب قول النبي: «من غشنا فليس منا»، وأوله في مسلم [١٦١ ـ (٩٨)]، [١٦٣ ـ (١٠٠) كتاب الإيمان، [٤٢] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلام فليس منا». والترمذي [١٤٥٩]، والنسائي [٧ / ١١٧. المجتبي وابن ماجه [٢٥٧٥، ٢٥٧٦]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣، ١٦، ٥٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٧١].

قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتىٰ يراه الناس، من غشنا فليس منا»(١).

وروينا عنه مرفوعًا: «لا تناجشوا»(٢).

وروينا عن ابن عمر: «أنه ﷺ نهى عن النجش»(٣) أخرجاهما.

فالنجش: غش وخديعة، والنهي عنه وإن لم يكن فاعلة.

وروينا من حديثه ذكر رجل لرسول الله ﷺ أنه يُخْدَعُ من البيوع، فقال ﷺ: «من بايعت فقل لا خلابة»(٤) أخرجاه.

والخلابة: بخاء معجمة، ثم باء موحدة: الخديعة.

فهي إذن ليست من الدين الموسوس علىٰ النصيحة وفيه. وعظ زاجر، وموضح معنى «فليس منا»(٥).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من خَبَّب زوجة امرئ أو مملوكة فليس منا»(٦).

رواه أبو داود، وخبَّب: بخاء معجمه، ثم باء موحدة مكررة: أفسده وخدعه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٠٢)] كتاب الإيمان، [٤٣] باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، الترمذي في سننه [١٣١٥] في البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع. وابن ماجه [٢٢٢٤] كتاب التجارات [٣٦] باب النهي عن الغش. و البيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٢٠]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٤٢] كتاب البيوع، [٦] باب النجش، [٦] باب النجش، ومسلم في صحيحه [١١] كتاب البيوع، وأبو داود [٣٤٣٨]، والترمذي في سننه [٦٥، ١٣٠٤]، و ابن ماجه [٢١٧٤] والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٤٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٤]، وابن حبان في صحيحه [١١٠٦ ـ الموارد].

(٣) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١١٧] كتاب البيوع باب ما يكره من الخداع في البيع. ومسلم في صحيحه [٤٨ ـ (١٥٣٣)] كتاب البيوع، [١٢] باب من يخدع في البيع.

(٥) واختلف العلماء في هذا الحديث فجعله بعضهم خاصا في حقه وأن المغابنة بين المتبايعين لازمه لا خيار للمغبون بسببها سواء قلت أم كثرت، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وآخرين وهي أصح الروايتين عن مالك وقال البغداديون من المالكية للمغبون، الخيار لهذا الحديث بشرط أن يبلغ الغبن ثلث القيمة فإن كان دونه فلا، والصحيح الأول؛ لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ أثبت له الخيار، وإنما قال له: قل لا خلابة أي لا خديعة ولا يلزم من هذا ثبوت الخيار؛ ولأنه لو ثبت أو أثبت له الخيار كانت قضية عين لا عموم لها فلا ينفذ منه إلىٰ غيره إلا بدليل، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٠/١٥١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٧٥] كتاب الطلاق باب فيمن خبب امرأة علىٰ زوجها، وابن حبان في صحيحه [١٣١٨ ـ الموراد]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ١٨٠].

وهو من أمثلة النجش، والخداع للزوج والزوجة.

وحاصل الأحاديث التنفير عنه وبيان أنواعه، فمن لم يوافق الشارع، ولم يفعل أفعال المسلمين فيا تعسه وكذا إذا أخفى الغش وأظهر موهم رغبة أو نفاسه أو ما ينفره.

فصل في تحريم الغدر

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1] أمر بالإيفاء المانع من الغر، وعم كل عقد من (حين)[2] وضمان وغير ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسرَاء: ٣٤] [3].

أي أهل وفائه أو نفس العهد هو المسئول كما في: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾ أي غير متغافل عنه ولا مهمل يتهاون فيه.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[4]. أخرجاه.

وهو صحيح في التحذير من الغدر، وأن مبتغيه من المنافقين.

وروينا من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس مرفوعًا: «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان»[5] أخرجاه.

---

(١) سورة المائدة [١].
قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود، وحكى ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك قال والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره. وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١] يعني العهود، يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكثوا. [تفسير ابن كثير (٢ / ٣)].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سورة الإسراء [٣٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق. ورقم [٢٤٥٩] كتاب المظالم، [١٧] باب إذا خاصم فجر، ورقم [٣١٧٨] كتاب الجزية والموادعة [١٧] باب إثم من عاهد ثم غدر. ومسلم في صحيحه [١٠٦ ـ (٥٨)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب خصال المنافق، و أحمد في مسنده [٢ / ١٨٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٣٠، ١٠/ ٧٤]، وأبو نعيم حلية الأولياء [٧/ ٢٠٤].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣١٨٦، ٣١٨٧، ٣١٨٨] كتاب الجزية والموادعة، [٢٢] باب إثم الغادر للبر والفاجر. ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (١٧٣٦)] كتاب الجهاد والسير، [٤] باب تحريم

وما أشنعها هتكة على رؤوس الأشهاد.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «لكل غادر لواء عند استه، عند القيامة يرفع له بقدر غدره ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».

أخرجه مسلم(١). فهو خزي وعار.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا قال: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطي بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»(٢).

رواه البخاري.

وما أعظم جناية هؤلاء، إذ الأول: ما وقَّر الرب جل جلاله والثاني: جنى على رتبة الرب تعالى حيث رفض أحكامه واتبع هواه، والثالث: كذلك إذ جعل منافعه له.

فصل في النهي عن المن بالعطية ونحوها

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾(٣).

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾(٤).

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»

قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرار.

= الغدر. و أحمد في مسنده [١ / ٤١١، ٤١٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٠، ٩ / ١٤٢]، مشكاة المصابيح [٣٧٢٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ١٠].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥، ١٦ ـ (١٧٣٨)]، كتاب الجهاد والسير، [٤] باب تحريم الغدر، والترمذي في سننه (١٥٨١) وأحمد في مسنده [١ / ٤١٧، ٣ / ٣٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٧٠] كتاب الإجارة، [١٠] باب إثم من منع أجر الأجير، وابن ماجه في سننه [٢٤٤٢] كتاب الرهون، باب أجر الأجراء، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ١٢١].

(٣) سورة البقرة [٢٦٤].

(٤) سورة البقرة [٢٦٢]

يمدح الله تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوه من الخيرات والصدقات منًّا على من أعطوه فلا يمنون به على احد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل. وقوله: ﴿وَلَآ أَذٗى﴾ أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧، ٣١٨)].

قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟

قال: «المسبل، والمنَّان، والمُنفِّق سلعته بالحلف الكاذب».

أخرجه مسلم.(١)

وفي رواية: المسبل إزاره(٢). يعني خيلاء. أسفل من الكعبين.

وفيه آثار شديدة من الغضب الإلهي، معاذ الله منها، وكأن المسبل ينازع الرب جل جلاله في إزار عظمته وكبرياء ردائه.

ومن نازعه فيهما قصمة، والمنان منازع له في حوله وقوته ورزقه، حتىٰ كأنه الرازق.

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب متهاون بحرماته مؤثر لدنياه وهواه علىٰ مراضيه من غير مبالاة بغضبه.

فصل في النهي عن الافتخار والبغي

وهو التعدي والاستعالة.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (٣).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ (٤) الآية وروينا من حديث عياض رحمه الله مرفوعًا: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتىٰ لا يبغى أحد علىٰ أحد ولا يفخر أحد علىٰ أحد»(٥) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧١ ـ (١٠٦)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. ، أحمد في مسنده [٥ / ٤٨، ١٧٨].
و المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٧٨]، والقرطبي في تفسيره [٣ / ٤١٠].

(٢) قوله ﷺ: " المسبل إزاره " فمعناه المرخي له الجار طرفه خيلاء، كما جاء مفسرا في الحديث الآخر: لا ينظر الله إلىٰ من يجر ثوبه خيلاء، والخيلاء الكبر، وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره ويدل علىٰ أن المراد بالوعيد من جره خيلاء وقد رخص النبي ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق ﷺ وقال: «لست منهم» إذ كان جره لغير الخيلاء.
[النووي في شرح مسلم [٢ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة النجم [٣٢] أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩] [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٧)].

(٤) سورة الشورى [٤٢].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ ـ (٢٨٦٥)] كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، [١٦] باب الصفات =

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»[1] أخرجه مسلم أيضا، وأهلكهم بالرفع أعنى الكاف في الرواية المشهورة وروى بنصبها.

وقال هذا النبي لمن قال ذلك عُجْبًا بنفسه وتصاغرًا للناس، وارتفاعا عليهم، وهو حرام.

فأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزُّنًا عليهم وعلى الدين فلا بأس.

قاله مالك وغيره من الأعلام.[2].

فصل في تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام

إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق ونحو ذلك قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3].

والأخوة مقضية للألفة والمودة والمحبة، ومنافية للهجران والجفاء والقطع،

= التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأبو داود في سننه [٤٨٩٥]، وابن ماجه في سننه [٤١٧٨، ٤٢١٤]، والبيهقي في السنن [١٠ / ٢٣٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٥٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (٢٦٢٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤١] باب النهي عن قول: هلك الناس. وأبو داود في الأدب باب [٨٩]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٤٢]، والتبريزي في المشكاة [٤٨٢١].

(٢) اتفق العلماء علىٰ أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله علىٰ سبيل الإزراء علىٰ الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه كما قال: لا أعرف من أمة محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا. هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه.
وقال الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإن فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوء حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداة ذلك إلىٰ العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الحجرات [١٠] .
أي الجميع إخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» وفي الصحيح «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ويعني الفئتين المتقاتلتين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي في جميع أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه [تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١، ٢١٢)].

ومن الإصلاح وقوعه بين المتهاجرين، واتقوا الله فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[(١)].

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[(٢)] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»[(٣)]. أخرجه مسلم.

وأي مشمت أعظم من تأخير الغفران، وأي مسلم يسهل عليه إعراض الجليل عنه، أو شماتة عدوه به.

وروينا من حديث أبي أيوب مرفوعًا: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[(٤)] أخرجاه.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[(٥)]. أخرجه مسلم.

والتحريش الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم وما أشد ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[(٦)] الآية.

---

(١) سورة المائدة [٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٥] كتاب الأدب، [٥٧] باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ورقم [٦٠٦٧] في الأدب، [٦٢] باب الهجرة. ومسلم في صحيحه [٣٠] كتاب البر والصلة والآداب [٩] باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. والترمذي في سننه [١٩٣٥] باب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد. وأحمد في مسنده [٢/ ٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر. والترمذي في سننه [٧٤٧] والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٤]، الهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٦٦] والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٤ / ٢٥٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٧٧] كتاب الأدب، [٦٢] باب الهجرة، ومسلم في صحيحه [٢٥ ـ (٢٥٦٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٨] باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي. وأبو داود في سننه [٤٩١١، ١٦١٤]، والترمذي [١٩٣٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٨١٢)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم [١٦] باب تحريش الشيطان.

(٦) سورة يس [٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[(١)].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[(٢)].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»[(٣)].

أخرجه أبو داود بإسناد علىٰ شرط الشيخين، وما أشدة من وعيد.

وروينا من حديث أبي خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي[(٤)] مرفوعًا: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[(٥)].

رواه أبو داود بإسناد صحيح، وما اشده من تغليظ.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فلقيه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة»[(٦)].

رواه أبو داود بإسناد حسن.

وقال: إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا في شيء.

والحاصل أن الحديث الأول: لبيان حكم الهجر.

والثاني: لصفته، والثالث: لما منع من الخير.

والرابع: لما يهضم من الدين، والخامس: لما يجلب من الشرِّ. والسادس: لما

---

(١) سورة الأسراء [٣٩].

(٢) سورة النساء [٤٨].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩١٤] كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم وأوله عن البخاري ومسلم كما تقدم، والترمذي [١٩٣٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم، والطبراني في المعجم الكبير [٤ / ١٧١، ١٧٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٨ / ٣٤١، ٣٤٤].

(٤) حدرد بن أبي حدرد، أبو خراش السلمي ويقال الأسلمي، صحابي له حديث واحد، أخرج له: البخاري في الأدب وأبو داود. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢ / ٢١٧]، تقريب التهذيب [١ / ١٥٦]، والكاشف [١ / ٢٠٩]، الجرح والتعديل [٣/ ١٣٩٤]، أسد الغابة [١ / ٤٦٠]، الإصابة [٢ / ٤٤]، الوافي بالوفيات [١١ / ٤٧٩]، الاستيعاب [١ / ٤٠٨].

(٥) أخرجه أبو داود [٤٩١٥] كتاب الأدب ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. وأحمد في مسنده [٤ / ٢٢٠]، والحاكم في المستدرك [٤ / ١٦٣]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٣٦].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩١٢] كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٦٣] والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٥٦]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٣٧]، العجلوني في كشف الخفا [٢ / ٥١٨].

يوجب غلظ أمره والسابع: لما يخرج من حرجه.

فصل في النهي عن تناجي اثنين دون الثالث

بغير إذنه إلا لحاجة، وهو أن يحدث سرًا بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1].

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث»[2].

أخرجاه، ورواه داود قال أبو صالح: قلت لابن عمر: فأربعة، قال: لا يضرك[3].

ورواه مالك في الموطأ.[4]

وروينا من حديث عبد الله بن دينار قال: كنت أنا وابن عمر عند دار خالد بن عقبة التي بالسوق فجاء رجل يريد أن يناجيه وليس مع ابن عمر أحد غيري، فدعى ابن عمر رجلا آخر حتىٰ كنا أربعة فقال لي وللرجل الثالث الذي دعاه: استأخرا عني شيئا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتناجى اثنان دون واحد»[5].

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتىٰ تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه»[6]. أخرجاه.

---

(١) سورة المجادلة [١٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٨٨] كتاب الاستئذان، [٤٥] باب لا يتناجى اثنان دون الثالث. ومسلم في صحيحه [٣٧ـ (٢١٨٤)، ٣٨] كتاب السلام، [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه. وأبو داود في سننه [٤٨٥١] كتاب الأدب، باب في التناجي، والترمذي [٢٨٢٥] كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث.

(٣) أبو داود في سننه [٤٨٥٢] كتاب الأدب باب في التناجي.

(٤) في هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضره ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم فيحرم علىٰ الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن، ومذهب ابن عمر رضي الله عنهما ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء أن النهي عام في كل الأزمان وفي الحضر؛ والسفر.
وقال بعض العلماء إنما المنهي عنه المناجاة في السفر والحضر؛ لأن السفر مظنة الخوف.
[النووي في شرح مسلم [١٤/ ١٤٠] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ـ (٢١٨٣)] في السلام باب [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه. والترمذي في سننه [٢٨٢٥] كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث. وأحمد في مسنده [١ / ٤٣١، ٢ / ٧٣].
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٤٠٢].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٠] كتاب الاستئذان، [٤٧] باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا =

فصل في النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرآة والولد

لغير سبب شرعي، أو زائد علىٰ قدر الأدب، قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١] الآية.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا[٢]: «عذبت امرآة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش[٣] الأرض». أخرجاه.

وخشاش الأرض بالخاء المعجمة المثلثة، وبالشين المعجمة المكررة: هوامُّها وحشراتها.

وفيه تنبيه علىٰ أن الخسيس في التعذيب كالجوع ونحوه كالنفيس، وما أشد الجزاء بالنار.

وروينا من حديثه أيضا أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير لكل خاطئة من نبلهم. فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[٤] أخرجاه.

والغرض بفتح الغين المعجمة، والراء: الهدف، والشيء الذي يرمي إليه الفتية.

= بأس بالمسارة والمناجاة. ومسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢١٨٤)] كتاب السلام، [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه.

(١) سورة النساء [٣٦].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٣٦٥] كتاب المساقاة، [١٠] باب فضل سقى الماء. ورقم [٣٣١٨] كتاب بدء الخلق، [١٦] باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه. ورقم [٣٤٨٢] كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦]، ومسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (٢٢٤٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٧] باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي. و أحمد في مسنده [٢ / ٤٥٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢١٤، ٨ / ١٣].

(٣) خشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها حكاهن في المشارق، والفتح أشهر، وروى بالحاء المهملة، والصواب المعجمة وهي هوام الأرض وحشراتها كما وقع في الرواية الثانية، وقيل: المراد به نبات الأرض وهو ضعيف أو غلط. وفي الحديث دليل تحريم قتل الهرة وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٢٠١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٥١٥] كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، [٢٥] باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ومسلم في صحيحه [٥٩ ـ (١٩٥٨)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٢] باب النهي عن صبر البهائم. و أحمد في مسنده [٤ / ١٤١].

ولا فرق بين الفتى والكهل (والجعل)[١] ودونه، والرمي بالنبل ودونه، ورمي التمرن وغيره في اللعنة، وروينا من حديث أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم»[٢] أخرجاه.

ومعناه تحبس للقتل، ويدخل فيه أي صابر كان وأي بهيمة كانت، وأي صبر وجد.

وروينا من حديث أبي علىٰ سويد بن مقرن قال: لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا.

«فأمرنا رسول اله ﷺ أن نعتقها»[٣] أخرجه مسلم.

وفي رواية: سابع أخوة لي.

وهو ظاهر في الأمر بالعتق، يعتق من لطمها أصغر السن، واستواء الصبي والسيد وابنه والخادم وغيره. واللطم وغيره في ذلك، وأن جزاء ذلك إزالة الملك[٤]، كما قيل به في ناقة لعنت، ومعصفر لبسه رجل، وسواء ما يقوم غيره مقامه أم لا.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٥١٣] كتاب الذبائح والصيد والتسمية [٢٥] باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ومسلم في صحيحه [٥٨ـ (١٩٥٦)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٢] باب النهي عن صبر البهائم. قال النووي: صبر البهائم هو حبسها لتقتل برمي ونحوه، وقال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى: «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها. وهذا النهي للتحريم. [النووي في شرح مسلم [١٣ / ٩١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (١٦٥٨)] كتاب الإيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. وأبو داود في سننه [٥١٦٦] كتاب الأدب باب في حقوق المماليك. والترمذي في سننه [١٥٤٢] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في الرجل يلطم خادمه، والنسائي في الكبر في العتق.

(٤) أجمع المسلمون علىٰ أن عتقه بهذا ليس واجبًا وإنما مندوب رجاء كفارة ذنبه، فيه إزالة إثم ظلمه، وقال القاضي عياض: " وأجمع العلماء أنه لا يجب إعتاق العبد لشيء مما يفعله به مولاه مثل هذا الأمر الخفيف، قال: واختلفوا فيما كثر من ذلك وشنع من ضرب مبرح منهك لغير موجب لذلك أو حرقة بنار أو قطع عضو له أو أفسده أو نحو ذلك مما فيه مثله؛ فذهب مالك وأصحابه والليث إلىٰ عتق العبد علىٰ سيده بذلك ويكون ولاؤه له ويعاقبه السلطان علىٰ فعله، وقال سائر العلماء: لا يعتق عليه. [النووي في شرح مسلم [١١ / ١٠٦] طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا من حديث أبي مسعود ﷺ قال: كنت اضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذ هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا[(١)].

وفي رواية: «فسقط السوط من يدي من هيبته»[(٢)].

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار»[(٣)].

أخرجه مسلم بهذه الروايات كلها.

وافهم أنه لا فرق في المعذب بين بدري وغيره، ملكه وغيره، ولا في المعذب بين غلام وجارية، ولا في العذاب بين ضرب وغيره.

وأن جزاءه أن تلفح النار من لم يعتقه.

وفي قوله: «إن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام»[(٤)].

تذكير بليغ وعبره وموعظة رادعة، وتهديد زاجر.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من ضرب غلاما له حدًّا لم يأته أو لطمه كان كفارته أن يعتقه»[(٥)]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث هشام بن حكيم بن حزام ﷺ أنه مرَّ بالشام علىٰ أناس من الأنباط، وقد أُقيموا في الشمس، وصب علىٰ رؤوسهم الزيت.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤ ـ (١٦٥٩)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. وأبو داود في سننه [٥١٥٩] كتاب الأدب باب في حقوق المماليك.
والترمذي في سننه [١٩٤٨] كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم، و أحمد في مسنده [٤ / ١٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٢١٨].

(٢) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ ـ (١٦٥٩)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.

(٤) قوله ﷺ: «أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام» قال النووي: فيه الحث علىٰ الرفق بالمملوك والوعظ والتنبيه علىٰ استعمال العفو وكظم الغيظ والحكم كما يحكم الله علىٰ عباده. [النووي في شرح مسلم [١١ / ١٠٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠ ـ (١٦٥٧)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. و أحمد في مسنده [٢/ ٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١١]، والبخاري في الأدب المفرد [١٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣٥٢].

فقال: ما هذا؟

قيل: يعذبون في الخراج، وفي رواية: " حُبِسُوا في الجزية ".

فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»، فدخل علىٰ الأمير فحدثه.

فأمرهم فخلُوا[١]. أخرجه مسلم.

والأنباط: الفلاحون من العجم.

وفيه أنه لا فرق في المعذب بين الأمير وغيره ولا في المعذب بين المديون وغيره في الخراج وغيره، المسبي والذمي وغيرهما، والجزاء من جنس العمل سيجزيهم وصفهم.

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ حمارا موسوم[٢] الوجه، فأنكر ذلك، فقال: «فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه» فأمر بحمار له فكوي في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين[٣] وهما حرفا الوركين حول الدبر.

وروينا من حديث جابر أنه ـ عليه السلام ـ مر عليه حمار قد وسم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه»[٤] أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٧ ، ١١٨ (٢٦١٣)] ، كتاب البر والصلة والآداب، [٣٣] باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق. وأبو داود في سننه [٣٠٤٥]، وأحمد في مسنده [٣ / ٤٠٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٢٠٥]، وابن حبان في صحيحه [١٥٦٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٢٢].

(٢) الوسم: فبالسين المهملة، هذا هو الصحيح المعروف في الروايات وكتب الحديث، قال القاضي ضبطه بالمهملة، قال: وبعضهم يقول بالمهملة والمعجمه، وبعضهم فرق فقال بالمهملة في الوجه وبالمعجمة في سائر جسده، وأما الجاعرتان فهما حرفا الورك المشرفان مما يلي الدبر.
[النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٨ ـ (٢١١٨)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢١١٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٦ ـ (٢١١٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

فصل في تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حي (العملة)[(١)] ونحوها

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال[(٢)]: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إن وجدتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش سماهما فاحرقوهما بالنار»، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله وإن وجدتموهما فاقتلوهما» أخرجه البخاري.

وروينا من حديث ابن مسعود[(٣)] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة، فجعلت تَعْرُشُ، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها» ورأي قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار».

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قوله: قرية نمل: معناه موضع النمل.

فصل في تحريم مطل الغنى بحق طلبه صاحبه

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[(٤)].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾[(٥)].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «مطل الغنى[(٦)] ظلم، وإذا أتبع أحدكم

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٠١٦] كتاب الجهاد والسير، [١٤٩] باب لا يعذب بعذاب الله، وأبو داود في سننه [٢٦٧٣] كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار. والترمذي في سننه [١٥٧١] كتاب السير باب [٢٠]. وأحمد في مسنده [٢ / ٣٠٧، ٣٣٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٧١].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٦٧٥] كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٤٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٠٥]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٤٠٧]. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٤٨٧].

(٤) سورة النساء [٥٨].

(٥) سورة البقرة [٢٨٣].

(٦) قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه فمطل الغنى ظلم وحرام ومطل غير الغنى ليس بظلم ولا حرام لمفهوم الحديث ولأنه معذور ولو كان غنيا ولكنه ليس مُمَكَّنًا من الأداء لغيبة المال أو لغير ذلك جاز له التأخير إلىٰ الإمكان، وهذا مخصوص من مطل الغنى، أو يقال المراد =

علىٰ مليءٍ فليتبع»[١].

معنى أتبع: أحيل، كما جاء في مسند أحمد في مسنده.

فصل في كراهية عود الإنسان في هبة لم يسلمها للموهوب له

وفي هبة وجهها لوالده ولو لم يسلمها.

وكراهة شراء شيء تصدق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة أو نحوها، ولا بأس بشرائه من آخر قد انتقل إليه.

روينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه»[٢] أخرجاه.

وفي لفظ: «مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيئ ثم يرجع في قيئه فيأكله»[٣]. وفي آخر: «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[٤].

وروينا من حديث عمر بن الخطاب قال: حملت علىٰ فرس في سبيل الله، فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائعه برُخص، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «لا تشتره ولا تعُد في صدقتك، وإن أعطاكه بدرهم، وإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه»[٥]. أخرجاه، ومعنى حملت: تصدقت علىٰ بعض

= بالغنى المتمكن من الأداء فلا يدخل هذا فيه. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ١٩٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٨٧] كتاب الحوالات، [١] باب في الحوالة. ومسلم في صحيحه [٣٣] كتاب المساقاة وأبو داود في البيوع [٣٣٤٥] باب في المطل والترمذي [١٣٠٨] كتاب البيوع، باب ما جاء في مطل الغنى أنه ظلم. والنسائي [٧ / ٣١٧ - المجتبى] وابن ماجه [٢٤٠٤] و أحمد في مسنده [٢/ ٧١، ٢٦٠] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦٠٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢٢) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم في صحيحه [٨. (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥. (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، [٣٠] باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم [٧. (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢٣) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، [٣٠] باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم في صحيحه [١. (١٦٢٠)] كتاب الهبات ، [١] باب =

المجاهدين[١] .

فصل في تأكيد تحريم مال اليتيم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾[٢] الآية.

وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[٣].

وقال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾[٤] الآية.

فالمخالطة ليست مذمومة إلا لذي إفساد أو شرٍّ.

وروينا من حديث أبي هريرة: «اجتنبوا السبع الموبقات»[٥] قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[٦] أخرجاه.

= كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه ، والنسائي (٥/١٠٨. المجتبى) ، والحميدي في مسنده (١٥) ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥) ، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٥٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢٤) .

(١) في قوله ﷺ «لا تبتعه ولا تعد في صدقتك » قال النووي : هذا نهي تنزيه لا تحريم ؛ فيكره لمن تصدق بشيء أو أخرجه في زكاة أو كفارة أو نذر ونحو ذلك من القربات أن يشتريه ممن دفعه هو إليه أو يهبه أو يتملكه باختياره منه ، فأما إذا ورثه منه فلا كراهة فيه ، وكذا لو انتقل إلىٰ ثالث ثم اشتراه منه المتصدق فلا كراهة ، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور ، وقال جماعة من العلماء : النهي عن شراء صدقته للتحريم ، والله أعلم . [النووي في شرح مسلم (١١/ ٥٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) سورة النساء (١٠) .

(٣) سورة الأنعام (١٥٢)، الإسراء (٣٤) .

(٤) سورة البقرة (٢٢٠) .

(٥) الموبقات : هي المهلكات ، يقال : وبق الرجل بفتح الباء ، يبق بكسرها ، و وُبِقَ بضم الواو وكسر الباء ، يوبق : إذا هلك ، وأوبق غيره : أي أهلكه . وأما المحصنات الغافلات : فبكسر الصاد وفتحها، قراءتان في السبع ، قرأ الكسائي بالكسر ، والباقون بالفتح ، والمراد بالمحصَنات هنا العفائف . وبالغافلات : الغافلات عن الفواحش وما قُذِفْنَ به ، وقد ورد الإحصان في الشرع علىٰ خمسة أقسام : العفة والإسلام والنكاح والتزويج والحرية .
[النووي في شرح مسلم (٢/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٥٧) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، [٣١] باب رمي المحصنات ، ومسلم في صحيحه [١٤٥. (٨٩)] كتاب الإيمان ، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود في سننه (٢٨٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٤) ، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢١٩) .

الموبقات: المهلكات.

فصل في تغليظ تحريم الرِّبا

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ (١) الآية إلىٰ قوله: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ (٢).

والأحاديث فيها كثيرة مشهورة في الصحيح، منها:

حديث أبي هريرة السالف في الباب قبله.

وحديث ابن مسعود: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله»(٣) أخرجه مسلم، زاد الترمذي وغيره: «وشاهديه وكاتبه».

فصل في تحريم الرياء

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾(٤) الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ (٥) الآية.

فالرياء يبطل العمل إبطالا يضرب به المثل، ونضرب بمثله الأمثال.

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) سورة البقرة (٢٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥.١٠٥.(١٥٩٧) كتاب المساقاة، [١٩] باب لعن آكل الربا وموكله، وأبو داود في سننه (٣٣٣٣) كتاب البيوع، باب في آكل الربا وموكله، والترمذي في سننه (١٢٠٦) كتاب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، والنسائي (٨/ ١٤٧. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٢٧٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٨٥، ٩/ ٣٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١١١٢. الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٤٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٧).

(٤) سورة البينة (٥).

(٥) سورة البقرة (٢٤٦).

أخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى، ثم قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه. [تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨)].

وقال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[1] الآية. فهو شأن المنافقين، وكفى به مقتا.

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حكاية عن الله تعالىٰ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2]أخرجه مسلم. وما أشد الإعراض.

وروينا عنه مرفوعا[3]: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن[4]. قال: كذبت ؛ ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق لك فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه فألقي في النار»[5] أخرجه مسلم.

وفيه الاهتمام بهؤلاء الثلاثة ؛ إذ هم أول من يقضى فيهم، وما أقبح التوبيخ

---

(١) سورة النساء (١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦.(٢٩٨٥) كتاب الزهد والرقائق ، [٥] باب من أشرك في عمله غير الله ، والشجري في أماليه (٢/ ٢٢٣) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٩) ، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٦٣، ١٠/ ٥١ ، ٦٣) ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٤١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٢.(١٩٠٥) كتاب الإمارة ، [٤٣] باب من قاتل للرياء والسمعة واستحق النار ،والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٧ ، ٢/ ١١٠) ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٢٢) ، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٥) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦١) ، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٥) .

(٤) قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم علىٰ فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل علىٰ تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ، وعلى الحث علىٰ وجوب الإخلاص في الأعمال ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا ، وكذلك الثناء علىٰ العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات ، كله محمول علىٰ من فعل ذلك لله تعالى مخلصا .
[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤٤ ، ٤٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) تقدم تخريجه في أول الحديث .

الفاضح المخزي، والسحب علىٰ الوجه، والإلقاء في النار، أعاذنا الله منه.

وروينا من حديث ابن عمر ﵄ أن ناسًا قالوا له: إنا ندخل علىٰ سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؟ قال ابن عمر: كنا نعد هذا نفاقا علىٰ عهد رسول الله ﷺ رواه البخاري .

فحقيقة الرياء إظهار خلاف ما يبطن كالنفاق.

وروينا من حديث جندب بن عبد الله بن سفيان مرفوعًا: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[1] أخرجاه .

ولمسلم من حديث ابن عباس. وسمَّع بتشديد الميم: أظهر عمله للناس رياء. ومعنى سمَّع الله به: فضحه يوم القيامة.

ومعنى: من يرائي يرائي الله به[2]: أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، وليس كذلك راءى الله به، أي أظهر سريرته علىٰ رؤوس الخلائق، وكفي بذلك شهرة وفضيحة.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[3] يعني ريحها.

رواه أبو داود بإسناد صحيح، فحقيقة الرياء التوسل بعمل الآخرة إلىٰ إصابة عرض من الدنيا كما صرح به الغزالي في منهاجه.

ومن آثار الرياء البعد عن الرحمة، وعن شم عرف الجنة وعن الكرامات، وكفى به شقاء.

والأحاديث فيها كثيرة وهي مشهورة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٩٩) كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، ومسلم في صحيحه [٤٨. (٢٩٨٧)] كتاب الزهد والرقائق ، [٥] باب من أشرك في عمله غير الله ، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٠١) .

(٢) قال العلماء : معناه : من رائى بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه ، وقيل : معناه : من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه . وقيل : أسمعه المكروه ، وقيل : أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه ، وقيل : معناه : من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه .
[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٩٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٦٤) كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله تعالى ، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٣٨) ، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٤٣) .

فصل فيما يتوهم أنه رياء وليس رياء

روينا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟

قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»(١) رواه مسلم.

لكن يوهم المدح رياء (يعبد)(٢) ولعله لتوهم أنه جزاء.

فصل في تحريم النظر إلىٰ المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(٣) الآية.

وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ﴾(٤) الآية.

فهو مسئول هل قام بالغرض الثابت فيه أو لا.

وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾(٥).

أي علما نجازي به، وفي ذلك زجر عما هو أبلغ منه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾(٦).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كتب علىٰ ابن آدم نصيبه من الزنا مُدْرِك ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنىٰ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»(٧) أخرجاه. والسياق لمسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٦ - (٢٦٤٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٥١] باب إذا أثنى علىٰ الصالح فهي بشرى ولا تضره. و أحمد في مسنده [٥ / ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣١٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١ / ٥٣].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سورة النور [٣٠].
هذا أمر من الله تعالى لعبادة المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلىٰ ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر علىٰ محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا. [تفسير ابن كثير (٣ / ٢٩٠)].

(٤) سورة الإسراء [٣٦].

(٥) سورة غافر [١٩].

(٦) سورة الفجر [١٤].

(٧) أخرجه البخاري [٦٦١٢] كتاب القدر، باب [٩]. ومسلم في صحيحه [٢١ - (٢٦٥٧)] كتاب القدر، [٥] باب قدر علىٰ ابن آدم حظه من الزنى وغيره.

ورواية البخاري مختصرة.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا[١]: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها.

فقال: «فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟.

قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» أخرجاه[٢].

وروينا من حديث أبي طلحة زيد بن سهل قال: كنا قعودا بالأفنية نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: «ما لكم ولمجالس الصعدات؟ اجتنبوا مجالس الصعدات»، فقلنا: إنما قعدنا نتذاكر ونتحدث.

قال: «إما لا، فأدوا حقها غض البصر، ورد السلام وحسن الكلام»[٣].

وروينا من حديث جرير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة؟ فقال: «اصرف بصرك»[٤].

= وأحمد في مسنده [٢ / ٣١٧] والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٦]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٣٢١]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٣ / ٩٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٥] كتاب المظالم، [٢٢] أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ورقم [٦٢٢٩] كتاب الاستئذان، باب [٢] ومسلم في صحيحه [١١٤ - (٢١٢١)] كتاب اللباس والزينة، [٣٢] باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، ورقم [٣ - (٢١٢١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام. وأحمد في مسنده [٣ / ٣٦، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٨٩، ١٠ / ١٩٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٦٤١].

(٢) هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث. ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقا إلا ذلك الموضع. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ - (٢١٧١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام. و أحمد في مسنده [٤ / ٣٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩ / ٨١]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٥٩]. وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١١ / ١١].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥ - (٢١٥٩)] كتاب الآداب، [١٠] باب نظر الفجأة، و أحمد في مسنده [٤ / ٣٦١]، وأبو داود في سننه [٢١٤٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٢ / ٣٨٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٦]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [٣ / ١٥].

أخرجهما مسلم، والإدامة كالابتداء.

وروينا من حديث أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة. فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقالﷺ : «احتجبا منه» فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا ينظرنا ولا يعرفنا؟ قال: «أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه»[١] . رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فالرجل كما لا ينظر إلىٰ المرأة كذلك عكسه.

وروينا من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «لا ينظر الرجل إلىٰ عورة الرجل، ولا المرأة إلىٰ عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلىٰ الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلىٰ المرأة في ثوب واحد»[٢] رواه مسلم.

فصل في تحريم الخلوة بالأجنبية

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[٣] الآية.

وهي شاملة لذلك.

وروينا من حديث عقبة بن عامر مرفوعا[٤]: «إياكم والدخول علىٰ النساء»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو. قال: «الحمو الموت» أخرجاه.

الحمو: قريب الزوج كأخيه ونحوه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٧٧٨] وأبو داود في سننه [٤١١٢]، و أحمد في مسنده [٦ / ٢٩٦]، وابن حبان في صحيحه [٤١٥٧ ـ الموارد]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١١٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٥ / ٤٢]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٤٩١].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤ـ (٣٣٨)] كتاب الحيض، [١٧] باب تحريم النظر إلىٰ العورات، وأبو داود في سننه في الحمام، باب ما جاء في التعري، والترمذي في سننه [٢٧٩٣] كتاب الأدب، باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة، وابن ماجه في سننه [٦٦٦١] في الطهارة وسننها، باب النهي أن يرى عورة أخيه، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٩٨]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١ / ١٠٦]، والحاكم في المستدرك [١/١٥٨]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٢]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣١٠٠].

(٣) سورة الأحزاب [٥٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٣٢] كتاب النكاح، [١١٢] باب لا يخلون رجل بإمرأة إلا مع ذو محرم، والدخول علىٰ المغيبة. ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢١٧٢)] كتاب السلام، [٨] باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها. والترمذي في سننه [١١٧١] كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول علىٰ المغيبات، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٩٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤ / ٤٠٩].

ورويناه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لا يَخْلُوَنَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[١] أخرجاه.

وروينا من حديث بريدة مرفوعًا: «حرمة نساء المجاهدين علىٰ القاعدين، كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه[٢] فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتىٰ يرضى».

ثم التفت إلينا رسول الله فقال: «ما ظنكم». أخرجه مسلم.[٣].

وفيه تحذير من خطر الخيانة والخلوة، مؤدية إليه.

فصل في تحريم تشبيه الرجال بالنساء وعكسه

في لباس وحركة وغيرها.

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[٤].

وفي رواية: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[٥]. أخرجه البخاري.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٣٣] كتاب النكاح، [١١٢] باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذو محرم، والدخول علىٰ المغيبة. ومسلم في صحيحه [٤٢٤ ـ (١٣٤١)] كتاب الحج، [٧٤] باب سفر المرأة مع محرم الى حج وغيره. والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٢٩].

(٢) قال النووي: قوله ﷺ «حرمة نساء المجاهدين علىٰ القاعدين كحرمة أمهاتهم» هذا في شيئين أحدهما تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك، والثاني من برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل إلىٰ ريبة ونحوها. [النووي في شرح مسلم [١٣ / ٣٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٨٩٧)] كتاب الإمارة، [٣٩] باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن. وأبو داود في سننه [٢٤٩٦]، والنسائي [٦ / ٥٠، ٥١ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ١٧٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٧٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٧٩٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٨٦] كتاب اللباس، [٦١] باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال. وأبو داود في سننه [٤٩٣٠] في الأدب باب في المخنثين، والترمذي في سننه [٢٧٨٥] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء. و أحمد في مسنده [١ / ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٥٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١١ / ٢٨٣، ٣١٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١٠٣].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٨٥] كتاب اللباس، [٦١] باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات =

وروينا من حديث أبي هريرة: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسه المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»(١). رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا عنه أيضًا مرفوعًا: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، ورؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(٢).

أخرجه مسلم، كاسيات أي من نعمة الله.

عاريات: من شكرها أو يستر بعض بدنها وتكشف البعض، إظهار لجمالها ونحوه، أو تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها.

ومائلات: أي عن طاعة الله، وما يلزمهن حفظه، مميلات: يُعَلِّمن غيرهن فعلهنَّ المذموم.

أو مائلات: تمشين متبخرات.

مميلات لأكتافهن أو يتمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

رؤوسهن كأسنمة البخت يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوه.

فصل في النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

روينا من حديث جابر مرفوعًا: «لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بشمال»(٣)

= بالرجال. وأبو داود في سننه [٤٠٩٧]، والترمذي في سننه [٢٧٨٤] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٠٤] في النكاح، باب في المخنثين.

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٠٩٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٢٥]، وابن حبان في صحيحه [١٤٥٥ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٠٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٦٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ـ٢١٢٨] كتاب اللباس والزينة، [٣٤] باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٦ ، ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٢٣٤، ٢٤٧] والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٥٢٤] والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٩٥]، والشجري في أماليه [٢ / ٢٦٧]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٣٢٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٤ ـ (٢٠١٩)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، وابن ماجه [٣٢٦٨] و أحمد في مسنده [٣ / ٣٣٤].

في رواية «ويشرب بشماله»[١]. أخرجهما مسلم.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

أخرجاه[٢]، والمراد خضاب شعر اللحية والرأس الأبيض بصفرة أو حمرة، وأما السواد فمنهي عنه كما (يستعمله)[٣].

فصل في نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

روينا من حديث جابر قال: «أُتِيَ بأبي قحافة والد أبي بكر يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال ﷺ: «غيروا هذا واجتنبوا السواد»[٤]. أخرجه مسلم[٥].

كذا ترجم عليه النووي في رياضة، وذكر هذا الحديث فقط، وكأنه يقيس المرأة عليه.

فصل في النهي عن القزع

وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقة كله للرجال دون النساء.

وروينا من حديث ابن عمر: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع»[٦] أخرجاه.

---

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه [١٠٥ ـ (٢٠٢٠)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٩٩] كتاب اللباس، [٦٧] باب الخضاب. ومسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٢١٠٣)] كتاب اللباس والزينة، [٢٥] باب في مخالفة اليهود في الصبغ وأبو داود في سننه [٤٢٠٣]، والنسائي [٨ / ١٨٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه [٣٦٢١]، و أحمد في مسنده [٢ / ٢٤٠، ٣٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣٠٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٢٣].

(٣) كذلك الأصل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢١٠٢)] كتاب اللباس والزينة، [٢٤] باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه السواد. وأبو داود [٤٢٠٤] والنسائي [٨ / ١٣٨ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٤٩٩، ٣ / ٣٣٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٠]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٤٢٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٢٤].

(٥) قال النووي: أما الثغامة بثاء مثلثه مفتوحة ثم غين معجمه مخففة، قال أبو عبيد: هو نبت أبيض الزهر والثمر يشبه بياض الشيب به، وقال ابن الأعرابي شجرة تبيض كأنها الملح. [النووي في شرح مسلم [٦٨/١٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٢١] كتاب اللباس، [٧٢] باب القزع. ومسلم في صحيحه [١١٣ ـ (٢١٢٠)] كتاب اللباس والزينة [٣١] باب كراهة القزع. وأبو داود [٤١٩٣]، والنسائي =

ولأبي داود عنه علىٰ شرط الشيخين: رأى رسول الله ﷺ صبيًا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»[(١)].

وله بإسناد علىٰ شر الشيخين عن عبد الله بن جعفر أنه ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثة أيام، ثم آتاهم فقال: «لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم» ثم قال: «ادعوا لي بني أخي» فجيء بنا كأنا أفراخ.

فقال: «ادعوا لي الحلاق» فأمر بحلق رؤوسنا[(٢)].

وفي هذا إباحة حلق الكل[(٣)].

وفي الذي قبله أن القزع حلق البعض وترك البعض.

وروينا من حديث علي: «نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها»[(٤)].

فصل في تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان

قال تعالىٰ: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[(٥)].

وروينا من حديث أسماء : أن امرأة سألت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فتمرَّق شعرها، وإني زوجتها أفأصل فيه.[(٦)].

= [١٣٠١٨ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٦٣٧، ٣٦٣٨]، و أحمد في مسنده [٢ / ٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٠٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٣١٣].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٩٥]، والنسائي [٨/ ١٣٠ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٨٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٦٤].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٩٢]، والنسائي [٨ / ١٨٢ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٦٣].

(٣) أجمع العلماء علىٰ كراهة القزع إذا كان في مواضع متفرقة إلا أن يكون لمداواة ونحوها، وهي كراهة تنزيه وكرهه مالك في الجارية والغلام مطلقًا. وقال بعض أصحابه: لا بأس به في القصة والقفا للغلام، ومذهبنا كراهته مطلقا للرجل والمرأة لعموم الحديث. قال العلماء: والحكمة في كراهته أنه تشويه للخلق، وقيل: لأنه زي الشر والشطارة وقيل: لأنه زي اليهود وقد جاء هذا في رواية لأبي داود، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٩١٤] كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء، والنسائي [٨/ ١٣٠ ـ المجتبي].

(٥) سورة النساء [١١٩].

(٦) هذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقا، وهذا هو الظاهر المختار، وقد فصله أصحابنا فقالوا إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام بلا خلاف سواء كان شعر رجل أو امرأة وسواء شعر المحرم والزوج وغيرها بلا خلاف لعموم الأحاديث، وأما الشعر =

فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[١] أخرجاه.

وفي رواية: "الموصولة "، وعن عائشة نحوه.

أخرجاه أيضا. تمرق: بالراء انتثر وسقط.

والموصولة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بآخر.

والواصلة: التي توصل شعرها.

والمستوصلة: السائلة فعل ذلك.

وروينا من حديث حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية عام حج على المنبر وتناول قصة من شعر كانت في يد حَرَسِيٍّ فقال: يا أهل المدينة: أين علماؤكم سمعت النبي ﷺ ينهي عن مثل هذا ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»[٢] أخرجاه.

وروينا من حديث ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»[٣]. أخرجاه.

وروينا من حديث ابن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله». فقالت له امرأة في ذلك.

= الطاهر من غير آدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضا.
[النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٥] كتاب اللباس، [٣٨] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١١٥ ـ (٢١٢٢)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة. والترمذي [١٧٥٩، ٢٧٨٣]، والنسائي [٨ / ١٤٦ ـ المجتبي]، وابن ماجه [١٩٨٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٣٩، ٦ / ١١١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٢٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١١٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٢] كتاب اللباس، [٨٣] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١٢٢ـ(٢١٢٧)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، وأحمد في مسنده [٩٨/٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٢٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٢١].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٧] كتاب اللباس، [٨٣] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١١٩ ـ (٢١٢٤)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله. وأبو داود في سننه [٤١٦٨] كتاب الترجل باب في صلة الشعر، وأحمد في مسنده [١ / ٤٣٤] والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٢].

فقال: «ألا ألعن من لعنه رسول الله، وهو في كتاب الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]»[١]، أخرجاه.

المتفلِّجة التي تبرد من أسنانها لتباعد بعضها عن بعض قليلا وتحسنها، وهو الوشر.

والنامصة: التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققة ليصير حسنًا.

والمتنمصة التي تأمر من يفعل بها ذلك.

وفي هذا الحديث منشأ سبب النهي، والذي قبله بيان سببه.

فصل في النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرها

وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه.

وروينا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة»[٢].

حديث حسن، ورواه أبو داود والترمذي، والنسائي بأسانيد حسنه، قال الترمذي: حسن.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهم رد»[٣] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٩] كتاب اللباس، [٨٤] باب المتنمصات. ومسلم في صحيحه [١٢٠ ـ (٢١٢٥)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، وأبو داود في سننه [٤١٦٩] كتاب الترجل، باب في صلة الشعر، وأحمد في مسنده [١ / ٤٣٤].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٢٠٣] كتاب الترجل، باب في نتف الشيب. والترمذي في سننه [٢٨٢١] كتاب الأدب باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب. والنسائي [٨ / ١٣٦ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٣٧٢١] كتاب الأدب، باب نتف الشيب، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٨٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٧].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨ـ (١٧١٨)] كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. و أحمد في مسنده [٦/١٤٦، ١٨٠، ٢٥٦] والدارقطني في سننه [٤ / ٢٢٧]، وابن كثير في تفسيره [١ / ٢٢٢، ٢ / ٢٥]. قال النووي: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمة ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي هذا الحديث دليل لمن يقول من الأصوليين إن النهي يقتضي الفساد، ومن قال لا يقتضي الفساد يقول: هذا خبر واحد ولا يكفي في إثبات هذه القاعدة المهمة وهذا جواب فاسد، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الإستدلال به. [النووي في شرح مسلم [١٢/١٥] طبعة دار الكتب العلمية].

فصل في كراهية الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين عند الإستنجاء من غير عذر

فيه أحاديث كثيرة صحيحه منها:

حديث أبي قتادة في الصحيحين مرفوعًا: «إذا بال أحدكم فلا يأخذنَّ ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولا يتنفس في الإناء»(١).

فصل في كراهية المشي في خف أو نعل واحد لغير عذر

وكراهة لبس النعل والخف قائمًا بغير عذر.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يمشِ أحدكم في نعل واحد، لينعلها جميعا أو ليخلعها جميعا»(٢).

وفي رواية: «أو ليحفهما جميعًا» أخرجاه.

وعنه مرفوعًا: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمشِ في الأخرى حتىٰ يصلحها»(٣) أخرجه مسلم.

وعن جابر أنه ﷺ «نهى أنه ينتعل الرجل قائمًا»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٠] كتاب الأشربة، [٢٥] باب التنفس في الإناء. ومسلم في صحيحه [١٢١ ـ (٢٦٧)] كتاب الأشربة، [١٦] باب كراهية التنفس في نفس الإناء، واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وأبو داود في سننه [٣١] كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء. وابن ماجه [٣١٠].
والبيهقي في السنن الكبرى [١ / ١١٢، ٧ / ٢٨٢]، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٠٠].

(٢) أخرجه البخاري [٥٨٥٦] كتاب اللباس، [٤٠] باب لا يمشي في نعل واحد. ومسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٠٩٧)] كتاب اللباس والزينة، وأبو داود (٤١٣٦) كتاب اللباس، باب في الانتعال، وابن ماجه [٣٦١٧]. والترمذي (١٧٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/٢٢٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤١١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٠٩٨)] كتاب اللباس والزينة، [١٩] باب استحباب لبس النعل في اليمين أولاً، والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة. والترمذي [٤٣]، والنسائي [٨ / ١١٨ ـ المجتبي] و أحمد في مسنده [٢ / ٣١٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٢١٦]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٣٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٥ / ١٣٩].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٣٥] كتاب اللباس، باب في الانتعال. والترمذي [١٧٧٦]، وابن ماجه [٣٦١٨، ٣٦١٩]، والخطيب في تاريخ بغداد [٥ / ١٥٩]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [٧١٩].

رواه أبو داود بإسناد حسن.

فصل في النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه

سواء كانت في سراج أو غيره.

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»(١) أخرجاه.

ومن حديث أبي موسى قال: «احترق بيت بالمدينة علىٰ أهله، فلما حُدِّث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: «إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها»(٢) أخرجاه.

ولمسلم من حديث جابر مرفوعًا: «غطوا الإناء وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض علىٰ إنائه عودًا، ويذكر اسم الله عليه، فليفعل، فإن الفويسقة تضرم علىٰ أهل البيت بيتهم»(٣) الفويسقة: الفأرة، وتضرم: تحرق.

فصل في النهي عن التكلف

وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾(٤).

وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهينا عن التكلف».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٣] كتاب الاستئذان [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم. ومسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢٠١٥)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وأبو داود في سننه [٥٢٤٦]، والترمذي [١٨١٣]، وابن ماجه في سننه [٣٧٦٩] وأحمد في مسنده [٢ / ٧، ٨]، و أبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٢٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٤] كتاب الاستئذان، [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم. ومسلم في صحيحه [١٠١ـ(٢٠١٦)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٠١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٢٠١٢)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب. وابن ماجه في سننه [٣٤١٠]، و أحمد في مسنده [٣ / ٣٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١ / ٢٥٧] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٢٩٦]، [٤٢٩٨].

(٤) سورة ص [٨٦].

وعن مسروق قال: " دخلنا علىٰ عبد الله بن مسعود فقال: " يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم ".

قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦] [1] رواهما البخاري.[2].

فصل في تحريم النياحة ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».

وفي لفظ: «ما نيح عليه»[3] أخرجاه.

وعن أبي بردة قال: وجع أبو موسى فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة، فلم يستطيع أن يَرُدَّ عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة التي تحلق رأسها عند المصيبة والشاقة التي تشق ثوبها[4].

وعن المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «من ينح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة»[5] أخرجاه.

---

(١) قال ابن كثير: يقول تعالىٰ: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم علىٰ هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا» ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] «أي وما أريد علىٰ ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة». [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨٠٩] كتاب تفسير القرآن، ومن سورة ص [٣] باب قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩٢] كتاب الجنائز، [٣٣] باب ما يكره من النياحة علىٰ الميت. ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٩٢٧)] كتاب الجنائز، [٩] باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وابن ماجه في سننه [١٥٩٣]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٥/ ١٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٣٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٤٨]، و أبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٢٩٢] وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١٣٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩٦] كتاب الجنائز، [٣٧] باب ما ينهي من الحلق عند المصيبة، ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (١٠٤)] كتاب الإيمان، [٤٤] باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩١] كتاب الجنائز، [٣٣] باب ما يكره من النياحة علىٰ الميت.

=

وعن أم عطية نسيبة[(١)] قالت: «أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح»[(٢)] أخرجاه.

وفيه تأكيد تحريمها حتىٰ جعل مما يبيعن عليه وعن النعمان بن بشير قال: «أغمى علىٰ عبد الله بن رواحه، فجعلت أخته تبكي: واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك» رواه البخاري.

وهو بيان النوح المذموم، وهو تعداد الشمائل. وعن ابن عمر قال: " اشتكى ابن عبادة شكوى فأتاه رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود.

فلما دخل عليه وجده في غشية[(٣)] فقال: « أقد قضى؟». فقالوا: لا يا رسول الله فبكى رسول الله، فلما رأى القوم بكاءه بكوا، فقال: «ألا تسمعون، إن الله لا يُعذِّب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا، وأشار إلىٰ لسانه ويرحم»[(٤)]. أخرجاه.

وفيه أن النوح أمر لساني، وكذلك الجزع ونحوه بخلاف دمع العين وحزن القلب.

وعن أبي مالك الأشعري مرفوعًا: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[(٥)]. أخرجه مسلم.

= ومسلم في صحيحه [٢٨ ـ (٩٣٣)] كتاب الجنائز، [٩] باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(١) نسيبة بنت كعب ويقال بنت الحارث أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة سكنت البصرة، وأخرج لها: أصحاب الكتب الستة. ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢ / ٤٧٣]، تقريب التهذيب [٢ / ٦١٦، ٦٢٢]، الجرح والتعديل [٩ / ٤٦٥]، أسماء الصحابة الرواة [٧٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠٦] كتاب الجنائز [٤٥] باب ما ينهي عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك. ومسلم في صحيحه [٣١ ـ (٩٣٦)] كتاب الجنائز [١٠] باب التشديد في النياحة.

(٣) قوله: " وجده في غشية " هو بفتح الغين وكسر الشين وتشديد الياء، قال القاضي هكذا رواية الأكثرين قال: وضبطه بعضهم بإسكان الشين وتخفيف الياء، وفي رواية البخاري في غاشية وكله صحيح وفيه قولان أحدهما: من يغشاه من أهله، والثاني: ما يغشاه من كرب الموت. [النووي في شرح مسلم [٦ / ٢٠٠] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠٤] كتاب الجنائز، [٤٤] باب البكاء عند المريض، ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (٩٢٤)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت. والبيهقي في السنن الكبرى [٦٩/٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٢٤]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [٤ / ٢٩٢].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٩٣٤)] كتاب الجنائز، [١٠] باب التشديد في النياحة و أحمد في مسنده [٥ / ٣٤٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٥١]، والتبريزي في مشكاة =

وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي: أن امرأة من المبايعات قالت: «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا تخمش وجها، ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيبًا ولا ننشر شعرًا».

رواه أبو داود[١] بإسناد حسن.

وعن أبي موسى مرفوعًا: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك إلا وكِّل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت»[٢].

رواه الترمذي وحسنه. اللهز: الدفع بجميع الصدر.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»[٣]، أخرجاه.

فصل في النهي عن إتيان الكاهن والمنجم والعرّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى والشعير ونحو ذلك

روينا من حديث عائشة قالت[٤]: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال: «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا، فقال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجني فيُقِرُّها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة» أخرجاه.

وفي رواية للبخاري عنها مرفوعًا: «إن الملائكة تنزل في العنان. وهو السحاب. فتذكر الأمر الذي قضي في السماء فيستشرف الشيطان السمع فيسمعه، فيوحيه إلىٰ الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٥].

= المصابيح [١٧٢١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٣٩٠]، وابن عراق في تنزيه الشريعة [٤ / ٩٢].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣١٣١] كتاب الجنائز، باب في النوح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١٠٠٣] كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء علىٰ الميت. وابن ماجه في سننه [١٥٩٤] كتاب الجنائز. باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه. المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٤٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٤٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢١ ـ (٦٧)] كتاب الإيمان [٣٠] باب إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن في النسب والنياحة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٦٢] كتاب الطب، [٤٦] باب الكهانة. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٢٢٢٨)] كتاب السلام، [٣٥] باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. و أحمد في مسنده [٦/ ٨٧] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٩٣].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ١٣٥] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٩٤]، والقرطبي في تفسيره [٧ / ٤]، والسيوطي في الحبائك في الملائك [١٣٣].

قوله: فيقرَّها: هو بفتح الياء وضم القاف والراء، أي يلقيها، والعنان: بفتح العين. وفيه تحقير أمر الكهان.

وروينا عن صفية بنت أبي عبيد(١)، عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقة لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»(٢) أخرجه مسلم.

وفي لفظ: «من أتى عرافًا فصدقه».

والعرَّاف من يخبر عن الجن ونحوهم بالغوائب.

وعن قبيصة بنت المخارق قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»(٣).

رواه أبو داود بإسناد حسن، وقال: الطرق: الزجر أي زجر الطير، وهو أن يتيمن أو يتشاءم بطيرانه، فإذا طار إلىٰ جهة اليمين فيُمْنٌ وإلا فشؤم.

قال أبو داود والعيافة الخط.

قلت: والحصى والشعير منه.

قال الجوهري: والجبت كلمة تقع علىٰ الصنم والكاهن والتاجر، ونحو ذلك.

وروينا عن ابن عباس مرفوعًا: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

---

(١) صفية بنت أبي عبيد بن مسعود، زوج ابن عمر قيل لها إدراك وأنكره الدارقطني، قال العجلي: ثقة، وأخرج لها: البخاري تعليقًا ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٣٠]، تقريب التهذيب [٢/٦٠٣]، الوافي بالوفيات [١٦ / ٣٢٧] الكاشف [٣ / ٣٨٥]، والتمهيد [١ / ٢٠٤]، تراجم الأخبار [٢ / ٢١٥]، أعلام النساء [٢ / ٣٤٦]، ثقات [٤ / ٣٨٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٢٢٣٠)] كتاب السلام، [٢٥] باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٠٧] كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، و أحمد في مسنده [٣ / ٤٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٩]، وابن حبان في صحيحه [١٤٢٦ ـ الموارد]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٦٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩ / ٤٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٨٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٠٥] كتاب الطب، باب في النجوم، وابن ماجه في سننه [٣٧٢٦]، وأحمد في مسنده [١ / ٣١١] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٨]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤١٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩ / ١١٨]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٩٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٥]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٧٩٣].

والمراد بالنجوم الأحكام دون المنازل والتوقيت ونحوها.

وعن معاوية بن الحكم قال: قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان.

قال: «فلا تأتهم»، قلت: ومِنَّا رجالاً يتطيرون.

قال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصُدَّنَّهم» قلت: ومنا رجالا يخُطُّون، قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»[(١)]. أخرجه مسلم.

وهذا الشرط لا يتحقق.

وعن أبي مسعود البدري أن رسول الله ﷺ «نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»[(٢)] أخرجاه.

فصل في النهي عن التطير

فيه ما سلف في الباب قبله.

وعن أنس مرفوعًا: «لا عدوى ولا طِيَرَة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟، قال: «كلمة طيبة»[(٣)].

أخرجاه، وإنما أعجبه لأنه طيب وحسن ظن بالله، بخلاف الطيرة.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣ ـ (٥٣٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٧] باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة. ورقم [١٢١ ـ (٥٣٧)] كتاب السلام، [٣٥] باب تحريم الكهانة وإثبات الكهان. وأبو داود [٣٩٠٩] كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، والنسائي [٣ / ١٦ ـ المجتبي] وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٥٠]، والزبيدي في الإتحاف [٩ / ١١٨] والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٣٧] كتاب البيوع، [١٣] باب ثمن الكلب. ومسلم في صحيحه [٣٩] كتاب المساقاة وأبو داود في سننه (٣٤٢٨) كتاب البيوع، باب في حلوان الكاهن، والترمذي [١١٣٣] كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية مهر البغي. ورقم [١٢٧٦] في البيوع، باب ما جاء في ثمن الكلب. والنسائي [٧ / ١٨٩، ٣٠٩، ٢ / ٥٠٠ ـ المجتبي] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٨]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٣٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ٨٧، ٩١]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧ / ٢٦٥، ٢٦٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٥٦] كتاب الطب، [٤٤] باب الفأل. ومسلم في صحيحه [١١٢ ـ (٢٢٢٤)] كتاب السلام، [٣٤] باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم. وأبو داود [٣٩١٦]، وابن ماجه [٣٥٣٧] والطحاوي في مشكل الآثار [٢ / ٣٤٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤ / ٣٧٨].

الدار والمرأة والفرس»[١]. أخرجاه.

وفي رواية أخرى الجزم بذلك.

وعن بريدة أنه ﷺ «كان لا يتطير»[٢].

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٣] حديث صحيح: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفيه ما يدفع حزازات الصد مما يتطير به.

فصل في تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو دينار أو مخدة ووسادة وغير ذلك

وتحريم اتخاذ الصورة في حائط أو سقف وستر وعمامة وثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصور.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا[٤]: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم» أخرجاه.

وعن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٥٣] كتاب الطب، [٤٣] باب الطيرة، ومسلم في صحيحه [١١٦ ـ (٢٢٢٥)] كتاب السلام، [٣٤] باب تطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٢٠] كتاب العتق، باب في الطيرة. و أحمد في مسنده [٥ / ٣٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٩١٩] كتاب الطب، باب في الطيرة، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٥، ١٣٩] والقرطبي في تفسيره [٧ / ٢٦٦]، وابن السني في عمل اليوم والليلة [٢٨٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥١] كتاب اللباس، [٨٩] باب عذاب المصورين يوم القيامة. ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٢١٠٨)] كتاب اللباس والزينة [٢٦] باب تحريم صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفراش ونحوه.

(٥) السهوة بفتح السين المهملة قال الأصمعي: هي شبيهة بالرف أو بالطابق يوضع عليه الشيء، قال أبو عبيد: وسمعت غير واحد من أهل اليمن يقولون السهوة عندنا بيت صغير منحدر في الأرض وسمكه مرتفع من الأرض يشبه الخزانة الصغيرة يكون فيها المتاع، قال أبو عبيد، وهذا عندي أشبه ما قيل في السهوة، وقال الخليل: هي أربعة أعواد أو ثلاثة يعرض بعضها علىٰ بعض ثم =

فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

قالت: فقطعناه منه وسادة أو وسادتين(١).

أخرجاه، القرام بكسر القاف: الستر.

والسهوة: بفتح السين المهملة، الصفة تكون بين يدي البيت، وقيل: الطاق النافذ في الحائط.

وروينا من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفس فتعذبه في جهنم» قال ابن عباس: " فإن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا روح فيه ". أخرجاه.(٢)

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»(٣).

أخرجاه، وفيه: أن من ادعى مرتبة كلف بتحقيقها فليحذر من الدعوى.

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة عند الله المصورون»(٤) أخرجاه، وسببه المضاهاة.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله تعالىٰ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»(٥) أخرجاه.

= يوضع عليها شيء من الأمتعة، وقال ابن الأعرابي هي الكوة بيت الدارين، وقيل: بيت صغير يشبه المخدع، وقيل: هي كالصفة تكون بين يدي البيت، وقيل شبيه دخله في جانب البيت والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٧٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٤] كتاب اللباس، [٩١] باب ما وطئ من التصاوير، ومسلم في صحيحه [٩٢ - (٢١٠٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ - (٢١١٠)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه. وأحمد في مسنده [١/ ٣٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٩٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣ / ١٩٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٦٣] كتاب اللباس، [٩٧] باب من صور صورة كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. ومسلم في صحيحه [١٠٠ - (٢١١٠)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٠] كتاب اللباس، [٨٩] باب عذاب المصورين يوم القيامة. ومسلم في صحيحه [٩٨-(٢١٠٩)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صور الحيوان.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٣] كتاب اللباس، [٩٠] باب نقض الصور. ومسلم في =

وهو بيان هذا الشر الموقع في أشد الضرر وقد عجز، وهذا خالع للقلوب مقطع للقلوب مقطع للأوصال، ومفتت للأكباد.

وعن أبي طلحة مرفوعًا: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة»(١) أخرجاه.

وعن ابن عمر قال: وعد رسول الله ﷺ جبريل أن يأتيه، فراث عليه حتىٰ اشتد علىٰ رسول الله ﷺ فخرج فلقيه جبريل ﷺ فشكى إليه فقال: «إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة»(٢) أخرجه البخاري.

فراث بالثاء المثلثة: أبطأ.

وما أشد هذا الحرمان، فَيُحْرَمُ البركة والإلهام والحماية وعن عائشة قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل في ساعة أن يأته، فجاءت تلك الساعة ولم يأتيه.(٣).

قالت: وكان بيده عصى فطرحها من يده وهو يقول: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره. فقال: «متى دخل هذا الكلب؟».

فقلت: والله ما دريت به، فأمر به فأخرج فجاء جبريل فقال له رسول الله ﷺ: «فجلست لك فلم تأتيني. فقال: منعنى الكلب الذي في بيتك، إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»(٤) أخرجه مسلم.

= صحيحه [١٠١ ـ (٢١١١)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم صور الحيوان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٤٩] كتاب اللباس، [٨٨] باب التصاوير. ومسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢١٠٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه. والنسائي [٧/ ١٨٥، ٨/ ٢١٢ـ المجتبي]، وابن ماجه [٣٦٤٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٨]، وابن أبي شيبة [٥ / ٤١٠] والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٤٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٦٠] كتاب اللباس، [٩٤] باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة.

(٣) قال العلماء: بسبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ولأن بعضها يسمى شيطانًا وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها.
[النووي في شرح مسلم [١٤/ ٧٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢١٠٤)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتهنة بالفرش ونحوه. والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٦٨] والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٣٧٧].

وعن أبي هياج حيان بن حصين[١] قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «لا تدع صورة إلا طمستها[٢] ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[٣] أخرجه مسلم.

فصل في تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

ورويناه من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»[٤] أخرجاه.

وفي رواية: " قيراط ".

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «من أمسك كلبًا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية»[٥] أخرجاه.

ولمسلم: «من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم»[٦].

---

(١) حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي ثقة، أخرج له: مسلم وأبو داود والترمذي. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣ / ٦٧]، وتقريب التهذيب [١ / ٢٠٨]، والكاشف [١/ ٢٦٢]، تاريخ البخاري الكبير [٣ / ٥٣]، وتاريخ البخاري الصغير [١/ ١٩٤]، الجرح والتعديل [٣ / ١٠٨١]، الثقات [٤/ ١٧٠].

(٢) ما وجدناه في صحيح مسلم «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٩٦٩)] كتاب الجنائز، [٣١] باب الأمر بتسوية القبر، والحاكم في المستدرك [١ / ٣٦٩]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١٣٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٧٥]، وأحمد في مسنده [١ / ١٤٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٤٨٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٤٨٠] كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، [٦] باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية. ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٥٧٤)] كتاب المساقاة، [١٠] باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخة وبيان تحريم إقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٣٢٢] كتاب الحرث والمزارعة، [٣] باب اقتناء الكلب للحرث. ومسلم في صحيحه [٥٩ ـ (١٥٧٥)] كتاب المساقاة، [١٠] باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (١٥٧٥)] كتاب المساقاة، [١٠]. باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، والنسائي [٧/ ١٨٩ ـ المجتبي]، البيهقي في السنن الكبرى [١/ ٢٥١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٦٧].

فصل في كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب

وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس»[١].

وروينا عنه أيضا مرفوعًا: «الجرس مزامير الشيطان»[٢].

رواها، والثاني بيان لحكم الأول.

فصل في كراهية ركوب الجلالة وهي البعير أو الناقة التي تأكل العذرة

فإن أكلت علفًا طاهرًا فطاب لحمها زالت الكراهة.

روينا من حديث ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها»[٣].

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه

• إذا وجد فيه، والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار.

روينا من حديث أنس مرفوعًا: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»[٤] أخرجاه.

والمراد بدفنها إذا كان المسجد ترابًا أو نحوه.

فنواريها به، وقيل: تخرج منه.

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢١١٣)] كتاب اللباس والزينة، [٢٧] باب كراهة الكلب والجرس في السفر. وأبو داود في الجهاد باب في تعليق الأجراس، رقم (٢٥٥٥). والترمذي [١٧٠٣] كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية الأجراس علىٰ الخيل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة [١٠٤ ـ (٢١١٤)] كتاب اللباس والزينة، [٢٧] باب كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٥٨] كتاب الجهاد، باب في ركوب الجلالة. والحاكم في المستدرك [٢/ ٣٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٣٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤١٥] كتاب الصلاة، [٣٧] باب كفارة البزاق في المسجد. ومسلم في صحيحه [٥٥. (٥٥٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها. وأحمد في مسنده [٣ / ١٧٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٢٠١]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٤٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٣٦٥].

حكاه في البحر، فإن كان مبلطًا أو مجصصًا فينزلها منه بغسل ونحوه، ولا يدلكها بمداسه كما يفعله الجهلة فإنه زيادة للخطيئة، وإكثار للقذر فيه.[(١)].

وروينا من حديث عائشة «أنه ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطا أو بزاقا، أو نخامة فحكها»[(٢)] أخرجاه.

وعن أنس مرفوعًا: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة، وقراءة القرآن »، أو كما قال رسول الله ﷺ[(٣)].

فصل في كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا»[(٤)] رواه مسلم.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»[(٥)].

رواه الترمذي وحسنه.

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «وكفارتها دفنها» فمعناه إن ارتكب هذه الخطيئة فعليه تكفيرها كما أن الزنا والخمر وقتل الصيد في الإحرام محرمات وخطايا، وإذا ارتكبها فعليه عقوبتها. واختلف العلماء في المراد بدفنها، فالجمهور قالوا: المراد دفنها في تراب المسجد ورمله وحصاته إن كان فيه تراب أو رمل أو حصاة ونحوها، وإلا فيخرجها، وحكى الروياني من أصحابنا قولاً أن المراد إخراجها مطلقا، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [٥ / ٣٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٠٧] كتاب الصلاة، [٣٣] باب حك البزاق باليد من المسجد، ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٥٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢٨٥)] كتاب الطهارة، [٣٠] باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلىٰ حفرها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٥٦٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٨] باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد. وأبو داود في سننه [٤٧٣]، وابن ماجه [٧٦٧]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٤٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٠٢].

(٥) أخرجه الترمذي [١٣٢١]، البيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٤٧]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٥٦]، وابن خزيمة في صحيحه [١٣٠٥].

وعن بريده أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر فقال ﷺ: «لا وجدت؛ إنما بُنِيَت المساجد لما بُنِيَت له»[(١)] أخرجه مسلم.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده «أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن ينشد فيه ضالة، وأن يُنْشَد فيه شعر»[(٢)].

رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

وعن السائب بن يزيد[(٣)] الصحابي قال: كنت في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف.

فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[(٤)] رواه البخاري.

فصل في نهي كل من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو غيرهما مما له رائحة كريهة من دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا»[(٥)] أخرجاه.

وفي رواية مسلم " مساجدنا ".

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٥٦٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٨] باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقول من سمع الناشد. وابن خزيمة في صحيحه [١٣٠١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٧٢١].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [١٠٧٩] والترمذي من حديث أبي هريرة رقم [١٣٢١] في البيوع باب النهي عن البيع في المسجد وبلفظ «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك...» الحديث.

(٣) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، وأبو يزيد الكندي ويقال: الأسدي، الليثي الهزلي، يعرف بابن أخت النمر الأزدي الكندي صحابي صغير له أحاديث قليلة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة أخرجه له: أصحاب الكتب الستة، توفي في سنة [٩١، ٩٦، ٨٨] تقريب التهذيب [١ / ٢٨٣] تهذيب التهذيب [٣/ ٤٥٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٧٠] كتاب الصلاة، [٨٣] باب رفع الصوت في المساجد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٣] كتاب الأذان، [١٦٠] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث. ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٥٦٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها. وأخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ـ (٥٦١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

ومن حديث أنس مرفوعًا: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يصلين معنا»[١].

ومن حديث جابر مرفوعًا: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا»[٢] أخرجهما.

ولمسلم: «من أكل البصل أو الثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[٣].

ومن حديث عمر أنه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: " ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم « لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحها من الرجل أمر به فأخرج إلىٰ البقيع»[٤]، فمن أكلهما فليمتهما طبخًا " أخرجه مسلم[٥].

فصل في كراهية الإحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

لأنه يجلب النوم، فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء.

روينا من حديث معاذ بن أنس الجهني «أن رسول الله ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب»[٦]. رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٦] كتاب الأذان، [١٦] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، ومسلم في صحيحه [٧٠ - (٥٦٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٥] كتاب الأذان، [١٦] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ومسلم في صحيحه [٧٣ - (٥٦٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٣) مسلم في صحيحه [٧٤ - (٥٦٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

(٤) قال النووي: هذا فيه إخراج من وجد منه ريح الثوم والبصل ونحوهما من المسجد وإزالة المنكر باليد لمن أمكنه. وقوله «فمن أكلها فليمتهما طبخا» معناه من أراد أكلهما فليمت رائحتها بالطبخ وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته، ومنه قولهم: قتلت الخمر إذا مزجها بالماء وكسر حدتها. [النووي في شرح مسلم [٥/ ٤٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨- (٥٦٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [١١١٠] كتاب الصلاة، باب الإحتباء والإمام يخطب. والترمذي في سننه [٥١٤] في الصلاة، باب ما جاء في كراهية الإحتباء والإمام يخطب. و أحمد في مسنده [٣ / ٤٣٩]، والطحاوي في مشكل الآثار [٤ / ٧٩].

فصل

في نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحى عن شيء أن يأخذ من شعره ولا من ظفره حتىٰ يضحى. رواه مسلم(١).

فصل النهي عن الحلف بمخلوق

كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس، وحياة السلطان ونعمته وتربة فلان والأمانة وهي من أشدها نهيًا.

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(٢) أخرجاه.

وفي رواية في الصحيح: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت»(٣).

وعن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»(٤) أخرجه مسلم.

الطواغي جمع طاغية، وهي الأصنام.

ومنه الحديث: «هذه طاغية دوس» أي صنمهم ومعبودهم. وروى مسلم «بالطواغيت» جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم، فليحذر منه؛ فإنه تعظيم يشبه السجود.

---

(١) كذا بالأصل ولم يذكر الحديث في مسلم [٤١ ـ (١٩٧٧)] كتاب الأضاحي، [٧] باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو يريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظافره شيئا، عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٤٦] كتاب الأيمان والنذور، [٤] باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (١٦٤٦)] كتاب الأيمان، [١] باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، وأبو داود [٣٢٤٩]، والترمذي [١٥٣٤] والنسائي [٧ / ٤، ٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه [٢٠٩٤]، وأحمد في مسنده [١ / ١٨، ٣٦]، والبيهقي في السنن [٢٨/١٠، ٢٩]، والحاكم في المستدرك [٥٢/١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٦٠٥].

(٣) أخرجه الترمذي [١٥٣٤] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦ ـ (١٦٤٨)] كتاب الأيمان، [٢] باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله. وابن ماجه في سننه [٢٠٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٩]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٥٩٣٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٠٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٠٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ١٧٧] والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦].

وروينا من حديث بريدة مرفوعًا: «من حلف بالأمانة فليس منا»[١] حديث صحيح. رواه أبو داود بإسناد صحيح وما أشده من تبرى؛ فإنها إن كانت ضد الخيانة فهو إشراك فيمن يستحق إفراده بالتعظيم، وإن كانت مما تسميه أهل الكتاب أمانة من عقائدهم فأشد.

وروينا من حديث بريدة أيضًا مرفوعًا: «من حلف فقال إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبا، فهو كما قال: وإن كان صادقًا فلن يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا»[٢].

وروينا من حديث ابن عمر أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٣].

رواه الترمذي؛ وقال حسن.

قال: وفسَّر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك علىٰ التغليظ كما روى أنه ﷺ قال: «الرياء شرك»[٤] قلت: ومعنى التغليظ أن حقيقته ذلك وإنما لم يترتب عليه مقتضاه لغفلته عن فهمه وعدم القصد إليه لا ما يوهمه الأغبياء من عدم معنى له.

فصل في تغليظ تحريم اليمين الكاذبة عمدًا

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «من حلف علىٰ مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان »، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٧٧] إلىٰ آخر الآية. أخرجاه.[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣٢٥٣] كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٣٠]، وابن حبان في صحيحه [١٣١٨ ـ الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٠٧].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٣٢٥٨] كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٥٣٥] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. وأحمد في مسنده [٢ / ١٢٥]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٨، ٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٠٦]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤ / ١٦٨].

(٤) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده [٥ / ٤٢٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٥٢٥].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٦] كتاب الأيمان والنذور. [١٧] باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٧٧] . الآية. ومسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (١٣٨)] كتاب الأيمان، [٦١] باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٦١٩].

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي مرفوعًا: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟، قال: «وإن قضيبًا من أراك»[1].

أخرجه مسلم.

وهو إلغاء لأمر المالية، لكن فيه انتهاك حرمة الجليل جل جلاله.

وروينا من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس واليمين الغموس»[2] رواه البخاري.

وفي رواية له: أن أعرابيا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟

قال: « الإشراك بالله»، قال: ثم ماذا؟

قال: « اليمين الغموس » قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم»[3] يعني بيمين هو فيها كاذب .

فصل في ندب من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها

أن يفعل ذلك المخلوق عليه ثم يكفر عن يمينه.

وروينا من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «وإذا حلفت علىٰ يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك»[4] أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (١٣٧)] كتاب الأيمان، [٦١] باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فأجرة بالنار. والنسائي [٢٤٦/٨ ـ المجتبي] وأحمد في مسنده [٥ / ٢٦٠] والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦٢٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٤٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٥] كتاب الأيمان والنذور، [١٦] باب اليمين الغموس والترمذي [٣٠٢١] كتاب تفسير القرآن. باب من سورة النساء. والنسائي [٨٨/٧، ٨٩ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [١٤٧/٢، ٦٢١].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩٢٠] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٢٢] كتاب الأيمان والنذور، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥] الآية، ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٦٥٢)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها. وأبو داود [٣٢٧٧] والنسائي [١٠/٧ ـ المجتبي] و أحمد في مسنده [٥ / ٦٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٣١، ٣٦].

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «من حلف علىٰ يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير»[(١)] أخرجه مسلم.

وعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرى خيرا منها إلا كفَّرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير»[(٢)] أخرجاه.

وهو غاية في التأسي.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يلَّجَّ أحدكم بيمينه في أهله، آثَمُ عند الله من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه»[(٣)] أخرجاه.

ويلج: بفتح اللام وتشديد الجيم يتمارى فيها، ولا يكفر.

وآثم: بالثاء الثلثة أكبر إثما، وهو دافع لشبهة متوسوس من تحليل يمين عقدها، فإن الذي فرَّ منه توقعه في أشد منه، فإن التحلل فيه فعل الخير، وفعل الكفارة المحللة ليعطيه اليمين، والأخذ برخصة الله المحبوبة لديه والقيام بفرض فرضه الله عليه، مع فوائد التأسي النبوي.

فصل في العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه

وهو ما يجري علىٰ اللسان بغير قصد اليمين: كلا والله، وبلى والله ونحو ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[(٤)]

في قول الرجل: " لا والله، بلى والله. . . " رواه البخاري[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ـ (١٦٥٠)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه. والترمذي [١٥٣٠]، وابن ماجه [٢١٠٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٨٠] كتاب الأيمان والنذور، [١٨] باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١٦٤٩)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٢٥] كتاب الأيمان والنذور، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَ﴾ [المَائدة: ٨٩] . الآية، ومسلم في صحيحه [٢٦ ـ (١٦٥٥)] كتاب الإيمان، [٦] باب النهي عن الإصرار علىٰ اليمين فيما يتأذى به أهل الحالف مما ليس بحرام، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور [١ / ٢٦٨]، والقرطبي في تفسيره [٦ / ٢٨١].

(٤) سورة المائدة [٨٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٦٣] كتاب الأيمان والنذور، [٤] باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾، عن عائشة ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥] قال: قالت أنزلت في قوله: لا والله وبلى والله.

فصل في كراهة الحلف في البيع وإن كان صادقا

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب»[١] أخرجاه.

ومن حديث أبي قتادة مرفوعًا: «إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق»[٢] أخرجه مسلم. فليحذر من ذلك.

فصل في كراهة أن يسأل بوجه الله تعالى غير الجنة

وكراهة منع من سأل بالله تعالى أو يشفع به.

روينا في حديث جابر مرفوعًا: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»[٣]. رواه أبو داود.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه»[٤].

حديث حسن.

رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين.

فصل في تحريم قول شاهان شاه للسلطان وغيره

لأن معناه ملك الأملاك[٥] أخرجاه. قال سفيان بن عيينه: ملك الأملاك مثل شاهنشاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٠٨٧] كتاب البيوع، [٢٦] باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم، ومسلم في صحيحه [١٣١ ـ (١٦٠٦)] كتاب المساقاة، [٢٧] باب النهي عن الحلف في البيع. وأبو داود في سننه [٣٣٣٥]، والنسائي [٧/ ٢٤٦ ـ المجتبي]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٩٠].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٢ ـ (١٦٠٧)] كتاب المساقاة، [٢٧] باب النهي عن الحلف في البيع، وأحمد في مسنده [٥ / ٢٩٧، ٢٩٨].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٧١] كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى. والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٤٤] والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٥٢٠].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٧٢] كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله. والنسائي [٥ / ٨٢ ـ المجتبي]، و أحمد في مسنده [١ / ٢٥٠، ٢ / ٦٨]. والطبراني في المعجم الكبير [١٢ / ٣٩٧، ٤١٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٦٠١، ٢ / ٧٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٥٦] وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [٢٥٣].

(٥) انظر مسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢١٤٣)] كتاب الأدب، [٤] باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك.

فصل في النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه

روينا من حديث بريدة مرفوعا[(١)]: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في كراهية سب الحمى

وروينا من حديث جابر أنه ﷺ دخل علىٰ أم السائب أو أم المسيب فقال: «ما لك يا أم السائب، أو يا أم المسيب تزفزفين؟»[(٢)].

قالت: الحمى لا بارك الله فيها.

فقال: «لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»[(٣)] تزفزفين تتحركين حركة سريعة، ومعناه ترتعد، وهو بضم التاء وبالزاء المكررة، وبالفاء المكررة.

وروى أيضًا بالراء وروى بالزاي المكررة بالفائين.

فصل في النهي عن سب الريح

وبيان ما يقال عند هبوبها.

روينا من حديث أبي المنذر أُبَيّ بن كعب مرفوعًا: " لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: «اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٧٧] كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك " ربي "، " ربتي "، وأحمد في مسنده [٥ / ٤٣٦، ٤٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٧٨٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٧٩].

(٢) قوله ﷺ: «مالك يا أم السائب تزفزفين»: بزاءين معجمتين وفاءين والتاء المضمومة قال القاضي: تضم وتفتح هذا هو الصحيح المشهور في ضبط هذه اللفظة، وادعى القاضي أنها رواية جميع رواه مسلم، ووقع في بعض نسخ بلادنا بالراء والفاء ورواه بعضهم في غير مسلم بالراء والقاف معناه تتحركين حركة شديدة أي ترعدين، وفي حديث المرأة التي كانت تصرع دليل علىٰ أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٤٥٧٥) كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتىٰ الشوكة يشاكها. والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٧٧] والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية [١ / ٢١، ١٣٢]. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [٧١٥، ١٢١٥].

به، ونعوذ بك من شر هذا الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»[١] رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»[٢].

رواه أبو داود بإسناد حسن، رَوْحٌ، بفتح الراء أي رحمته بعباده.

وروينا من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» أخرجه مسلم.[٣].

فصل في كراهية سب الديك

روينا من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»[٤]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في النهي عن قول مطرنا بنوء كذا

ثبت ذلك في الصحيحين[٥] من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعا، والسماء

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٢٥٢]، و أحمد في مسنده [٥ / ١٢٣] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢١٥٨]، والزبيدي في الإتحاف [٥/١٠٣]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٣٩٨].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٧] وأحمد في مسنده [٢ / ٢٦٨، ٥١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [٤ / ٢٨٥]، وابن حبان [١٩٨٩ ـ الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥١٦]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٠٤]، والسيوطي في الدر المنثور [١ / ١٦٥]، والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٥٢٥]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١٨٧٤].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥ ـ (٨٩٩)] كتاب صلاة الإستسقاء [٣] باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر. وأبو داود في سننه [٢١٦٠]، وابن ماجه في سننه [٢٢٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٦٠]، والسيوطي في الدر المنثور (٦/٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/١٠٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥١٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٠١] كتاب الأدب، باب ما جاء في الديك والبهائم. والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٤] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٣٦].

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه [٨٤٦] كتاب الأذان، [١٥٦] باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم. ورقم [١٠٣٨] كتاب الإستسقاء، [٢٧] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقِعَة: ٨٢]، ومسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٧١)] كتاب الإيمان [٣٢] باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

المذكورة فيه: المطر.

فصل في تحريم قوله لمسلم: يا كافر

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»(١).

وعن أبي ذر مرفوعًا: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك: إلا حار عليه»(٢). أخرجاه.

حار: رجع عن الفحش وبذئ اللسان

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»(٣).

ومن حديث أنس مرفوعًا: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»(٤). رواهما الترمذي وحسنه.

فصل في كراهة التنفير بالكلام

بالتشديد وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا(٥) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٠٤] كتاب الأدب [٧٣] باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال. ومسلم في صحيحه [١١١ ـ (٦٠)] كتاب الإيمان، [٢٦] باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ٢١٩] ومسلم في صحيحه [١١٢ ـ (٦١)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٧٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٨ ـ الموارد]، والبخاري في الأدب المفرد [٣١٢].

(٤) أخرجه الترمذي [١٩٧٤] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش. وابن ماجه في سننه [٤١٨٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٩٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٦٧٠)] كتاب العلم، [٤] باب هلك المتنطعون. والطبراني في المعجم الكبير [١٠ / ٢١٦]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٨٥].

وهو المبالغون في الأمور.

ومن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه، كما تتخلل البقرة»(١).

رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

ومن حديث جابر: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»(٢) رواه الترمذي وحسنه.

وسلف شرحه في حسن الخلق، ولا منفر كهذه الثلاثة.

فصل في كراهة قول : خبثت نفسي

روينا من حديث عائشة مرفوعًا: « لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي»(٣) أخرجاه.

ومعنى خبثت: غثت، وهو بمعنى لقست(٤)، ولكن كره لفظ الخبث.

فصل في كراهة تسمية العنب كرمًا

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم المسلم»(٥) أخرجاه، واللفظ لمسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود [٥٠٠٥] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام. والترمذي في سننه [٢٨٥٣] كتاب الأدب باب ما جاء في الفصاحة والبيان. وأحمد في مسنده [٢ / ١٦٥، ١٨٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١١٦].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٠١٨] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، المنذري في الترغيب والترهيب [٣/٤٠٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٧٩] كتاب الأدب، [١٠٠] باب لا يقل خبثت نفسي. ومسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٢٥٠)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٤] باب كراهة قول الإنسان: خبثت نفسي.

(٤) قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: لقست وخبثت بمعنى واحد وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها قالوا: ومعنى لقست غثت، وقال ابن الأعرابي معناه ضاقت. [النووي في شرح مسلم [١٥ / ٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٨٣] كتاب الأدب، [١٠٢] باب قول ﷺ: «إنما الكرم قلب المؤمن». ومسلم في صحيحه[٨ ـ (٢٢٤٧)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٥٩، ٤٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦].

وفي رواية: «فإنما الكرم المسلم » أخرجاه واللفظ لمسلم

وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن»[١].

وفي رواية: «إنما تقولون: الكرم ، إنما الكرم قلب المؤمن».

وروينا من حديث وائل مرفوعًا: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة»[٢] رواه مسلم.

الحبلة: بفتح الحاء، وبفتح الباء وإسكانها.

فصل في النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل لا يحتاج إلىٰ ذلك لغرض شرعي كنكاح ونحوه

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا:[٣] « لاتباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها». أخرجاه

فصل في كراهية قول الإنسان في الدعاء: اللهم اغفر لي إن شئت بل يعزم بالطلب

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له»[٤] أخرجاه.

وفي رواية لمسلم: «ولكن ليعزم وليعظم لرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[٥].

---

(١) انظر البخاري كما تقدم، ومسلم [٩ـ (٢٢٤٧)] كتاب الألفاظ، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٢٤٨)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٦٢] والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٠ / ٥٦٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٤٠] كتاب النكاح، [١١٩] باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها، وأبو داود في سننه [٢١٥٠] في النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، والترمذي [٢٧٩٢] كتاب الأدب، باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٣٩] كتاب الدعوات، [٢١] باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، ومسلم في صحيحه [٩ . ٢٦٧٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت. وأبو داود في سننه [١٤٨٣]، والترمذي [٣٤٩٧]، وابن ماجه [٣٨٥٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٤١]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٦٣]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٣٩].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ـ (٢٦٧٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ، ولا يقل إن شئت.

وعن أنس مرفوعًا: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»[١] أخرجاه.

وهو عام في كل دعاء، وطلب الغفران والرحمة في الحديث الأول من باب التمثيل.

فصل في كراهة قول ما شاء الله ثم ما شاء فلان

رواه بإسناد صحيح.

فصل في كراهة الحديث المباح بعد العشاء الأخرة[٢]

إلا في خير، كمذاكرة علم وعذر.

والأحاديث الصحيحة مصرحة بذلك.

روينا من حديث أبي برزة «أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»[٣].

وحديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى العشاء في آخر حياته، فلما سلم قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن علىٰ رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو علىٰ ظهر الأرض اليوم أحد»[٤]. أخرجاهما.

وعن أنس رضي الله عنه أنهم انتظروا النبي ﷺ فجاءهم قريبًا من شطر الليل، فصلي بهم يعني العشاء، قال: ثم خطبنا فقال: «ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا، وإنكم لن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٣٨] كتاب الدعوات،[٢١] باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٦٧٨)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٢) قال الترمذي: اختلف أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم في السمر بعد صلاة العشاء الآخرة، فكره قوم منهم السمر بعد صلاة العشاء، ورخص بعضهم إذا كان في معنى العلم وما لابد منه من الحوائج وأكثر الحديث علىٰ الرخصة. وقد روى الترمذي في سننه [١٦٩] في الصلاة، باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء عن عمر بن الخطاب قال: «كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٨] كتاب مواقيت الصلاة، [٢٤] باب ما يكره من النوم قبل العشاء، وأبو داود في الصلاة باب [٣] والترمذي [١٦٨]، وأحمد في مسنده [٤ / ٤٢١].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤] كتاب مواقيت الصلاة، [٢١] باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعا. ومسلم في صحيحه [٢١٧ ـ (٢٥٣٧)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٣] باب قول ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة»[1] أخرجه البخاري.

فصل في تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها

إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي.

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه، فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح»[2] أخرجاه.

وفي رواية: «حتى ترجع».

فصل في تحريم صوم المرأة تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[3] أخرجاه.

فصل في تحريم في رفع المأموم رأسه من الركوع والسجود قبل الإمام

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار»[4] أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢] كتاب مواقيت الصلاة، [٢٦] باب وقت العشاء إلي نصف الليل. والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٦٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٣] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٤٣٦)]، كتاب النكاح [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها. وأبو داود في سننه [٢١٤١] في النكاح، باب في حق الزوج علىٰ المرأة. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٢٩٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٥٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٢] كتاب النكاح، [٨٥] باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا. رقم [٥١٩٥] كتاب النكاح، [١٧] باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه. ومسلم في صحيحه [٨٤ ـ (١٠٢٦)] كتاب الزكاة، [٢٦] باب ما أنفق العبد من مال مولاه.
وأبو داود في سننه [٢٤٥٨]، والترمذي [٧٨٢]، وابن ماجه في سننه [١٧٦١]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣١٦] والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٩٢، ٧ / ١٨٠]، والحاكم في المستدرك [٤ / ١٧٣]، والدارمي في سننه [٢ / ٦٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩١] كتاب الأذان، [٥٣] باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام. ومسلم في صحيحه [١١٤ ـ (٤٢٧)] كتاب الصلاة،[٢٥] باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوها. والترمذي في سننه [٥٨٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٩٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١١٤١]، وابن خزيمة في صحيحه [١٦٠٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٣٣٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧ / ٢٢٦].

فصل في كراهة وضع اليد علىٰ الخاصرة في الصلاة

روينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «نهى عن الخصر في الصلاة». أخرجاه(١).

فصل في كراهة الصلاة بحضرة الطعام

ونفسه تتوق إليه، أو مع مدافعة الأخبثين.

روينا من حديث عائشة مرفوعًا: «لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان»(٢). أخرجه مسلم.

فصل في النهي عن رفع البصر إلىٰ السماء في الصلاة

روينا من حديث أنس مرفوعًا: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء في صلاتهم؟» فاشتد قوله في ذلك حتىٰ قال: «لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك أو لَتُخْطَفَنَّ أبصارهم»(٣). رواه البخاري.

فصل في كراهة الإلتفات في الصلاة لغير عذر

روينا من حديث عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الإلتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»(٤) رواه البخاري.

---

(١) كذا بالأصل وقد أخرجه أبو داود في سننه [٩٤٧] في الصلاة، باب الرجل يصلي مختصرا، والترمذي في سننه (٣٨٣) في الصلاة، باب ما جاء في النهي عن الاختصار في الصلاة. والنسائي [٢ / ١٢٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٩]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٤]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢ / ٤٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣ / ٧٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/٢٨٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٧ ـ (٥٦٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٦] باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة. والبيهقي في السنن الكبرى [٣/٧٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٠٥٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٥٠] كتاب الأذان، [٩٢] باب رفع البصر إلىٰ السماء في الصلاة، وأبو داود في سننه [٩١٣]، والنسائي [٣ / ٧ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [١٠٤٤] وأحمد في مسنده [٣ / ١٠٩، ١١٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٥١] كتاب الأذان، [٩٣] باب الإلتفاف في الصلاة، والترمذي في سننه [٥٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٨١]، و عبد الرزاق في مصنفه [٣٢٧٥]، وابن خزيمة في صحيحه [٤٨٤ / ٩٣١]، والحاكم في المستدرك [١/٢٣٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٢٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك والإلتفات في الصلاة، فإن الإلتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة»(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في النهي عن الصلاة إلىٰ القبور

روينا من حديث أبي مرثد كناز بن الحصين مرفوعًا: «لا تصلوا إلىٰ القبور ولا تجلسوا عليها»(٢) رواه مسلم.

فصل في تحريم المرور بين يدي المصلي

روينا من حديث أبي الجهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصاري مرفوعًا: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه»(٣).

قال الراوي: "لا أدري أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنةً" أخرجاه.

فصل في كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في الإقامة

سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها.

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»(٤) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٥٨٩] في الصلاة، باب ما ذكره في الالتفات في الصلاة، والهيثمي في مجمع الزوائد [١ / ٢٧١]، والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٣٢٣]، والزيلعي في نصب الراية [٢ / ٤٤، ٨٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٨ ـ (٩٧٢)] كتاب الجنائز، [٣٣] باب النهي عن الجلوس علىٰ القبر والصلاة عليه. والنسائي [٢/ ٦٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٤ / ١٣٥].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٠] كتاب الصلاة، [١٠١] باب إثم المار بين يدي المصلي. ومسلم في صحيحه [٢٦١ ـ (٥٠٧)] كتاب الصلاة، [٤٨] باب منع المار بين يدي المصلي، وأبو داود في سننه [٧٠١]، والترمذي [٣٣٦]، وأحمد في مسنده [٤ / ١٦٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٦٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٦١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٣٧٦].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٣ ـ (٧١٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٩] باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن. وأبو داود في سننه [١٤٦٦]، والترمذي في سننه [٤٢١]، والنسائي [٢ / ١١٧ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [١١٥١]، وأحمد في مسنده [٢ / ٤٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٢]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٢٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٣٩٨٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ١٣٨، ٩ / ٢٢٢]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٤٦٢].

فصل في كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلة الجمعة بصلاة

روينا من حديث أبي هريرة: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم»(١) رواه مسلم.

وعنه مرفوعًا: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوم قبله أو يومًا بعده»(٢) أخرجاه وبه يخرج تخصيصه.

وعن محمد بن عباد قال: سألت جابرا: «أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة قال: نعم»(٣) أخرجاه.

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث أنه ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «أصمت أمس؟»، قالت: لا، قال: «تريدين أن تصومي غدا؟»، قالت: لا، قال: «فأفطري»(٤). رواه البخاري.

فصل في تحريم الوصال وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما

روينا من حديث أبي هريرة وعائشة «أنه ﷺ: نهى عن الوصال».
أخرجاه.(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (١١٤٤)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردا. والحاكم في المستدرك [١/ ٣١١]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٧٦]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٢١٥]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٥] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائما يوم الجمعة فعليه أن يفطر. ومسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (١١٤٤)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردا والترمذي في سننه [٧٤٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٤] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر. ومسلم في صحيحه [١٤٦ ـ (١١٤٣)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهية صيام يوم الجمعة منفردا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٦] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر. وأبو داود في سننه [٢٤٢٢]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٦ / ٣٢٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٧٨٠٤] وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٤٤].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٤] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال. ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١١٠٣)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم.

وعن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال»، قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست مثلكم إني أُطْعَمُ، وأُسْقَى» أخرجاه[1].

واللفظ للبخاري.

وهو قاطع في أن الإطعام والإسقاء غير حسي.

وإلا لقال: إني لست أواصل.

فصل في تحريم الجلوس علىٰ قبر

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يجلس أحدكم علىٰ جمرة فتحرق ثيابه، فيخلص إلىٰ جلده، خير له من أن يجلس علىٰ قبر»[2]. أخرجه مسلم.

فصل النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

روينا من حديث جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[3]. رواه مسلم.

فصل في تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

روينا من حديث جرير مرفوعًا: «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة»[4] رواه مسلم.

وعنه مرفوعًا: «إذ أبق العبد لم تقبل له صلاة»[5] رواه مسلم أيضا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٢] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال. ومسلم في صحيحه [٥٥ ـ (١١٠٢)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم. وأحمد في مسنده [٢/ ١٠٢، ١٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٢٨٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٨٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٩٧١)] كتاب الجنائز، [٣٣] باب النهي عن الجلوس علىٰ القبر والصلاة عليه. وأبو داود في سننه [٣٢٢٨]، وابن ماجه في سننه [٧٩٤]، المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٧٤].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٩٧٠)] كتاب الجنائز، [٣٢] باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه. قال [النووي: المراد بالقعود الجلوس عليه، هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء وقال مالك في الموطأ: المراد بالقعود الجلوس، وقال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام، وكذا الأستناد والإتكاء عليه. [النووي في شرح مسلم [٧ / ٣٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (٦٩)] كتاب الإيمان، [٣١] باب تسمية العبد الآبق كافرا. وأحمد في مسنده [٤ / ٣٥٧، ٣٦٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ٢٠٤] المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٧].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٤ ـ (٧٠)] كتاب الإيمان، [٣١] باب تسمية العبد الآبق كافرًا.

وفي رواية: «فقد كفر».

فصل في تحريم الشفاعة في الحدود

قال تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[(١)] الآية.

وروينا من حديث عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال: «أتشفع[(٢)] في حد من حدود الله تعالى».

ثم قام فاختطب فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[(٣)] أخرجاه. وفي رواية: فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أشفع في حد من حدود الله؟» فقال أسامة: ليستغفر لي رسول الله، ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها[(٤)].

فصل في النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٥)] الآية.

وروينا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللعانين» قالوا وما اللاعنين؟، قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم»[(٦)]. رواه مسلم.

---

(١) سورة النور [٢].

(٢) أجمع العلماء علىٰ تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلىٰ الإمام لهذا الحديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلىٰ الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزيز فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون. [النووي في شرح مسلم [١١/ ١٥٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٧٥] كتاب أحاديث الأنبياء، آخر باب في هذا الكتاب رقم [٥٦] ومسلم في صحيحه [٨ ـ (١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود. وأبو داود في سننه [٤٣٧٣]، والترمذي في سننه [١٤٣٠]، والنسائي [٨ / ٧٣ ـ المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ٣٣٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٨٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦ / ٢٥٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ ـ (١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود.

(٥) سورة الأحزاب [٥٨].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٦٩)] كتاب الطهارة، [٢] باب النهي عن التخلي في الطرق =

فصل في النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

روينا من حديث جابر «أنه ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد»[١] أخرجه مسلم.

فصل في كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده علىٰ بعض في الهبة

روينا من حديث النعمان بن بشير أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي.

فقال: ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال ﷺ : «فارجعه»[٢].

وفي رواية قال: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟».

قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم».

فرجع أبي فرد تلك الصدقة[٣].

وفي رواية: فقال ﷺ: «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟» قال: نعم، قال: «أكلهم وهبت له مثل هذا؟» قال: لا، قال: «فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد علىٰ جور»[٤].

وفي رواية: «لا تشهدني علىٰ جور»[٥].

وفي رواية: «أشهد علىٰ هذا غيري»[٦].

= والظلال. وأبو داود في سننه [٢٥]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ٩٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٦٨]، وابن خزيمة في صحيحه [٦٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [١ / ١٣٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٢٨١)] كتاب الطهارة. [٢٨] باب النهي عن البول في الماء الراكد. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٨٨، ٤٩٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١ / ١٤١]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤ / ٢٥٢، ٢٧٨]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [١ / ١٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٦] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٢] باب الهبة للولد. ومسلم في صحيحه [٩ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٧] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [١٣] باب الإشهار في الهبة. ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، والنسائي [٦/ ٢٦٠ . المجتبي]، وأحمد في مسنده [٤ / ٢٦٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ١٧٦].

(٥) مسلم رقم [١٦] به.

(٦) ومسلم رقم [١٧] به.

ثم قال: «أيسرُّك أن يكونوا إليك في البر سواء» قال: بلى، قال: «فلا إذا»[(١)] متفق عليه.

فصل في تحريم إحداد المرأة علىٰ ميت فوق ثلاثة أيام إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرة أيام

روينا من حديث زينب بنت أبي سلمة[(٢)] قالت: دخلت علىٰ أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مسَّت بعارضها ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ علىٰ ميت فوق ثلاث إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرا»[(٣)] قالت زينب: ثم دخلت علىٰ زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمسَّت منه، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرا»[(٤)]. أخرجاه.

---

(١) ومسلم رقم [١٧] به ورقم [١٨] به.

(٢) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد، المخزومية القرشية، ربيبة النبي ﷺ ماتت سنة [٧٣]، وأخرج لها أصحاب الكتب الستة. ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٢١]، تقريب [٢/ ٦٠٠]، أسد الغابة [٧/ ١٣١]، الثقات [٣/ ١٤٥]، الإصابة [٧ / ٦٧٥]، تجريد أسماء الصحابة [٢ / ٢٧٢]، والكاشف [٣ / ٤٧١]، الخلاصة [٣/ ٣٨٢].

(٣) فيه دليل علىٰ وجوب الإحداد علىٰ المعتدة من وفاة زوجها وهو مجمع عليه في الجملة وإن اختلفوا في تفصيله، فيجب علىٰ كل معتدة عن وفاة سواء المدخول بها وغيرها والصغيرة والكبيرة والبكر والثيب والحرة والأمة والمسلمة والكافرة، هذا مذهب الشافعي والجمهور، وقال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين وأبو ثور وبعض المالكية لا يحد علىٰ الزوجة الكتابية بل يختص بالمسلمة لقوله ﷺ: « لا يحل لامرأة تؤمن بالله » فخصه بالمؤمنة. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ٩٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨١ ، ١٢٨٢] كتاب الجنائز، [٣٠] باب إحداد المرأة علىٰ غير زوجها ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١٤٨٦)] كتاب الطلاق، [٩] باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام. وأبو داود في سننه (٢٢٩٩) والترمذي في سننه [١٨ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦]، والنسائي [٦ / ١٩٨ ، ٢٠٤ ـ المجتبي]، وابن ماجه (٣٥، ٢٠٨٥، ٢٠٨٦)، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٤٣٧] المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٥٥].

فصل في تحريم بيع حاضر لباد وتلقى الركبان والبيع علىٰ بيع أخيه والخطبة أيضا إلا بإذن

رينا من حديث أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه»(١). أخرجاه.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «لا تلقوا السلع حتىٰ تهبط بها الأسواق»(٢).

وعن ابن عباس مرفوعًا: «لا تتلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد».

فقال له طاوس: ما بيع حاضر لباد؟ قال: «لا يكون له سمسار»(٣) أخرجهما.

وعن أبي هريرة(٤) قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا ولا يبع الرجل علىٰ بيع أخيه، ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

وفي لفظ: «نهى رسول الله ﷺ عن التلقي وأن يبتاع المهاجر للأعرابي، وأن تشترط المرأة طلاق أختها، وأن يسام الرجل علىٰ سوم أخيه، ونهى عن النجش والتصرية»(٥) أخرجاه.

وعن ابن عمر: «لا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه إلا أن يأذن له » أخرجاه. واللفظ لمسلم.(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٦١] كتاب البيوع، [٧٠] باب لا يبيع حاضر لباد بالسمسرة، ومسلم في صحيحه [٢١ ـ (١٥٢٣)] كتاب البيوع، [٦] باب تحريم الحاضر للبادي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٦٥] كتاب البيوع، [٧١] باب النهي عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود. ومسلم في صحيحه [١٤ـ(١٥١٧)] كتاب البيوع، [٥] باب تحريم تلقي الجلب.

(٣) أخرجه البخاري [٢١٥٨] في البيوع، [٦٨] باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر. رقم [٢١٣٦] كتاب البيوع، [٧١] باب النهي عن تلقي الركبان، ومسلم في صحيحه [١٩ـ (١٥٢١) كتاب البيوع، [٦] باب تحريم بيع الحاضر للبادي.

(٤) أخرجه البخاري [٢١٤٠] كتاب البيوع، [٥٨] باب لا يبيع علىٰ بيع أخيه ولا سوم علىٰ سوم أخيه، ومسلم [٥١ـ (١٤١٣)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن أو يترك. ورقم [٢١٦٠] كتاب البيوع، [٧٠] باب لا يبيع حاضر لباد بالسمسرة ومسلم في صحيحه [١١ ـ (٢٠٠٠)] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه وسومه علىٰ سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية.

(٥) أخرجه البخاري [٢٧٢٧] كتاب الشروط، [١١] باب الشروط في الطلاق، ومسلم في صحيحه [١٢] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٣٩] كتاب البيوع، [٥٨] باب لا يبيع علىٰ بيع أخيه. ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٤١٢)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن =

وعن عقبة بن عامر مرفوعًا: «المؤمن أخو المؤمن لا يحل أن يبتاع علىٰ بيع أخيه ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يرد» أخرجه مسلم[(١)].

فصل في النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»[(٢)]. أخرجه مسلم.

وعن المغيرة أنه كتب إلىٰ معاوية: «كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال»[(٣)] الحديث، أخرجاه.

فصل في النهي عن الإشارة إلىٰ مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جادًا أو مازحًا

والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً.

روينا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يشير أحدكم إلىٰ أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[(٤)] متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: قال: «قال لي أبو القاسم ﷺ من أشار إلىٰ أخيه بحديده فإن

= أو يترك. ومسلم في صحيحه [٨ ـ (١٤١٢)] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (١٤١٤)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن أو يترك.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠ ـ (١٧١٥)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات. وأحمد في مسنده [٢ / ٣٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٣]، وابن كثير في تفسيره [٢/ ٧٤]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٢٧٧]، والخطيب في الفقيه والمتفقة [١ / ١٦٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٥] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر. ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (٥٩٣)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات. وأحمد في مسنده [٤ / ٢٥٠]، والبخاري في الأدب المفرد [٤٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٧٢] كتاب الفتن، [٧] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» ومسلم في صحيحه [١٢٦ ـ (٢٦١٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٥] باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم.

الملائكة تلعنه حتىٰ يردها»(١).

قوله ﷺ ينزع ضبط بالعين المهملة مع كسر الزاي وبالغين المعجمة مع فتحها: ومعناهما متفاوت، ومعناه بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضًا يرمي ويفسد، وأصل النزع الطعن والفساد.

وعن جابر رضي الله عنهما «نهى رسول الله ﷺ عن أن يتعاطى السيف مسلولاً»(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

فصل في كراهة الخروج من المسجد بعد الآذان إلا لعذر حتىٰ تصلي المكتوبة

روينا من حديث أبي الشعثاء قال: " كنا قعودًا مع أبي هريرة رضي الله عنهما في المسجد فأذن مؤذن فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتىٰ خرج من المسجد فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ "(٣).

فصل في كراهة رد الريحان لغير عذر

روينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح»(٤) رواه مسلم.

عن أنس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب»(٥) رواه البخاري.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٢٦١٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٥] باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٨٨] كتاب الجهاد، باب في النهي أن يتعاطى السيف مسلولاً. والترمذي [٢١٦٣] كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن تعاطي السيف مسلولا، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٠، ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [٤ / ٢٩٠]، وابن أبي شيبة [٨ / ٣٩٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٨ ـ (٦٥٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة [٤٥] باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، وقال [النووي]: فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان حتىٰ يصلي المكتوبة إلا لعذر والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [٥/ ١٣٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢٢٥٣)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٥] باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٢] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [٩] باب ما لا يرد من الهدية. والترمذي في سننه [٢٧٨٩] كتاب الأدب باب ما جاء في كراهية رد الطيب، وأحمد في مسنده [٣ / ١٣٣، ٢٦١].

فصل في كراهة المدح في الوجه لمن خيف مفسده من إعجاب وغيره

وجوازه لمن أمن ذلك في حقه.

روينا من حديث أبي موسى ﵁ قال: سمع النبي ﷺ رجلا يثنى علىٰ رجل ويطريه في المدحة قال: «أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل» متفق عليه(١).

والإطراء المبالغة في المدح.

وعن أبي بكر ﵁ أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا فقال النبي ﷺ: «ويحك قطعت عنق صاحبك» يقوله مرارًا: «إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكى علىٰ الله أحدًا»(٢). متفق عليه.

وعن هشام بن الحارث عن المقداد ﵁ أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثى علىٰ ركبته فجعل يحثو في وجهه الحصباء.

فقال عثمان: ما شأنك؟.

قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»(٣).

فهذه الأحاديث في النهي.

وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٠] كتاب الأدب، [٥٤] باب ما يكره من التمادح، ومسلم في صحيحه [٦٧ـ (٣٠٠١)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح. قال [النووي: في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطة للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الإقتداء به كان مستحبًا والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٨ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦١] كتاب الأدب، [٥٤] باب ما يكره من التمادح، ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٣٠٠٠)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٣٠٠٢)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح، وأحمد في مسنده [٦ / ٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٧٧].

قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه، فليس بحرام أو مكروه وإن خيف عليه من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك.

ومما جاء في الإباحة قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أرجو أن تكون منهم»[(١)] أي من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها.

وفي الحديث الآخر: «لست منهم أي لست من الذين يسبلون إزارهم خيلاء»[(٢)].

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ما رأك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[(٣)] والأحاديث في الإباحة كثيرة.

فصل في كراهة الخروج من بلد وقع فيه الوباء فرارًا منه

وكراهة القوم عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[(٤)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[(٥)].

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام.

قال ابن عباس فقال لي عمر رضي الله عنه ادع المهاجرين الأولين[(٦)]، فدعوتهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٦٦] كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ومسلم في صحيحه [٨٥ـ (١٠٢٧)] كتاب الزكاة [٢٧] باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٦٥] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٦٩٠] كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) سورة النساء [٧٨]. (٥) سورة البقرة [١٩٥].

(٦) قال القاضي: المراد بالمهاجرين الأولين من صلى للقبلتين فأما من أسلم بعد تحويل القبلة فلا يعد فيهم قال: وأما مهاجرة الفتح فقيل: هم الذين أسلموا قبل الفتح فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح إذ لا هجرة بعد الفتح، وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة. قال القاضي: هذا أظهر لأنهم الذين ينطلق عليهم مشيخة قريش، وكان رجوع عمر رضي الله عنه لرجحان طرف الرجوع لكثرة القائلين به وأنه أحوط، ولم يكن مجرد تقليد لمسلمة =

فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرمي أن نُقْدِمَهُم علىٰ هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء. فنادى عمر رضي الله عنه إني مُصَبِّح علىٰ ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة - وكان عمر يكره خلافه - نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.

قال: فجاءه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه» فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه وانصرف. متفق عليه[1].

العدوة: جانب الوادي.

وعن أسامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها» متفق عليه[2]، وفيه دفع شبهة أظلمت المسالك علىٰ كل سالك وأورثت من ترك بسببها الدعاء والعبادات ومصالح المعايش المهالك.

= الفتح؛ لأن بعض المهاجرين الأولين وبعض الأنصار أشاروا بالرجوع وبعضهم بالقدوم عليه، وانضم إلىٰ المشيرين بالرجوع رأي مشيخة قريش فكثر القائلون به مع ما لهم من السن والخبرة وكثرة التجارب وسداد الرأي وحجة الطائفتين واضحة مبينه في الحديث. [النووي في شرح مسلم ١٤ / ١٧٤، ١٧٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢٩] كتاب الطب، [٣٠] باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم في صحيحه [٩٨ـ (٢٢١٩)] كتاب السلام، [٣٢] باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. وأبو داود في سننه [٣١٠٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٥٩]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ٩٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٥٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢٨] كتاب الطب، [٣٠] باب ما يذكر في الطاعون. ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (٢٢١٨)] كتاب السلام، [٣٢] باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها.

فصل في التغليظ في تحريم السحر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[(١)] الآية.

وروينا عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟

قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق عليه[(٢)].

فصل في النهي عن المسافرة بالمصحف إلىٰ بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو

روينا عن ابن عمر ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو»[(٣)] متفق عليه.

فصل في تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة

وسائر وجوه الاستعمال.

روينا عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[(٤)] متفق عليه.

---

(١) سورة البقرة [١٠٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٥٧] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٣١] باب رمي المحصنات. ومسلم في صحيحه [١٤٥ ـ (٨٩)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها. وأبو داود في سننه [٢٨٧٤] والنسائي [٦/ ٢٥٧] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٢٨٤، ٨ / ٢٠، ٢٤٩]، والزبيدي في الإتحاف [١ / ٢١٩]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٣٠١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٤٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٢ ـ (١٨٦٩)] كتاب الإمارة، [٢٤] باب النهي أن يسافر بالمصحف إلىٰ أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم. وابن ماجه في سننه [٢٨٧٩] كتاب الجهاد، [٤٥] باب النهي أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو. وأحمد في مسنده [٢/ ٧، ٦٣، ١٢٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ١٠٨]، وابن ماجه في سننه وأبي شيبة في مصنفه [١٤ / ١٥٢]، أبو نعيم في حلية الأولياء [٨ / ٣٢٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٨/ ٣٧٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٤] كتاب الأشربة، [٢٨] باب آنية الفضة، ومسلم في صحيحه
=

وفي رواية لمسلم[(١)] : «إن الذي يأكل أو يشرب في آنيه الفضة والذهب، وهو تهديد بليغ.

وعن حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال: «هن لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة»[(٢)] متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عن حذيفة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب، ولا تأكلوا في صحافها»[(٣)].

وفيه بيان علة التحريم وهي أن الكفار أوتوا كذلك ونحوه طيباتهم في حياتهم الدنيا، فيقال لهم يوم القيامة: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] الآية.

ورويناً في سنن البيهقي[(٤)] بإسناد حسن من حديث أنس بن سيرين قال: كنت عند أنس بن مالك عند نفر من المجوس فجيء بفالوذج على إناء من فضة فلم يأكله، فقيل له حوله، فحوَّله على إناء (مدحلح)[(٥)] وجيء فأكله وهو حيلة في الاستعمال من الإناء المحرم.

فصل في تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا

روينا من حديث أنس: « نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل»[(٦)] أخرجاه.

= [١ ـ (٢٠٦٥)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٠٠٠٠)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٢] كتاب الأشربة، [٢٧] باب الشرب في آنية الذهب. ومسلم في صحيحه [٤ ـ (٢٠٦٧)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٣] كتاب الأشربة، [٢٨] باب آنية الفضة. ومسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٠٦٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [١ / ٢٨].

(٥) كذا بالأصل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٤٦] كتاب اللباس، [٣٣] باب التزعفر للرجال. ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢١٠١)] كتاب اللباس والزينة، [٢٣] باب نهي الرجل عن التزعفر، والنسائي [٥/ ١٤١، ٨/ ١٨٩ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٣ / ١٠١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٦]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٦٧٤]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦ / ٢٣٠، ١٠ / ١٣]. وابن عبد البر في التمهيد [٢ / ١٨٢].

وهو ظاهر التحريم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأي النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «أأمك أمرتك بهذا؟» قلت أغسلهما. قال: «بل أحرقهما»[١].

وفي رواية: «أن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»[٢]. رواه مسلم.

فصل في النهي عن صمت يوم إلىٰ الليل

روينا من حديث علىٰ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يُتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلىٰ الليل»[٣]. رواه أبو داود بإسناد حسن.

وفسره الخطابي بأن الصمات كان من نُسُك الجاهلية فنهوا في الإسلام عنه وأُمرُوا بالذكر والحديث بالخير.

وروينا من حديث قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر الصديق علىٰ امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم، فقالوا: حجت مصمته[٤]، فقال لها: «تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية» فتكلمت[٥] رواه البخاري.

فصل في تحريم إنتساب الإنسان إلىٰ غير أبيه وتوليه غير مواليه

روينا من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعًا: «من ادعى إلىٰ غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨ ـ (٢٠٧٧)] كتاب اللباس والزينة، [٤] باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٠٧٧)] كتاب اللباس والزينة، [٤] باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر. والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٦٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٢٧]. وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٠ / ٣٠٤]. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٧٠٤].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٨٧٣] كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٥٧، ٧/ ٤٦١] وذكره الحافظ في الفتح [٧ / ١٥٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [١١٤٥٠، ١٣٨٩٩، ١٥٩١٩] والسيوطي في الدر المنثور [٢٨٨/١]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٢٨٠].

(٤) قوله: مصمته اسم فاعل من أصمت بمعنى صمت أي ساكتة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨٣٤] كتاب مناقب الأنصار [٢٦] باب أيام الجاهلية، والدارمي في سننه [٢٦] في المقدمة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٦٦] كتاب الفرائض، [٢٩] باب من ادعى إلىٰ غير أبيه. ومسلم =

ومن حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر»[(١)]. أخرجاهما.

وروينا من حديث يزيد بن شريك بن طارق قال: رأيت عليا ﷺ علىٰ المنبر يخطب وسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتابٍ نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة، فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرام ما بين عير إلىٰ ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، ومن والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً»[(٢)] أخرجاه.

ذمة المسلمين: عهدهم وأيمانهم.

وأخفره: نقض عهده.

= في صحيحه [١١٤ ـ (٦٣)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. قال النووي: قوله ﷺ: «فالجنة عليه حرام» ففيه تأويلان أحدهما أنه محمول علىٰ من فعله مستحلا له، والثاني: أن جزاءه أنها محرمة عليه أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ثم إنه قد يجازي فيمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٤٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٦٨] كتاب الفرائض،[٢٩] باب من ادعى إلىٰ غير أبيه. ومسلم في صحيحه [١١٣ ـ (٦٢)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. وأحمد في مسنده [٢ / ٥٢٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١ / ٣٦٨]، وأبو عوانه في مسنده [١ / ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٨٧٠] كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة. ورقم [٣١٧٢] كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم ورقم [٦٧٥٥] في الفرائض، [٢١] باب إثم من تبرأ من مواليه. ورقم [٧٣٠٠] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع. ومسلم في صحيحه [١٨ ـ (١٥٠٨)]، [١٩] ورقم [٢٠ ـ (١٣٧٠)] كتاب العتق، [٤] باب تحريم تولي العتيق غير مواليه. [قال النووي قوله ﷺ: «من تولى قومًا بغير إذن مواليه» فقد احتج به قوم علىٰ جواز التولي بإذن مواليه، والصحيح الذي عليه الجمهور أنه لا يجوز وإن أذنوا كما لا يجوز الانتساب إلىٰ غير أبيه وإن أذن أبوه فيه، وحملوا التقييد في الحديث علىٰ الغالب لأن غالب ما يقع هذا بغير إذن الموالي فلا يكون له مفهوم يعمل به. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية].

والصرف: التوبة، وقيل الحيلة.

والعدل: الفداء.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ليس من رجل ادعى إلىٰ غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»(١). أخرجاه واللفظ لمسلم.

فصل في التحذير من ارتكاب ما نهى الله عز وجل أو رسوله

قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾(٢) الآية وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٣).

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾(٤) الآية.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله تعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه»(٥) أخرجاه

فصل ما يقوله ويفعله من ارتكاب ما نهي عنه

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾(٦).

وقال﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾(٧) الآية.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾(٨) إلىٰ قوله﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ٢١٩] ومسلم في صحيحه [١١٢ـ (٦١)] كتاب الإيمان [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. وأحمد في مسنده [٥ / ١٦٦]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٧٣]، والقرطبي في تفسيره [١٤/ ١٢١].

(٢) سورة النور [٦٣].

(٣) سورة آل عمران [٢٨، ٣٠].

(٤) سورة هود [١٠٢].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٢٣] كتاب النكاح، [١٠٨] باب الغيرة، مسلم في صحيحه [٣٦] كتاب التوبة، والترمذي [١١٦٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٨٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٤٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣١٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥ / ٣٦٠].

(٦) سورة الأعراف [٢٠٠].

(٧) سورة الأعراف [٢٠١].

(٨) سورة آل عمران [١٣٥].

وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، فليتصدق»[٢].

أخرجاه، آخر المناهي ولله الحمد، وعدة أحاديثه وجملتها نحو الثلاثمائة.

---

(١) سورة النور [٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٥٠] كتاب الأيمان والنذور، [٥] باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت. ومسلم في صحيحه [٥ـ (١٦٤٧)] كتاب الإيمان،[٢] باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. وقال [النووي: إنما أمر بقول لا إله إلا الله لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها قال أصحابنا: إذا حلف باللات والعزى وغيرهما من الأصنام أو قال: إن فعلت كذا فأنا يهودي ونصراني أو بريء من الإسلام أو بريء من النبي ﷺ أو نحو ذلك لم تنعقد يمينه بل عليه أن يستغفر الله تعالى ويقول: لا إله إلا الله ولا كفارة عليه سواء فعله أم لا هذا مذهب الشافعي ومالك وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة تجب الكفارة في كل ذلك إلا في قوله أنا مبتدع أو برئ من النبي ﷺ أو اليهودية. واحتج بأن الله تعالى أوجب علىٰ المظاهر الكفارة لأنه منكر من القول وزور، والحلف بهذه الأشياء منكر وزور. واحتج أصحابنا والجمهور بظاهر هذا الحديث فإنه ﷺ إنما أمره يقول لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة، ولأن الأصل عدمها حتىٰ يثبت فيها شرع، وأما قياسهم علىٰ الظهار فينتقض بما استثنوه والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١١ / ٩٠] طبعة دار الكتب العلمية].

مجلس في الصدقة والإيثار والمواساة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(1) وهو لائح من مدح الإيثارة وأهله.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾(2) وهو محتمل لما ترجمنا به وللجود أيضًا وهذه صفة عباد الله الذين يشربون من كافور، ومن توقى شر ذلك اليوم يلقى نضرة وسرورًا، وما أعظمه من وصف.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرٌّ لك، ولا تلام علىٰ كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»(3).

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلىٰ بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلىٰ أخرى فقالت مثل ذلك حتىٰ قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.

فقال: «من يُضَيِّف هذا الليلة رحمه الله».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلىٰ رحلة، فقال لامرأته هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني.(4).

---

(1) سورة الحشر [9].

(2) سورة الإنسان [8].

(3) أخرجه مسلم في صحيحه [97 ـ (1036)] كتاب الزكاة، [32] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة. والترمذي في سننه [2343] كتاب الزهد، [32] باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا. والبيهقي في السنن الكبرى [4 / 182]، المنذري في الترغيب والترهيب [1/ 590، 2 / 49]، والسيوطي في الدر المنثور [1 / 254].

(4) هذا محمول علىٰ أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلىٰ الأكل وإنما تطلبه أنفسهم علىٰ عادة الصبيان من غير جوع يضرهم فإنهم لو كانوا علىٰ حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبًا ويجب تقديمه علىٰ الضيافة، وقد أثنى الله ورسوله ﷺ علىٰ هذا الرجل وامرأته فدل علىٰ أنهما لم يتركا واجبًا بل أحسنا وأجملا ﷺ. [النووي في شرح مسلم [14 / 12] طبعة دار الكتب العلمية].

قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»[١] وهو أبلغ مدح مرغب في ذلك في الإثيار ومبين أنه من الله تعالى بمكان، كما يشعر به قوله ﷺ: «لقد عجب الله» إلىٰ آخره.

وفيه من أسباب الإيثار تعظيم الحقوق المشعر به قول الأنصاري: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «طعام الإثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٢].

ولمسلم: «طعام الواحد يكفي الإثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[٣].

فيه دفع خصاصة المواسي إذا واسا من كفايته.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل علىٰ راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به علىٰ من لا زاد له»[٤].

قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥ / ٤٢] ومسلم في صحيحه [١٧٣ ـ (٢٠٥٤)] كتاب الأشربة، [٣٢] باب إكرام الضيف وفضل إيثاره والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٨٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٥٢]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [٣ / ٢٥٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٩٢] كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين. ومسلم في صحيحه [١٧٨ ـ (٢٠٥٨)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٤٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٧٧].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٩ ـ (٢٠٥٩)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك. والترمذي في سننه [١٨٢٠]، وابن ماجه في سننه [٣٢٥٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٢٧٨، ١٠/١٢٦]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٨/ ١٣٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٥٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/٢٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٥ / ٢١].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨ ـ (١٧٢٨)] كتاب اللقطة، [٤] باب استحباب المواساة بفضول المال. والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٨٢] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٩٨].

قلت: هو مشتمل علىٰ أنواع من البر.

وصرفه البصر إشارة إلىٰ السؤال.

وفي الحديث السالف صدح بأنه مجهود فلا منجا بعد بؤس.[(١)]

وروينا في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد في قصة البردة وأنه ﷺ أخذها، وأن سائلا سألها فدفعها إليه رجاء أن تكون كفنه فكانت كفنه.

ولو ذكر في باب الجود كما فعل القشيري لكان أجود.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى مرفوعًا: «إن الأشعرين[(٢)] إذا أرملوا في الغزو، وقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسويَّة، فهم مني وأنا منهم»[(٣)].

معنى أرملوا: فرغ زادهم أو قارب الفراغ.

وأما الحكايات: **فالأولىٰ** عن الشبلي قال: خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابًا صغيرا نحيف الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة، وهو جالس في الجبانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة، ويحرك شفتيه وتسيل الدموع من عينية وهو مستغرق في الذكر والاستغفار، فلا يشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتعظيم، فلما رأيت الشاب علىٰ تلك الحال مالت نفسي إليه وطابت إلىٰ لقائه فتركت الطريق التي أروح عليها وقصدت نحوه فلما رآني أقبلت إليه انتفض من مكانه وقام يمشي هاربا فنهضت في إثره لعلى ألحقه فلم أقدر علىٰ إدراكه فقلت له: رفقا يا ولي الله، فقال: الله.

---

(١) قال النووي في الحديث المتقدم: في هذا الحديث الحث علىٰ الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلىٰ الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعريضه من غير سؤال وهذا معنى قوله فجعل يصرف بصره أي متعرضًا لشيء يدفع به حاجته، وفيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجًا وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسرًا في وطنه ولهذا يعطي من الزكاة في هذه الحال والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ٣٠)].

(٢) في هذا الحديث فضيله الأشعريين وفضيلة الإيثار والمواساة وفضيلة خلط الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم، وليس المراد بهذا القسمة المعروفة في كتب الفقه بشروطها ومنعها في الربويات واشتراط المواساة وغيرها، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضًا ومواساتهم بالموجود. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ٥٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣ / ١٨١] ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (٢٥٠٠)] كتاب فضائل الصحابة، [٣٩] باب من فضائل الأشعريين . والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٣٢].

فقلت: بحقه إلا ما صبرت، فأشار بأصبعه لا أفعل، وقال: الله، فقلت له إن كان حقا ما تقول فأرني صدقك مع الله، فنادي بصوت عال يا الله، فوقع في الأرض مغشيا عليه، فدنوت منه فحركته فإذا هو ميت من ساعته، فتوهمت من ذلك وتعجبت من حالة صدقه مع الله تعالى.

وقلت: يختص برحمته من يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم تركته في موضعه وسرت إلىٰ حي من الأحياء لآخذ في جهازه وإصلاح شأنه.

فلما رجعت إليه حجب عني، فطلبته في المكان فلم أجد له أثرًا ولا سمعت له خبرًا، فبقيت متحيرًا في أمر هذا الشاب وقلت: من سبقني إليه فسمعت قائلا يقول: يا شبلي قد كفيت أمر الفتى وما تولاه إلا الملائكة فعليك أنت بعبادة ربك، وأكثر الصدقة من مالك، فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يومًا في الدهر؟

فقلت: سألتك بالله إلا ما أخبرتيني بصدقته يوما في الدهر ما هي؟.

فقال: يا شبلي إن هذا الفتى كان في أول عمره مذنبا عاصيا فاسقا زانيا فعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأتلفته وهي أنه رأى في المنام إحليله قد رجع ثعبانًا ودار بفيه ثم انطلق من فيه لهب النار فأحرقه حتىٰ عاد كالفحمة السوداء فقام مسرعًا مرعوبًا وخرج فارًا بنفسه مشتغلاً بعبادة ربه، وله اليوم منذ رجع إلىٰ الطاعة اثني عشرة سنة وهو علىٰ حالة التضرع والخشوع.

فلما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها إليه، ففرح السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة، فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التي فرَّحَهُ بها كما جاء في الحديث: «اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة».

الثانية: عن أبي جعفر بن خطاب ويقال إنه من الأبدال، قال: وقف علىٰ بأبي سائل، فقلت لزوجتي: هل معك شيء، قالت: أربع بيضات.

فقلت ادفعيهن للسائل، ففعلت.

فلما انصرف السائل أهدي إلي بعض إخواني مخلاة فيها بيض فقلت لزوجتي كم بيضة فيها؟

فقالت ثلاثون بيضة.

فقلت لها: ويحك أعطيت السائل أربع بيضات وجاءت ثلاثون أين حساب هذا؟

قالت: هن أربعون إلا عشرًا مكسورات.

وقيل: في هذه الحكاية كان ثلاث من البيض التي أعطت للسائل صحاح وواحدة مكسورة، فجاء بكل واحدة منهن عشرة علىٰ صفتها.

الثالثة: عن أبي أمامه الباهلي أنه كان يحب الصدقة ويجمع لها الذهب والدراهم والفلوس وكان لا يقف به سائل إلا أعطاه ما يتهيأ له حتىٰ يضع في يد أحدهم البصلة.

قالت مولاته: فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته من الطعام شيء، ولم يكن عنده غير ثلاثة دنانير، فوقف به سائل فأعطاه دينارًا، ثم وقف آخر فأعطاه الثاني، ثم وقف آخر فأعطاه الثالث.

قالت فغضبت وقلت: لم يبق لنا شئ، فاستلقى علىٰ فراشه وأغلقت عليه باب البيت حتىٰ أذن المؤذن بالظهر فجئته وأيقظته فراح إلىٰ مسجده صائمًا.

فرفقت عليه واستقرضت، ما اشتريت به عشاء وهيأت سراجًا وصنعت مائدة، ودنوت من فراشه لأمهده له، فرفعت الوسادة فإذا بذهب، فقلت في نفسي ما صنع الذي صنع إلا ثقته بما جاء به، فعددتها فإذا هي ثلاثمائة دينار فتركتها علىٰ حالها حتىٰ انصرف من صلاة العشاء.

فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله وتبسم في وجهي فقال: هذا خير من غيره، فجلس يتعشى فقلت: يغفر الله لك ورفعت الوسادة.

فلما رأى ما تحتها فزع وقال: ويحك ما هذا؟.

قالت: لا علم لي به إلا أني وجدته علىٰ ما ترى فكثر فزعه وعلم أن ذلك بسبب الصدقة بالثلاثة دنانير وأن الله تعالى عوضه ذلك.

الرابعة: حكى أن امرأة تصدقت برغيف علىٰ سائل، ثم خرجت تحمل غداء زوجها، وكان يحصد زرعه، فمرت بروضة ومعها ابن لها، وإذا بسبع قد التقم ابنها وإذا يد قد لطمت السبع، فقذف الطفل من فيه.

وإذا بصوت يسمع منه خذي ولدك فقد جازيناك لقمة بلقمة.

الخامسة: عن عطاء قال: كان أبو عبد الرحمن بن حبيب يؤتي بالطعام إلىٰ المسجد فربما استقبلوه في الطريق فيطعمه للمساكين فيدعون له بالبركة فيرد عليهم دعاءهم ويقول: قالت عائشة : «إذا تصدقتم فدعى لكم فردوا الدعاء حتىٰ يبقى لكم أجر ما تصدقتم به».

السادسة: كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره ويتصدق به ليلاً ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال: مرحبًا بمن يحمل زادي إلىٰ الآخرة.

السابعة: قال سفيان: جاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني علىٰ صفوان بن

سليم[١] فإني رأيته دخل الجنة فقلت: بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنسانا قال بعض إخوان صفوان فسألته عن القميص فقال: خرجت ليلة علىٰ المسجد في ليلة باردة فإذا برجل عار، فنزعت قميصي فكسوته.

وقال أبو مروان: انصرفت مع صفوان إلىٰ منزله فجاء بخبز يابس فوقف ببابه سائل، فأعطاه شيئًا فاتبعته لأنظر ما أعطاه فإذا هو يقول: أعطاه الله أفضل ما أعطى أحدًا من خلقه.

فقلت له: ماذا أعطاك؟

قال: أعطاني دينارًا.

فائدة: قال بشر بن الحارث: الصدقة أفضل من الحج، قيل ولم ذاك؟

قال: لأن الحاج يركب ويرجع فيراه الناس، وذاك يعطي سرًا لا يراه إلا الرب تعالى.

الثامنة: حكى أنه كان قاضي الري غني، فجاءه فقير يوم عاشوراء[٢] فقال: أعز الله القاضي أنا رجل فقير ذو عائلة وقد جئتك متشفعًا بحرمة هذا اليوم لتعطيني عشرة أمنان خبزًا، وخمسة أمنان لحمًا ودرهمين.

فوعده القاضي علىٰ وقت الظهر فدافعه إلىٰ العصر، فلما جاءه العصر لم يعطه شيئًا.

فذهب الفقير منكسرًا، فمر بنصراني جالس بباب داره فقال له بحق هذا اليوم أعطني شيئًا.

فقال النصراني: وما هذا اليوم؟

فذكر له الفقير من صفاته شيئًا.

فقال لي النصراني اذكر حاجتك؟ فقد أقسمت علىٰ تعظيم الحرمة، فذكر له ما

---

(١) صفوان بن سليم أبو عبد الله وقيل: أبو الحارث القرشي المدني الزهري الفقيه، ثقة، مفت عابد، رمى بالقدر، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [١٣٢، ١٣٣، ١٢٤]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤ / ٤٢٥]، تقريب التهذيب [١ / ٣٦٨]، الكاشف [٢ / ٢٩]، تاريخ البخاري الكبير [٤ / ٣٠٧]، تاريخ البخاري الصغير [٢ / ١٩]، الجرح والتعديل [٤ / ١٨٥٨]، سير الأعلام [٥ / ٣٦٤]، والوافي بالوفيات [١٦ / ٣١٧]، الثقات [٦ / ٤٦٨].

(٢) اتفق العلماء علىٰ أن صوم يوم عاشوراء سنة ليس بواجب واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حيث شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة كان واجبا، واختلف أصحاب الشافعي علىٰ وجهين أشهرهما أنه لم يزل سنة من حين شرع، والثاني كان واجبا كقول أبي حنيفة. [النووي في شرح مسلم [٨ / ٤، ٥] طبعة دار الكتب العلمية].

سلف فأعطاه عن الخبز عشرة أقفز حنطة، وعن اللحم مائة، وعن الدرهمين عشرين درهما.

وقال هذا لك ولعيالك ما دمت حيا في كل شهر كرامة لهذا اليوم.

فذهب الفقير إلىٰ منزله، فلما كان الليل ونام القاضي سمع هاتفًا: ارفع رأسك، فرفع رأسه فأبصر قصرًا مبنيا بلبنه من فضة ولبنه من ذهب، وقصرًا من ياقوته يبين ظاهره من باطنه.

فقال: إلهي ما هذان؟ فقيل له: هذان كانا لك لو قضيت حاجة الفقير، فلما رددته صارا لفلان النصراني.

فانتبه مرعوبا ينادي بالويل فغدا علىٰ النصراني.

فقال له: ما الذي فعلت البارحة من الخير؟

قال: وكيف ذلك؟

فذكر له الرؤيا، ثم قال: بعني الجميل الذي فعلته مع الفقير بمائة ألف درهم.

فقال: لا أبيع ذلك بملء الأرض ذهبًا.

ثم قال ما أحسن معاملة هذا الرب أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وإن دينه هو الحق.

لا يلحقنَّك ضجرة من سائل ... فدوام عزك أن تُرَى مسئولاً

لا تصرفنَّ بالرد وجه مؤمل ... فلخير يومك أن ترى مأمولاً

واعلم بأنك عن قليل صائر ... خيرًا فكن خيرًا يروى جميلاً

يلقى الكريم فيستدل ببشره ... وترى العبوس علىٰ اللئيم ذليلاً

وما أحسن قول ذلك السائل وقد وقف علىٰ جمع رحمه الله: من جاد من يسره، أو آثر من قلة أو واسا من كفاف؟ فقالوا: لم يترك لأحد منا عذرًا.

مجلس في الجد في العمل وترك العجب به

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾[1] الآية.

روينا في الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ: كان يقوم حتىٰ تنفطر قدماه، فقيل له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[2].

وروينا في جامع الترمذي من حديث أنس مرفوعًا: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب»[3].

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك:

فالأولى: حكى أن عيسىٰ ﷺ مر هو ورجل من الحواريين بلصٍّ في قلعة له، ألقى الله في قلبه التوبة فقال لنفسه: هذا عيسىٰ روح الله، وهذا فلان حواريه وأنت يا شقي لص بني إسرائيل قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء.

ثم هبط إليهما تائبًا علىٰ ما كان منه، فلما لحقهما قال لنفسه تريدين أن تمشي معهما، لست لذلك أهلاً، بل خلفهما كالخاطئ المذنب.

فالتفت إليه الحواري[4] فعرفه فقال: انظر إلىٰ هذا الخبيث ومشيه خلفنا.

فاطلع الله علىٰ ما في قلبه من الندامة وتوبته، وازدراء الحواري به وتفضيله نفسه

---

(١) سورة التوبة [١٠٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، [٦] باب قيام النبي ﷺ، في أول الباب تعليقًا، عن عائشة. وقد رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة [١١٣٠] كتاب التهجد،[٦] باب قيام النبي ﷺ، وانظر رقم [٤٨٣٦، ٦٤٧١] ومسلم في صحيحه[٨١ ـ (٢٨٢٠)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، عن عائشة. وعن المغيرة في مسلم [٧٩ ـ (٢٨١٩)]، [٨٠] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٧٤٨)] كتاب التوبة، [٢] باب سقوط الذنوب بالاستغفار التوبة، والترمذي [٣٥٣٩] كتاب التوبة، باب في فضل التوبة والاستغفار، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٧١]، والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٢٣١].

(٤) الحواريُّ: الخالص المُنَقَّى من كل عيب، والصاحب والناصر، جمعها: حواريون، والحواريون في القرآن الكريم أنصار عيسىٰ ﷺ.

عليه وعجبه بها.

فأوحى الله إلىٰ عيسىٰ أن مُرْ الحواري واللص أن يستأنفا العمل جميعا، إن اللص قد غفرت له ما مضى لندامته.

وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه.

الثانية: قال أبو حازم إن العبد ليعمل الحسنة[(١)] تسره حتىٰ يعملها، وما خلق الله سيئة أضرَّ له، فإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حتىٰ يعملها، وما خلق الله من حسنه أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتحير فيها ويعجب نفسه ويرى أن له فضلاً علىٰ غيره، ولعل الله يحبطها ويحبط معها عملاً كثيرا.

وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله يحدث له بها وجلا فيلقي الله وإن خوفها لفي جوفه.

الثالثة: قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في علانية ليكون هذه بهذه أخرى.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أوحى الله تبارك وتعالى إلىٰ نبي من الأنبياء أنه ليس أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون علىٰ ما أحب فيتحولون إلىٰ ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلىٰ ما يكرهون، وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي علىٰ ما أكره فيتحولون من ذلك إلىٰ ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلىٰ ما يحبون.

الرابعة: قال أبو حازم لا يحسن أحد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ولا يعوز ما بينه وبين الله إلا أعوز الله ما بينه وبين العباد.

ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

الخامسة: قال يحيى جاء سائل إلىٰ ابن عمر فقال لإبنه أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه.

فقال لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت.

---

(١) رویٰ مسلم في صحيحه [٢٠٣ ـ (١٢٨)] كتاب الإيمان، [٥٩] باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا».

أتدري ممن يتقبل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

أخرى: وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ليس الخير أن يكثر مالك وتعظم دارك، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين:

رجل أذنب ذنوبًا فهو يدارك ذلك بتوبة.

أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

أخرى: وقال أبو حازم عجبًا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويدعون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة.

أخرى: وقال محمد بن إسحاق: قال أبو حازم إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أول كسادها فإنه لو جاء يوم نَفَاقِها لم يصلوا منها لا إلىٰ قليل ولا إلىٰ كثير.

السادسة: حكى أن بعض المرابطين بعسقلان قام ذات ليلة يريد التهجد علىٰ السطح فإذا هو بهاتف يقول: يا معشر العباد قسمت العبادة ثلاثة أجزاء أولها قيام الليل وثانيها: صيام النهار، وثالثها: الدعاء والاستغفار والتسبيح، وهذا خير القسمة، فخذوا منه بالحظ الأوفر فسقط العابد علىٰ وجهه لما دخله من الصوت.

السابعة: قال شقيق البلخي[٢]: طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس: طلبنا بركة القوت، فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط[٣] فوجدناه

---

(١) سورة المائدة [٢٧]. أي ممن اتقى الله في فعله ذلك، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الدرداء قال: لئن استيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها أن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] . وعنه بسنده عن معاذ بن جبل قال: "يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت: من المتقون ؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة فيمرون إلىٰ الجنة" . [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤، ٤٥)].

(٢) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي أسلم في حياة النبي ﷺ وكان من الأذكياء الحفاظ والأولياء العبَّاد، وكان ثقة كثير الحديث توفي سنة [٨٢]، [٩٩]، [١٠٠]، أخرج له أصحاب الكتب الستة. التقريب [١/ ٣٥٤]، التهذيب [٤ / ٣٦١].

(٣) مذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف علىٰ إثباته وهو جسر علىٰ متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف. [النووي في شرح مسلم [٣ / ١٩] طبعة دار الكتب العلمية].

في الصوم والصدقة.

الثامنة: روى عن بشر الحافي أنه قال: رأيت رجلا عشية عرفة عليه الوله وهو يبكي وينتحب انتحابًا شديدًا ويقول: سبحان من لو سجدنا بالعيون له علىٰ شباك الشوك، والمحمي من الإبر، لم نبلغ العُشر من مِعْشَار نعمته، ولا العُشَيْر ولا عُشْرًا من العُشر.

وقال أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زللي. وأنت يا مالكي بالغيب تدركني

كم أكشف الستر جهلاً عند معصيتي وأنت تلطف بي حلما وتسترني.

ثم غاب عني وحجب فلم أره، فسألت عنه فقيل لي هو أبو عبيد الخوَّاص، أحد الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلىٰ السماء، فقيل له في ذلك.

فقال: إني لأستحي أن أرفع إلىٰ المحسن وجهًا مسيئًا فواعجباه من مطيع يستحي ويتذلل مع إحسانه، ومن عاص لا يتذلل ولا يستحي من عصيانه.

التاسعة: عن بعض السلف أنه نام في وقت متوسدا، فأتاه آت في منامه فقال له: قل.

فقال: ما أقول؟ قال: قل.

يا خل إنك إن توسدت لينًا وسدت بعد الموت (صم)[1] الجندل

فاعمل لنفسك في حياتك صالحًا فلتندمنَّ من غد إذا لم تفعل

العاشرة: عن محمد بن السماك[2] قال: كان لي جار بالكوفة له ولد وله من قيام الليل وصيام النهار، وكان إذا جنه الليل يبكي وينشد:

لما رأيت الليل أقبل خاشعا بادرت نحو مؤانسي بنحيبي

أبكي فيقلقني إليه صبابتي وأبيت مسرورًا بقرب حبيبي

فإذا كان آخر الليل يبكي ويقول عند السحر

ذكرت في الليل إذا لاحت معالمه ما كان أنسى فيه لمولاي

ضمنت في القلب حبا قد كلفت به والله يعلم ما مكنون أحشائي.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) محمد بن السماك أبو العباس العطار البصري المذكر الكوفي، ويقال محمد بن صبيح بن السماك، أخرج له أحمد في المسند، قال محمد بن عبد الله بن نمير: حديثه ليس بشيء، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة [١٨٣]. تعجيل المنفعة [٩٣٩] الجرح والتعديل [٧/ ٢٩٠].

قال ابن السماك: وكان أبوه شيخا كبيرًا فسألني يومًا أن أكلم ولده يرفق بنفسه.

فبينما أنا ذات يوم جالس علىٰ باب داري، ومعي جماعة من أصحابي إذ مر الغلام فناديته: يا فتى إلينا، فأقبل فتأملته، فإذا هو قد صار كالشنِّ البالي لو هبت الريح لرمت به من شدة الضعف، فسلم وجلس، فقلت حبيبي: إن الله قد افترض عليك طاعة أبيك وطاعته، ونهاك عن معصيته كمعصيته.

وإن أباك قد أمرنا بأمر فتأذن لنا بالكلام فيه؟ فقال: يا عم لعلك تريد أن تأمرني بتقصير في العمل وترك المبادرة إلىٰ الله.

فقلت له: لا والله بدون هذا، يردك هذا الشأن الذي تطلب إن شاء الله.

فقال: هيهات إني بايعت علىٰ هذا الشأن فتية من الحي علىٰ السباق، فجروا واجتهدوا ودعوا فأجابوا ولم يبق غيري، وعملي يعرض عليهم كل يوم مرتين، فما يقولون إذا رأوا خللاً أو تقصيرا؟ ثم قال: يا عم إني بايعت علىٰ هذا الشأن فتية فجعلوا الليل لهم مطية.

فقطعوا بها عرض المفاوز وسموا بها ذري الشواهق وإذا أصبحوا نظرت إليهم قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصلت أعضاؤهم بخناجر التعب وخمص البطون من (السدا)[1].

لا يقر لهم قرار، ولا يجاورونٍ الأشرار، دُعُوا فأجابوا الملك الجبار.

قال ابن السماك: فتركنا والله في حيرة ومضى، وما كان إلا ثلاثة أيام حتىٰ قيل: مات الفتى ـ رحمة الله عليه.

الحادية عشر: عن بعضهم قال: سألت الله تعالى أن يريني مقامات أهل المقابر، فرأيت في منامي في ليلة من الليالي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت، وإذا منهم النائم علىٰ السندس، ومنهم النائم علىٰ الحرير والديباج، ومنهم النائم علىٰ الريحان، ومنهم النائم علىٰ السرر، ومنهم الضاحك ومنهم الباكي.

فقلت: يا رب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة قال: فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن[2]. وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) روى الترمذي في سننه [١٩٨٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

الصائمون وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون.

وأما أصحاب المراتب فهم المتحابون في الله تعالى.

الثانية عشرة: قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ـ رحمه الله ـ نمت ليلة في سياحتي علىٰ رابية من الأرض فجاءت السباع فطافت بي وأقامت حولي إلىٰ الصباح، فما وجدت أنسا وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي أنه قد حصل لي شيء من مقام الأنس بالله، فهبطت واديا هناك فيه طيور حجل[1] لم أرها، فلما أحست بي طارت في دفعة واحدة كلها، فخفق قلبي رعبًا فسمعت قائلا يقول: يا من كان البارحة يأنس بالسباع، مالك تفزع لخفقات الحجل، ولكنك البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك.

وقال أيضًا: جعت مرة ثمانين يومًا، فخطر أنه قد حصل لي نصيب من هذا الأمر، وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسناء وهي تقول: منحوس جاع ثمانين يوما فأخذ يُدِلُّ علىٰ الله بعمله فأنا لي ستة أشهر لم أذق طعامًا.

وقال أيضا: قلت يوما وأنا في مفازة في سياحتي: إلهي متى أكون لك عبدًا شكورًا.

فسمعت قائلا يقول إذا لم ترى منعما عليه غيرك فقلت: إلهي كيف لا أرى مُنْعَمًا عليه غيري وقد أنعمت علىٰ الأنبياء والعلماء والملوك.

فإذا قائل يقول: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما أمنت والكل نعمة مني عليك.

الثالثة عشرة: قال إبراهيم الخواص: دخلت البادية فأصابتني شدة فكابدتها وصابرتها.

فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب.

فنادتني عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك في البادية، فلم أكلمك لأني لم أرد أن أشغل سرك عنه، أخرج هذا الوسواس عنك.

الرابعة عشرة: قال أبو الحسن المزيِّن دخلت البادية علىٰ التجريد حافيًا حاسرًا، فخطر ببالي أنه ما دخل البادية في هذه السنة أحد أشد تجريدًا مني، فحدثني إنسان من ورائي وقال: يا حجام كم تمنيك نفسك بالأباطيل.

وأنشدوا:

---

(١) الحجل: طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم.

نظرت في الراحة الكبرى فلم أرها. فقال إلا على حسن من التعب.
والجد منها بعيد في تطلبها وقد تدرك بالتقصير واللعب.

الخامسة عشرة: قال أبو يزيد: جمعت فكري وأحضرت ضميري ومثلت نفسي واقفا بين يدي ربي فقال لي: يا أبا يزيد بأي شيء أحببتني؟.

قلت: يا رب بالزهد في الدنيا.

قال: إنما كان مقدار الدنيا عندي جناح بعوضه.

ففيما زهدت منها؟، قلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هذه الحالة جئت بالتوكل.

قال: يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك حين توكلت علي، فقلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هاتين الحالتين، جئتك بك أو قال بالإفتقار إليك، فقال: عند ذلك قبلناك. وأنشدوا:

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذي لم تعلموه
علم الهدى فسما إليه وطالب مطلبا لم تطلبوه
أجاب دعاءه لما دعاه وقام بحقه وأضعتموه.
بنفسي ذاك من ممدوح قرب وطاعم مطعم لم تطعموه

مجلس في السخاء

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[1] الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا قال: «قال الله عز وجل: (ابن آدم أنفق أنفق عليك)، وقال: يد الله ملأى سخاء لا يغيضها نفقة شيء الليل والنهار»[2] وقد تصدق الصديق بكل ماله، وعمر بالنصف.

وروى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب العجمي طعاما وفرقه علىٰ الفقراء.

ثم أخاط أكياسًا وجعلها تحت رأسه، ثم دعا الله فجاءه أصحاب الطعام يطلبون منه ثمنه، فأخرج حبيب تلك الأكياس فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم سواء فدفعها إليهم. وروى أنه أتاه سائل مرة، وقد عجنت امرأته عجينًا وذهبت تجيء بنار لتخبزه فقال للسائل: خذ العجين فأخذه فجاءت وقالت: أين هو؟، قال: ذهبوا به يخبزونه، فلما أكثرت عليه أخبرها بالقصة فقالت: سبحان الله إنه لا بد لنا من شيء نأكله فإذا برجل قد جاء بجفنه عظيمه مملوءة خبزًا ولحمًا.

فقالت له: ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

حكاية أخرى: حكى عن بعضهم أنه كان يتعبد في جبل ويؤتي برغيفين يأتيه بهما طائر أبيض، فجاءه مرة بهما فحضر سائل فأعطاه أحدهما، ثم جاءه آخر فأعطاه نصف الآخر.

ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغني عن هذا الفقير شيئًا ولا هذا النصف بالذي يكفيني ولشبع واحد خير من جوع اثنين، فدفع إليه النصف الآخر.

وبات طاويا، فأتي في منامه فقيل له: سل.

فقال: أسأل الله المغفرة، فقيل له: إن هذا شيء قد أُعْطِيتَه، فسل غيره، فقال:

---

(١) سورة البقرة [٢٧٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦ / ٩٢، ٩ / ١٥٠] ومسلم في صحيحه [٣٦ـ (٩٩٣)] كتاب الزكاة [١١] باب الحث علىٰ النفقة وتبشير المنفق بالخلق. والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢] والخرائطي في مكارم الأخلاق [٥٦].

أسأل أن يغاث الناس وكان عام جدب، فأغيثوا ببركته وبركة دعائه.

حكاية ثالثة: قال ابن مسروق (اخترت)[1] أنا وأبو نصر المحب بالكوخ وعليه إزار له قيمة، وإذا بسائل يقول: شفيعي إليكم رسول الله، فشق أبو نصر إزاره ودفع له نصفه، ثم قال: هذا بخيل، فأعطاه الباقي.

حكاية رابعة: عن سلمة بن سلمان قال: جاء رجل إلىٰ ابن المبارك[2] وسأله أن يقضي عنه ديناً فكتب عبد الله إلىٰ وكيله فقال له الوكيل: كم عليك؟ قال سبعمائة درهم.

فكتبت له بسبعة آلاف، وكتب إلىٰ عبد الله بذلك وأخبره أن الغلال فنيت، فكتب إليه عبد الله إن كانت فنيت فإن العمر أيضا قد فنى، فادفع له ما سبق قلمى به.

خامسا: قال الوليد بن يسار: جاءت امرأة إلىٰ حسان بن أبي سنان فسألته شيئا فقال حسان لشريكه: زن لها درهمين، فوزن لها مائتين، فعتب في ذلك فقال: إني رأيتها شابة وخشيت أن تحملها الحاجة علىٰ ما لا ينبغي، فكرهت ذلك.

سادسة: عن حبيب العجمي أنه اشترى نفسه من الله أربع مرات بأربعين ألف درهم، فأخرج عشرة آلاف وقال: يا رب اشتريت منك نفسي بهذه، ثم أخرج مثلها وقال: إلهي إن كنت قبلت الثالثة[3] فهذه شكرها.

سابعة: عن مالك بن أنس قال: كتبت إلىٰ الليث بن سعد أسأله في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأرسل إلينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا، وبعنا الفضلة بألف دينار.

ثامنة: عن شقيق قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر رجل فقال: إبراهيم أليس هذا فلان؟.

قيل له: نعم، فقال لرجل عنده أدركه وقل له: لم لا تُسلِّم؟. فقال له: قال إن امرأته وضعت وليس عنده شيء، فخرج شبه المجنون قال: فأخبرت إبراهيم فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف غفلنا عن صاحبنا حتىٰ نزل به هذا الأمر؟

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي التميمي مولاهم المروزي، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [١٨١]. [التقريب (١/ ٤٤٥)].

(٣) كذا بالأصل وأظنها: إن كنت قبلت الأولى فهذه شكرها ثم أخرج الثالثة وقال في الرابعة إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكرها.

ثم قال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستلف منه دينارين واشترى ما يصلحه بدينار، وأعطه الآخر، فاشتريت بالدينار من كل شيء، وأوقفت البعير ودفعت ما فيه لأهله وكان غائبًا والدينار الآخر، فقالت: علىٰ يدي من بُعِثَ هذا؟

قلت: علىٰ يد أخيه إبراهيم بن أدهم، فرفعت طرفها إلىٰ السماء، وقالت: اللهم لا تنساها له.

تاسعة: عن بعض الصالحين قال: دخلت مسجدا لأصلي فيه، فإذا فيه رجل عابد، ورجل من التجار جالس قال: فسمعت العابد يقول يا سيدي ومولاي اشتهى عليك اليوم من الطعام لون كذا وكذا، ولون كذا وكذا من الحلوى.

فقال التاجر: والله لو سألني لأعطيته، ولكن هذا يحتال عليَّ ويُرائى حتىٰ أُعطيه، والله لا أعطيه شيئًا.

فلما فرغ من دعائه نام في ناحية من المسجد، وإذا برجل قد دخل ومعه قعبة مغطاة، فنظر يمينا وشمالا فرأى العابد نائما فأيقظه وترك القعبة بين يديه والتاجر ينظر إليه، فوجد اللون الذي اشتهاه من الطعام والحلوى، فأكل منه قدر شهوته، وغطى القعبة وردها.

فقال التاجر للذي جاء بها سألتك بالله هل تعرف هذا الرجل قبل اليوم؟ قال: لا والله ما أعرفه، وإنما أنا رجل حمال، وكنت قد اشتهيت علىٰ زوجتي وابني هذا اللون منذ سنة، فما طالت يدي إليه، وكان اليوم حملت لرجل فأعطاني مثقالين من الذهب فاشتريت به لحما وغيره، وأتيت به إلىٰ منزلي فصنعته زوجتي فغلبتني عيني فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ فقال: قدم اليوم عليكم ولي من أولياء الله، وهو في المسجد، وقد اشتهى ما عملته زوجتك، فأحمله إليه يأكل منه شهوته، ويجعل الله لك البركة فيما بقى وأنا الكفيل لك بالجنة.

فانتبهت وجئت به كما ترى.

فقال التاجر: قد سمعته يسأل الله ذلك.

ثم قال له: كم أنفقت علىٰ هذا الطعام؟

قال: مثقالاً، فقال التاجر: خذ مني عشرة مثاقيل فاجعل لي في أجرك قيراطا.

قال: لا، قال خذ عشرين، قال: لا، قال: خذ خمسين، قال: لا، قال: خذ مائة، قال: لا والله ما بعت شيئًا مما ضمنه لي رسول الله وتكفله، ولو أُعْطِيتُ الدنيا جميعًا.

فلو كان لك نصيب من أجر شهوة هذا الولي لكنت سبقتني أنت إليه، ولكن يختص من يشاء قال: فندم التاجر حيث لا ينفعه الندم، وخرج من المسجد نادمًا علىٰ ما فاته.

عاشرة: قال بعض الصالحين: كان لي صديق ابتلى بالجذام حتىٰ ذهبت يداه ورجلاه وعيناه، فأتيت به المجذومين وجعلته معهم، وكنت أتعاهده فغفلت عنه أيامًا ثم انتبهت وقلت: إني قد غفلت عنك.

فقال: إن لي من لا يغفل عني.

فقلت: والله ما ذكرتك.

فقال: إن لي من يذكرني، ثم قال: إليك عني فقد شغلتني عن ذكر الله، فلبثت أيامًا ثم جئت إليه فوجدته قد توفي، فأخرجت كفنًا فيه طول، فقطعت ما فضل عنه وكفنته ودفنته فرأيت في منامي رجلاً وقف عليَّ لم أر أحسن منه صورة.

ثم قال: بخلت علينا بكفن طويل، دونك وكفنك قد رددناه عليك.

وقد كفناه في السندس والإستبرق قال: فاستيقظت وإذا بالكفن عند رأسي، وأنشدوا:

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأقسام رزقا مقدرا ... فقلة سعى المرء في الرزق أجمل
وإن كانت الأجساد للموت أنشئت ... فقتل امرء بالسيف في الله أفضل
وإن كان الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

مجلس في بر الوالدين وصلة الرحم

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] الآية.

فقضى الله تعالى بالوالدين إحسانا في سلك توحيده مفصلاً ما ينبغي معاملتهما به، وأن يبلغا أو أحدهما عند ولدهما الكبر من الوظائف العشر التي هي كف الأذى بنحو قوله لهما أف، واحتماله ولا ينهرهما فليس إلا قولاً كريمًا، وخفض الجناح لهما تواضعًا وتذللاً ورحمة ورقة وحنانا، أو الدعاء لهما يدا بالعجز عن مكافأتهما، والاعتراف بمكافأتهما بنحو ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وإضمار حبهما وتعظيمهما والنصح لهما، ولعله المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾[*]. وتدارك مما ربما وقع بغير اختيار من هفوة بالندم والاعتذار والاستغفار، وتلا في ذلك بالإحسان كما هو جلي من قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[*].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله[2]: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: ٣٦] فأمر الله تعالى بالوالدين إحسانا، وبذي القربى إلىٰ آخره.

---

(١) سورة الإسراء [٢٣]. يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد: " وقضى " يعني وصى وكذا قرأ أُبَيُّ بن كعب وابن مسعود والضحاك ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه " ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾. تفسير ابن كثير [٣ / ٣٥].

(*) سورة الإسراء [٢٥] قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلىٰ أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ [الإسرَاء: ٢٥] وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسرَاء: ٢٥] قال قتادة: للمطيعين أهل الصلاة، وعن ابن عباس المسبحين. وفي رواية عنه المطيعين المحسنين، وقال بعضهم هم الذين يصلون العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى، وقال شعبة عن يحيى ابن سعيد بن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسرَاء: ٢٥] قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون. [تفسير ابن كثير (٣ / ٣٦)].

(٢) سورة النساء [٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾(١) أي أن تقطع.

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾(٢).

قلت: ووعدهم بنحو ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾(٤).

قلت: فأعظم به من موص لا ترد وصيته.

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾(٥).

وفيه تكرير الوصية معقبًا بذكر ما يكلف الوالد للولد، وتحمل من أجله وبإيجاب الشكر لله تعالى لهما.

وروينا في الصحيحين(٦) من حديث عبد الله بن مسعود سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «الصلاة علىٰ وقتها».

قلت: ثم أي؟، قال: « بر الوالدين »، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله ».

ففيه أن بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيله وفضل الجهاد لا ينحصر، فما أعلاها من رتبة. وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»(٧).

ففيه أن الأبوة منزلة لا يجزيها الولد إلا أن يخرج الأب من رتبة الرق إلىٰ كمال الحرية، الوجود بعد العدم، إذ منافعه لغيره وتصرفه مسلوب فوجوده لغيره.

وروينا في الصحيحين من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،

---

(١) سورة النساء [١].

(٢) سورة الرعد [٢١].

(٣) سورة الرعد [٢٢].

(٤) سورة العنكبوت [٨].

(٥) سورة لقمان [١٤].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٨٢] كتاب الجهاد والسير، [١] باب فضل الجهاد والسير، ومسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٨٥)] كتاب الإيمان، [٣٦] باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. وأحمد في مسنده [١ / ٤١٠، ٤٣٩].

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥] كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، وأبو داود في سننه [٥١٣٧]، والترمذي [١٩٠٦] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الوالدين، وابن ماجه في سننه [٣٦٥٩] كتاب الأدب، باب بر الوالدين، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٨٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ١٧٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٥١].

فليقل خيرا أو ليصمت»[(١)]. فأهل البر والصلة هم المؤمنون بالله واليوم الآخر.

وروينا فيهما من حديثه أيضًا مرفوعًا: «إن الله تعالى خلق الخلق حتىٰ إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟

قالت: بلى يا رب، قال: فذاك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢][(٢)] الآية.

وفي رواية البخاري: «فقال الله تعالىٰ: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»[(٣)].

فبخاصة الصلة صلة الرب تعالى، فيا سعادة من حصلت له وأربح معاملته.

وروينا فيهما من حديثه أيضًا قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ قال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: «أمك»، قال ثم من؟، قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»[(٤)].

وفي رواية: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك ثم أدناك أدناك»[(٥)]. والصحابة بمعنى الصحبة، وقوله ثم أباك هكذا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ ـ (٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي [١٩٦٧] كتاب البر والصلة باب ما جاء في الضيافة كم هو، وابن ماجه في سننه [١٩٧١] والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٧] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٥٥٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٥٦] والحاكم في المستدرك [٢/ ٢٥٤]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٣٨].

(٣) البخاري في صحيحه [٥٩٨٨] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧١] كتاب الأدب، [٢] باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم في صحيحه [١ـ(٢٥٤٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهم أحق به. والترمذي [١٨٩٧]، وابن ماجه في سننه [٣٦٥٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٧٩]، والحاكم [٤ / ١٥٠].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٥٤٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

هو منصوب بفعل محذوف، أي ثم بر أباك.

وفي رواية: « ثم أبوك » وهذا أوضح.

وفيه أن الأحق بالبر أُمُّ الإنسان، ثم أبوه بعدها ثم الأدنى بعده.

وروينا في صحيح مسلم عنه أيضا: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من؟ يا رسول الله.

قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»(١).

قلت: فما أشد حسرته وخسرانه، ولا له من أحد رحمة لعامة تفريطه وشدة مهانته وتهاونه.

وروينا عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي.

فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت علىٰ ذلك»(٢).

وتسفهم: بضم التاء وكسر السين المهملة، وتشديد الفاء، والمَلّ: بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرماد الحار من الألم، فلا شيء علىٰ المحسن إليهم لكن ينالهما إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه.

وفيه أن من وصلته رحمة فقطعها كأنما يسفُّ المَلَّ وهو أشد غبنًا وحرقة من الذي قبله.

وفيه بيان أنواع من العلة وهي الصلة والإحسان والحلم.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعًا: «من أحب أن يُبسط في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩- (٢٥٥١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣] باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة. والترمذي [٣٥٤٥]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٤، ٣٤٦]، وأحمد في مسنده [٤ / ٣٤٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/١٥٨]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٠٧، ٥٠٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢ - (٢٥٥٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٠]، قال النووي: الملّ: بفتح الميم الرماد الحار، وتُسِفُّهم بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء، والدافع لأذاهم وقوله أحلم عنهم بضم اللام، ويجهلون أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ٩٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٦] كتاب الأدب، [١٢] باب من بسط له في الرزق بصلة

ومعنى: يُنسأ له في أثره: يؤخر له في أجله وعمره.

ففيه فوائد عاجلة وهو بسط الرزق وإطالة العمر.

وروينا فيهما عنه: كان أبو طلحة أكثر الأنصار مالاً... الحديث بطوله كما سبق في باب الإنفاق مما يجب.

وفيه أن الذي يرجي بره وذخره عند الله جدير أن يوضع في الآخرين، ويوضحه الحديث الذي بعده، فإن فيه الفائدة الآجلة.

وروينا في الصحيحين(١) والسياق لمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: أقبل رجل إلىٰ نبي الله ﷺ فقال: أبايعك علىٰ الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حيٌّ؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجر من الله؟»، قال: نعم، قال: «فارجع إلىٰ والديك فأحسن صحبتهما».

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد.

فقال: «أحيٌّ والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»(٢).

وروينا في صحيح البخاري(٣) عنه مرفوعًا: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها». وقطعت: بفتح القاف والطاء، رحمه مرفوع، وفيه نفي من يقول: لو وصلوني وصلتهم إلىٰ وصل القاطعين، وهو الصلة الحقيقية وغيره مكافأة.

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة مرفوعًا: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»(٤).

= الرحم، ومسلم في صحيحه [٢١ ـ (٢٥٥٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٢٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٣٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٢] كتاب الأدب، [٣] باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، ومسلم في صحيحه [٦ ـ (٢٥٤٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به والنسائي [٧/ ١٤١، ١٤٥]، وأحمد في مسنده [٤ / ٢٢٣] والحاكم [٣/ ٤٢٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٥٤٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩١] كتاب الأدب، [١٥] باب ليس الواصل بالمكافئ. وأبو داود في سننه [١٦٩٧]، والترمذي [١٩٠٨]، وأحمد في مسنده [٤/ ١٦٣، ١٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٤٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٩] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله. ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٥٥٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم =

وفيه ما يشعر بأن الصلة أرجح من صنائع المعروف؛ لأن الرحم معلقة بالعرش، وأي قرب هكذا، ثم هي علىٰ مرِّ الأنفاس بقول: «من وصلني وصله الله» وأي دعاء أجمع من هذا أو يسمع له ويستجاب مثله وهل في معروف آخر هكذا.

وروينا في الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين أنها قالت: أعتقت وليدتي فقال: «أوفعلت؟». قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»[١]. وهو ظاهر في أن صلة الأخوال والأخوات أعظم أجرًا من العتق العظيم أجره.

وروينا فيهما من حديث أسماء بنت الصديق قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم، صلي أمك»[٢]. معنى راغبة: طامعة فيما عندي تسألني شيئًا، وهي أمها من النسب علىٰ الأصح، وقيل: من الرضاعة. وفيه أن كفر الأرحام ليس بمانع من برِّهم وصلتهم. وفيهما من حديث الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء[٣]، ولو من حليكن». قالت: فرجعت إلىٰ عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان كاف ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلىٰ غيركم، قالت: فقال لي

= قطيعتها. وابن حبان في صحيحه [٢٠٣٤ ـ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/٣٤٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣١١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٢) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [١٥] باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج، فهو جائز إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز، ومسلم في صحيحه [٤٤ . (٩٩٩)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٠) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها،[٢٩] باب الهدية للمشركين، ورقم (٣١٨٣) كتاب الجزية والموادعة [١٨] باب حدثنا عبدان . . . . ، وانظر أرقام (٥٩٧٨، ٥٩٧٩) . ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٠٠٣)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين . وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤) . وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٣٢، ١٩٤٣٠) . والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٢).

(٣) قال النووي : فيه أمر ولي الأمر رعيته بالصدقة وفعال الخير وعظة النساء إذا لم يترتب عليه فتنة، والمعشر الجماعة الذين صفتهم واحدة . وقوله ﷺ : «ولو من حليكن» هو بفتح الحاء وإسكان اللام، مفرد، وأما الجمع فيقال بضم الحاء وكسرها، واللام مكسورة فيهما، والياء مشددة . (النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٥، ٧٦) طبعة دار الكتب العلمية .

عبد الله: بل ائتيه أنت[١]. قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة. قالت فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصدقة عنهما علىٰ أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن[٢]. قالت: فدخل بلال علىٰ رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟» فقال إمرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله. فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة»[٣]. وفيه أن أجر التصدق ليس بمانع من الصلة بالصدقة حتىٰ يتوقف عنها في أولي الأرحام.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعًا: «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما» وفي لفظ: ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلىٰ أهلها» أو قال: «ذمة وصهرا»[٤]. ومعنىٰ الرحم الذي لهم كون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم. والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم، ففيه أن محل الصلة كل رحم قرب أو بعد[٥]،

(١) هي زينب بنت معاوية، ويقال: زينب بنت عبد الله بن أبي معاوية الثقفية، زوج عبد الله بن مسعود، صحابية ولها رواية عن زوجها. أخرج لها أصحاب الكتب الستة، ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٢)، والتقريب (٢/ ٦٠٠)، الثقات (٣/ ١٤٥)، أسد الغابة (٧/ ١٣٤)، الإصابة (٧/ ٦٨١)، أعلام النساء (٢/ ١١٥).

(٢) قال النووي: قولهما: "ولا تخبر من نحن" ثم أخبر بهما، قد يقال: إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر، وجوابه أنه عارض ذلك جواب رسول الله ﷺ وجوابه ﷺ واجب محتم لايجوز تأخيره، ولا يقدم عليه غيره. وقد تقرر أنه إذا تعارضت المصالح بدئ بأهمها. (النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٦٦)، كتاب الزكاة [٥٠] باب الزكاة علىٰ الزوج والأيتام في الحجر. ومسلم في صحيحه [٤٥ . (١٠٠٠)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين. والنسائي (٥/ ٩٣ . المجتبى). وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٦، ٢/ ٣٧٣، ٣/ ٥٠٢). وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١١٠، ١١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٦ . (٢٥٤٣)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٦] باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ١٠٢، ٣/ ١٢٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢١٩).

(٥) قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم، وفيه معجزات ظاهرة لرسول =

فلا أبلغ من وصيته ﷺ بأهل إقليم كثير من أجل أن أم جده الأعلى إسماعيل الذبيح ﷺ منهم، وهو الرحم، والصهر سلف. وما أشد صلة من يصل هذه الأرحام البعيدة الكبيرة جدًا.

وروينا في الصحيحين[١] من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنهما حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم؟. يعني النبي ﷺ قال: فقلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة[٢] قلت: لأنها كمال ومعروف في كل عقل وكل ملة.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: " لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[٣] دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحما سأبُلُّها[٤] ببلالها» "[٥] ومعناه سأصلها، شبَّه

= الله ﷺ ؛ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة، ووقع كل ذلك ولله الحمد . (النووي في شرح مسلم (١٦/ ٧٨، ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية) .

(١) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧) كتاب بدء الوحي، [٦] باب في فاتحته، ومسلم في صحيحه [٧٤ . (١٧٧٣)] كتاب الجهاد والسير [٢٦] باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام .

(٢) قوله : "قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف " : أما الصلة فصلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل، وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة، وأما العفاف : الكف عن المحارم وخوارم المروءة ؛ قال صاحب المحكم : العفة : الكف عما لا يحل ولا يحمل، يقال : عف يعف عفةً وعفافاً وعفافةً وتعففاً، واستعفَّ، ورجل عفٌّ وعفيف، وأنثى عفيفة، وجمع العفيف : أعفة وأعفاء . (النووي في شرح مسلم (١٢/ ٩١) طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) سورة الشعراء (٢١٤) .

(٤) قوله ﷺ : «غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها» ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها وهما وجهان مشهوران، ذكرهما جماعات من العلماء،قال القاضي عياض : رويناه بكسر الباء وفتحها ؛ من بله يبله، والبلال الماء. ومعنىٰ الحديث : سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه بلوا أرحامكم : أي صلوها . (النووي في شرح مسلم (٣/ ٦٨) طبعة دار الكتب العلمية) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤٨ . (٢٠٤)] كتاب الإيمان [٨٩] باب في قوله تعالىٰ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ =

قطعها بالحرارة تطفئ بالماء فتبرد بالصلة، وهذا بمباشرته عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وروينا في الصحيحين ـ واللفظ للبخاري ـ من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: «إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما وَلِيِّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحمًا أبلها ببلالها»[1] وفيه نفى وَهْم من يرى صلة رحم فيعتقدها محبة وولاء فيتولاها ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المُمتَحنَة: ٩] ، فالكافر والفاجر ونحوهم محل للصلة لا للتولي والمودة.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي أيوب خالد بن زيد أن رجلا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فقال ﷺ: «تعبُد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[2] ففيه أن صلة الرحم تُدخل الجنة.

وروينا في جامع الترمذي مصححًا من حديث سلمان بن عامر مرفوعًا: «إذا أفطر أحدكم فليفطر علىٰ تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فالماء؛ فإنه طهور». وقال: «الصدقة علىٰ المسكين صدقة، وهي علىٰ ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»[3] وفيه المضاعفة في ثواب الصدقة لأنها صدقة وصلة، وكما سلف في الحديث السالف لها

= ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٥، ٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٠) كتاب الأدب [١٤] باب يبل الرحم ببلالها، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٣)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩١٤)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٢٥٨)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٤٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٦) كتاب الزكاة [١] باب وجوب الزكاة، ومسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٣)] كتاب الإيمان [٤] باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة . وقال النووي : قوله ﷺ : «وتصل الرحم» أي تحسن إلىٰ أقاربك ذوي رحمك بما تيسر علىٰ حسب حالك وحالهم من إنفاق أو سلام أو زيارة، او طاعتهم، أو غير ذلك . (النووي في شرح مسلم (١/ ١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٥٨) كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة علىٰ ذي القرابة، وقد أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٥) كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، وابن ماجه في سننه (١٦٩٩) كتاب الصيام، باب ما جاء علىٰ ما يستحب الفطر . والنسائي في قوله : «الصدقة علىٰ المسكين صدقة» في كتاب الزكاة، باب الصدقة علىٰ الأقارب، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٣٤) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٨٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٠٧) .

أجران؛ أجر القرابة، وأجر الصدقة.

وروينا في سنن أبي داود وجامع الترمذي(١). وقال: حسن صحيح. من حديث ابن عمر قال: " كان تحتي امرأة وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها. فأبيت، فأتىٰ عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «طلقها» ". قلت: فقوله له في محبوبته: طلقها. لإرضاء أبيه.

وروينا في جامع الترمذي(٢) مصححًا من حديث أبي الدرداء أن رجلا آتاه فقال: إن لي امرأة، وإن أمي تأمرني بطلاقها. قال أبو الدرداء: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» ".

وروينا فيه مصححًا من حديث البراء بن عازب مرفوعًا: «الخالة بمنزلة الأم»(٣) وهو دال علىٰ تقارب مراتب الرحم. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها: حديث أصحاب الغار، وحديث جريج، وسيأتيان. وفي الأول استجابة دعاء من برَّ والديه حتىٰ انفرجت بهم صخرة(٤)، وفي الثاني أنطق الله ابن الراعي ببراءته لبركة عمارة باطنه بالبرِّ. ومن أهمهما حديث عمرو بن عبسة الطويل المشتمل علىٰ جمل كثيرة من قواعد الإسلام وآدابه، وسيأتي في باب الرجاء، وفيه قال: " دخلت

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٣٨) كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، والترمذي في سننه (١١٨٩) كتاب الزكاة، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته، وابن ماجه في سننه (٢٠٨٨) كتاب الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه أن يطلق امرأته، والنسائي في سننه (٦/ ٦٧ ـ ١٧٠. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣، ٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٤، ١٥٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥٩، ٢٠٢٤. الموارد).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، وابن ماجه في سننه (٢٠٨٩، ٣٦٦٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦، ٦/ ٤٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٣)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩٩) كتاب الصلح، [٦] باب كيف يكتب: " هذا ما صالح فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان " ولم ينسب إلى قبيلته أو نسبه، وأبو داود في سننه (٢٢٨٠)، والترمذي في سننه (١٩٠٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الخالة، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٧٣).

(٤) حديث الغار الشهير قال النووي ؛ استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالىٰ به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم، وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم.. (النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية).

علىٰ رسول اللهﷺ بمكة ـ يعني في أول النبوة ـ فقلت له: ما أنت؟[١] قال: «نبي». قلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله». قلت: بأي شيء؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسْر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله لا يُشرك به شيء» "[٢]وذكر تمام الحديث، وناهيك بهذا. وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة البِرِّ ومنزلة الأبوة وبيان أهل البر والصلة وخاصتهما ونتائجهما وما يُرغِّب فيها ويغري بها وأحق الناس وشدَّة عين من قوَّمها، ولاسيما إن وصلته رحمه، وأنواع من الصلة وفائدتها ونفعها إن عاجلا وآجلا والتنبيه علىٰ ما يظن أنه صلة وليس كذلك، وأرجحية الصلة علىٰ كل صدقة ومعروف وما يظن مانعا منها ككفر أو قصد تصدق وليس مانعا، وعظيم موقعها عند العقلاء ومحلها، وما يظن أنه ليس بصلة، وأنها من أسباب دخول الجنة مضاعفة الصدقة، وتأكيد إيثار الرحم علىٰ حفظ النفس، وتفاوت مراتب الرحم، واستجابة دعاء الباب الوصول، وخرق العادة لمن يعرض علىٰ البر وهو من قصده، وأنه الرسالة الإلهية وناهيك بذلك.

وحكي أن الله ـ سبحانه ـ أوحىٰ إلىٰ سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلىٰ ساحل البحر تنظر عجبا، فخرج ومن معه من الجن والإنس، فلما وصل إلىٰ الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئًا، فقال لعفريت معه: غُص هذا البحر ثم ائتني بعلم ما تجده. فغاصه ثم رجع بعد ساعة فقال: يا نبي الله، إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلىٰ قعره ولا نظرت فيه شيئًا. ثم أمر آخر بذلك فأخبره بمثل ما أخبر الأول وغاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخياء ـ وهو وزيره، وهو المعني بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٣]: ائتني بعلم هذا البحر.

---

(١) قوله: " فقلت له ما أنت " قال النووي: إنما قال: ما أنت، ولم يقل: من أنت؛ لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته، والصفات مما لا يعقل. قولهﷺ: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان،وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» هذا فيه دلالة ظاهرة علىٰ الحث علىٰ صلة الأرحام؛ لأن النبيﷺ قرنها بالتوحيد ولم يذكر له حزبات الأمور، وأنما ذكر مهمها وبدأ بالصلة. (النووي في شرح مسلم (٦/ ١٠١) طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩٤ .(٨٣٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها،[٥٢] باب إسلام عمرو بن عنبسة، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥٤، ٦/ ٣٦٩).

(٣) سورة النمل (٤٠). قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنا من الإنس واسمه أسطوم، وقال قتادة في رواية عنه: كان اسمه بليخا، وقال زهير بن محمد: هو رجل من الإنس يقال له ذو النور، وقال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الزهري: قال يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحداًلا إله إلا أنت ائتني بعرشها. (تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦).

فغاص وجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب: باب من دُرٍّ وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد، والأبواب كلها مفتَّحة ولا يدخل فيها قطرة من الماء، وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلَّم علىٰ الشاب وقال له: ما أنزلك في قعر هذا البحر؟!

قال: يا نبي الله، أبي كان رجلا مقعدا، وكانت أمي عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت أمي الوفاة قالت: اللهم أطل عمر ابني في طاعتك. ولما حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ابني في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فيه. فخرجت إلىٰ هذا الساحل بعدما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة فاحتملها وأنزلت في قعر هذا البحر. قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل. فنظر سليمان في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة، وإذا هو شاب لا شيب في لحيته، فقال له سليمان: ما طعامك وما شرابك داخل هذا البحر؟ قال: يا نبي الله، يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كل شيء من نعيم الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة. فقال له سليمان: تحب أن تقف معنا أو نَرُدَّك إلىٰ موضعك؟ فقال: رُدَّني يا نبي الله. فأمر بردِّه مكانه فرده آصف، ثم قال لمن حوله: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين، فأحذركم العقوق. حكاية ثانية عن الأصمعي[1] قال: مات ابن لأعرابية، فما زالت تبكي حتىٰ خدت الدموع في خدها، ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إنك تعلم فرط حنو الوالدين علىٰ ولدهما فلذلك لم تأمرهما ببرهم، وعظمت وزْر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك أمرته ببرِّهما وألزمته طاعتهما، وقد كان ولدي هذا بارا بوالديه فما يكون بر والدين بولدهما، فأخبره عني بذلك صلة ومغفرة ولذّة سرورا ونضرة. فغفر الله له ورحمه بدعاء أمه.

ثالثة: قال بلال الخواص: كنت في تيه بني إسرائيل، وإذا أنا برجل يماشيني فعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر[2]، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك

---

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطهر بن رباح بن عمرو، أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري، صدوق سني، أخرج له مسلم في المقدمة وأبو داود والترمذي، توفي سنة (٢١٣، ٢١٦، ٢١٠). «التهذيب (٦/ ٤١٥)، التقريب ١/ ٥٢١».

(٢) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح =

الخضر. قلت: أريد أسألك. فقال: سلْ. قلت: ما تقول في الشافعي؟ فقال: صديق. فقلت: بشر. قال: لم يخلق بعده مثله. فقلت له: بأي وسيلة رأيتك؟ قال ببرِّك لأمك. شعر:

ببر الوالدين أصبت خيرًا ... وصيرني الإله له وليّا

وبوأني[1] به جنات عدن ... وفي الفردوس مشترفا عليّا

وقربني إليه واصطفاني ... وأهدى منه لي لُطفا خفيّا

فلازم برَّهم واحذر تُهنهم ... فطاوع أمرهم ما دمت حيّا

آخره، ولله الحمد.

= والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، (النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية).

(١) بوأ فلانا منزلاً، وفيه: أنزله، والمنزل له أعده، وتبوأ المكان، وبه: نزله وأقام به. وأباء فلانا منزلاً: هيأه له وأنزله.

مجلس من إكرام الضيف

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾[(١)]. ومنها: النوع النفعي، وقد اشتملت علىٰ وجوه من الإكرام. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾[(٢)]. ومنها: النوع الرفقي. فكرم الضيفان من السادات وعادات السادات.

وروينا في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[(٣)]. وفيه الحث علىٰ إكرامه والإلزام بحقوقه وإبراره.

وروينا من حديث أبي شريح خويلد بن عمرو مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»[(٤)]. أخرجاه. وفي رواية: «لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتىٰ يؤثمه[(٥)]». قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به، فأقلها يوم وأكثرها ثلاث وما زاد صدقة»[(٦)]. فليحذر ذلك الضيف. وورد من حديث علي قال: " أضافنا رسول

---

(١) سورة الذاريات (٢٤). أي الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. (تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٥)».

(٢) سورة هود (٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١٨) كتاب الأدب [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه [٧٤. (٤٧)] كتاب الإيمان [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، والترمذي في سننه (٢٥٠٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٥٠]، وابن ماجه (٣٩٧١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٦، ٧/ ٣٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٣٥) كتاب الأدب، [٨٥] باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ورقم (٦٤٧٦) كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان، ومسلم في صحيحه [١٤. (٤٨)] كتاب اللقطة، [٣] باب الضيافة ونحوها.

(٥) قوله ﷺ: «ولا يحل له أن يقيم عنده حتىٰ يؤثمه» معناه: لا يحل أن يقيم عنده بعد الثلاث حتىٰ يوقعه في الإثم؛ لأنه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به ما لا يجوز. (النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٨) طبعة دار الكتب العلمية).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥. (٤٨)] كتاب اللقطة، [٣] باب الضيافة ونحوها، وأبو داود =

الله ﷺ علىٰ الأسودين؛ الماء والتمر، وقال: «من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف اثنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الخمس جماعة من أول يوم خلق الله الخلق، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة أُغلقت عنه أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كُتبت له حسنات بعدد من عصا من أول يوم خلق الله الخلق إلىٰ يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلىٰ يوم القيامة»[1] وحكي عن محمد بن سلمان قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف علىٰ الطريق وهو يُمجِّد ربه بأبيات من الشعر، يقول:

مليك في السما فيه افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه وسلمت عليه فقال: ما أنا برَادٍّ عليك السلام حتىٰ تؤدي من حقي الذي يجب عليك. قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام علىٰ مذهب الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا أتغدى ولا أتعشى حتىٰ أسير الميل والميلين في طلب الضيف. فأجبته إلىٰ سؤاله فرحب بي وسرت معه حتىٰ قرُبنا من خيمة شعر، فلما قربنا منها صاح: يا أختاه. فأجابته جارية من الخيمة: لبيك يا أخي. قال: قومي إلىٰ ضيفنا. قالت: حتىٰ أبدأ بشكر المولى الرب الذي سبب لنا هذا الضيف. فقامت وصلت ركعتين شكرًا لله، فأدخلني الغلام الخيمة ونامت الصبية داخل الخيمة، فكنت أسمع دوّي القرآن الليل كله بأحسن صوت وأرزنه، فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من كان البارحة؟ قال: تلك أختي تُحيي الليل كله إلىٰ الصباح. فقلت له: يا غلام، أنت أحق بهذا العمل من أختك. فتبسم وقال: صدقت، ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول؟

حكاية ثانية: عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال: سمعت بامرأة صالحة في بعض القرى قد اشتهر أمرها، وكان دأبنا أن لا نزور امرأة، فدعت الحاجة إلىٰ زيارتها للاطلاع علىٰ كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بالغضية، فنزلنا القرية التي هي بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا، فاشترينا قدحًا جديدًا لم يوضع فيه شيء،

= (٣٧٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه (١١٤٣، ٢٠٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٦) .

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٥٩٧٥) .

فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها: نريد أن يظهر لنا ما في هذه الشاة. فأُعطيناها فحلبناها في القدح وشربنا، وإذا هو لبن وعسل، فسألناها عن قصة الشاة فقالت: كانت لنا شويهة ونحن قوم ضعفاء فقراء ولم يكن لنا شيء، فحضرنا العيد فقال لي زوجي - وكان صالحا: نذبح الشاة في هذا اليوم. فقلت له: لا تفعل؛ فإنه رخص لنا، والله يعلم حاجتنا إليها. فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم شخص وقد أُمرنا بإكرامه، فأخذ الشاة فذبحها وأراق دمها، وإذا بشاة نزلت إلىٰ البيت فأخبرته وقال: لعل الله أن يكون أبدلنا خيرًا منها. فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف.

ثالثة: عن الشيخ أبي محمد الجريري قال: حضرني باز أشهب فلم أصده، ولي أربعون سنة أنصب حبلي عليه لعلي أظفر به أو بمثله فما ظفرت، قيل لي: يا أبا محمد، وما هو؟ قال: دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الرأس حاسره حافي القدمين، فجدد الوضوء وصلى ركعتين ثم جلس ووضع رأسه في جيبه إلىٰ المغرب، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك، وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة، فقمت إلىٰ الشاب فقلت له: هل لك أن توافقنا إلىٰ دار الخليفة؟ فقال: لا، ولكني أشتهي عصيدة حارة. فطرحت قوله حيث لم يوافقني والتمس شهوة، وقلت في نفسي: هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد. وتركته ومضيت إلىٰ دار الخليفة فأكلنا ثم تفرقنا آخر الليل، فلما دخلت الرباط رأيته علىٰ تلك الحالة، فجلست علىٰ سجادتي ساعة فلهجت عيناي بالنوم، فرأيت كأن جماعة أقبلوا وإذا بقائل يقول: هذا رسول الله[1] والأنبياء كلهم عليهم السلام. فدنوت وسلمت فولى بوجهه عني معرضا، فكررت عليه وهو يعرض عني ولا يجيبني فخفت من ذلك، فقلت: يا رسول الله، ما الذي أذنبت حتىٰ تُعرِض عني بوجهك؟ قال: «فقير من أمتي اشتهى عليك شهوة فتهاونت فيها». فاستيقظت مرعبا وقمت نحو الفقير فلم أجده، وسمعت صوت الباب فخرجت في طلبه فإذا به قد خرج، فناديته: اصبر حتىٰ نحضر شهوتك التي اشتهيت. فالتفت إليَّ وقال: إذا اشتهى فقير عليك شهوة فلا توصلها إليه حتىٰ يشفع إليك مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي[2] فلا حاجة لي بها. ثم تركني ومضىٰ.

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٢٧٦) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني» عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، والذي رواه ابن =

حكاية رابعة: قال الشيخ أبو عبد الله الدينوري: دخل عليَّ يوما فقير عليه آثار الصبر، فطالبتني نفسي أن لله فيه شيء، فهممت أن أرهن نعلي فمنعتني نفسي من ذلك وقالت: كيف يتم لك طهارة مع الحفاء؟! فهممت أن أرهن ما علىٰ رأسي فمنعتني نفسي أيضًا وقالت: تبقى مكشوف الرأس. فجعلت أُراجعها في ذلك فقام الفقير وشدَّ وسطه وأخذ عصاة بيده، ثم التفت إليَّ وقال: يا خسيس الهمة، احفظ منديلك؛ فأنا خارج عنك. قال: فعقدت مع الله أن لا آكل الخبز حتىٰ ألقاه. فقيل: إنه قام بعد ذلك ثلاثين سنة لم يأكله.

ما يكرم الضيف إلا من له كرم ... ومن علىٰ بابه الأرزاق تقتسم
كرامة الضيف لا تحصى فضائلها ... طوبى[1] لقوم علىٰ إكرامه عزموا
فإنها سنَّة في الناس ما برحت ... فكن بإكرامك الأضياف تلتزم
إن الضيافة بين الناس قد حمدت ... وإن فاعلها في قدره عِظَمُ
لا ينفع المال إلاَّ من يجود[2] به ... وإن كل بخيل ما له قيم
فالمال ينفق إلاَّ في مواضعه ... ومكرم الضيف تزكوا عنده النعم
فليس أفخر من الطعام ذي سغب[3] ... ومن أضرَّ به الإفلاس والعدم
صانع الجود لا شيء يقاس بها ... يثني عليك بها الأعراب والعجم

= مردويه في تفسيره بسنده عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير ....» الحديث. (تفسير ابين كثير (١/ ٥٨٥».

(١) طوبى: الطوبى: الحسنى والخير، وفي القرآن ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩﴾.

(٢) جاد جوداً سخا وبذل، ويقال: جاد بماله فهو جواد.

(٣) سَغِبَ: سغباً: جاع مع تعب، فهو سَغِبٌ، وهي سغبة، والمسغبة: المجاعة.

مجلس في فضل الجوع وخشونة العيش

والاقتصار علىٰ القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرهما من حظوظ النفس وترك الشهوات.

قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾[1]؛ أي من بعد النبيين المذكورين في الآية قبلها، ﴿خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾[2]؛ أي بطنا وفرجا، وهذا عند اقتراب الساعة وذهاب صالحي هذه الأمة، ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[3]؛ أي شرا أو ضلالا عن طريق الجنة، أو وادي بقعر جهنم. وأودية جهنم تستغيث من حرِّه. أعد للزاني المُصرّ والشارب المُدمن وغيرهما. والخلْف: قوم سوء. وهو بفتح اللام: الصالح. وبالجزم: الطالح. والخلْف بسكون اللام: الرديء من كل شيء. وهم في هذه الآية اليهود ومن لحق بهم، أو في هذه الأمة، ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوها عن مواقيتها. يعني المفروضة. أخّروها عن مواقيتها وصلُّوها لغير وقتها. وقال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القَصَص: ٧٩] إلىٰ قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾ . وكانت زينته وجاهة وصورًا حسانًا

---

(١) سورة مريم (٥٩) . لما ذكر الله تعالىٰ حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره، ذكر أنه ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ أي قرون أخر ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريَم: ٥٩] وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ؛ لأنها عماد الدين وقوامه، وخير أعمال العباد، وأقبلوا علىٰ شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيا : أي خساراً يوم القيامة . (تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١) .

(٢) قال علي بن طلحة عن ابن عباس : ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريَم: ٥٩] أي خسرانا ، وقال قتادة : شراً . وعن ابن مسعود قال : واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم، وعن أبي عياض : واد في جهنم من قيح ودم (مختصراً من تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢) .

(٣) سورة القصص (٧٩، ٨٠) . يقول تعالىٰ مخبرا عن قارون أنه خرج ذات يوم علىٰ قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه ، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، فقالوا : ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ أي ذو حظ وافر من الدنيا ، فلما سمع مقالتهم أهل العلم قالوا لهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [القَصَص: ٨٠] (تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤).

ومواكب وزخرفًا وأرجوان. وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ⁂﴾(١) . وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾(٢) الآية. فلم يظفر ببغيته كلها، بل بما شاء الله منها أو من غيرها لا غير، أو لا يظفر بشيء أصلا إنما المرزوق من يؤيده الله، أو يظفر بذلك كله ثم يكون عليهم حسرة. ومآل من يريد العاجلة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] مطرودا من الرحمة، ومريدها من عقدها همته كأكثر الفسقة والغافلين، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمُرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر ونحو ذلك. ولنذكر بعد ذلك أحاديث فيها بيان أهل التقلل من الحظوظ ومسهلات التحقيق، وبيان فوائده ومدح القوت وأن فقده شديد وبلوغه لا مشقة معه، وذم الزيادة عليه والتعريف بنعمة قوت يوم، وفضل الكفاف بأوجه ما يرغب أبناء الدنيا والأخرى. ومرتبة الخصاصة وشرف أهلها وذم الشبع وما ينفر منه ويزجر عنه وحد ما ينبغي أن ينتهي إليه إلاَّ شدَّة. وأن البذاذة من الإيمان فالعدول عنه ضلال، وأن كل حال من سعة أو تقتير له حكمة مع القصد في السعة أيضًا وغير ذلك. وجماعها نيف وثلاثون حديثا.

أولها: حديث عائشة قالت: " ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتىٰ قُبض "(٣). أخرجاه. وفي رواية: " ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليال تباعا حتىٰ قُبض "(٤). ونفي الشبع لا يثبت الجوع، والوسط هو الاختيار.

---

(١) سورة التكاثر (٨) .

(٢) سورة الإسراء (١٨) . يخبر تعالىٰ أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله، ومن يشاء، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الأيات ؛ فإنه قال : ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ أي في الآخرة ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ أي يدخلها حتىٰ تغمره من جميع جوانبه ﴿مَذْمُومًا﴾ أي في حال كونه مذموما علىٰ سوء تصرفه وضيعه، إذ اختار الفاني علىٰ الباقي ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدًا مقصيًا حقيرًا ذليلًا مهاناً . (تفسير ابن كثير(٣/ ٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٤)كتاب الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [٢٢ . (٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق في المقدمة، والترمذي في سننه (٢٣٥٧)، وابن ماجه في سننه (٣٣٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٩٣، ٥٢٣٧) .

(٤) أخرجه البخاري(٦٤٥٤) في الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [٢١ .(٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، وابن ماجه (٣٣٤٣،٣٣٤٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٧٨) .

ثانيها: حديث عروة عنها أنها كانت تقول[1]: " والله يا ابن أختي إن كُنَّا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهِلَّة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار " . قال: قلت: يا خالة، فما كان يُعِيشُكُم؟ قالت: " الأسودان؛ التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلىٰ رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناها " . أخرجاه. فنفي الشبع في الأول دال علىٰ تقلل المأكول، ونفي الاتقاد دال علىٰ خشونة العيش.

ثالثها: حديث أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه مَرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل وقال: " خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع "[2]. الخبر أخرجه البخاري. ومصلية بفتح الميم: أي مشوية. وفيه من المسهلات الاتباع والاقتداء، وفيه روائح ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] .

رابعها: حديث أنس: " لم يأكل رسول الله ﷺ علىٰ خوان حتىٰ مات، وما أكل خبزا مرققا حتىٰ مات "[3]. أخرجه البخاري. وفي رواية له: " ولا رأىٰ شاة سميطا بعينه قط "[4]. وفيه مسهل واتباع.

خامسها: حديث النعمان بن بشير قال: " لقد رأيت النبي ﷺ وما يجد من الدَّقَل ما يملأ به بطنه "[5]. أخرجه مسلم، والدقل: تمر رديء. وهو مسهل أيضًا فلا يبقى مالا لغيره ضرورة، فمن العصمة أن لا يجد ولا الدقل.

سادسها: حديث سهل بن سعد: " ما رأىٰ رسول الله ﷺ النقى من حين ابتعثه الله حتىٰ قبضه الله. فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه "[6]. أخرجه البخاري. النقى: الخبز الحواري

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٥٩) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا ، ومسلم في صحيحه [٢٨ . (٢٩٧٢)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤١٤) كتاب الأطعمة، [٢٤] باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٠) كتاب الرقاق، (١٦)باب الفقر، والترمذي (٣٦٣، ١٧٨٨)، وابن ماجه (٣٢٩٢) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٧) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ .

(٥) أخرجه: مسلم في صحيحه [٣٦ . (٢٩٧٨)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، والترمذي (٢٣٧٢)كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ . قال النووي : الدَّقَل : هو بفتح الدال والقاف وهو تمر رديء .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤١٣) كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، =

وهو الدرمك، وثريناه بالنار وعجناه. وفيه مسهل وهو التعمد عن مخالطة المسرفين مما لا شعور به من نقى وآلة له وأشباه ذلك ما أسهل اجتنابه، بل في كونه يسمى اجتنابا ما فيه.

سابعها: حديث أبي هريرة: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا». فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا(١) فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله(٢) ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب. فقال: كلوا من هذه. وأخذ المُدْيَةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب». فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم»(٣) أخرجه مسلم. ومعنىٰ يستعذب: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. والعَذق بفتح العين وإسكان الذال المعجمة وهو الكباسة

= والترمذي في سننه (٢٣٦٤) كتاب الزهد، [٣٨] باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه مالك بن أنس عن أبي حازم .

(١) الأنصاري هو أبو الهيثم مالك بن التيهان، وقول المرأة: " مرحبا وأهلا " كلمتان معروفتان للعرب، ومعناهما صادفت رحبا وسعة وأهلا تأنس بهم،وفيه استحباب إكرام الضيف بهذا القول وشبهه، وإظهار السرور بقدومه وجعله أهلا لذلك، كل هذا وشبهه إكرام للضيف، وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة، وجواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علما محققا أنه لا يكرهه، بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٠، ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) فيه فوائد، منها : استحباب حمد الله تعالىٰ عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة،وفي غير ذلك من الأحوال، وقد جمعت من ذلك قطعة صالحةفي كتاب الأذكار، ومنها : استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالىٰ، وهو يسمع علىٰ حصول هذه النعمة والثناء علىٰ ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٢)طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٠ . (٢٠٣٨)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تماما واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام، وابن ماجه (٣١٨٠، ٣١٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٥٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣٦ . موارد) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٧، ٣١٨) .

وهو الغصن. والمُدْيَةُ. بضم الميم وكسرها: السكين. والحلوب: ذات اللبن. والسؤال عن النعيم[١] سؤال تعديد لا سؤال توبيخ وتعذيب. وفيه من فوائد الجوع ثلاثة؛ معرفة قدر نعمة الله في رزقه، وتعظيم شكره، وإدخال السرور علىٰ قلب المَزور وتكثير الأجر له، ووجدان حرقة الجوع وألم المخرج من البيت، فبئس الضجيع. وفي ذلك من انكسار النفس وخضوعها واستصغار الحاجة والفاقة ما يدفع طغيانها ويردها إلىٰ العبودية التامة أعظم رد، ومحال عليها أن تنازع الربوبية في إزارها أو ردائها ونحو ذلك ما ينشبه من عرفان كماله. وهذا الأنصاري الذي لقوه هو الهيثم بن التيهان، كذا جاء في رواية الترمذي وغيره.

وثامنها: حديث خالد بن عمير العدوي قال: « خطبنا عتبة بن غزوان. وكان أميرا علىٰ البصرة. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصُرم[٢] وولت حَذَّاء، ولم يبق منها إلاَّ صُبَابَة كصُبَابَة الإناء يتصابُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم؛ فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرًا، ووالله لتملأنَّ، أفعجبتم؟

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلاَّ ورق الشجر حتىٰ قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك[٣] فاتَّزرت بنصفها واتَّزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منَّا أحد إلاَّ أصبح أميرا علىٰ مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلاَّ تناسخت حتىٰ يكون آخر عاقبتها ملكًا فستخبرون وتجربون

(١) روى الترمذي في سننه (٣٣٥٨٩ في تفسير القرآن، من سورة التكاثر، عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة. يعني العبد. من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد».

(٢) أما آذنت فبهمزة ممدودة وفتح الذال: أي أعلمت، والصرم بالضم: أي الانقطاع والذهاب، وقوله: حذاء: بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة وألف ممدودة: أي مسرعة الانقطاع، والصبابة، بضم الصاد :/ البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء، وقوله: يتصابها أي يشربها، وقعر الشيء أسفله، والكظيظ الممتلئ .[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٠)].

(٣) هو سعد بن مالك بن أهيب، أبو إسحاق القرشي الزهري، وهو سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين، صحابي مشهور، أول من رمى بسهم في سبيل الله، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥١). [انظر التهذيب (٣/ ٤٨٣)، التقريب (١/ ٢٩٠)].

الأمراء بعدنا "[١]. أخرجه مسلم. آذنت. بمد الألف: أعلمت. وقوله: بصُرم؛ هو بضم الصاد المهملة: المنقطعة السريعة. وقوله: يتصابُّها؛ هو بتشديد الباء قبل الهاء، أي يجمعها. والكظيظ: الكثير الممتلىء. وقَرِحت: بفتح القاف وكسر الراء، أي صار فيها قروح. وفيه فائدة رابعة وهو ما يشعر به الجوع من معنى، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] فلو لم تقرح أشداقهم ما صاروا أمراء الأمصار، فيصير أهل الفاقة يملكون مفاتيح الخير؛ فالصبر مفتاح الفرج ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾[٣] الآية. ولله الحمد.

تاسعها: حديث أبي موسى الأشعري قال: " أخرجت لنا عائشة كساء وإزارًا غليظًا، قالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين "[٤] أخرجاه. ففائدة تقلل السادات سلوة الضعيف وانجبار المكسور، وقد قال الأئمة: حُرِّمت أواني النقدين لكسر قلوب الفقراء.

عاشرها: حديث سعد بن أبي وقَّاص: " إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلاَّ ورق الحُبْلة وهذا السمر، حتىٰ إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خِلْط "[٥] أخرجاه. والحُبْلة بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة، وهي والسمر نوعان معروفان من شجر البادية. وفيه أن اعتياد الخشونة تسهل العزبة في طلب محاب الله ومراضيه، وأما الترفه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٢٩٦٧)]كتاب الزهد والرقائق في مقدمته. وحديث: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعون سنة»أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤٣).

(٢) سورة القصص(٥).

(٣) سورة الأنفال (٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨١٨) كتاب اللباس، [١٩] باب الأكسية والخمائص، ومسلم في صحيحه [٢٤. (٢٠٨٠)]، [٣٥] كتاب اللباس، [٦] باب التواضع في اللباس والاقتصار علىٰ الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما. قال النووي: هذه الأحاديث المذكورة في الباب ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه، واجتزائه بما يحصل به أدنى التجزئة في ذلك كله، وفيه الندب للاقتداء به ﷺ في هذا وغيره.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٨) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [١٤] باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، ورقم (٦٤٥٣) كتاب الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [١٢. (٢٩٩٦)] كتاب الرقائق في مقدمته، والترمذي في سننه (٢٣٦٦) كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ.

فاعتياده مضيع لكثرة الخيرات، ومتى تصل الفاقة إلىٰ تقوُّت ورق الحُبْلة والسمر متى يعقد مثله.

الحادي عشر: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[(١)] أخرجاه. أي ما يسد الرمق، قاله أهل اللغة والغريب. أي لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه، وهو ترغيب[(٢)] بديع ومدح مُطْر، لا سيما إذا بلغ معه وإذا سألت فأعظم الرغبة فإنه يظهر به البرهان.

الثاني عشر: حديث أبي هريرة قال: " والله الذي لا إله إلاَّ هو إن كنت لأعتمد بكبدي علىٰ الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر علىٰ بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلاَّ لِيُشْبِعَني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلاَّ لِيُشْبِعَني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق». ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أوفلانة. قال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق إلىٰ أهل الصُّفَّة[(٣)] فادعهم لي».

قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام لا يأْوُون إلىٰ أهل ولا مال ولا علىٰ أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة، كنت أحق أنا أن أُصيب من هذا اللبن شَربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٦٠) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [١٨. (١٠٥٥)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، وابن ماجه (٤١٣٩)، والترمذي في سننه (٢٣٦١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٦، ٤٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤)، والبيهقى في سننه (٢/ ١٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٥٢) .

(٢) قوله ﷺ :«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» قيل كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى " كفافا " وقيل : هو سد الرمق . [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) الصفة : مكان مظلل في مسجد المدينة المنورة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين، ويرعاهم الرسول ﷺ، وهم أهل الصفة . وهذا الحديث أخرجه البخاري، وسيأتي في آخره، وكذلك أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٥١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٣) .

بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «يا أبا هرّ». قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «خُذْ فأعطهم». قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروى ثم يرُد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروى ثم يرُد عليَّ القدح فيشرب حتىٰ يروى ثم يرد علي القدح، حتىٰ انتهيت إلىٰ النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه علىٰ يده فنظر إليَّ فتبسم فقال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت». قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب». فقعدت فشربت، فقال: «اشرب». فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتىٰ قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا. قال: «فأرني». فأعطيته القدح فحمد الله وسمَّى وشرب الفضلة " . أخرجه البخاري[1] وفيه بيان ما يؤدي إليه نقص ذلك من الشدة والألم والذِّلَّة والتعوق عن الخيروأنواع الهلع والمنافسة ونحو ذلك، فأي شدَّة كموجب وضع الكبد علىٰ الأرض والاعتماد بها عليها؟! وأي ألم كموجب شدِّ الحجر علىٰ البطن؟! وأي ذِلَّة وتشاغل كالقعود علىٰ طرق المارة للاستعطاء؟! وأي هلع كقوله: فساءني ذلك؟! وأي منافسة كقوله: كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها؟! فلله دُرَّهُم بصائر مثل هذا من أجل صحبة نبي الله واقتباس دين الله والحرص علىٰ مراضي الله. ولقد شكر العظيم له ذلك بجبر كسره ورفع قدره وإعلاء ذكره ورزقه الإمرة مع أنه ﷺ كان قادرا علىٰ الصفق في الأسواق كغيره، لكن آثر الصحبة ولو جرى ما جرى.

الثالث عشر: حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: " لقد رأيتني وإني لأخرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلىٰ حجرة عائشة مغشيًّا عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله علىٰ عنقي ويرى أني مجنون وما بي جنون، ما بي إلاَّ الجوع "[2]. أخرجه البخاري. وفيه بيان ما هو أشد من ذلك من زوال العقل وسقوط القوى رأسًا.

الرابع عشر: حديث عائشة قالت: " توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير "[3]. أخرجاه. وفيه بيان ما يؤدي إليه من الدين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٢) في الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣٢٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٦] باب ما ذكر النبي ﷺ وحض علىٰ اتفاق أهل العلم، والترمذي في سننه (٢٣٦٧) كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٠٩) كتاب الرهن، [٢] باب من رهن درعه، وابن أبي شيبة في =

والرهن، والدين عديل الكفر مع تشديدات فيه شهيرة.

الخامس عشر: حديث أنس قال: " رهن رسول الله ﷺ درعه بشعير، ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنِخة، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد ﷺ إلاَّ صاع ولا أمسى، وإنهم لتسعة أبيات». "[١]أخرجه البخاري. الإهالة. بكسر الهمزة: الشحم الذائب. والسنخة بالنون والخاء المعجمة، وهي المتغيرة. وفيه ما يؤدي إليه من رقة قلوب الأحباب المولهة بحيث يسهل في حبها مواجهة الكبير بخبز الشعير وإهالة سنخة، ولولا عاقبتها المحمودة. كما تقدم. لما حمدت مصابرتها ولا مصابرة واحد من ذلك.

السادس عشر: حديث أبي هريرة قال[٢]: " لقد رأيت سبعين من أصحاب الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته ". أخرجه البخاري. وفيه بيان سهولة الأمر مع القوت، فأي محذور نال أصحاب الصفة في فقدهم الأردية بعد أن وجدوا سدادًا من عيش؟

السابع عشر: حديث عائشة قالت: " كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوُهُ من ليف "[٣] رواه البخاري.

الثامن عشر: حديث ابن عمر: " كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أخا الأنصار، كيف أخي سعد بن عبادة؟» فقال: صالح. فقال رسول الله ﷺ: «من يعوده منكم؟» فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قُمُص[٤]،

= مصنفه (٦/ ٥٧٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٧١٦)، وفي دلائل النبوة (٧/ ٢٧٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٠٨) كتاب الرهن [١] باب في الرهن في الحضر وقول الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٣]، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٣٢) كتاب الصلاة، [٥٨] باب نوم الرجل في المسجد، وروى البخاري تعليقا في الباب: وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: كان أصحاب الصفة الفقراء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٦)، كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا،وأحمد في مسنده (٧/ ٧٣).

(٤) قوله: " ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص " فيه ما كانت الصحابة من الزهد في الدنيا والتقلل منها وإطراح فضولها وعدم الاهتمام بفاخر اللباس ونحوه، وفيه جواز المشي حافيا وعيادة الإمام والعالم المريض مع أصحابه. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٢٠١) طبعة دار الكتب العلمية].

نمشي في تلك السِّباخ حتىٰ جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتىٰ دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه»[(١)] أخرجه مسلم. وأي مشقة في فقد النعال وما ذكر معه.

التاسع عشر: حديث عمران بن الحصين مرفوعًا: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة. «ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[(٢)] أخرجاه. وفيه بيان ما يؤدي إليه الزائد عن القوت من السمن المذموم والمتعب المقرون بما واسطة عقده يخونون ولا يؤتمنون.

العشرون: حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم، إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسك شر لك، ولا تلام علىٰ كفاف وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[(٣)] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه بيان ما يؤدي إليه إمساك الفضل الذي هو شرٌّ لابن آدم دينا ودنيا، وما زاد علىٰ المهم ملوم عليه ما لم يتقرب به سواء تناولته حتىٰ سمنت أو أمسكته وبخلت به علىٰ نفسك وغيرك، ولا تلام علىٰ كفاف فهو الحسنة بين السيئتين الغلو والتقصير.

الحادي بعد العشرين: حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري والخطمي مرفوعًا: «من أصبح منكم آمنا في سِرْبه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣. (٩٢٥)] كتاب الجنائز، [٧] باب في عيادة المرضى.
قال النووي : قال جمهور العلماء في معنى هذا الحديث : المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم، وليس معناه أن يتمحضوا سمانا، قالوا : والمذموم منه من يستكسبه، وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل في هذا، والمكتسب له المتوسع في المأكول والمشروب زائدا علىٰ المعتاد . وقيل : المراد بالسمن هنا أنهم يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وغيره، وقيل : المراد جمعهم الأموال .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٥٠) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [١] باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ومسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٢] باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، والنسائي (٧/ ١٧، ١٨. المجتبى)، وأحمد ين حنبل في مسنده (١/ ٤٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٧٤، ١٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٩١) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٣) كتاب الزهد، باب منه [٣٢] ما جاء في الزهادة في الدنيا .
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه [٩٧. (١٠٣٦)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠، ٢/ ٤٩) .

حيزت له الدنيا»(١) أخرجه الترمذي وحسنه. وسربه . بكسر السين المهملة: نفسه. وقيل: قومه. ويروى بفتح السين؛ أي ملكه وطريقه. قال الجوهري: هو بالفتح: الإبل وما رعى من المال، والإنسان ابن وقته، وهَمّ الغد، عناء الأمن والعافية. وحصول القوت اليومي كحيازة الدنيا كلها؛ إذ مالك الدنيا كلها إنما ينال منها قوته.

الثاني بعد العشرين: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقَنَّعه الله بما أعطاه»(٢) أخرجه مسلم. ففيه تعريف من حصل له ذلك، فما أعظم ذلك من نعمة، سعادة الدين بإسلامه، والدنيا بكفاية المؤمن وإراحة القناعة لنا له. وما أجمع قوله: «قد أفلح».

الثالث بعد العشرين: حديث فضالة بن عبيد الله الأنصاري مرفوعًا: «طوبى لمن هُدِى للإسلام وكان عيشه كفافًا وقنع»(٣) رواه الترمذي وصححه. فطوبى له: أي ما أطيب عيشه دنيا وأخرى، ولا ترغيب في الكفاف كهذا وإياك والفضول إياك، ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ﴾(٤) الآية.

الرابع بعد العشرين: حديث ابن عباس: " كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير "(٥)أخرجه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٦) كتاب الزهد، باب [٣٤]، وابن ماجه في سننه (٤١٤١) كتاب الزهد، باب القناعة، والشجري في أماليه (٢/ ١٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٨٧، ٢٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، والخطيب في تاريخ بغداد(٦/ ١٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٠٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٥ - (١٠٥٤) كتاب الزكاة، ٤٣- باب في الكفاف والقناعة. ، والترمذي في سننه (٢٣٤٨ كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه.
وابن ماجة في سننه (٤١٣٨ كتاب الزهد، ٩- باب القناعة ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩، ٤/ ١٦٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٩) كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وأحمد في مسنده (٦/ ١٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤١. الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٥٨، ٩/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦١)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٦) .

(٤) سورة التوبة (٨٥) .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٦٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، وابن ماجه في سننه (٣٣٤٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٥٥، ٣٧٤)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٢١)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٨٧) .

الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه أن تأخير الوقت كترك العشاء، ورداءة النوع لا ينافي الكفاف الممدوح.

الخامس بعد العشرين: حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه " أن رسول الله ﷺكان إذا صلى بالناس تخرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصَاصَة وهم أصحاب الصُّفَّة حتىٰ يقول الأعراب: هؤلاء مجانين. فإذا صلى رسول الله انصرف إليهم فقال: «لو علمتم ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة»"[١] . رواه الترمذي وصححه. والخصَاصَة: الفاقة والجوع الشديد. وفيه بيان مرتبة الخصاصة المتحمَّلة من أجل الله ومن أعظم شأنها وحب إبهامها فلم يعبر عنها إلاَّ بقوله: «لو تعلمون» إلىٰ آخره.

السادس بعد العشرين: من حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعًا: «ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطنٍ بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِهِ»[٢] رواه الترمذي وحسنه. وأكلات: أي لُقَم. وفيه ذم الشبع بأبلغ زاجر وأشد محذِّر، وأكثر ما ينبغي الشرّ له ما قسَّمه أثلاثا. وفيه من الإيضاح والحكم ما هو ظاهر عند الفطن.

السابع بعد العشرين: حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي[٣] قال: " ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون ألا تسمعون، إن البَذَاذَةَ من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»[٤] يعني

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٦٨) كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (٦/ ١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣١٠، ٣١١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣٨. الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢١٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٨٥)، وأحمد في الزهد (٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٨٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، والنسائي في الكبرى، في الوليمة، باب ذكر الذي يستحب للإنسان من الأكل، وابن ماجه (٣٣٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١٣٤٨) .

(٣) إياس بن ثعلبة، أبو أمامة البلوي الأنصاري الحارثي، حليف بني حارثة، قيل اسمه إياس، وقيل عبد الله بن ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث واحد، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

ترجمته : تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٧)، تقريب التهذيب (١/ ٨٧)، والوافي بالوفيات (٩/ ٤٦٢)، والإصابة (١/ ٦٦٤)، والاستيعاب (١/ ١٢٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٦١) كتاب الترجل في مقدمته، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٤٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤١) .

التقحُّل. أخرجه أبو داود. والبذاذة . بفتح الباء والذالين المعجمتين: رثاثة الهيئة وترك فاخر الثياب. والتقحُّل بالقاف والحاء، قال أهل اللغة: هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه. وفيه مدح البذاذة والتعويض بأن التَّرَفُّهَ مجانب للإيمان، وهو كذلك، فطوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد يوم لم يره.

الحديث الثامن بعد العشرين: حديث جابر بن عبد الله قال: " بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عير قريش وزوَّدنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة[(١)] قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمَصُّها كما يَمَصُّ الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلىٰ الليل، وكنا نضرب بعصيِّنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا إلىٰ ساحل البحر . .. فذكر قصة العنبر الذي أكلوا منه وتزودوا "[(٢)] أخرجه مسلم. والجِراب بكسر الجيم أفصح من فتحها. ونمَصُّها بفتح الميم، والخَبَطُ: ورق معروف. وفيه معرفة قوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطّلَاق: ٧] [(٣)] الآية. فأبو عبيدة لما قدِرَ عليه رزقه صرفه تمرة تمرة فمضت، ولما وُسِّعَ عليهم بالعنبر أكلوا منه حتىٰ سمنوا وتزودوا، فالتقلل[(٤)] مراتب ولكل مرتبة أحوال تناسبها.

الحديث التاسع بعد العشرين: حديث أسماء بنت يزيد قالت: " كان كُمُّ رسول الله ﷺ إلىٰ الرُّصْغ "[(٥)] رواه أبو داود والترمذي وحسنه. والرُّصغ بالصاد. وهو بالسين أيضا: المفصلَ بين الكف والساعد. فالقصد في الفقر والغنى مطلوب لا في

---

(١) أما إعطاء أبي عبيدة إياهم تمرة فإنما كان في الحال الثاني بعد أن فني زادهم وطال لبثهم، والظاهر أن قوله: تمرة تمرة إنما كان بعد أن قسم عليهم قبضة قبضة، فلما قل تمرهم قسمه عليهم تمرة تمرة ثم فرغ وفقدوا التمر ووجدوا الماء لفقدها وأكلوا الخبط إلى أن فتح الله عليهم بالعنبر . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٧٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧. (١٩٣٥)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان،[٤] باب إباحة ميتات البحر، وأبو داود في سننه (٣٨٤٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٩٤، ٩/ ٢٥١) .

(٣) سورة الطلاق (٧) .

(٤) في هذا بيان ما كان الصحابة عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر علىٰ الجوع وخشونة العيش وإقدامهم علىٰ الغزو مع هذا الحال .
[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٢٧) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والترمذي في سننه (١٧٦٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والنسائي في الكبرى، كتاب الزينة، باب لبس القميص، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٢٩) .

الفقر وحده كان له إلىٰ رصغه اقتصاد لا عجز.

الحديث الثلاثون: حديث جابر في حفر الخندق قال: " إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْيَةٌ شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا. ثم ذكر قصة طحن الشعير وذبح العناق وأكل الخندق وهي علىٰ حالها "(١) أخرجاه بطوله. والكُدْيَةُ: صلبة لا يعمل فيها الناس. وفيه بيان بركة حرهم ثلاثا ولم يذوقوا ذواقا، فمنها الرزق الكافي من حيث لا يحتسب كما أجزأه علىٰ يد جابر(٢) وقلب قلبه إليه، ومنها خرق العادة وتكثير القليل وإظهار الكرامة الغريبة.

الحديث الحادي بعد الثلاثين: حديث أنس قال: " قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع. وفي رواية: عصب بطنه بعصابة من الجوع. فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصا من شعير ثم عصرت عليه عكة فآدمته، وقال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، فأكل منه عشرة عشرة حتىٰ أكلوا أجمع والقوم سبعون رجلا أو ثمانون ولم ينقص "(٣) أخرجاه بطوله. وفي رواية قالت: عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قَلَّ عنهم . .. وساق الحديث. وفيه من الأعلام ما لا يخفىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٠١) كتاب المغازي، [٣١] باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم في صحيحه [١٤١. (٢٠٣٩)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلىٰ دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام .

(٢) في حديث جابر أنواع من الفوائد وجمل من القواعد، منها : الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله ﷺ من تكثير الطعام القليل ونبع الماء، وتكثيره، وتسبيح الطعام وحنين الجذع، وغير ذلك مما هو معروف . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٤)طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٧٨) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه [١٤٢ .(٢٠٤٠)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام، والترمذي في سننه (٣٦٣٠) كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به .

مجلس في القناعة والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] فالرزق مضمون، والضامن مكّن. وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2] إلىٰ قوله: ﴿إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣] . وفيها مقتضى الآية السالفة ولازمه، فإذا فقد فالإجمال في الطلب لا يسألون الناس إلحافا وإذا وجدوا الاقتصاد، إذ الإسراف مذموم ولعله يكون سببًا لقطع أو لا يخلفه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[3]. والتنفير ذمَّه سبحانه وتعالى؛ فإنه الجواد الماجد ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[4] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾[5] قلت: وذلك الحسنة بين السيئتين. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: ٥٦] .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس»[6] أخرجاه. والعَرَضُ. بفتح العين والراء: المال.

---

(١) سورة هود (٦) .
أخبر تعالىٰ أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها، بحريها وبريها، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها، أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهي مستودعها . [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧)] .

(٢) سورة البقرة (٢٧٣) .

(٣) سورة النساء (٥) .
ينهي سبحانه وتعالىٰ عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما؛ أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن ههنا يؤخذ الحجر علىٰ السفهاء، وهم أقسام، فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للمجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه . [تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٢)] .

(٤) سورة سبأ (٣٩).
(٥) سورة الفرقان (٦٧) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٤٦) كتاب الرقاق، [١٥] باب الغنى غنى النفس، ومسلم في صحيحه [١٢٠. (١٠٥١)] كتاب الزكاة، [٤٠] باب ليس الغنى عن كثرة العرض، والترمذي =

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه»(١) أخرجه مسلم، وقد سلف فيما مضى.

وروينا من حديث حكيم بن حِزام ﷺ قال: " سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس(٢) لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك حتىٰ أفارق الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أُشهدكم علىٰ حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتىٰ توفي"(٣) أخرجاه. ويرزأ . براء ثم زاي ثم همزة: أي لم يأخذ من أحد شيئًا. وأصل الرزء النقصان، أي لم ينقص أحدا شيئًا بالأخذ منه. وإشراف النفس تطلُّعها وطمعها بالشيء، وسخاوة النفس هي عدم الإشراف إلىٰ الشيء والطمع فيه والمبالاة فيه والشدة.

(٢٣٧٣) في الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، وابن ماجه (٤١٣٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٣، ٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٢٠. الموارد) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (١٠٥٤)] كتاب الزكاة، [٤٣] باب في الكفاف والقناعة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩،٤/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٧، ٣٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٩)، والزبيدي إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٥٩) .

(٢) قوله ﷺ : «فمن أخذها بطيب نفس بورك له فيه . . . .» قال النووي : قال العلماء : إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه، وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين : أظهرهما: أنه عائد علىٰ الآخذ، ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه، والثاني : أنه عائد إلى الدافع، ومعناه : من أخذه ممن يدفع منشرحا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه . [النووي في شرح مسلم (٧/ ١١٢، ١١٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٤٣) كتاب فرض الخمس، [١٩] باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ورقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق، [١١] باب قول النبي ﷺ : «هذا المال خضرة حلوة»، ومسلم في صحيحه [٩٦. (١٠٣٥)] كتاب الزكاة [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، والترمذي (٢٤٦٣) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٠٢) .

ورويّنا من حديث أبي يزيد عن أبي موسى الأشعري قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري، فكنا نلف علىٰ أرجلنا الخِرَق فسميت غزوة ذات الرِّقاع[١] لما كنا نُعصِّب علىٰ أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره؟! قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه "[٢] أخرجاه[٣].

ورويّنا من حديث عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بمال أو شيء فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذي ترك عتبوا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطى، ولكني أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأَكِل أقواما إلىٰ ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب». فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حُمر النعم "[٤] أخرجه البخاري. والهلع: هو أشد الجزع، وقيل: هو الضجر.

ورويّنا من حديث حكيم بن حِزام مرفوعًا: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعفه الله ومن يستغن يُغنه الله»[٥] أخرجاه، والسياق للبخاري.

---

(١) قوله: " فسميت ذات الرقاع لذلك " هذا هو الصحيح في سبب تسميتها، وقيل: سميت بذلك بجبل هناك فيه بياض وسواد وحمرة، وقيل: سميت باسم شجرة هناك، وقيل: لأنه كان في ألويتهم رقاع، ويحتمل أنها سميت بالمجموع. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) قوله: " وكره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه " فيه استحباب إخفاء الأعمال الصالحة وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالىٰ، ولا يظهر شيئًا من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء، والتنبيه علىٰ الاقتداء به فيه ونحو ذلك، وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار بذلك. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٦٥، ١٦٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤١٢٨) كتاب المغازي، [٣٣] باب غزوة ذات الرقاع، ومسلم في صحيحه [١٤٩. (١٨١٦)] كتاب الجهاد والسير، [٥٠] باب غزوة ذات الرقاع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٢٣) كتاب الجمعة، [٢٩] باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٢٧) كتاب الزكاة، [٢٠] باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم في صحيحه [٩٥. (١٠٣٤)] كتاب الزكاة، [٣٢ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة . ، والترمذي (٢٣٤٣، ٢٤٦٣)، والنسائي (٥/ ٦١، ٦٩. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤، ٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٧، ١٨٠).

وروينا عن معاوية مرفوعًا: «لا تُلْحِفوا في المسألة؛ فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألتُهُ مني شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيه فيما أعطيته»[1] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: " كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد ببيعته، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا. وأسرَّ كلمة خفية. ولا تسألوا الناس شيئًا». فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه "[2] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا تزال المسألة بأحدكم حتىٰ يلقى الله تعالىٰ وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم»[3] أخرجاه. المُزْعَةُ. بضم الميم وإسكان الزاي ثم عين مهملة: القطعة.

وروينا عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو علىٰ المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة «واليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة»[4] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا، فليستقل وليستكثر»[5] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩. (١٠٣٨)] كتاب الزكاة، [٣٣] باب النهي عن المسألة، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه[١٠٨. (١٠٤٣)] كتاب الزكاة، [٣٥] باب كراهية المسألة للناس، والنسائي (١/ ١٢٩. المجتبى)، والبيهقى في السنن الكبرى (٤/ ١٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٤) كتاب الزكاة، [٥٤] باب من سال الناس تكثيرا، ومسلم في صحيحه [١٠٣.(١٠٤٠)] كتاب الزكاة [٣٥] باب كراهة المسألة للناس، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥، ٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩) .

(٤) تقدم تخريجه قريبا .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه[١٠٥.(١٠٤١)] كتاب الزكاة، [٣٥] باب كراهة المسألة للناس، وابن =

وروينا من حديث سمرة مرفوعًا: «إن المسألة كدٌّ يكُدُّ بها الرجل وجهه إلاَّ أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر لا بد منه» رواه الترمذي[١] وقال: حسن صحيح. والكدُّ: الخدش ونحوه.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل وآجل»[٢] رواه أبو داود والترمذي وحسنه. يوشِك. بكسر الشين: أي يُسرع.

وروينا من حديث ثوبان مرفوعًا: «من يكفُل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفَّل له بالجنة؟» فقلت: أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئًا[٣] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث قبيصة بن المخارق قال: " تحملت حمالة فأتيت رسول الله أسأله فيها، فقال: «قُم حتىٰ تأتينا الصدقة فنأمر لك بهذا». ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلاَّ لأحد ثلاثة؛ رجل تحمَّل حَمَالة فحلَّت له المسألة حتىٰ يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتىٰ يُصيب قواما من عيش. أو قال: سدادا من عيش. ورجل أصابته فاقة حتىٰ يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة. فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قوامًا من عيش. أو قال: سدادا من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْتًا يأكلها صاحبها سحتا»[٤] أخرجه مسلم. الحَمَالة. بفتح الحاء: ما يتحمله ويلتزمه علىٰ نفسه.

= ماجه في سننه (١٨٣٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٥٩).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٨١) كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة. وأخرجه أبو داود (١٦٣٩) كتاب الزكاة، باب كم يعطي الرجل الواحد من الزكاة، والنسائي في الزكاة، باب مسألة الرجل ذا سلطان.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٥) كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٨)، والدارمي في السنن(٢/ ٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٣) كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٧٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ١٠٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٩.(١٠٤٤)] كتاب الزكاة، [٣٦] باب من تحل له المسألة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ٢١، ٢٣) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢١٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ١٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٣٧) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١).

والجائحة: الآفة تصيب مال الإنسان. والقوام: ما يقوم في أمر الإنسان من مال ونحوه. والسِّداد. بكسر السين: ما يسُدُّ حاجة المعوز ويكفيه. والفاقة: الفقر. والحجا: العقل[(١)].

وروينا عن أبي هريرة مرفوعًا: «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغْنيه ولا يُفْطَنُ له فيُتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس»[(٢)] أخرجاه.

---

(١) الحجى: مقصور: هو العقل، وإنما قال ﷺ «من قومه» لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرا بصاحبه، وإنما شرط الحجى تنبيها علىٰ أنه يشترط في الشاهد التيقظ، فلا تقبل من مغفل، وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث، وقال الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث علىٰ الاستحباب. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١١٨، ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٦، ١٤٧٩) كتاب الزكاة، [٥٥] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ورقم (٤٥٣٩) كتاب تفسير القران، [٤٨] باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، ومسلم في صحيحه [١٠١. (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه.، وأبو داود في سننه (١٦٣١، ١٦٣٢)، والنسائي (٥/ ٨٥ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٠، ٣٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٥، ٧/ ١١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٧٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٨، ٦/ ١١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩).

مجلس في جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

روينا من حديث سالم عن أبيه عن جده قال[1]: " كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر مني إليه. فقال: «خذه، إذا جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت فكله وإن شئت تصدق به، وما لا فلا تُتْبعه نفسك». قال سالم: فكان عبد الله لا يسأل أحدًا شيئًا ولا رَدَّ شيئًا أُعْطيه "[2] أخرجاه. مُشْرِف. بالشين المعجمة: أي متطلع عليه.

(١) هذا الحديث فيه منقبة لعمر رضي الله عنه وبيان فضله وزهده، وإيثاره، والمشرف إلى الشيء هو المتطلع إليه الحريص عليه . ومالا فلا تتبعه نفسك : معناه : ما لم يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به، واختلف العلماء فيمن جاءه مال ؛ هل يجب قبوله أم يندب، علىٰ ثلاث مذاهب حكاها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وآخرون، والصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه يستحب في غير عطية السلطان، وأما عطية السلطان فحرمها قوم وأباحها قوم وكرهها قوم . [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٢٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٤) كتاب الزكاة، [٥٣] باب من أعطاه الله شيئًا من غير مسألة ولا إشراف نفس، ورقم (٧١٦٣، ٧١٦٤) كتاب الأحكام، [١٧] باب رزق الحكام والعاملين عليها . و مسلم في صحيحه [١١٠. (١٠٤٥)] كتاب الزكاة، [٣٧] باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف . ، والنسائي (٥/ ١٠٤، ١٠٥. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٧، ٢١، ٢/ ٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٢٤، ٥/ ١٨٦، ٦/ ١٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٤٥) .

مجلس في الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1].

وروينا من حديث الزبير بن العوام مرفوعًا: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب علىٰ ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[2] أخرجه البخاري.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يحتطب أحدكم حزمة علىٰ ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه»[3] أخرجاه. وعنه مرفوعًا: «كان داود ﷺ لا يأكل إلاَّ من عمل يده»[4] أخرجه البخاري. وعنه مرفوعًا: «كان زكريا نجَّارًا»[5] أخرجه

---

(١) سورة الجمعة (١٠).
أي إذا فرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ١٠] لما حجر عليهم من التصرف بعد النداء، وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك ﷺ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٧)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٨٠) كتاب الزكاة، [٥٥] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣] ورقم (٢٠٧٥) في البيوع، [١٥] باب كسب الرجل وعمله بيده، وابن ماجه في سننه (١٨٣٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠١٠، ٢٠٠١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٧٤) كتاب البيوع، [١٥]باب كسب الرجل وعمله بيده، ومسلم في صحيحه [١٠٧. (١٠٤٢)] كتاب الزكاة،[٣٥] باب كراهة المسألة للناس، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٢، ٢/ ٥٢٢) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٧٣) كتاب البيوع، [١٥] باب كسب الرجل وعمله بيده، ورقم (٣٤١٧) في أحاديث الأنبياء، [٣٨] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٩.(٢٣٧٩)] كتاب الفضائل، [٤٥] باب من فضائل زكريا. عليه =

مسلم. وعن المقداد بن معدي كرب مرفوعًا: «**ما أكل أحد طعاما قَطُّ خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[1] أخرجه البخاري.

= السلام، وابن ماجه في سننه (٢١٥٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦، ٤٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٧٢) كتاب البيوع [١٥] باب كسب الرجل وعمله بيده.

مجلس في التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [(١)] أي في نعيم الأبرار والنضرة والرحيق المختوم، فيتنافس فيه أولوا الجد.

وروينا[(٢)] من حديث سهل بن سعد: "أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا. فتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده".[(٣)] أخرجاه. تلَّهُ. بالتاء المثناة فوق: وضعه. وهذا الغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما وفيه المنافسة في السؤر النبوي، ولهذا بادر باليمين وبقوله: لا أوثر بنصيبي منك. وهو لائح في عظم الهبة والتوقير.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بينما أيوب ﷺ يغتسل عُرْيانًا فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه. عز وجل: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غِنًا بي عن بركتك»[(٤)] أخرجه

---

(١) سورة المطففين (٢٦).

(٢) في هذه الأحاديث بيان هذه السنة الواضحة، وهو موافق لما تظاهرت عليه دلائل الشرع من استحباب التيامن في كل ما كان من أنواع الإكرام، وفيه أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدم، وإن كان صغيرا ومفضولا ؛ لأن رسول الله ﷺ قدم الأعرابي والغلام علىٰ أبي بكر. رضي الله تعالىٰ عنه. وأما تقديم الأفاضل والكبار فهو عند التساوي في باقي الأوصاف . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٩) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٢٠) كتاب الأشربة، [١٩]باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشراب ليعطي الأكبر ؟، ومسلم في صحيحه [١٢٧.(٢٠٣٠)] كتاب الأشربة، [١٧] باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما من يمين المبتدئ . ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٦)، ومالك في الموطأ (٩٢٧) .

قوله : " فتله في يده " أي وضعه فيها، وقد جاء في مسند أبي بكر بن أبي شيبة أن هذا الغلام هو عبد الله بن عباس، ومن الأشياخ خالد ابن الوليد رضي الله عنهما، وفي هذه الأحاديث أنواع من العلم، منها : أن البداءة باليمين في الشراب ونحوه سنة، وهذا مما لا خلاف فيه، ونقل عن مالك تخصيص ذلك بالشراب، وقال ابن عبد البر وغيره : لا يصح هذا عن مالك . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٩١) كتاب أحاديث الأنبياء، [باب]قول الله تعالىٰ : ﴿۞ وَأَيُّوبَ =

البخاري. وهو لائح في الاستكثار مما يتبرك به، ووجه التبرك به أنه حديث عهد بربه، وكان ﷺ إذا رأى الباكورة من التمر قال: " اللهم بارك لنا في كذا وكذا " . إلىٰ قوله: " اللهم أريتنا أوله فأرنا آخره " . (ذهب ترى ذهب الجنة)(١) وصح أنه ﷺ قال في زمزم: «إنها بركة، إنها طعام طُعم وشفاء سُقم». والذهب كذلك فكان مباركا، وقد قال تعالىٰ: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ (٢) وهو من إتيانه كماله بركة، وكان ذلك في حق هذا النبي الكريم كرامة والكرامات يتبرك بها، وقد قيل: إن طلب نبينا . عليه أفضل الصلاة والسلام . من غنم الرقية(٣) ولحم العنبر كان للتبرك.

فصل في فضل الغني الشاكر

وهو من أخذ المال من وجهه وصدقه في وجوهه المأمور بها. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (٤) وهـذا وعـد إمـا بالخيرات وإما بالجنة. وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧﴾ (٥) الآية. فيتجنب النار ويُعطى حتىٰ يرضى من خير الدين والدنيا والأخرى. وقال: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (٦) الآية. وفيها إرشاد إلىٰ وجوه الإعطاء من الإبداء والإخفاء وإلى ما يسهل

= إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٩٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٢٤)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢١٠) .

(١) كذا بالأصل .

(٢) سورة الذاريات (١٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥.(٢٢٠١)] كتاب السلام، [٢٣] باب جواز أخذ الأجرة علىٰ الرقية بالقرآن والأذكار، عن أبي سعيد الخدري أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فإن سيد القوم لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم : نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطى قطيعا من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال: حتىٰ أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم وقال : «وما أدراك أنها رقية ؟» ثم قال :«خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم» .

(٤) سورة الليل (٥ ـ ٧) .
أي أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله في أموره ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بالمجازاة علىٰ ذلك، قاله قتادة، وقال خصيف : بالثواب، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بالخلف، وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بلا إله إلا الله، وفي رواية عن عكرمة : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بما أنعم الله عليه . [تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٨)] .

(٥) سورة الليل (١٧) .

(٦) سورة البقرة (٢٧١) . أي إن أظهرتموها فنعم شيء هي، وقوله : ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ =

وجه الله من غير رياء ولا سمعة فلا أراد جزاءً ولا شكورًا، وهو الإخفاء والإبداء للفقراء، وخير الإخفاء جليا لا يخفى.
وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ [١] والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة.

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاَّ في اثنتين[٢] رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق؛ ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها»[٣] أخرجاه. وسلف شرحه قريبا، فمن اتصف بذلك فهو محمود إن حصل علىٰ النعمة التامة الحقيقية، وكل ذي نعمة محسود عليها، فيا طرباه دنيا وأخرى.

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «لا حسد إلاَّ في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». أخرجاه[٤] والآناء: الساعات، فقضى بذلك علىٰ نفسه وغيره وعلَّمه لإخوانه.

= ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] فيه دلالة علىٰ أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها ؛ لأنه أبعد من الرياء، إلا أن يترتب علىٰ الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون الأفضل من هذه الحيثية . [تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢)] .

(١) سورة آل عمران (٩٢) .

(٢) قال العلماء : الحسد قسمان : حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة، وهوأن يتمنى مثل النعمة التي علىٰ غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث : لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما . النووي في شرح مسلم (٦/ ٨٤، ٨٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣) كتاب العلم،[١٦]باب الاغتباط في العلم والحكمة، ورقم (١٤٠٩) كتاب الزكاة، [٥] باب إنفاق المال في حقه، ورقم (٧١٤١) كتاب الأحكام، [٣] باب أجر من قضى بالحكمة، ورقم (٧٣١٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٣] باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالىٰ، ومسلم في صحيحه [٢٦٨. (٨١٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٥٢٩) كتاب التوحيد، [٤٥] باب قول النبي ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار»، ومسلم في صحيحه [٢٦٦. (٨١٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، والترمذي في سننه (١٩٣٦) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد، وابن ماجه في سننه (٤٢٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٣٨) .

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ: " أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثُور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم. فقال: «وما ذاك؟» فقالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق[1]. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أُعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلاَّ من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبُرَ كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة». فرجع المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء». أخرجاه[2] والسياق لمسلم. والدُّثُور: الأموال الكثيرة. وإنما ذهبوا بذلك لقيامهم بالتعظيم لأمر الله صلاة وصيامًا وتسبيحًا وحمدًا، وبالشفقة علىٰ خلق الله تصدقًا وإعتاقًا. وقد أقر عليه الشارع أولاً وصرَّح به آخرًا؛ إذ قال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وغير بعيد مع ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[3] فإنه يؤتيكم ذلك. وحاصل الأحاديث بيان أن الغني الشاكر أهل فضل الله العظيم، وأنه يرتفع فيه أبصار الخلائق حتىٰ يحسد حقا فما أعم نفعه وأحمد جميعه.

---

(١) قوله: «ذهب أهل الدثور» هو بالثاء المثلثة، واحدها دثر، وهو المال الكثير، وفي هذا الحديث دليل لمَنْ فَضَّل الغَنِيَ الشاكر علىٰ الفقير الصابر، وفي المسألة خلاف مشهور بين السلف والخلف من الطوائف، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٥/ ٧٨، ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٤٣) كتاب الأذان،[١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، ورقم (٦٣٢٩) كتاب الدعوات،[١٨] باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه [١٤٢.(٥٩٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة،[٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٣) سورة النساء (٣٢).

مجلس في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [1]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [2] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [3].

وروينا في الصحيحين من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا حسد إلاَّ في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمُها»[4] فالمراد بالحسد هنا: الغبطة؛ أي لا يغبط أحد إلاَّ علىٰ إحدى هاتين الخَصلتين.

وروينا في صحيح البخاري من حديثه أيضًا مرفوعًا: «أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلاَّ ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أَخَّر»[5].

وروينا فيهما أيضًا من حديث جابر قال: " ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا "[6].

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط

---

(١) سورة سبأ (٣٩).
أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: «يقول الله تعالىٰ: أنفق أنفق عليك»، وقال مجاهد: لا يتأولنَّ أحدكم هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سَبَإ: ٣٩] إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، الرزق مقسوم.

(٢) سورة البقرة (٢٧٢).

(٣) سورة البقرة (٢٧٣).

(٤) الحديث تقدم تخريجه قريبا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٢) كتاب الرقاق، [١٢] باب ما قدم من ماله فهو له، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٨٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٨٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦.(٢٣١١)] كتاب الفضائل [١٤] باب ما سئل النبي ﷺ شيئًا قط فقال لا. وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١٥).

ممسكًا تلفًا»(١).

وروينا فيهما أيضًا من حديث ابن عمرو: " أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف»(٢).

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعًا: «أربعون خصلة. أعلاهن منيحة العنز. ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلاَّ أدخله الله تعالىٰ بها الجنة»(٣) وقد سلف بيانه في كثرة طرق الخير.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شرٌّ لك، ولا تُلام علىٰ كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»(٤).

وروينا فيهما من حديث أنس قال: " ما سُئل رسول الله علىٰ الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، وقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلاَّ الدنيا فما يلبث إلاَّ يسيرًا حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها "(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٤٢) كتاب الزكاة [٢٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، ومسلم في صحيحه [٥٧.(١٠١٠)] كتاب الزكاة، [١٧] باب في المنفق والممسك، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨)،والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٣، ١٤/ ٣٠٧).

قال النووي: قال العلماء هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢) كتاب الإيمان، [٦] باب إطعام الطعام من الإسلام، ورقم (٢٨)، [٢٠] باب السلام من الإسلام، ورقم (٦٢٣٦) كتاب الاستئذان، [٩] باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ومسلم في صحيحه [٦٣ ـ (٣٩)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، وأبو داود (٥١٩٤)، وابن ماجه (٣٢٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٨٧، ٣/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٣١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [٣٥] باب فضل المنيحة، وأبو داود في سننه (١٦٨٣)،والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٧ ـ (١٠٣٦)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، والترمذي في سننه (٢٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠، ٢/ ٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٢٣١٢)]، [٥٨] كتاب الفضائل [١٤] باب ما سئل رسول الله =

وروينا فيه أيضًا من حديث عمر قال: " قسم رسول الله ﷺ قسما، فقلنا: يا رسول الله، لَغير هؤلاء كانوا أحق به منهم. قال: «إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو يُبَخِّلُوني ولست بباخل» "(١).

وروينا في صحيح البخاري من حديث جبير بن مطعم: " بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ مُقْفِلَة من حنين فعلقوه الأعراب حتىٰ اضطروا إلىٰ سمرة فخَطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: «اعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة غنما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذَّابًا ولا جبانًا» "(٢). مقفلة: أي حال رجوعه. والسمرة: شجرة العضاة، شجر له شوك.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما نقصت صدقة من مال ولا زاد الله عبدًا بعفو إلاَّ عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه الله»(٣).

وروينا في جامع الترمذي. وقال: حسن صحيح. من حديث أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري مرفوعًا: «ثلاثة أقسم الله عليهم وأُحدِّثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة إلاَّ صبر عليها إلاَّ زاده الله عِزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلاَّ فتح الله عليه باب فقر. أو كلمة نحوها». «وأحدثكم حديثا فاحفظوه»، قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً وهو

= شيئًا قط فقال لا وكثرة عطائه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٧ - (١٠٥٦)] كتاب الزكاة، [٤٤] باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، وأحمد في مسنده (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٣٥، ١٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٤٠، ٨/ ١٩٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٠٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ - (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب [١٩] باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي في سننه (٢٠٢٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥، ٣٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥، ٤/ ١٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥، ٣/ ٣٠٧، ٥٥٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٠٥).

أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٥) كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب، (١/ ٥٨، ٢/ ٣٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩، ٥/ ٣٥)، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار (٤/ ٣٥١، ٣٥٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان. وهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته فوزرهما سواء».

وروينا فيه أيضًا مصححًا من حديث عائشة أنهم ذبحوا شاة فقال ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: " ما بقي إلاَّ كتفها " . قال: «بقي كلها غير كتفها»[١] أي بقيت لنا في الآخرة إلاَّ كتفها، فالمعنى: تصدقوا بها إلاَّ كتفها.

وروينا في الصحيحين من حديث أسماء بنت الصديق: " قال لي رسول الله ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك»[٢]. وفي رواية لهما: «أنفقي وانفحي وانضحي، ولا تحصي فيُحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»[٣]. وانفحي بالحاء المهملة بمعنى: أنفقي. وكذا انضحي.

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا[٤]: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلىٰ تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلاَّ سبغت. أو وفرت. علىٰ جلده حتىٰ تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلاَّ لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع». الجبة: الدرع. ومعناه: أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتىٰ تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته.

وروينا فيهما أيضًا من حديثه مرفوعًا: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٧٠) كتاب صفةالقيامة والرقائق والورع، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٣٣) كتاب في الزكاة، [٢٣] باب التحريض علىٰ الصدقة، ورقم (٢٥٩٠) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٥] باب هبة، ومسلم في صحيحه [٨٨ (١٠٢٩)] كتاب الزكاة [٢٨] باب الحث في الصدقة والإنفاق وكراهة الإحصاء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٥] باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إن كان لها زوج . ، ومسلم في صحيحه [٨٨ (١٠٢٩)] كتاب الزكاة [باب] الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٩، ٣٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٧، ٦/ ٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٤٣) كتاب الزكاة، [٣٠] باب مثل البخيل والمتصدق، ومسلم في صحيحه[٧٥ (١٠٢٣)] كتاب الزكاة، [٢٣] باب مثل المنفق والبخيل، والنسائي (٥/ ٧٢ المجتبىٰ)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٨) .

ولا يقبل الله إلاَّ الطيب. فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربِّيها لصاحبها كما يُربِّي أحدكم فلُوَّه حتىٰ يكون مثل الجبل»[١]. والفَلُوُّ بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وهو المُهْرُ.

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعًا: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يُحَوِّل الماء بمِسْحاتِهِ فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان. للإسم الذي سمع في السحاب، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلىٰ ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأردُّ فيه ثُلُثه»[٢]. الحرَّة: أرض بها حجارة سود. والشرجة. بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم: مسيل الماء[٣].

فصل في النهي عن البخل والشُّحِّ

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[٤] الآية. وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[٥] الآية. وتقدمت جملة من الأحاديث في الباب السابق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤١٠) كتاب الزكاة، [٨] باب الصدقة من كسب طيب، ومسلم في صحيحه [٦٤.(١٠١٤)] كتاب الزكاة، [١٩] باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٧، ١٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٢٦، ١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥.(٢٩٨٤)] كتاب الزهد والرقائق، [٤] باب الصدقة في المساكين، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٧).

(٣) قال النووي: قوله ﷺ: «فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج» معنى تنحى قصد، يقال: تنحيت الشيء وانتحيته ونحوته إذا قصدته، ومنه سمي علم النحو؛ لأنه قصد كلام العرب. وأما الحرة: بفتح الحاء فهي أرض ملبسة حجارة سوداء. والشرجة: بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء، وجمعها شراج بكسر الشين، وهي مسايل الماء في الحرار، وفي الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل، وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق علىٰ العيال. النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) سورة الليل (٨).

(٥) سورة الحشر (٩).

وروينا في صحيح مسلم من حديث جابر[١]: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». قلت: ولا أفحش منهما[٢].

فصل في الورع وترك الشبهات

قال تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٣] وفيها (استفاف)[٤] والمتساهل عن تساهله قرب موبقات تُرى أدق من الشعر ورُبَّ شرارة أضرمت نارًا علىٰ بلد كبير، إن الأمور صغيرها مما يهيج به العظيم، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[٥] فإن كان بذلك فقد ينزل به سخطه بأمر لا يلقى له بالا ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٦].

وروينا من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مُضْغَة إذا صلُحَت صلُحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٧] أخرجاه من طرق بألفاظ متقاربة، وهو من أعظم المرغبات في الورع وذكر فوائده العظيمة الشأن، وهو الاستبراء للدين والعرض. وناهيك بأمر يحصل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٥٧٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣).

(٢) قوله ﷺ: «واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم»: قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني هوالأظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة، قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرص علىٰ ما ليس عنده والبخل بما عنده. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة النور (١٥).

(٤) كذا بالأصل.

(٥) سورة الفجر (١٤).

(٦) سورة طه (٨١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢) كتاب الإيمان، [٤٠] باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (١٥٩٩)] كتاب المساقاة، [٢٠] باب أخذ الحلال وترك الشبهات، وأبو داود (٣٣٢٩)، والنسائي (٧/ ٢٤٢، ٨/ ٣١٧. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٣٤).

الوجاهة عند الله وعند الناس، وإن شئت قلت تطييب السريرة وتحسين السيرة، أو يحيي القلب وينوِّره ويصرف العرض ويطهره، وفيه بيان حقيقة الورع وأنه ليس إلاَّ اتقاء الشبهات[١]. وتسمية اتقاء المحارم ورعاء حق، ولكن العرف خصَّ اسم المحارم باسم التقى وترك الشبهات باسم الورع وترك ما لا بأس به أو ما لا يعني، إنما سمِّي ورعا لاشتباهه بمخوف العاقبة. وفيه أيضا: التحذير من تركه بذكر آفة التساهل، وهو الوقوع في الحرام إما لتمرينه علىٰ التساهل وإما لمصادفة للحرام. فمن الشبهات كما في تمثيله بالرَّاعي يرعى حول الحمى علىٰ أنه يحتمل الأول أيضا.

ورويناه من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»[٢] أخرجاه. وفيه مرغب أخر وهو فعل الشارع له فيتجنب ما جهل إباحته.

ورويناه من حديث النَّوَّاس بن سمعان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «البرُّ حسن الخُلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٣] أخرجه مسلم. حَاكَ بالحاء المهملة والكاف: أي تردد فيه.

ورويناه من حديث وابصة بن معبد ﷺ قال: " أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئتَ تسأل عن البرّ؟» قلت: نعم. قال: «استفت قلبك، البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك» "[٤] رواه أحمد والدارمي في مسنديهما. وهو من مجاري الورع كالذي

---

(١) أجمع العلماء علىٰ عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال جماعة هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث «الأعمال بالنيات» وحديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». [النووي في شرح مسلم (١١/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٥٥) في الشهادات، [٤] باب ما ينزه من الشبهات، ورقم (٢٤٣١) كتاب اللقطة، [٦] باب إذا وجد تمرة في الطريق، ومسلم في صحيحه [١٦٥. (١٠٧١)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنوهاشم وبنو المطلب دون غيرهم، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٥٣)] كتاب البر والصلة والآداب، ورقم (١٥) به، والترمذي في سننه (٢٣٨٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٣٤).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٢٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٥، ١٠/ ٢٩٤)، =

قبله، وهو ما لم تطمئن إليه النفس ولا يخرجه عن ذلك الإفتاء بالحل، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

وروينا من حديث أبي سِروعة ـ بكسر السين المهملة ـ عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني أرضعت عقبة والتي تزوج بها. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلىٰ رسول الله بالمدينة فسأله فقال رسول الله: «كيف وقد قيل؟» ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره[1] أخرجه البخاري.

وفيه نوع آخر من مجاريه، وهو ما أخبر بتحريمه من لم يكف قوله في التحريم.

وروينا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يُريبك»[2] أخرجه الترمذي وحسَّنه. أي اترك ما تشك فيه وخذ ما لا تشك فيه، وهذا نوع آخر منه وهو ما يريب الإنسان ويشك فيه، والريب أشد من مجرد التردد.

وروينا من حديث عائشة قالت: "كان لأبي بكر الصديق غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانة إلاَّ أني خدعته، فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه"[3] أخرجه البخاري.

= والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٣٤)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٣، ١٦٠، ٧/ ٤٢، ٦٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٧)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٣٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٨) كتاب العلم، [٢٧] باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، ورقم (٢٠٥٢) كتاب البيوع، [٣] باب تفسير المشبهات، ورقم (٢٦٤٠) كتاب الشهادات، [٤] باب إذا شهد شاهد أوشهود بشيء،ورقم (٢٦٥٩) في الشهادات، [١٣] باب شهادة الإماء والعبيد، وكذا رقم (٢٦٦٠، ٥١٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٧، ٣٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٠، ٣/ ١١٢، ١٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣، ٤/ ٩٩)، وابن حبان في صحيحه(٥١٢ـ الموارد)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٥٧، ١٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٥٢، ٣/ ٢٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨، ٣/ ١٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار، [٢٦] باب أيام الجاهلية.

والخراج: شيء يجعله السيد علىٰ عبده يؤديه إلىٰ السيد كل يوم، وباقي كسبه يكون للعبد. وهذا نوع آخر وهو ما به استدراك السُّحت المتناول من غير علم، وهو من المطعوم ونحوه.

وروينا من حديث نافع عن عمر بن الخطاب: " أنه فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه. يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه "[1] أخرجه البخاري. وفيه تنبيه علىٰ أن المتورع عنه أنواع، منها: تفاوت العطاء بحسب تفاوت الاستحقاق تورعًا من التسوية.

وروينا من حديث عطية بن عروة السعدي الصحابي مرفوعًا: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس»[2] أخرجه الترمذي وحسنه. وفيه بيان تفاوت درجات الورع، وأشد من اتقاء الشبهات اتقاء ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٩١٢) كتاب مناقب الأنصار،[٤٥] باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، [١٩]،وابن ماجه في سننه (٤٢١٥) كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ١٥٩، ٦/ ٢٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤) .

مجلس في استحباب العزلة عند فساد الزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قال تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [1] أي: فِرُّوا من المعاصي إلىٰ محبته ومراضيه، أو مما سواه إليه، أو مما لم يكن إلىٰ من لم يزل.

وروينا من حديث سعد بن أبي وقّاص مرفوعًا: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[2] أخرجه مسلم.

والمراد بالغنى غنى النفس[3] كما سبق في الحديث الصحيح.

وفيه من خواص العزلة والاختفاء وعموم الذكر محبة الله لمن اتصف بذلك، وناهيك بذلك.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري قال: " قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «رجل يُجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من؟ قال: «رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه». وفي رواية: «يتقي الله ويدع الناس من شره» "[4] أخرجاه.

وفيه: أن المعتزل في شعب أفضل الناس. وفيه ثلاث فوائد للعزلة: عبادة الرب

---

(١) سورة الذاريات (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١١. (٢٩٦٥)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، وأحمد في مسنده (١/ ١٦٨، ١٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥، ٩٤)، والزبيدي الإتحاف (٨/ ٣١،٣٠٨)، والعجلوني في كشف الخفا(١/ ٢٨٧).

(٣) المراد بالغنىٰ غنىٰ النفس هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «ولكن الغنى غنى النفس» وأشار القاضي إلى أن المراد بالغنى بالمال، وأما الخفي فبالخاء المعجمة، هذا هو الموجود في النسخ، والمعروف في الروايات، وذكر القاضي أن بعض رواة مسلم رواه بالمهملة، فمعناه بالمعجمة الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، ومعناه بالمهملة الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح بالمعجمة. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٩٤) كتاب الرقاق، [٣٤] باب العزلة راحة من خلاط السوء، ومسلم في صحيحه [١٢٢. (١٨٨٨)] كتاب الإمارة [٣٤] باب فضل الجهاد والرباط، وأبو داود في سننه (٢٤٨٥)، والترمذي (١٦٦٠)،والنسائي (٥/ ٨٣ المجتبى)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

تعالىٰ، ولا شك أن الفراغ من كل شاغل عن الخير مُيَسِّر للخير وأن التفرد عن الخلق أبعد عن الرياء وأعون علىٰ الإخلاص. والفائدة الثانية: تقوى الله، ولا شك أن كثيرًا من المعاصي تتعذر في العزلة فكانت مَطِيَّة التقى. وثالثها: ويدع الناس من شره، وإنها لفائدة جليلة وصدقة جزيلة. وفيه أحد مواطن العزلة وهو شعب من الشعاب، ولزوم البيت قريب منه.

وروينا عنه مرفوعًا: «يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[1] أخرجه البخاري. وشعف الجبال أعلاها. وفيه فائدة أخرى للعزلة وهو الفرار بدينه من الفتن، وكان الغنم خير المال لإعانتها علىٰ أشرف الخلال، وقد اعتزل أبو ذر السَّادات ونزل الربذة، فما ظنك بزماننا الخلف وكثرة الأراذل والسفلة.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما بعث الله نبيا إلاَّ رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة»[2] أخرجه البخاري. قلت: فليُقتَدَ بهم. وكان أويس يرعى إبل قومه نحليًا وتكسُّبًا.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير علىٰ متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانَّه[3]، أو رجل في غُنيمة في رأس شَعَفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتىٰ يأتيه اليقين، ليس من الناس إلاَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٩٥) كتاب الرقاق، [٣٤] باب العزلة راحة من خلاط السوء، وأبو داود (٤٢٦٧)، والنسائي (٨/ ١٢٤. المجتبى)، وابن ماجه (٣٩٨٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٦، ٣٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٦٢) كتاب الإجارة، في الإجارات، [٢] باب رعي الغنم علىٰ قراريط، وابن ماجه في سننه (٢١٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٩٨٣)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ١٣٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٥٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال(٦٤٧٦) .

(٣) معناه : يسارع علىٰ زهره، وهو متنه، كلما سمع هيعة، وهي الصوت عند حضور العدو، وهي بفتح الهاء وإسكان الياء : الفزعة، بإسكان الزاي، النهوض إلىٰ العدو . ومعنىٰ يبتغي القتل مظانه يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة، وفي هذا الحديث فضيلة الجهاد . والرباط الحرص علىٰ الشهادة.

وقوله ﷺ : «أو رجل في غنيمة في رأس شعفة» الغنيمة، بضم الغين : تصغير الغنم، أي قطعة منها، والشعفة بفتح الشين والعين : أعلى الجبل . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣، ٣٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

في خير»[١] أخرجه مسلم. يطير: أي يسرع. ومتنه: ظهره. والهيعة: الصوت للحرب. والفزعة نحوه، ومَظَانُّ الشيء: المواضع التي يظن وجوده فيها. والغُنيمة بضم الغين: تصغير الغنم. والشَّعَفة بفتح الشين والعين: أعلى الجبل. وفيه مدح العزلة مطلقًا، وفيه أنه ليس من الناس إلاَّ في خير كما جمعه هذا الحديث، وهو من جوامع كلمه.

فصل في الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قدر علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء والصبر علىٰ الأذىٰ

هذا الذي كان عليه الشارع[٢] والأنبياء والخلفاء ومن بعدهم من العلماء وأخيارهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء. قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣] والآيات في معنىٰ ذلك كثيرة معلومة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (١٨٨٩)] كتاب الإمارة، [٣٤] باب فضل الجهاد والرباط، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٧، ٣١٩)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٩٤).

(٢) في إيذاء المشركين للنبي ﷺ روى البخاري في صحيحه (٤٨١٥) كتاب تفسير القرآن، من سورة المؤمن (غافر) عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبوبكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: " أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ". وفي إيذاء أصحابه ﷺ روىٰ أحمد في مسنده (١/ ٤٠٤) بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: " إن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.
فأما رسول ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وأوقفوهم في الشمس، فما من أحد إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا غير بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان علىٰ قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد ".

(٣) سورة المائدة (٢).

مجلس في تحريم الكبر والإعجاب

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2] أي يميله ويعرض عن الناس تكبرًا عليهم، والمرح: التبختر. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾[3] إلىٰ قوله: ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: ٨١]

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسنًا ونعله حسنةً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال[4]، الكبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس» أخرجه مسلم[5].

بَطَرُ الحق: دفعه ورده علىٰ قائله. وغَمْطُ الناس: احتقارهم.

---

(١) سورة القصص (٨٣).
يخبر تعالىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي ترفعًا علىٰ خلق الله وتعظماً عليهم وتجبرًا بهم ولا فسادا فيهم، كما قال عكرمة: العلو التجبر. وقال سعيد جبير: العلو البغي، وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور، عن مسلم البطين: العلو في الأرض التكبر بغير حق، والفساد أخذ المال بغير حق. [تفسير ابن كثير (٣/٤١٦)].

(٢) سورة لقمان (١٨).

(٣) سورة القصص (٧٦).

(٤) قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»: اختلفوافي معناه، فقيل: إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى، وصفات الجمال والكمال، وقيل: جميل بمعنى مجمل، ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع.
قال الإمام أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ معناه جليل. وحكى الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة، أي مالكهما، وقيل: معنى جميل الأفعال لكم باللطف والنظر إليكم .... إلى آخره. [النووي في شرح مسلم (٢/٧٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٩١)] كتاب الإيمان، [٣٩] باب تحريم الكبر وبيانه، والترمذي في سننه (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وأبو داود في سننه (٤٠٩١)، وابن ماجه في سننه (٥٩، ٤١٧٣)، والزبيدي في الإتحاف (٦/٤٩٨، ٨/١٩٢، ٣٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٧٩، ٤/١١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٠٨).

وأول من تكبر ذلك اللعين.

ورويناه من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: " أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كُلْ بيمينك» قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت» ما منعه إلاَّ الكبر، قال: فما رفعها إلىٰ فيه "[١] أخرجه مسلم. ومن جملة قبائحه إيقاعه في الكذب بنحو لا أستطيع (لا جد)[٢] ما عقبه دعاء من لا يُرَدُّ بقوله: «لا استطعت».

ورويناه من حديث حارثة بن وهب مرفوعًا: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جوَّاظ مستكبر»[٣] وستعلم شرحه في باب ضعفة المسلمين. وما أعظم هذا النداء، وفيه شمول لنار الدنيا والأخرى الروحانية والجثمانية.

ورويناه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «احتجَّت الجنة والنار، قالت النار: فِيَّ الجبَّارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس وسقطُهُم[٤] فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أُعذِّب بك ما أشاء، ولكليهما عليَّ مِلؤُها»[٥] أخرجه مسلم، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٢][٦].

ورويناه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جرَّ إزاره بَطَرًا»[٧] أخرجاه. وما أشد هذا الحرمان وإنه لنقيض قصده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧. (٢٠٢١)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٠٥)، والدارمي في سننه (٢/ ٩٧).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٧١) كتاب الأدب، [٦١] باب الكبر، مسلم في صحيحه [٤٦ - (٢٨٥٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

(٤) قوله ﷺ: «وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم» أما سقطهم فبفتح السين والقاف أي ضعفاؤهم والمتحقرون منهم، وأما عجزهم فبفتح العين والجيم، جمع عاجز، أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦. (٢٨٤٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٦)، والترمذي في سننه (٢٥٦١)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٤).

(٦) سورةالزمر (٧٢) وسورة غافر (٧٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٣) كتاب اللباس، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، ورقم (٥٧٨٨) في اللباس، [٥] باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٨. (٢٠٨٧)] كتاب اللباس والزينة، [٩] باب تحريم جر الثوب خيلاء،

وروينا من حديثه مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم؛ شيخ زَانٍ وملك كذَّاب وعائل مستكبر»[(١)] أخرجه مسلم. والعائل: الفقير. وما أشد من اجتمع عليه هؤلاء الثلاثة لا سيما كلام محبوبه. وفيه أن الكبر قد يفحش ببعض (محاله)[(٢)] فإنه لأشد قبحا بالعائل المتكبر.

وروينا عنه مرفوعًا: «العزُّ إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذَّبته»[(٣)] أخرجه مسلم. وأي مصيبة أعظم ممن ينازع رب الأرباب في ذلك وهو من طين وماء مهين، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] وإن تعذيبه لأقل جزائه.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «بينما رجل يمشي في حُلَّة يعجب نفسه مُرجِّل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة»[(٤)] أخرجاه. مُرجِّل: ممشِّط. ويتجلجل تحتهن: يغوص وينزل. وفيه أبلغ الحذر من الإعجاب بالنفس وإن لم يكن كالكبر.

وروينا من حديث سلمة بن الأكوع مرفوعًا: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتىٰ يُكتب في الجبَّارين فيصيبه ما أصابهم»[(٥)] رواه الترمذي وحسَّنه. ويذهب: يرتفع ويتكبر، وفيه التحذير من البوادي المؤدية إلىٰ الإعجاب.

= والترمذي في سننه (١٧٣٠)، وابن ماجه (٣٥٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٢. (١٠٧)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (٢٦٢٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٨] باب تحريم الكبر، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٣٨).
قال النووي: الضمير في إزاره ورداؤه يعود إلى الله تعالىٰ للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالىٰ: ومن ينازعني ذلك أعذبه، ومعنىٰ ينازعني يتخلف بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه، وأما تسميته إزارا ورداءً فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعارا ودثارا، بل معناه صفته. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٩) كتاب اللباس، [٥] باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٩. (٢٠٨٨)] كتاب اللباس والزينة، [١٠] باب تحريم التبختر في المشي مع إعجاب بثيابه.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٧١).

مجلس في حُسن الخُلق

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] وفيها استعظام خلقه ومدحه. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[2] الآية. وفيها تفاصيل حرمات الأخلاق وإطلاق الإحسان واستدراك الهفوات.

وروينا عن ابن المبارك فيما حكاه عنه الترمذي أن حُسن الخُلق طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا "[3] أخرجاه. فحسن الخلق من سمته، فقصبات السبق حازها، وأي مُرغِّب للألبَّاء في رفقة من هذا صفته.

وروينا من حديثه أيضا: " ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة أطيب من رائحة رسول الله، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال قط: أُفٍّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا " . أخرجاه[4] وما أحسن هذا الخَلق والخُلق.

---

(١) سورة القلم (٤) .
قال العوفي عن ابن عباس : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ هو الإسلام، وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس، وقال عطية : لعلى أدب عظيم، وقال معمر عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت : " كان خلقه القرآن "، يقول سعيد : كما هو في القرآن .
[تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢)] .

(٢) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٥٥)، خرجه مسلم في صحيحه [٢٦٧ ـ ٦٥٩()] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٨] باب جواز الجماعة في النافلة، و[٥٥ ـ (٢٣١٠)] كتاب الفضائل، [١٣] باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٢، ٢٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٦، ٣/ ٦٦، ٥/ ٢٠٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٥١) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٣٢٢،٥٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٦١) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢٣٣٠)] كتاب الفضائل، [٢١] باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، ورقم [٥. (٢٣٠٩)] كتاب الفضائل، [١٣] باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا .

وروينا من حديث الصعب بن جَثَّامة قال: " أهديت إلىٰ رسول الله ﷺ حمارا وحشيًا فردَّه عليَّ، فلما رأى ما في وجهي قال: «إنَّا لم نَرُدَّهُ عليك إلاَّ أنا حُرُم» "[١] أخرجاه. وما أحسن هذا الاعتذار وألطفه.

وروينا من حديث النواس بن سمعان قال: " سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البرُّ حُسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس» "[٢] أخرجه مسلم. فبذل المعروف بطلاقة الوجه لا أهم منه بعد كفِّ الأذى وتلافيه.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: " لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا» "[٣] أخرجاه. وإنما لم يكن كذلك لأن الله تعالىٰ يبغض الفاحش البذيء كما سيأتي.

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[٤] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. والبذيء هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام، وفيه بيان رتبة الخُلق الحَسن وأنه أرجح من كل محبوب.

وروينا من حديث أبي هريرة: " سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الجنة، قال: «تقوى الله وحُسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٢٥) كتاب جزاء الصيد، [٦] باب إذا أهدي للمحرم حماراً وحشيًا حيا لم يقبل . ، ورقم (٢٥٧٣) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [٦] باب قبول الهدية، ورقم (٢٥٩٦) في الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٧] باب من لم يقبل الهدية لعلة، ومسلم في صحيحه [٥٠ . (١١٩٣)] كتاب الحج، [٨] باب تحريم الصيد للمحرم،وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨)، ومالك في الموطأ (٣٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٥٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٥] باب تفسير البر والإثم، وكذا رقم (١٥) به، والترمذي في سننه (٢٣٨٩)،وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٤) والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٥٩) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ورقم (٣٧٥٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢٨] باب مناقب عبد الله بن مسعود ﵄، ورقم (٦٠٢٩) كتاب الأدب، [٣٨] باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشا، ورقم (٦٠٣٥) في الأدب، و[٣٩] باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وابن ماجه، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٢٣) .

والفرج» "[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا عنه مرفوعًا: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. فيه قوة الإيمان ودرجاته متفاوتة كدرجات الإيمان، وفرق بين قولنا الأكمل إيمانا أحسن خُلقا وعكسه كما هو ظاهر من قولنا: أشد الناس شبعا أكثرهم أكلا وعكسه.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٣] رواه أبو داود. وفيه من الجواذب إليه تعريف الحريص علىٰ الخير.

وروينا من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «أنا زعيم ببيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقًّا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلا الجنة لمن حسُن خلقه»[٤] رواه أبو داود بإسناد صحيح. والزعيم: الضامن.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثَّرْثَارون والمتشدِّقون والمُتَفَيْهِقُون» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثَّرثارون والمتشدِّقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٥] رواه الترمذي وحسنه. والثرثار هو كثير الكلام تَكَلُّفًا، والمتشدق: المتطاول علىٰ الناس بكلام، ويتكلم بملئ فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه. والمتفيهقون: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فاه بالكلام ويتوسع فيه ويُغرِب به تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة علىٰ غيره وبالمحبة السابقة والقرب من فوز وقرة عين.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٩٢٣، ٢٠٠٤. الموارد).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١١٦٢) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها، وأبو داود في سننه (٤٦٨٢) كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٩٨)، وأحمد في مسنده (٦/ ٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٧، ٨/ ٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٠٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٣)، وابن حبان في صحيحه (١٩١٧. الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١، ٩/ ٣٢٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٢).

مجلس في الحلم والأناة والرفق

قال تعالىٰ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وهذا من صفات أهل الجنة. وقال تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2]. وإذا طُلب هذا من سيد الكاملين فكيف من أحاد الناقصين. وقال تعالىٰ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] إلىٰ قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٦] . والدفع بذلك بحسم مادة العداوة يُريح من عمومها عاجلًا وآجلًا. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[4] فهما من عزم الأمور فلا مندوحة عنه لذي عقل، فأعظم بأمر لأهل الجنة والكمال المقرب من الله تعالىٰ فالراحة العاجلة والرأي السديد.

وروينا من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[5] أخرجه مسلم. وكفى بذلك شرفًا له.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[6]

---

(١) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٢) سورة الأعراف (١٩٩) .

قال ابن عباس : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] يعني خذ ما عفي لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء، فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات . قاله السدي، وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أنفق الفضل. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٣)] .

(٣) سورة المؤمنون (٩٦) . (٤) سورة الشورى (٤٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥ (١٧)] كتاب الإيمان، [٦] باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، وأبو داود (٥٢٢٥) كتاب الأدب، باب في قبلة الحسد، والترمذي (٢٠١١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة . ، وابن ماجه (٤١٨٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٣، ٥٠، ٤/ ٢٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٠٢)، وابن حبان في صحيحه (١٣٩٣، ٢٢٦٧) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٢٤) كتاب الأدب، [٣٥] باب الرفق في الأمر كله، ومسلم في صحيحه [٧٧.(٢٥٩٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق، وأحمد في مسنده (١/ ١١٢، ٤/ ٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٢٥١)، وابن حبان في صحيحه (١٩١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٠٦)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨١، ١٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨، ٣/ ٢١٣) .

أخرجاه. فهو من صفاته وما أجلَّها.

وروينا من حديثهما أيضًا مرفوعًا: «إن الله رفيق يحب الرِّفق، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يعطي علىٰ العُنف وما لا يعطي علىٰ ما سواه»[١] أخرجه مسلم. فكل أمر لا يوصل إليه العنف أو يوصل إليه بشدة فالله تعالىٰ يجعل الرفق موصلاً إليه، أتم إيصال وأجمله.

وروينا عنها أيضًا مرفوعًا: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزَع من شيء إلا شانه»[٢] أخرجه مسلم أيضا. وأين الزين من الشين.

وروينا من حديث أبي هريرة قال: " بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه، وأريقوا علىٰ بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنُوبا من ماء، فإنما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين»[٣] أخرجه البخاري. السَّجْل بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: الدَّلو الممتلئة ماء، كذلك الذنوب. وفيه بيان محل الرفق وصفته، فمحله أولا المنكرات وتغييرها، وصفته نحو «دعوه»، وتلافي ما وقع نحو «أريقوا»، وإسماعه نحو «فإنما بُعثتم ميسرين» فإنه آنس له ما زجر.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا»[٤] أخرجاه، وهو بيان لصفة الرفق.

وروينا من حديث جرير بن عبد الله مرغوعا: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»[٥] أخرجه مسلم. وهو منفر لتركه، وأكده بقوله: كله.

وروينا من حديث أبي هريرة أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢٥٩٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٢٥٩٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق، وأحمد في مسنده (٦/ ١٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٤٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٠) كتاب الوضوء، [٦١] باب صب الماء علىٰ البول في المسجد، والنسائي (١/ ٤٩، ١٧٥. المجتبى) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩) كتاب العلم، [١٢] باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم في صحيحه [٨. (١٧٣٤)] كتاب الجهاد والسير، [٣] باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤. (٢٥٩٢)] كتاب، [٧٥] كتاب البر والصلة والآداب،[٢٣] باب فضل الرفق، وأبو داود في سننه (٣٦٨٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٢، ٣٦٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٢، ٣٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٦، ٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٦٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٦٨) .

تغضب». فردَّدَ مرارا، قال: «لا تغضب»[١] أخرجه البخاري. والغضب مانع من الحلم والرفق.

وروينا من حديث أبي يعلى شداد بن أوس مرفوعًا: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته»[٢] أخرجه مسلم. وفيه ما يسهل التخلق بالحلم والأناة فيحصل المقصود من غير كلفة.

وروينا من حديث عائشة: " ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاَّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلاَّ أن تُنتهك حُرمة الله فينتقم لله تعالىٰ»[٣] أخرجاه. فينبغي الاقتداء به في ذلك فنعم الأسوة.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ألا أُخبرُكُم بمن يحرم علىٰ النار أو بمن تَحْرُمُ عليه النار؟ تَحرُمُ علىٰ كل قريب لين سهل»[٤] رواه الترمذي وحسَّنه. وفيه ما يصرف مقتضى الحلم والرفق، وأمر بما يحرم صاحبه علىٰ النار ليصابر ويستديم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١١٦) كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، والترمذي في سننه (٢٠٢٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٥، ٣٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (١٩٥٥)] كتاب الصيد والذبائح، [١١] باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩)، والنسائي (٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٣١٧٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١٢٦) كتاب الأدب، [٨٠] باب قول النبي ﷺ : «يسروا ولا تعسروا»، ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢٣٢٧)] كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، وأبو داود في سننه (٤٧٨٥) كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥)، وابن عبد البر في التمهيد(٨/ ١٤٨، ١٤٩) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٤٥]، وابن حبان في صحيحه (١٠٩٧. الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٨٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٦٢)،وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٣٨) .

مجلس في العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[(١)] وإذا كان هذا الأمر لأقرب الخلق لديه وأكرمهم عليه وأحبهم إليه فما ظنُّك بغيره؟ وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[(٢)] وهو كالتفسير للإعراض، والمراد بالجميل الذي لا جزع فيه ولا عتب ولا كظم بل بحلم وسماح. وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[(٣)] فمن عفا وصفح غُفر له وجزاه وِفاقًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشّورى: ٤٣]. أي فذلك شأن أهل العزم والكمال. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وروينا من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: " هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم

---

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) سورة الحجر(٨٥).

أخبر تعالىٰ نبيه بقيام الساعة، وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به، كقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٩] وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال، وهو كما قالا ؛ فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة. [تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٣)].

(٣) سورة النور (٢٢).

نزلت هذه الآية في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله علىٰ من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد علىٰ من أقيم عليه، شرح تبارك وتعالىٰ ـ وله الفضل والمنة ـ يعطف الصديق علىٰ قريبه ونسيبه، وهو مسطح ببن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفا بالمعروف، وله الفضل والأيادي علىٰ الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٤)].

عليٰ وجهي فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل ﷺ فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشَبين. فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» [2] أخرجاه.

الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ. وفيه: أن أهل العفو والمتصف به سادة الأنبياء وهم أرفع الناس قدرًا وأعلاهم همة وأوفرهم كمالاً وأكرمهم طبعًا وأعزهم نفسا وأشرفهم رتبة، فطوبى لمن سلك سبيلهم واقتفى مآثرهم، والإعراض عن الكف في ذلك العظيم.

وروينا من حديثها أيضا: " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلاَّ أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالىٰ فينتقم لله تعالىٰ "[3] أخرجه مسلم. وما أحسن هذا الخلق العظيم.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلىٰ صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية الرِّداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء "[4] أخرجاه. فانظر ما قابل الإساءة بها وهو الإحسان.

---

(١) أي لم أوطن لنفسي وأتنبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه إلا وأنا عند قرن الثعالب، لكثرة همي الذي كنت فيه . قال القاضي : قرن الثعالب هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو علىٰ مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير . [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١٣٩) ومسلم في صحيحه [١١١. (١٧٩٥)] كتاب الجهاد والسير، [٣٩] باب ما لقي النبي ﷺ من أذىٰ المشركين والمنافقين، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٤٨)، والقاضي عياض في الشفاء (١/ ٢٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩. (٢٣٢٨)] كتاب الفضائل، [٢٠]باب مباعدته ﷺ للآثام،واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، وأبو داود في سننه (٤٧٨٦) كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، وابن ماجه في سننه (١٩٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٦٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٨٨) كتاب الأدب [٦٨] باب التبسم والضحك .

وروينا من حديث ابن مسعود: «كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح عن وجهه وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١] أخرجاه.

وروينا فيهما عن أبي هريرة مرفوعًا: «ليس الشديد بالصُّرَعَةِ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٢].

والمراد إنما الشديد الشدة الكمالية النافعة دنيا وأُخرى، وليعتريه اللبيب وإنه لإغراء بليغ عجيب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦] عقب باب حديث الغار، ورقم (٦٩٢٩) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [٥] باب خلف باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٠٥.(١٧٩٢)] كتاب الجهاد والسير، [٣٧] باب غزوة أحد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١١٤) كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٦٠٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٢٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥، ٣٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٠، ٤٤٧).

مجلس في احتمال الأذى

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [1]. وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [2]. وقد سلف في المجلس قبله. وحاصله الترغيب علىٰ الاحتمال؛ فإن كظم الغيظ من صفات أهل الجنة، وأهله من المحسنين والباري يحبهم وهو من عزم الأمور[3]، وكظم الغيظ أن يتجرعه فيمسك علىٰ ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثر، من قولهم: كَظَمَ القربة إذا ملأها وشدَّها، وكَظَمَ البعير إذا لم يجتر.

وروينا من حديث أبي هريرة: " أن رجلا قال يا رسول الله، إن لي قرابة أصِلَهُم ويقطعوني. . . "[4] الحديث، وقد سلف بطوله وشرحه في صلة الأرحام، وقد أخبر فيه أنه يناله من الاحتمال والحلم عنهم ألم عظيم وهو شاق من الغيظ كاف؛ فإنه لن يزال معه من الله ظهير عليهم وكفى به وناهيك.

---

(١) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٢) سورة الشورى (٤٣) .

(٣) قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] قال سعيد بن جبير : يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالىٰ بها ، أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل . [ابن كثير في تفسيره (٤/١١٩)] .

(٤) تقدم تخريجه من قبل في صلة الأرحام .

مجلس في الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]. رغب في تعظيمها، ومنه الغضب إذا انتُهكت. وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2] أي في كل موطن دنيا وأخرى. وفي الباب حديث عائشة السالف في العفو.

وروينا من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري قال[3]: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا. فما رأيتُ رسول الله ﷺ غضب في موعظة قط أشد ما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة» أخرجاه.

وروينا من حديث عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة له بقرام فيه تماثيل، فلما رآها رسول الله هتكه وتلوَّن وجهه وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»[4] أخرجاه. والسهوة

---

(١) سورة الحج(٣٠).
أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: ٣٠] أي فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك علىٰ ترك المحرمات واجتناب المحظورات. قال ابن جريج قال مجاهد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها، وكذلك قال ابن زيد. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥)].

(٢) سورة محمد (٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٠٢) كتاب الأذان، [٦١] باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، ومسلم في صحيحه [٨٢ (٤٦٦)] كتاب الصلاة، [٣٧] باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في إتمام، وابن ماجه في سننه (٩٨٤، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩٥٤) كتاب اللباس، [٩١] باب ما وطئ من التصاوير، ومسلم في صحيحه [٩٢. (٢١٠٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان=

كالصفة تكون بين يدي البيت، والقِرام بكسر القاف: ستر رقيق. وهتكه[١]: أفسد الصورة التي فيه. وفيه وما بعده وما قبله غضبه لله تعالىٰ حتىٰ يُرَى ذلك في وجهه، وكفى بذلك مرغبًا، فالخير كله في اتباعه لأنه أكمل الخلق وأعلمهم بالله وبمراضيه، حشرنا الله في زمرته وتحت لوائه. وفيه الغضب عند التنفير من العبادة وبغض دينه وتحمل المشقة الشديدة وتضييع المصالح المهمة والوعظ بأن «منكم منفرين»، والتعليم بـ «أيكم أمَّ الناس فليوجز»، وتعريف الضرورة بنحو: «فإن من ورائه» إلىٰ آخره. وفي الثاني بيان صفة الإزالة باليد.

وروينا من حديث عائشة أيضًا أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ.[٢] فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟». ثم قام واختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٣] أخرجاه. وفيه عدم السعي في تعطيل الحدود رعاية لأهل الوجاهة والشرف، وصفة ما يفعل عند ذلك حتىٰ علىٰ الحثِّ بنحو: «أتشفع في كذا»، ثم الإسهاب بنحو القيام والاختطاب البيِّن وقال ذلك

= وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه.

قال النووي: السهوة: بفتح السين المهملة، قال الأصمعي: هي شبيهة بالرف أو بالطاق يوضع عليه الشيء. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ٧٤،٧٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) قولها: " هتكته " : هو بمعنى قطعه وأتلف الصورة التي فيه، وقد صرحت في الروايات المذكورات بعد هذه بأن هذا النمط كان في صور الخيل ذوات الأجنحة، وأنه كان فيه صورة فيستدل به لتغيير المنكر باليد، وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر، وأنه يجوز اتخاذ السائد، والله أعلم. [المرجع السابق (١٤/ ٧٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أجمع العلماء علىٰ تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الحاكم لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شرٍّ وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التي لاحد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا ؛ لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه. [النووي في شرح مسلم (١١/ ١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] آخر باب بالكتاب، ومسلم في صحيحه [٨(١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود . ، وأبو داود في سننه (٤٣٧٣) كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه . ، والترمذي في سننه (١٤٣٠) كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، وابن ماجه في سننه (٢٥٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٥٣) .

وأنه أهلك الأوائل، ثم إظهار التصميم حتىٰ في الأعز الأحب مؤكدا بالقسم، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [(١)].

وأَمَّـنْـتَـنـي وأهـنـت نـفـسـي راضـيًـا ... مـا مـن يـهـون عـلـيـك مـمـن أكـرم

وروينا من حديث أنس أن النبي ﷺ رأى نُخامة في القبلة فشقَّ ذلك عليه حتىٰ رُئي في وجهه، فقام فحكَّه بيده فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قِبَل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه»[(٢)]، ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم ردَّ بعضه علىٰ بعض فقال: «أو يفعل هكذا»[(٣)] أخرجاه. والأمر بالبصاق عن يساره وتحت قدمه هو فيما إذا كان في غير المسجد، فأما فيه فلا يبصقنَّ إلاَّ في ثوبه. وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الله والاستهانة بشعائره، وحالة رؤية آثار ذلك كالنخامة والمبادرة إلىٰ حكِّها، والتمثيل بما يخجل من (. . . . . . .)[(٤)].

---

(١) سورة النور (٢).
أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهما في شرع الله، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية علىٰ ترك الحد، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم علىٰ ترك الحد ؛ فلا يجوز ذلك، قال مجاهد : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان، فتقام ولا تعطل . [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٩)] .

(٢) نهي المصلي عن البصاق بين يديه وعن يمينه، وهذا عام في المسجد وغيره، وقوله ﷺ : «وليبزق تحت قدمه وعن يساره هذا في غير المسجد، أما المصلي في المسجد فلا يبزق إلا في ثوبه ؛ لقوله ﷺ : «البزاق في المسجد خطيئة» فكيف يأذن فيه ﷺ ؟ وإنما نهىٰ عن البصاق عن يمينه تشريفًا لها . [النووي في شرح مسلم (٥/ ٣٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٠٥) كتاب الصلاة، [٣٣] باب حك البزاق باليد من المسجد، ورقم (٤١٧) [٣٩] باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه، ومسلم في صحيحه [٥٤. (٥٤٨، ٥٥١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها .

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل .

مجلس في أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصحهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [1] أمر بتواضعه ولينه لهم فكيف بغيره. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [2] الآية. وفيها تفصيل ما يفعل وما يترك. والتفصيل بعد الإجمال وبيان الجزئيات الناشئة عن أمر بعد التأسيس حُسْن بالغ.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته» [3] شامل لما فصل قبل ذلك.

وروينا من حديث معقل بن يسار مرفوعًا: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرَّم الله عليه الجنة» [4] أخرجاه. ولمسلم: «ما من

---

(١) سورة الشعراء (٢١٥).

(٢) سورة النحل (٩٠).

يخبر تعالىٰ أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، وقال ابن عباس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النّحل: ٩٠] قال شهادة أن لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة: العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته. [تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٠، ٦٠١)].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٩٣) كتاب الجمعة، [١١] باب الجمعة في القرى والمدن، وكذا رقم (٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥٢٠٠)، ومسلم في صحيحه [٢٠. (١٨٢٩)] كتاب الإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث علىٰ الرفق بالرعية، والترمذي في سننه (١٧٠٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٥، ٥٤، ١١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٨، ٦/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٥٠) كتاب الأحكام، [٨] باب من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم في صحيحه [٢١. (١٤٢)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والبيهقي في السنن الكبرى(٩/ ٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦).

أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلاَّ لم يدخل معهم الجنة»[(١)]. وفيه تحذير كل راع من الغِشِّ وعدم النصيحة والجهد له وما أبلغه من تهديد.

وروينا من حديث عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»[(٢)] أخرجه مسلم. وفيه الدعاء علىٰ من شَقَّ عليهم بتشديد أو غيره والدعاء لمن رفق بهم، فليختر لنفسه ولي الأمر، والله المستعان.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كانت بنو إسرائيل تَسُوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «أوفوا ببيعة الأول ثم أعطوهم حقهم وسلوا الله الذي لكم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[(٣)] أخرجاه. وفيه الحث علىٰ الشفقة والقيام بالحقوق كلها، إذ من سائله الله لا بُدَّ وأن يجيب فإن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌّ.

وروينا من حديث عائذ بن عمرو أنه دخل علىٰ عبيد الله بن زياد فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شرَّ الرّعاء الحُطمة، فإياك أن تكون منهم»[(٤)] أخرجاه. وفيه التحذير من الإغلاظ والتشديد والغش والإيذاء وكل فساد[(٥)]، وفي تسميته بالحُطمة وأنه شرّ الرّعاء ما فيه كفاية.

وروينا من حديث أبي مريم الأزدي أنه قال لمعاوية: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاَّه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم احتجب الله دون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢. (١٤٢)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٦) والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩. (١٨٢٨)] كتابالإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٣، ١٠/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٢] باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم في صحيحه [٤٤. (١٨٤٢)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٤)، والألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٢٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٥٣، ٦/ ٢٢٤).

(٤) قوله ﷺ : «إن شر الرعاء الحطمة» قالوا :هو العنيف في رعيته، لا يرفق بها في سوقها ومرعاها، بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها . [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣. (١٨٣٠)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية،والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٨)،وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٢٨٥).

حاجته وخلَّته وفقره يوم القيامة». فجعل معاوية رجلا علىٰ حوائج الناس "[١] رواه أبو داود والترمذي. وفيه تهديد من أهمل مصالح المسلمين وتغافل عنهم وعن حوائجهم واحتجب دونهم بما لا طاقة لأحد به.

مجلس في الوالي العادل

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [٢] الآية. وقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [٣]. وفي الآية الأولىٰ إشعار بأن العادل امتثل أمر الله، وكفىٰ بذلك جمالاً وعبودية. وفي الثانية أثر ذلك وثمرته وفائدته العُظْمى وهي بشارة أن الله يحب المقسطين.

وروينا من حديث أبي هرير مرفوعًا[٤]: «سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله؛ إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» أخرجاه. وإذا أظل الله تعالىٰ الإمام العادل في ظله فأيُّ مضرَّة أو مذلَّة تناله.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «إن المقسطين عند الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٤٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٢٩).

(٢) سورة النحل (٩٠).

(٣) سورة الحجرات (٩).

أي اعدلوا بينهما فيما كانا أصاب بعضهم لبعض بالقسط، وهو العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ منابر من نور علىٰ يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا». [تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١)].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٢٣) كتاب الزكاة، [١٨] باب الصدقة باليمين، ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي في سننه (٢٣٩١) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي (٨/ ٢٢٢. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٢، ٥/ ٧) وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠١).

علىٰ منابر من نور؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[(١)] أخرجه مسلم. وناهيك بذلك وجاهة ورفعة.

وروينا من حديث عوف بن مالك مرفوعًا: «خيار أئمتكم الذين تحبُّونهم ويحبونكم وتُصلُّون عليهم ويُصَلُّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا نُنَابذهم؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»[(٢)] أخرجه مسلم. تُصلُّون عليهم: تدعون لهم، فهؤلاء الخيار ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[(٣)].

وروينا من حديث عياض بن حمار مرفوعًا: «أهل الجنة ثلاثة؛ ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف مُتَعفِّف ذو عيال»[(٤)] أخرجه مسلم. وفيه أنهم من أهل الجنة وليس وراعيًا ذات قربة.

مجلس في وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم فيها

قال تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[(٥)] فأمر تعالىٰ بذلك. فأولوا الأمر: قيل العلماء الدينيون الذين يُعلِّمون الناس الدين ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: أُمراء السرايا. والأشهر أنهم الحُكَّام وولاة الأحكام، فلما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨. (١٨٢٧)] كتاب الإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والنسائي (٨/ ٢٢١. المجتبى)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٦ ـ (١٨٥٥)] كتاب الإمارة، [١٧] باب خيار الأئمة وشرارهم، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٨، ١٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٠٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٧١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٧).

(٣) سورة الرعد (٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٣. (٢٨٦٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٦] باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٢، ٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٤٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٦٠).

(٥) سورة النساء (٥٩).

أمر تعالىٰ الولاة بأداء الأمانات إلىٰ أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس أن يطيعوهم وينزلوا علىٰ قضاياهم. والمراد أمراء الحق لا الجور.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا(١): «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلاَّ أن يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» أخرجاه. فسبب الوجوب صفة الإسلام بشرط كونه طاعة.

وروينا من حديثه أيضًا قال: " كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم» "(٢) أخرجاه. وما لا يُستطاع ليس في الوسع: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣).

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٤) أخرجه مسلم. وله: «ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت مِيتة جاهلية»(٥). المِيتة: بكسر الميم. وفيه التحذير البليغ من المخالفة مع الشرطين.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدا حبشيًا كأن رأسه زبيبة»(٦) أخرجه البخاري. وليس ذلك بمانع من طاعته، فذو الشَّوكة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٤) كتاب الأحكام [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم في صحيحة [٣٨. (١٨٣٩)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، والنسائي (٧/ ١٦٠. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٨٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٩٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٢٠٢) كتاب الأحكام (٢٣) باب كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم في صحيحه [٩٠. (١٨٦٧)] كتاب الإمارة، [٢٢] باب البيعة علىٰ السمع والطاعة في ما استطاع، والترمذي في سننه (١٥٩٣) كتاب السير، باب ما جاء في بيعة النبي ﷺ، والنسائي (٧/ ١٥٢. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٩، ٣/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٢) .

(٣) سورة البقرة (٢٨٦) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١٨٥١)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج علىٰ الطاعة ومفارقة الجماعة، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٣٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٢٠٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٨٤) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (١٨٤٨)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وأحمد في مسنده (٢/ ٨٣، ١٥٤) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٢) كتاب الأحكام، [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وابن ماجه في سننه (٢٨٦٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١١٤)، والبيهقي في=

يُطاع ولو كان ناقصا.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسْرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»(١) أخرجه مسلم. فليس شيء من هذه الأمور بمانع من وجوب الطاعة.

وروينا من حديث ابن عمرو قال: " كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، فمنَّا من يُصلح خِبَاءَه، ومنَّا من ينتضل، ومنَّا من هو في جَشَرِه إذ نادى منادي رسول الله: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي إلاَّ كان عليه حقا أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أُمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيُرقق بعضها(٢) بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح من النار ويدخل الجنة فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليُطعه إن استطاع، فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عُنُقَ الآخر»(٣) أخرجه مسلم.

وينتضل: يسابق بالرمي بالنبل والنشاب. والجَشَرُ بفتح الجيم والشين المعجمة

= السنن الكبرى (٨/ ١٥٥)، والتبريزي في مشكاةالمصابيح (٣٦٦٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٦)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ ـ (١٨٣٦)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٨١، ٥/ ٣٢١)، وابن حبان في صحيحه (١٥٤٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢١).

(٢) قوله ﷺ: «وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا» هذه اللفظة رويت علىٰ أوجه: أحدها وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة: يُرَقِّقُ. بضم الياء وفتح الراء وبقافين. أي يصير بعضها رقيقا أي خفيفا لعظم ما بعده.
فالثاني يجعل الأول رقيقا، وقيل معناه: يشبه بعضها بعضا، وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء، وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها.
والوجه الثاني: فيرْفُق. بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة. والثالث: فيدفق. بالدال المهملة الساكنة، وبالفاء المكسورة. أي يدفع ويصيب، والدفق الصب. [النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦. (١٨٤٤)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، والنسائي (٧/ ١٥٣. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٣٥٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥، ١٢٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢).

وبالراء: الدواب التي ترعى وتبيت في مكانها. وترقق بعضها إلىٰ بعض: أي تصير بعضها بعضًا رقيقًا أي خفيفا لعظم ما بعده، فالثاني يرقق الأول. وقيل: تسوق بعضها بعضا بتحسينها وتسويلها. وقيل: تشدّ بعضها بعضا. وفيه أن من بويع أولا فهو أحق بالطاعة[١]، فتضرب رقبة الأخير إن أضرَّ وضال.

وروينا من حديث وائل بن حجر قال: " سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم "[٢] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «سيكون بعدي أُمراء وأمور تُنكرونها». قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدُّون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»[٣] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»[٤] أخرجاه. وفيه بيان رتبة الإمارة وكبر شأنها، ولا أبلغ في التعبير عن ذلك بذلك، وهو من الشكل الرابع.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السُّلطان شبرا فمات عليه إلاَّ مات ميتة جاهلية»[٥] أخرجاه. ولا شك أن الخروج شؤم.

---

(١) قوله ﷺ» فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج علىٰ الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالم متعد في قتاله. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٩٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٩ ـ (١٨٤٦)] كتاب الإمارة، [١٢] باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، والترمذي (٢١٩٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٧٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٣، ٤/ ٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٦٠٣) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ورقم (٧٠٥٢) كتاب الفتن، [٢] باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، ومسلم في صحيحه [٤٥. (١٨٤٣)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢٨، ٤٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٣٧) كتاب الأحكام، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ومسلم في صحيحه [٣٢. (١٨٣٥)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٣) كتاب الأحكام، [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن=

وروينا من حديث أبي بكر مرفوعًا: «من أهان السلطان أهانه الله»[(١)] رواه الترمذي وحسنه. وفيه حسن الأدب والمبادرة للإكرام وكفِّ اللسان ونحو ذلك، فإن السلطان ظل الله في أرضه. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح سلف بعضها في مواضع.

مجلس في النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم تتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)].

وروينا من حديث عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها، وإذا أُعطيتها عن مسألة وُكِّلْت إليها . . .»[(٣)] الحديث. أخرجاه.

وروينا من حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أُحب لك ما أُحب لنفسي، لا تأمرنَّ علىٰ اثنين ولا تولَّينَّ مال يتيم»[(٤)] أخرجه مسلم. ولا أبلغ في النهي عن الولاية من ذلك وذمها. وعنه قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده علىٰ منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[(٥)] أخرجه مسلم

= معصية، ومسلم في صحيحة [٥٦ ـ (١٨٤٩)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج علىٰ الطاعة ومفارقة الجماعة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢٢٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٢، ٤٩)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٩٥)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٢٦).

(٢) سورة القصص (٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٦) كتاب الأحكام، [٥] باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، ومسلم في صحيحه [١٣. (١٦٥٢)] كتاب الإمارة، [٣] باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، وأبو داود (٢٩٢٩)، والترمذي (١٥٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧. (١٨٢٦)] كتاب الإمارة، [٤] باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، وأبو داود في سننه (٢٨٦٨)، والنسائي (٦/ ٢٥٥. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٩، ٦/ ٢٨٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩١) ، والزبيدي في الإتحاف(٨/ ٣١٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦. (١٨٢٥)] كتاب الإمارة، [٤] باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٧).

أيضا. وليس المراد ضعيف البدن إذ لا مدخل له في الإمارة ولا ضعف العلم فإنه حفظ علمًا جمًّا كما قال عمر ﷺ، ولا ضعف الهمة والتصميم علىٰ الحق، وإنما المراد الضعف عن احتمال لجاج الخصوم ولددهم وكان خلقه لا يحتمل ذلك، أو عن شدّ أيد أهوالها وحزبها ونكالها فيما يظهر. وقوله: «فإنها أمانة» أي من التي أمنت السماوات والأرض عليها ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقوله: «فإنها يوم القيامة خزي وندامة» فشهوده عياني لكل موفق. وقوله: «إلاَّ من أخذها بحقها» أشد مستوقف عنها لمن فهم قوله: «وأدّى الذي عليه»، فيها أبلغ مانع وأكف منفر[١]

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إنكم ستحرصون علىٰ الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة»[٢] أخرجه البخاري. فالحرص عليها إذن لشهود أنها «نعم المرضعة وبئست الفاطمة».

مجلس في حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قُرَناء السوء والقبول منهم

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣]. وفيها الإغراء بخلة المتقين والتحذير من خلة غيرهم وأنها عداوة في الحقيقة.

---

(١) هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالىٰ يوم القيامة ويفضحه ويندم علىٰ ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة، كحديث «سبعة يظلهم الله . . .» وحديث «إن المقسطين علىٰ منابر من نور . . .»، وإجماع المسلمين منعقد عليه. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٧٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٨) كتاب الأحكام، [٧] باب ما يكره من الحرص علىٰ الإمارة، والنسائي (٧/ ١٦٢، ٨/ ٢٢٥. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٩، ١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء(٧/ ٩٣)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٧)،وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٢١٦).

(٣) سورة الزخرف(٦٧).

أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم. عليه الصلاة والسلام. لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥] [تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٣)].

وروينا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلاَّ كان له بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله»(١) أخرجه البخاري. وفيه تعريف سنة الله في خليقته والمعصوم من عصم الله.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكَّره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعينه»(٢). رواه أبو داود بإسناد جيد علىٰ شرط مسلم. وفيه تعريف فيمن يريد به خيرًا ومن يريد به غير ذلك، ولا تعارض عند التأمُّل.

مجلس في النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها

أو حرص عليها فعرَّض بهما. روينا في الصحيحين(٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: " دخلت علىٰ رسول الله أنا ورجلان من بني عمير فقال أحدهما: يا رسول الله، أَمِّرْنا علىٰ بعض ما ولاَّك الله -عز وجل. وقال الآخر مثل ذلك فقال: «إنَّا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه» " .

مجلس في الحياء وفضله والحث على التخلق به

روينا من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ مرَّ علىٰ رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه؛ فإن الحياء من الإيمان» أخرجاه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٩٨) كتاب الأحكام، [٤٢] باب بطانة الإمام وأهل مشورته، والنسائي (٧/ ١٥٨. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢١ ، ٢٢)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٣٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الوزير، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٤، ٦/ ١٧٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٢٣) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [٢] باب حكم المرتد والمرتدة، ومسلم في صحيحه [١٤. (١٧٣٣)]، [١٥] كتاب الإمارة، [٣] باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، وأبو داود في الحدود، باب [١]، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٩٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٤) كتاب الإيمان، [١٦] باب الحياء من الإيمان، ورقم (٦١١٨) =

فالحياء منشأه من الإيمان، وكذا كل حالة قلبية فإنها تنشأ من الاعتقاد المناسب لها.

وروينا من حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «الحياء لا يأتي إلاَّ بخير»[١] أخرجاه. ولمسلم: «الحياء خير كله»، أو قال: «الحياء كله خير»[٢]. فالحياء ثمرته كلها جميلة وأنواعه كلها خير.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، وأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٣] أخرجاه. والبِضع ـ بكسر الباء ويجوز فتحها: هو من الثلاثة إلىٰ العشرة. والشعبة: القطعة والخصلة. والإماطة: الإزالة. والأذى: ما يؤذي، كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك. فمرتبة الحياء فوق أدنى الخصال التي هي شعب الإيمان[٤] ودون أعلاها، وإماطة الأذى فرعه، وأصل الشيء أعلا من فرعه.

وروينا من حديث أبي سعيد قال: " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء

= كتاب الأدب [٧٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٥٩.(٣٦)] كتاب الإيمان [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، وأبو داود في سننه (٤٧٩٥)، والنسائي (٨/ ١٢١. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٦، ١٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١٧) كتاب الأدب [٧٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٦٠. (٣٧)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٢٧)، والطبراني في المعجم لكبير (١٨/ ٢٠٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٠٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦١. (٣٧)] كتاب الإيمان [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩) كتاب الإيمان، [٣] باب أمور الإيمان، ومسلم في صحيحه [٥٧. (٣٥)]، [٥٨ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، والنسائي (٨/ ١١٠. والمجتبى)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٤٧).

(٤) قال الإمام الحافظ أبو حاتم ابن حبان ـ بكسر الحاء: تتبعت معنى هذا الحديث مرة، وعددت الطاعات، فإذا هي تزيد علىٰ هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعت إلى السنن فعددت كل طاعة عدها الرسول ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فرجعت إلى كتاب الله تعالىٰ فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالىٰ من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والستين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا كل شيء عده الله تعالىٰ ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا يزيد ولا ينقص [النووي في شرح مسلم (٢/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية].

في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه "[١] أخرجاه. وفيه بيان أن أهله أكابر الكرام، ورأسهم فيه سيد الأنام عليه أزكى تحية وأفضل سلام، وأنه تتفاوت درجاته بالقوة والضعف. وحاصل هذه الأحاديث بيان سبب الحياء وثمرته وتنوعه ومرتبته وبيان أهله وتفاوت درجته، وكل منها مرغّب وجاذب ومناد يمدحه وناطق.

فائدة: حقيقة الحياء خلق يبعث علىٰ ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وروينا عن أبي القاسم الجنيد[٢]. رحمه الله. قال: الحياء رؤية الآلاء. أي النعم. ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء.

مجلس في حفظ السِّر

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [٣] فأمر تعالىٰ بإيفائه، وهو شامل لكل عهد واستئمان علىٰ سرّ وتعاهده علىٰ حفظه وعدم إذاعته، وإنه ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾: إما مطلوبا من العباد وإما مسئولا عنه وكله لتأكيد الإيفاء به. ولنذكر أحاديث دالة علىٰ التحذير من إفشاء السرّ ونشره وبيان تفاوت درجات نشره، وبيان أهل حفظ السر وأنهم أُولوا الأدب والكمال من الرجال والنساء والصبيان وأنه ينبغي قبول عذرهم في الكتمان من غير تكلُّف الإفشاء، وبيان مجاريه المتأكدة وبيان وقت الحفظ والنشر وما ليس بعذر يُستباح. فروينا من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلىٰ المرأة وتفضي إليه ثم ينشر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٦٢) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ورقم (٦١٠٢) كتاب الأدب [٧٢] باب من لم يواجه الناس بالعتاب،ورقم (٦١١٩) كتاب الأدب [١٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٦٧. (٢٣٢٠)] كتاب الفضائل، [١٦] باب حيائه ﷺ، وأحمد في مسنده (٣/ ٧١، ٩١)،والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢)،وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦، ٩/ ١٧) .

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل: كان أبوه قواريريًا، يعني زجاجًا، وكان هو خزازاً، ولد ببغداد بعد العشرين والمائتين أو قبلها، وتفقه علىٰ أبي ثور، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له، وحدث بشيء يسير، كان شيخ العارفين، وقوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، وتوفي سنة (٢٩٨) . [تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (٢٩١. ٣٠٠)] .

(٣) سورة الإسراء (٣٤) .

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤] أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي عنه. [تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠)] .

سرَّها»[١] أخرجه مسلم. وفيه أحد مجاري حفظ السرّ وهو ما يكون بين الزوجين. سُئل عروس عن أمره فقال: لو كان الإخبار من قصدي لم أُغلق الباب ولم أرخ الستر. وفيه من بيان مرتبته أن كل مُفْش لسر شرير، ولكن من أشرِّ الأشرار[٢] هاتك ستر امرأته. وفيه أن السر قد يعرف بلسان الحال واحتقان الدائن به، والمرأة حريصة علىٰ ستر عورتها وأشباه ذلك، ولولا ضرورة الإفضاء ما أفشت من ذلك شيئًا وكذلك الرجل. وفيه أبلغ تحذير ممن هو أشرّ الناس منزلة يوم القيامة عند الله العظيم، وفيه أن ذلك مما يكتم ولا يُفشى أبدًا.

وروينا من حديث عبد الله بن عمر أن عمر حين تأيَّمت[٣] بنته حفصة قال: «أتيت عثمان بن عفان وعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. فقال: سأنظر في أمري. فلبث ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي. فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أوجد منِّي علىٰ عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إيَّاه فلقيه أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرد إليك بشيئًا قلت: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣. (١٤٣٧)] كتاب النكاح، [٢١] باب تحريم إفشاء سر المراة، والألباني في إرواء الغليل(٧/ ٧٤)، وفي آداب الزفاف (٦١) .

(٢) قال القاضي : هكذا وقعت الرواية : أشر بالألف، وأهل النحو يقولون : لا يجوز " أشر وأخير" ، وإنما يقال : هو خير منه وشرمنه، قال : وقد جاءت الأحاديث الصحيحة باللغتين جميعا، وهي حجة في جوازهما جميعا، وأنهما لغتان، وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا حاجة فمكروه ؛ لأنه خلاف المروءة . [النووي في شرح مسلم (١٠/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) قال العلماء : الأيم هنا الثيب، وللأيم معان أخر، قال القاضي : اختلف العلماء في المراد بالأيم هنا مع اتفاق أهل اللغة علىٰ أنها تطلق علىٰ امرأة لا زوج لها صغيرة كانت أو كبيرة، بكرًا كانت أو ثيبًا، قاله إبراهيم الحربي وإسماعيل القاضي وغيرهما . والأيمة في اللغة : العزوبة، ورجل أيم وامرأة أيم، وحكى أبو عبيدة أنه أيمة أيضًا .

قال القاضي : ثم اختلف العلماء في المراد بها هنا، فقال علماء الحجاز والفقهاء كافة : المراد الثيب . وقال الكوفيون وزفر : الأيم هنا كل امرأة لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا كما هو مقتضاها في اللغة، قالوا : فكل امرأة بلغت فهي أحق بنفسها من وليها وعقدها علىٰ نفسها النكاح صحيح، وبه قال الشعبي والزهري، قالوا : وليس الولي من أركان صحة النكاح بل من تمامه، وقال الأوزاعي وأبو يوسف ومحمد: تتوقف صحة النكاح علىٰ إجازة الولي . [النووي في شرح مسلم (٩/ ١٧٣ ، ١٧٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

عرضت عليَّ إلاَّ أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فلم أكن أفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها "[١] أخرجه البخاري. وتأيَّمت: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي. ووَجَدت: غضبت. وفيه مجرى ثان: وهو ما يكون في مجالس الكبراء. وثالث: وهو ما يقع من نحو الشيخ والأستاذ. ورابع: وهو ما يُحدِّث به الصاحب عن شأنه وعزائمه و نحو ذلك، فالصِّدِّيق اعتذر بأنه لم يكن يفشي سرَّ رسول الله ﷺ[٢]. وفيه أن حافظ الأسرار وكاتمها خير الأمة وصديقها فليقتد به المستأذنون. وفيه أن الصديق عرف أن سر نفريته مجرد الذكر من غير يقين وقوع ذلك، ولو تركها الشارع قبلها. وفيه أن وقت الحفظ ما لم يقع، فالسر بعد وقوعه إذ لا أذى يتوهم حينئذ، فلذلك ذكره الصديق. وفيه أن حفظ قلوب الأحباب الأكابر ليس عذرا في إفشاء السر، فالصديق عرف غضب الفاروق في سكوته كما يصرح به قوله: " لعلك وجدت عليَّ. . . " إلىٰ آخره. ومع هذا كتم السر ولم يفشه وكانت موجدة عمر عليه أسهل من إفشاء سرِّه ﷺ.

وروينا من حديث عائشة قالت[٣]: " كُنَّ أزواج رسول الله ﷺ عنده، فأقبلت فاطمة تمشي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحَّب بها وقال: «مرحبا بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارَّها فبكت بكاءً شديدا، فلما رأى جزعها سارَّها ثانية فضحكت[٤]، فقلت لها: خصَّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥١٢٢) كتاب النكاح، [٣٤] باب عرض الإنسان ابنته أو أخته علىٰ أهل الخير .

(٢) قال الذهبي في ترجمته لحفصة أم المؤمنين : تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، قالت عائشة : وهو التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ . ويروى أنها ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أخت عبد الله بن عمر وأمهما هي زينب أخ عثمان بن مظعون،
وكانت حفصة قبل النبي ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، أحد من شهد بدراً فتوفي بالمدينة . [تاريخ الإسلام، وفيات (٤١-٥٠)] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٧١٥، ٣٧١٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [١١] باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة . عليها السلام . بنت النبي ﷺ . وقال النبي ﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، ومسلم في صحيحه، [٩٨. (٢٤٥٠)] كتاب فضائل الصحابة، [١٥] باب فضائل فاطمة بنت النبي . عليها السلام .

(٤) قولها : «فأخبرني أني أول من يلحق به من أهله فضحكت» هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان، فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحوقا به، ووقع كذلك، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها، وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا . [النووي في شرح مسلم (٥/١٦) طبعة دار الكتب العلمية] .

قالت: ما كنت لأفشي علىٰ رسول الله ﷺ سرَّه. فلما توفي رسول الله قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ[١] فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل ﷺ كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، «وأنه عارضني الآن مرتين، وإني لا أُرى الأجل إلاَّ قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك». فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت ضحكي الذي رأيت»[٢] أخرجاه، والسياق لمسلم. وفيه مجرى خامس وهو ما يكون بين الوالد وولده، وفيه أن من أهل حفظ السر سيدة نساء المؤمنين فليُتأسَّى بها. وفيه أن تعريض أم المؤمنين لها بقولها: خصك بكذا وأنت تبكين، ليس عذرا يُستباح بمثله الأشياء، بل بتصريحها المحكي بقولها: فلما مات رسول الله سألتها: ما قال لك؟ وفيه أن المعتذر لا يُكلَّف، والصِّديقة[٣] لم تُلح علىٰ الزهراء فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله. وفيه أن الزهراء فهمت كونه سرًّا باختصاصها به دون نسائه. وفيه أن وقت الحفظ مدة الحياة النبوية لقرينة أن اقتراب الأجل سبق الإخبار قبل الموت أما بعده فأي مشقَّة فيه، فمن السر ما يُفشَى لكن وقت الإفشاء كما سلف في قصة الصِّديق.

وروينا من حديث ثابت عن أنس[٤] قال: «أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٨٧٨) كتاب المناقب، باب فضل خديجة عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه أول الحديث في الصحيحين، وأخرجه أيضًا: الترمذي في سننه (٣٨٧٣) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٤٠)، والزبيدي في في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٤٤) وتهذيب خصائص علي للنسائي (٦٤).

(٣) كذا كان لقب عائشة: الصديقة بنت الصديق، ولنا كتاب (الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة) من تحقيقنا. [طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) من فضائل أنس بن مالك فيما رواه مسلم [١٤٢. (٢٤٨١)] من فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس، عن أنس قال: دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك، ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه».
قال النووي: هذا من أعلام نبوته ﷺ في إجابة دعائه.
وفي رقم (١٤٣) قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون علي نحو المائة اليوم.

مع الغلمان فسلَّم علينا، فبعثني إلىٰ حاجة فأبطأت علىٰ أمي، فلما جئت قالت: ما حَبَسَك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجته. قالت: وما حاجته؟ قلت لها: سرّ. قالت: لا تُخبرنَّ بسر رسول الله أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت أحدا لحدَّثتك به يا ثابت "[1] أخرجه مسلم، وللبخاري بعضه مختصرًا. وفيه مجرى سادس وهو ما يكون بين الرجل وخادمه. وفيه أن من أهل الحفظ أنس، وحُقَّ له إذ تربَّى في بيت النبوة. وفيه قبول أُمِّه عُذره، بل أكدته بقولها: لا تخبرنَّ بسرِّه أحدا. وعرف أنس أنه (. . . . .)[2] عليه أو لقرينه، وفيه أن من السرّ ما لا يُفشَى. وفيه أن سؤال الوالدة مع عظم حقوقها[3] ليس عذرًا يبلغ الإفشاء به.

مجلس في الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[4]. وفيه تحذير التارك لخير اعتاده من تغيير الله تعالىٰ نعمه عليه. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[5]. والأنكاث: جمع نكث، وهو الغزل المنقوض. وفيه التنفير من ذلك أيضًا بتشبيهه بامرأة حمقاء نقضت غزلها كما ذكر، فالخير مُقَوٍّ للإيمان والترك له نقيضه، ولا أبلغ من ذلك منفرًا. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[6]. وفيها النهي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٥. (٢٤٨٢)] كتاب فضائل الصحابة، [٣٢] باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، وروى البخاري في صحيحه مختصراً (٦٢٨٩) كتاب الاستئذان، [٤٦] باب حفظ السر، عن أنس بلفظ: "أسر إليَّ النبي ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به". وبلفظ البخاري رواه مسلم رقم [١٤٦. (٢٤٨٢)] به.

(٢) قدر ثلاث كلمات غير واضحة.

(٣) من عظم حقوق الأم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»". قال العلماء: سبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك، ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء علىٰ أن الأم تفضل في البر علىٰ الأب، وحكى القاضي عياض خلافا في ذلك، فقال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم: يكون برهما سواء، قال: ونسب بعضهم هذا إلى مالك، والصواب الأول، لصريح هذه الأحاديث في المعنى المذكور والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) سورة الرعد (١١).

(٥) سورة النحل (٩٢).

(٦) سورة الحديد (١٦).

عن مشابهة الغضب والضلال في قسوة ببعد عن الرحمة وتوقع في الفسق والخروج عن الدين فقال تعالىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [(١)] وفيها العتب والتوبيخ على من لم يرع ما التزمه من الخير حق رعايته.

وروينا في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[(٢)]. وفيه النهي عن التأسّي بالمتخلّفين. والحاصل من ذلك كله التنفير من التهاون في ذلك والنهي عن اتخاذ أهل المهانة قدوة ومؤتسى.

مجلس في استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. أمر بخفض الجناح، ومن لوازمه الطلاقة المخالفة لمصاعرة الخد. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. حذَّر من العبوسة وبيان ثمرتها وهي المعاداة والنفرة والمباعدة؛ إذ منشأها الفظاظة وغلظ القلب.

وروينا من حديث عدي بن حاتم مرفوعًا: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم

= نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا، ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا علىٰ الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠)].

(١) سورة الحديد (٢٧).

أي فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين: احدهما: الابتداع في دين الله ما لم يامر به الله.

والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١١٥٢) كتاب التهجد [١٩] باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٣٤)، والقرطبي في تفسيره(١٦/ ٥٧).

يجد فبكلمة طيبة»(١) أخرجاه. فالكلمة الطيبة سِتر من النار.

وروينا من حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» أخرجه مسلم(٢). فطلاقة الوجه لا ينبغي أن يُحتقر أمره.

مجلس في استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلاَّ بذلك

روينا من حديث أنس " أنه ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثا حتىٰ تُفهم عنه، وإذا أتى علىٰ قوم فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثا " أخرجه البخاري(٣).

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان كلام رسول الله كلاما فصْلا يفهمُهُ كلُّ من سمعه "(٤) رواه أبو داود. ففي الاقتداء بسيد المرسلين الكاملين أُسوة حسنة وليس (. . .)(٥).

ووقارًا(٦) وتواضعًا لا يضربون أقدامهم ولا يخفقون بنعالهم مراءً وبَطَرًا، وأهل هذا عباد الرحمن وكفى به ترغيبا.

وروينا من حديث عائشة قالت: " ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا قطُّ ضاحكا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٢٣) كتاب الأدب، [٣٤] باب طيب الكلام، ومسلم في صحيحه [٦٦. (١٠١٦)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي (٢٤١٥) كتاب صفة القيامة، [١] باب في القيامة ، والنسائي (٥/ ٧٥. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٥٦، ٢٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٥، ٣٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥، ١٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥، ٦/ ٣٨٢)،والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٧٠، ٦/ ٢٦١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٤. (٢٦٢٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٣] باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣، ٥/ ٦٣، ٦٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤م١٨٨، ١٠/ ٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٨٦٦، ١٢٢١، ١٤٥٠. الموارد) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٨٢، ٥٣٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٤، ٩٥) كتاب العلم، [٣] باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها، ورقم (٦٢٤٤) كتاب الاستئذان ثلاثاً، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٣٩) كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٩) .

(٥) سقطت الورقة (٢٥٢) من المخطوط .

(٦) أول الورقة (٢٥٣) .

حتىٰ ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم "[(١)] أخرجاه. اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم. وفيه الانبساط وصفته، وفيه التبسم دون الاستجماع، وهذه صفة أكرم الخلق علىٰ الله وخيرهم سمتًا وهديًا. وقد تضمنت الآية والحديث بيان مجاري الوقار وصفته والترغيب فيه وبيان أهله.

مجلس في الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [(٢)].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتمُّوا»[(٣)] أخرجاه. زاد مسلم: «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلىٰ الصلاة فهو في صلاة»[(٤)] وفيه الأمر بالسكينة والنهي عن السعي المخالف لها، أما الاهتمام والبدار وحسن الإقبال ونحوها فذلك هو المراد بقوله: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ٩] [(٥)]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [(٦)]. وفيه أن إتمام ما تفوته السكينة خير من فضل ما يدركه بالعجلة، وأن الحكمة التي توقع في العجلة ليس إلاَّ التلبس بالصلاة وشغل الزمان به دون المشي، وبيان أن ذلك وهْمٌ فاسد.

وروينا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه دفع مع رسول الله ﷺ يوم عرفة فسمع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٩٢) كتاب الأدب، [٦٨] باب التبسم والضحك، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٠٥) .

(٢) سورة الحج (٣٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٠٨) كتاب الجمعة، [١٨] باب المشي إلى الجمعة، ومسلم في صحيحه [١٥١. (٦٠٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٨] باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعياً، والترمذي (٣٢٧)، وابن ماجه (٧٧٥)،وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٠، ٤٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩٧، ٤/ ٢٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠٥، ١٧٧٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٠٢، ٣٤٠٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٢. (٦٠٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٨] باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا .

(٥) سورة الجمعة (٩) . أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسرَاء: ١٩] . [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥)] .

(٦) سورة آل عمران (١٣٣) .

رسول الله ﷺ زجرًا شديدًا وضربًا للإبل وصوتًا، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة فإن البرَّ ليس بالإيضاع»[١] أخرجه البخاري. ولمسلم بعضه، البر طاعة، والإيضاع بضاد معجمة وقبلها همزة مكسورة: الإسراع. وفيه نفي وهم أن العجلة مما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، فإن البر ليس بالإيضاع الذي تتهالكون عليه، وأما نحو: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٢] فذلك هو البرّ والقربة. وقد تضمنت الآية والأحاديث المذكورة الترغيب في السكينة والأمر بها والنهي عن ضدّها ونفي توهم التقرب بها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٧١) كتاب الحج، [٩٥] باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٩، ٥/ ٢٠١، ٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥، ٣/ ٢٧٥) .

(٢) سورة طه (٨٤) .

فهرس المحتويات